مؤلفة الكتب الأكثر مبيعًا وفقًا لصحيفة نيويورك تايمز

كيري مانيسكالكو

مملكة الأشرار

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE





للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت www.jarir.com،

ملومات الرجاء مراسلتنا على: jbpublications@jarirbookstore.com

الطبعة الأولى 2024

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

ARABIC edition published by JARIR BOOKSTORE.

كتب أخرى لـ كيري مانيسكالكو

مملكة الملعونين

مملكة المرعبين

إهداء إلى جدتي فيكتوريا ماري نوتشي
وعمتي كارولين نوتشي.

وإلى أجداد أجدادي - الذين هاجروا
من مدينة شاكة في صقلية إلى أمريكا - الذين
كان مطعمهم هو الملهم لمعظم هذه القصة.

قد تكون هذه رواية خيالية،
لكن الحب الأسري الموجود بين سطورها حقيقي للغاية.

إذا لم أتمكن من تغيير إرادة السماء،

فسأفتح بوابات الجحيم.

فيرجيل، *الإنيادة*



مقدمة

في الخارج كانت الرياح تهز الأجراس الخشبية منذرة بالشر. وقد تلاطمت الأمواج على الشاطئ من بعيد، وارتفع صوت الأمواج المضطربة كما لو كان البحر ساحرًا غاضبًا يلقي تعويذة. منذ ذلك اليوم - ولمدة ما يقرب من عقد من الزمان - تبعت العاصفة النمط نفسه. وفيما بعد، سيأتي قصف الرعد أسرع من المد، ويشق البرق بسياطه الكهربائية سماء لا ترحم. لقد أمر الشيطان بالقصاص، وستكون التضحية بالدم هي ثمن استرداد السلطة المسروقة.

لم تكن هذه المرة الأولى التي تلعنه فيها الساحرات، وبالطبع لن تكون الأخيرة.

ومن كرسيها الهزاز بالقرب من المدفأة، راقبت الجدة ماريا التوأمتين بينما كانتا تهتفان بتعاويذ الحماية التي علمتهما إياها، وكلتاهما تطبق قبضتها بإحكام على تميمة حماية على شكل قرن. حاولت أن تشتت ذهنها عن عواء العواصف، وأخذت تنصت بانتباه للكلمات التي تهمس بها فيتوريا وإميليا في تلك التمائم، بينما رأساهما اللذان يغطيهما الشعر الداكن منخفضان في تركيز.

«باسم الأرض والقمر والحجر، باركوا هذا الموقد، باركوا هذا المنزل».

كانتا قد أتمتا عامهما الثامن من فورهما، وحاولت الجدة ألا تقلق بشأن سرعة نموهما. لقد التحفت شالها في محاولة يائسة لدرء الأجواء قارسة البرودة في المطبخ الصغير، ولم تكن لتلك البرودة علاقة بدرجة الحرارة في الخارج. وعلى الرغم من محاولاتها تجاهل الأمر، تسلل بخار الكبريت عبر الشقوق ممتزجًا برائحة البلوميريا والبرتقال المألوفة، ما جعل القشعريرة تسري في شعرها المرفوع الذي وخطه الشيب. لو كانت جدتها البشرية على قيد الحياة، لكانت قد قالت إن ذلك نذير شؤم، وقضت ليلتها في الكنيسة تصلي وهي قابضة على مسبحتها حتى يحميها الخالق.

شعرت بوجود الشيطان في المكان، أو ربما كان أحد أتباعه الأشرار.

شعرت الجدة بطعنة من القلق استقرت بجانب قلبها، وكانت سريعة وخفيفة كطعنة إحدى سكاكين التقشير الخاصة بها. مر زمن طويل منذ آخر مرة شوهد فيها الخبيث. حتى إن أحدًا لم يعد يتذكره إلا في القصص التي تروى لإخافة الأطفال ليبقوا في أسرَّتهم ليلًا.

يضحك الكبار الآن على تلك الحكايات الشعبية القديمة، وينسون تمامًا الأمراء السبعة الحاكمين للجحيم. لم تكن الجدة ماريا لتتناساهم قط؛ فقد نُقِشَت أساطيرهم في ثنايا عقلها، وغرست في وجدانها شعورًا بالرهبة لا يتزعزع. شعرت بالقشعريرة تسري بين فرائصها كأن أعينهم الشريرة تراقبها من بين الظلال. وكانت مطاردتهم لها مسألة وقت. من يعلم إن لم يكونوا يطاردونها بالفعل، فلا أحد يسرق من الشيطان ويمضي دون عقاب.

عادت ببصرها سريعًا إلى التوأمتين. الليلة، كان ينتابهما نوع من الاضطراب أشبه بأمواج البحر المتلاطمة، كان اضطرابًا ينبئ بالمتاعب. كانت فيتوريا تردد تعويذاتها بسرعة، بينما تلعثمت إميليا في محاولة مواكبتها.

طقطق غصن بين ألسنة النيران، ولحقه غصن آخر سريعًا. شابه الصوت عظام الترقوة وهي تتكسر فوق كتب التعاويذ؛ ما بدا إنذارًا في

حد ذاته. أمسكت الجدة بذراعي كرسيها الهزاز، وتحول لون مفاصل يدها إلى لون اللوز المقشر الباهت المتناثر فوق مائدة مطبخها.

صاحت موبخة: «بهدوء! ليس بهذه السرعة، يا فيتوريا. ستضطرين إلى البدء مجددًا إذا لم تقومي بالأمر بالشكل الصحيح. هل تريدين جمع تراب المقابر وحدك في الظلام؟».

لم يبدُ على فيتوريا الخوف كما توقعت الجدة، ما أثار استياءها. بدا أن فكرة التجول في أرجاء المقبرة تحت ضوء البدر وفي أثناء عاصفة غاضبة قد أعجبت الطفلة، ومن ثم اكتفت بزم شفتيها وهزت رأسها بخفة.

لكن من أجابت كانت إميليا وهي تلقي على أختها نظرة تحذيرية: «سنكون أكثر حرصًا يا جدتي».

لإثبات وجهة نظرها، أمسكت إميليا بقارورة الماء المقدس التي حصلتا عليها من الدير وأمالتها على تميمتيهما، لتنزل قطرة واحدة على كل منهما. الفضة والذهب هما قربان للتوازن بين النور والظلمة؛ هدية لما كان مسروقًا كل هذه السنين الماضية.

بالأعلى كما بالأسفل.

راقبت الجدة بهدوء بينما أنهتا التعويذة، وارتاحت حينما بزغت شرارات بيضاء في ألسنة اللهب قبل أن تتحول للأحمر مجددًا. سنة أخرى، ونصر آخر. لقد خدعن الشيطان مرة أخرى. وسيأتي يوم في النهاية لن تفلح فيه التعويذات، ولكن الجدة رفضت التفكير في هذا الآن. حدقت إلى حافة النافذة، سعيدة بشرائح البرتقال المجففة المرصوصة في صفوف متساوية.

وعُلقت أغصان الخزامى لتجفَّف على إطار المدفأة، وتغطت المنضدة الحجرية الصغيرة بالطحين، والأعشاب العطرية منتظرة أن تربط في حزم مرتبة: رعي الحمام، والريحان، والأوريجانو، والبقدونس، وأوراق الغار. امتزجت الروائح في أريج مبهج. كانت بعض الأعشاب لعشائهن

الاحتفالي، وبعضها الآخر لتعويذاتهن. الآن بعد إتمام طقس الحماية، يمكنهن الاستمتاع بوجبتهن.

نظرت الجدة إلى الساعة أعلى إطار المدفأة؛ ابنتها وزوج ابنتها سيصلان من مطعم العائلة قريبًا، جالبين معهما الضحك والدفء.

بغض النظر عن العواصف ونذر الشؤم، سيكون كل شيء على ما يرام في منزل دي كارلو.

خفتت ألسنة النيران وجلست إميليا تقضم أظافرها؛ كانت عادة سيئة عزمت الجدة على إنهائها. وبصقت الطفلة الظفر الذي قضمته، وأوشكت على إلقائه على الأرض.

رن صوت الجدة عاليًا في الغرفة الصغيرة: «إميليا!» فزعت الطفلة، وأنزلت يدها، ونظرت لها بخجل: «في النار! تعلمين جيدًا ألا تتركي أشياء لمن يمارسون *السحر الأسود*».

تمتمت إميليا: «آسفة يا جدتي»، وعضت شفتها، وانتظرت جدتها السؤال الذي علمت أنه آت: «هلا أخبرتنا عن السحر الأسود مجددًا؟».

أضافت فيتوريا: «أو الشرير؟»، حيث كانت مهتمة دائمًا بقصصه، حتى في الليالي التي حُرم عليهما نطق تلك الأسماء. وكررت: «رجاء؟».

«ينبغي ألا نتحدث عن الأشياء المظلمة علانية. فهي تجلب المشكلات».

قالت إميليا بهدوء: «إنها مجرد قصص يا جدتي».

ليت ذلك كان صحيحًا. لوحت الجدة ماريا بتعويذة حماية فوق قلبها، ثم أنهت التعويذة بتقبيل أطراف أصابعها، وتنهدت. تبادلت التوأمتان ابتسامات النصر، وكان من المستحيل أن تبعد الأساطير عن البنتين، حتى إن ملأت رأسيهما بكوابيس عن أمراء الجحيم السبعة. كانت الجدة تخاف أن تتخيلا الشياطين بطريقة رومانسية. وقررت أنه من الأفضل أن تذكّرهما بسبب وجوب خوفهما من تلك الكائنات التي بلا أرواح.

«اغسلا أيديكما وساعدا في تحضير العجين. سأتحدث وأنتما تصنعان *المكرونة*».

بثت ابتسامتهما المتوافقة معًا الدفء، ما أزال تلك البرودة التي اعترت الجدة بسبب العاصفة وما صحبها من نذر شؤم.

كانت المكرونة الحلزونية الصغيرة التي تُقدَّم مع معجون الطماطم أحد الأطباق المفضلة لدى الفتاتين، وكانتا تبتهجان أيضًا بوجود الآيس كريم الجاهز بالبراد، وأحبتا أن تُقدَّم الكعكة الإسفنجية الحلوة بجبنة الريكوتا في ذكرى يوم مولدهما، على الرغم من أنها كانت خاصة بعيد الفصح.

مع كل التدابير الاحتياطية، لم تكن الجدة متأكدة من مدى بقاء هذه العذوبة في حياتهما، فكانت تدللهما كثيرًا، ولم تكن تحتاج كذلك إلى المزيد من التحفيز لتفعل ذلك، فدائمًا ما كان لحب الجدات سحره القوي الخاص.

التقطت إميليا المهراس ووعاءه من أعلى الرف، وتوترت عضلات وجهها بسبب تركيزها وهي تضع فيه زيت الزيتون والثوم واللوز والريحان وجبنة البكورينو وحبات الطماطم الكرزية لتصنع معجون بيستو ألا ترابانيز من أجل المكرونة. أزالت فيتوريا القماش الرطب من أعلى تل العجين، وبدأت صنع المكرونة كما علمتها الجدة، فقد علمتهما كيف تستخدمان المطبخ على الرغم من أن عمرهما ثماني سنوات. ولم تكن تلك مفاجأة، فما بين المنزل والمطعم، كبرت الفتاتان فعليًا في المطبخ. أطلت نظراتهما من بين رموش كثيفة، وبدت تعبيرات وجهيهما كأقنعة ترقب متطابقة.

قالت فيتوريا بتعجل: «إذن؟ هل ستحكي لنا قصة؟».

تنهدت الجدة: «هناك سبعة أمراء شياطين، ولكن ينبغي أن يخشى بيت آل كارلوس من أربعة فقط، وهم أمراء الغضب والطمع والحسد

والكِبر. فمنهم من سيشتهي دماءك، ومن سيأسر قلبك. ومن سيسرق روحك، ومن سيقتلك».

همست فيتوريا، بنبرة شابها الوقار: «الأشرار».

أكملت الجدة وهي تتأرجح في كرسيها ببطء: «الأشرار هم أمراء شياطين يتجولون ليلًا، باحثين عن أرواح ليسرقوها لملكهم الشيطان، وجوعهم مفترس لا ينضب حتى يبزغ الفجر ويطردهم بعيدًا». أصدر الخشب صريرًا، غطى على صوت العاصفة. وأشارت برأسها إلى مهامهما، وهي تتأكد من أنهما ما زالتا تحفظان اتفاقهن. كانت البنتان منهمكتين في عملهما. فأكملت الجدة: «أفسدت الخطايا الشياطين السبعة، إلى درجة أنهم إذا مروا بعالمنا، لا يتحملون رؤية الضوء، وقد لعنوا بأن يتجولوا خارجًا فقط عندما يحين الظلام. كان عقابًا أرسل من الساحرة الأولى لابريما منذ سنين عديدة. قبل أن يخطو الإنسان على الأرض».

سألت إميليا وبعض الريبة تتهادى بين موجات صوتها الصغير: «وأين الساحرة الأولى الآن؟ لِمَ لَمْ تظهر؟».

فكرت الجدة بحرص: «لديها أسبابها. ولا بد أن نحترمها».

سألت فيتوريا، على الرغم من أنه من المفترض أنها قد وعت هذا الجزء جيدًا الآن: «كيف يبدو الأمراء الأشرار؟».

«يبدون كالإنس، ولكن أعينهم السوداء تميل إلى الحمرة، وجلدهم قاسٍ كالحجر. مهما كان الأمر، يجب ألا تتحدثا إلى الأشرار. وإذا رأيتماهم، فاختبئا، فبمجرد أن تجذبا انتباه أمير شيطان، لن يتوقف حتى يجدكما. إنهم مخلوقات منتصف الليل، ولدوا من الظلام وضوء القمر. ويسعون فقط إلى الخراب. احرسا قلبيكما؛ فلو وجدوا الفرصة، فسيقتلعونهما من صدريكما ويتجرعوا دماءكما بينما تسيل في الليل».

لم يشكل فارقًا أن مَن تتحدث عنهم الجدة مخلوقات بلا أرواح تنتمي إلى الشيطان، أو أنهم سيقتلونهما فور رؤيتهما، فلقد كانت التوأمتان مسحورتين بأمراء الجحيم المظلمين والغامضين أولئك.

أو بواحد أكثر من الآخرين، كما سيحدد القدر.

سألت فيتوريا: «ولكن كيف نميزهم عندما نقابل أحدًا منهم؟ ماذا لو لم نستطع رؤية أعينهم؟».

ترددت الجدة، لقد سمعتا الكثير بالفعل، وإذا تحققت النبوءة القديمة، فإنها تخشى أن يكون الأسوأ هو التالي.

«ستعلمين حينها».

لتحذو حذو العائلة، علمتهما الجدة ماريا الطرق السحرية للاختباء من الناس، ومخلوقات منتصف الليل على حد سواء.

في ذكرى يوم مولدهما كل سنة، تجمعان الأعشاب من الحديقة الصغيرة في الباحة الخلفية للمنزل وتصنعان تعاويذ الحماية.

كانتا ترتديان التميمتين المباركتين بالمياه المقدسة، ورمال المقابر المفتوحة حديثًا، وأشعة نور القمر المضيئة. كانتا تتلوان كلمات الحماية، ولا تأتيان على ذكر الأشرار عندما يكون القمر مكتملًا. والأهم من ذلك، أنهما لم تفارقا التميمتين قط.

كانت تميمة إميليا مصنوعة من الفضة، وتميمة فيتوريا من الذهب. لم يُسمح للفتاتين بوضعهما معًا إحداهما بجوار الأخرى، وإلا كان سيحدث شيء فظيع. وفقًا للجدة، سيكون ذلك كإجبار الشمس والقمر على تشارك السماء، جالبين للعالم الكسوف الأبدي. وقتها، سيتمكن أمراء الجحيم من الهرب من سجن النار إلى الأبد، قاتلين الأبرياء وسارقين أرواحهم حتى يتحوَّل عالم البشر إلى رماد - كالممالك في كوابيسهما.

بعد أن التهمت التوأمتان العشاء والكعك، قبَّلتا أمهما وأباهما اللذين أودعاهما فراشهما. ستبدآن من الغد المساعدة في مطبخ مطعم العائلة المزدحم، لتقدما أول عشاء حقيقي لهما. ضحكت إميليا وفيتوريا على

فراشهما المشترك من كثرة الحماس، ولم تناما، ملوحتين بتميمتيهما اللتين كانتا على شكل قرن كأنهما سيفان للجنيات الصغيرة، متخيلتين أنهما تحاربان الأشرار.

قالت إميليا لاحقًا، وهي بين ذراعي أختها التي احتضنتها: «عندما أكبر، أريد أن أكون ساحرة نباتية». «سأزرع كل أنواع الأعشاب، وسيكون لي مطعمي الصغير. ستكون قائمة طعامي من السحر وضوء القمر. مثل جدتي».

قالت فيتوريا وهي تضمها أكثر في راحة: «بل سيكون مطعمك أفضل. سأكون وقتها ملكة، وسأحرص على أن تحصلي على ما تريدين».

في إحدى الليالي قررتا أن تكونا شجاعتين، إذ كان قد مر شهر بالكاد على يوم ذكرى مولدهما الثامنة، ومر على تحذيرات الجدة ماريا الوخيمة حينٌ من الدهر. دفعت فيتوريا بتميمتها تجاه أختها، وعلى وجهها قدر كبير من التصميم آمرة إياها: «ها هي، خذيها».

ترددت إميليا دقيقة قبل أن تمسك بالقرن الذهبي في كفها.

انفجر ضوء بلون الخزامى الأسود وهو ينبعث من التميمتين، أذهل الضوء إميليا بما يكفي لتقطع سلسلة أختها. ربطتها فيتوريا سريعًا في مكانها، ثم اتسعت أعينهما البنية بينما اختفى الضوء المتلألئ سريعًا. وظلت الفتاتان صامتتين؛ من الخوف أو الدهشة، لم تكونا متأكدتين. وقد ثنت إميليا ذراعها، محاولة أن تقاوم هذا التنميل الزاحف أسفل جلدها. كانت فيتوريا تشاهد؛ ووجهها في الظل.

على مقربة منهما عوى كلب جهنم فوق القمر، لكن لاحقًا أقنعتا نفسيهما بأنها كانت فقط الرياح تزمجر في الشوارع الضيقة في حيهما، ولم تخبرا أحدًا قط بما فعلتا، ولم تتحدثا مطلقًا عن الضوء القرمزي الغريب.

لم تتحدثا لأحد، خاصة للجدة ماريا، حتى إنهما لم تتحدث كل منهما إلى الأخرى قط عن هذا الأمر.

منذ أن تناستا الحادثة، لم تخبر إميليا أختها بأنها قد اعتراها تغيير ما بلا رجعة منذ تلك الليلة وإلى الأبد، وفي أي وقت تمسك بتميمتها وتركز، كانت ترى ما تدعوه *بالتوهج*، إنه بريق خافت أو هالة تحيط بأي شخص تراه.

والوحيدتان اللتان لم تطوقهما هذه الهالة كانتا هي وتوأمها فيتوريا.

أما فيتوريا، فلو كانت تمتلك هي أيضًا هذه الموهبة الجديدة، فإنها لم تعترف بذلك هي الأخرى قط. كان ذلك أول الأسرار الكثيرة التي ستخفيها التوأمتان إحداهما عن الأخرى. وسيتبين أن هذا الأمر سيتسبب في هلاك إحداهما.



الأول

بعد عشر سنوات

كانت الجدة ماريا تتحرك بهمة وسرعة في المطبخ، كما لو كانت قد ارتشفت كل رشفة إسبريسو موجودة في المقهى. كانت مضطربة للغاية، فقد تأخرت أختي التوأم عن الصلاة التي تسبق وجبة العشاء، ورأت جدتنا في ذلك نذيرًا للهلاك، خاصة أن فيتوريا كانت خارج المنزل في الليلة التي تسبق احتفالًا دينيًا، يا إلهي.

كان اكتمال القمر وما يشعه من ضوء أصفر، كافيًا ليدفع الجدة إلى أن تتمتم بتحذيرات من شأنها أن تجعل والدي يغلق الأبواب. لحسن الحظ، كان هو والعم نينو يقدمان إلى زبائن المطعم مشروبات بعد العشاء في غرفة الطعام، بينما كانا يحملان زجاجة شراب الليمون الإيطالي المثلج. لم يغادر أحد مطعم سي آند فاين دون تناول المشروبات المثلجة، وتجربة الرضا الكامل الذي يأتي بعد وجبة رائعة.

وبينما كانت الجدة تحرّك سكينها فوق لوح التقطيع المتآكل لتفرم فصوصًا من الثوم لطهي القريدس، ولو لم تتسم بالحذر، فربما فقدت أحد أصابعها؛ قالت لي: «يمكنك أن تسخري مني كما تريدين، لكن هذا أمر خطير. تتجول الشياطين في الشوارع من أجل سرقة الأرواح.

ومـن الغبـاء أن تخرج أختك». ثم توقفت واسـتدارت على الفور لتنظر إلى التميمة الصغيرة التي كانت على شكل قرن، وكانت تتدلى من رقبتي، وقد لاحظتُ أن القلق قد حفر في وجهها أخدودًا عميقًا حول عينيها وفمها. ثم أضافت: «هل لاحظت يا إميليا إذا كانت ترتدي تميمتها؟».

اختـرت عـدم الـرد، فلـم نتـزع، أنـا وهـي، تميمتينـا أبـدًا، ولـو عنـد الاسـتحمام. خالفت أختي كل القواعد إلا هذه. وبخاصة لما حدث عندما كنا في الثامنة من العمر.... أغمضت عينيَّ هنيهة، وحاولت التخلص من تلـك الذكـرى. لـم تعرف الجدة حتى الآن شـيئًا عن البريـق الذي يمكننـي رؤيته يتلألأ حول البشر أثناء حمل تميمتي، وكنت آمل ألا تعرف أبدًا.

قالـت والدتـي: «أرجوكِ يـا أمي»، ونظرت إلى السـقف كما لو أن الرب في السـماء سيسـتجيب لدعواتها بإرسال صاعقة. لم أكن متأكدة مما إذا كانت الصاعقة سـتكون لوالدتي أم لجدتـي. وبعدها أضافت: «دعونا ننتهِ مـن تقديـم العشـاء أولًا، ثم يمكننـا التفكير في الأشـرار. إننـا في الوقت الحالي، لدينا أشياء أهم بكثير ينبغي التعامل معها»، وأومأت برأسها إلى المقلاة، وقالت: «سيحترق الثوم».

غمغمـت الجدة: «تمامًا كمـا سـتحترق روح ابنتك في الجحيـم إن لم ننقذهـا يا نيكوليتا». عضضت على شفتيَّ حتى لا أبتسم.

ثـم أضافـت جدتـي: «يخبرني حدسـي بـأن هناك شـيئًا خطـأً للغاية، وإذا لـم تعـد فيتوريـا قريبًـا، فسـأبحث عنهـا بنفسـي. لن يجرؤ الأشـرار علـى اختطـاف روحهـا في وجودي». ثم ضرب سـاطور الجدة بقوة سـمكة الماكريـل الغافلـة عـن مصيرهـا، ما أدى إلى سـقوط رأسـها علـى أرضية الحجر الجيري.

تنهدت، كان بإمكاننا اسـتخدامه لصنع مرقة السـمك. غير أن الجدة كانت مشغولة البال حقًّا، وكانت هي التي علمتنا أهمية استخدام كل جزء من أي حيوان.

ومع ذلك، لا يمكن استخدام العظام إلا للمرق، وليس لإلقاء التعاويذ. كانت هذه هي الحال بالنسبة إلينا، في عائلة كارلوس، على الأقل. كان *السحر الأسود* ممنوعًا منعًا باتًّا. ولأشتت ذهني عن أفكار السحر الأسود، أخذت رأس السمكة في وعاء لأطعم بها قطط الزقاق لاحقًا.

سكبت للجدة بعض الشراب المثلج، وأضفت له شرائح البرتقال وقشوره المحلاة لتعزيز مذاقه اللذيذ. وعلى الفور ظهرت قطرات الماء المتكثفة على زجاج الكأس مثل ندى الصباح. وكان منتصف شهر يوليو في باليرمو يعني أنه فضلًا عن فتح نوافذنا لإفساح المجال حتى يدخل النسيم، يظل الهواء حارًّا جدًّا في الليل.

وبشكل خاص كان الجو حارًّا في المطبخ الآن، وقد اعتدت ربط شعري أعلى رأسي خلال الأشهر الباردة كذلك بسبب درجات الحرارة المرتفعة الناتجة عن نيران الفرن.

كان مطعم عائلة دي كارلو، سي آند فاين، معروفًا في جميع أنحاء صقلية بطعامه اللذيذ. وكل مساء، كان هناك الكثير ممن ينتظرون لتناول الطعام على طاولاتنا؛ لأن وصفات الجدة كانت محبوبة جدًّا. وبصرف النظر عن الطقس، كانت طوابير الزبائن تبدأ من بعد الظهيرة. قالت الجدة إن سر وصفتها هو المكونات البسيطة إلى جانب لمستها السحرية. وكان كلامها صحيحًا في كلا الأمرين.

لم يكن من المفترض أن نستخدم السحر خارج منزلنا، لكنني ألقيت تعويذة سريعة، وحركت الشراب على طول المنضدة باستخدام قطرات الماء التي تجمعت على زجاج الكأس، وبدأت تقطر على الحجر لتستقر الكأس أمامها ثم قلت: «تفضلي يا جدتي». تناست قلقها فترة كافية لتأخذ رشفة من المشروب الأحمر الحلو. وعندما أدارت جدتي ظهرها، عبَّرت والدتي عن تقديرها لي، فابتسمتُ لها.

لم أكن متأكدة من سبب اضطراب الجدة في هذه الليلة، وخلال الأسابيع العديدة الماضية - بدءًا من يوم ذكرى ميلادنا الثامنة عشرة

- لم تواظب توأمي على عدد من الصلوات قبل وجبة العشاء، وتسللت عائدة إلى المنزل في وقت متأخر بعد غروب الشمس، حيث برز احمرار خديها البرونزيين، وكانت عيناها الداكنتان ساطعتين. كانت شخصيتها قد اعتراها تغيير بطريقة ما. وكان لديَّ شك قوي في أن ذلك بسبب علاقتها ببائع شاب أعرفه في السوق.

دومينيكو نوتشي الابن.

كنت قد اختلست نظرة خاطفة على مذكراتها، ورأيت اسمه مكتوبًا على الهوامش قبل أن يتملكني الشعور بالذنب وأضع مذكراتها مرة أخرى أسفل لوح الأرضية، حيث أخفته. لحسن الحظ لم تلاحظ فضولي؛ لأننا ما زلنا نتشارك غرفتنا في الطابق الثاني من منزلنا الصغير المزدحم.

أعطيت جدتي بعض البقدونس الطازج لتزيين القريدس، وحاولت طمأنتها: «فيتوريا بخير، يا جدتي. لقد أخبرتك بأنها كانت تخرج بصحبة الفتى نوتشي الذي يعمل مع عائلته بالقرب من القلعة لبيع كرات الأرانشيني. أنا متأكدة من أنه مشغول الليلة بكل الاحتفالات السابقة للمهرجان. ومن المحتمل أنها تقدِّم كرات الأرز المقلية لكل من أفرط في تناول الشراب. فأنا أعتقد أنهم يحتاجون إلى شيء لامتصاص كل هذا المشروب السحري». وغمزت لجدتي، لكن خوفها لم يهدأ، فعانقتها بشدة بينما أضع البقدونس المتبقي على الطاولة، وقلت: «لن يأكل شيطان قلبها ولن يسرق روحها. أعدك بذلك. ستكون هنا قريبًا».

فردت جدتي: «في يوم من الأيام، أتمنى أن تأخذي رسائل تحذير الرب على محمل الجد، أيتها الفتاة الصغيرة».

ربما في يوم ما، ولكن على الرغم من أنني سمعت حكايات عن أمراء الشياطين ذوي العيون الحمراء طوال حياتي، فإنني لم أصادف أحدهم في الواقع. ولا أظن أن الحال سيتغير الآن فجأة. فأيًّا كان المكان الذي يقبع فيه الشيطان الآن، فعلى ما يبدو أنه أصبح مستقره الأبدي. وأنا متأكدة من أنه لن يظهر مجددًا مثلما أن واثقة من استحالة عودة الديناصورات بعد

انقراضها. تركت الجدة لتطبخ القريدس، وابتسمت ابتسامة عريضة عندما امتزجت الموسيقى مع أصوات الملاعق والسكاكين. كان هذا نوعي المفضل من السيمفونيات؛ ذلك الذي سمح لي بالتركيز تمامًا على عجائب الخلق.

استنشقت رائحة الزبد والثوم اللذيذة.

الطبخ هو مزيج من السحر والموسيقى. صوت أزيز البانشيتا التي تشوى في المقلاة الساخنة، أو الرنة المعدنية للخفاقة وهي تضرب جانب الوعاء، أو الضربة الإيقاعية للساطور كذلك على لوح التقطيع الخشبي، كلها أصوات يمكن سماعها أثناء الطهي. أحببت كل لحظة قضيتها في المطبخ مع عائلتي. وفي رأيي لا توجد طريقة أكثر مثالية من هذه لقضاء أمسية.

كان مستقبلي هو تطوير مطعم سبي آند فاين، الذي حلمت بأن يكون مليئًا بالنور والحب. خاصة إذا تمكنت من توفير ما يكفي من المال لشراء المبنى المجاور، ومن ثم تطوير شركتنا العائلية. كنت أقوم بتجربة العديد من النكهات الإيطالية، وآمل أن أصمم قائمة طعامي الخاصة ذات يوم.

كانت والدتي تدندن أثناء تشكيل حلوى المارزيبان بأشكال الفاكهة، ثم قالت: «إنه فتى لطيف. أعني دومينيكو. سوف يكون زوجًا رائعًا لفيتوريا. ووالدته ذات شخصية مرحة».

رفعت الجدة يدها المغطاة بالدقيق في الهواء، ملوحة بها كما لو كانت فكرة الخطبة من فرد من عائلة نوتشي أسوأ من رائحة شوارع سوق السمك القريب، وقالت: «لا! إنها أصغر من أن تفكر في الزواج. كما أنه ليس من صقلية».

هززت رأسي وفعلت أمي ذلك أيضًا. لا أظن أن رفض الجدة لدومينيكو له علاقة بأصله التوسكاني، بل أظن أن له علاقة بخوفها علينا؛ ولو كان الأمر بيدها، لأبقتنا في منزل عائلتنا - في الحي الصغير في باليرمو حتى تتعفن أجسادنا وتتحلل. لا أحد آخر، في رأي الجدة، يمكنه حمايتنا بقدر ما تستطيع هي. خصوصًا إن كان مجرد فتى بشري. لم تعتقد الجدة

أن دومينيكو يمكن الوثوق به تمامًا فيما يتعلق بسرنا؛ لأنه لم يولد ساحرًا مثل والدي.

رددت عليها: «لقد ولد هنا. ووالدته من هنا. وأنا متأكدة تمامًا من أن هذا يجعله صقليًا. كفاكِ تذمرًا، فهذا لا يناسب شخصيتك اللطيفة».

تنحنحت متجاهلة محاولتي الصارخة لكي ألاطفها - إنها «عنيدة مثل البغل» على حد تعبير جدي - والتقطت الملعقة الخشبية المنحوتة ووجَّهتها ناحيتي: «انجرفت أسماك السردين على الشاطئ. ولم تمسها النوارس. أنت تعلمين ما يعنيه ذلك. إنه يعني أن النوارس حكيمة بما يكفي لعدم الاقتراب من أي شيء يمسه الشيطان».

وضعت والدتي معجون اللوز جانبًا، وصاحت: «يا أمي، الليلة الماضية، اصطدم قارب يحمل الكيروسين بالصخور. النفط هو ما قتل السمك وليس الشيطان».

رمقت الجدة والدتي بنظرة جادة من شأنها أن تبث الرعب في قلوب البشر: «نيكوليتا، أنت تدركين، وكذلك أنا، أن هذه علامة على وصول الشرير. لقد جاء ليسترد ما يملكه. لقد سمعنا عن الجثث، والتوقيت يتزامن مع ما قالته النبوءة، فهل هذه مصادفة أيضًا؟».

ارتفع صوتي عاليًا جدًا: «جثث؟ عن ماذا تتحدثين؟».

أطبقت الجدة فمها، وأدارت والدتي رأسها سريعًا، ونسيت الحلوى. لقد تبادلتا نظرة قوية وعميقة أصابتني بالقشعريرة من رأسي إلى أخمص قدمي.

أعدت سؤالي: «أي جثث؟ وما هذه النبوءة؟».

بينما كنا نستعد لتدفق الأشخاص الذين سيحضرون المهرجان غدًا، كان مطعمنا أكثر ازدحامًا من المعتاد، وقد مرت أيام منذ أن استمعت إلى الشائعات المتداولة في السوق، ولم يذكر لي أحد أي شيء عن الجثث.

عادت والدتي إلى تشكيل الحلوى بعد أن رمقت جدتي بنظرة تقول؛ *أنت من ذكرتِ الأمر، إذًا أجيبي أنت*. تناولت الجدة مشروبها، وجلست

على كرسي احتفظت به بجانب النافذة، حيث يقلل النسيم من الحرارة الشديدة. أغمضت عينيها، وبدا أنها تستوعب كل شيء. بدت منهكة، فكل ما كان يحدث كان سيئًا.

«يا جدتي؟ من فضلك. ماذا حدث؟».

«قُتلت فتاتان الأسبوع الماضي. واحدة في مدينة شاكا. وواحدة هنا أيضًا في باليرمو».

شاكا تقع في الاتجاه الجنوبي منا مباشرة، وهي مدينة ساحلية على البحر الأبيض المتوسط. وكانت شاكا مدينة في غاية الجمال وتقع على جزيرة جميلة، ولم أتخيل يومًا أن جريمة قتل قد تقع في حرم هذا الجمال، ولكن هذا يدل على سخف أفكاري؛ فالموت لا يأبه بالجمال والقبح.

«هذا مريع». ومع تصاعد دقات قلبي، وضعت السكين جانبًا، والتفت في مواجهة جدتي: «هل كانتا... بشريتين؟».

أجابني التعبير على وجه الجدة بكل شيء؛ *ساحرتين*. بلعت ريقي بتوتر. لا عجب إذن في أنها لم تكف عن الحديث عن عودة الأشرار. كانت تتخيل واحدة منا ملقاة في الشوارع، وأرواحنا تعاني في الجحيم على أيدي الشياطين، ودمنا يتسرب عبر الشقوق، ويجدِّد سحر الأرض. ارتجفت على الرغم من العرق الذي يقطر من جبيني. ولم أكن متأكدة من سبب جرائم القتل.

كثيرًا ما وبختني الجدة لكوني متشككة للغاية، لكن لم أقتنع بأن الأشرار هم الملومون؛ فوفقًا للأساطير القديمة، لم يُرسل الأشرار للقتل، بل للتفاوض على الصفقات وحصد الأرواح من أجل الشيطان. وقد مر قرن على الأقل منذ أن رآهم أي شخص يتجولون على كوكبنا.

لكن البشر يرتكبون جرائم القتل طوال الوقت بعضهم ضد بعض، وهم بالتأكيد سيهاجموننا عندما يدركون حقيقتنا. في الأسبوع الماضي، وصلت إلينا شائعات عن مجموعة جديدة من صائدي *الساحرات*، لكننا لم نكتشف صحتها بعد. أما الآن، فكنت أكثر ميلًا إلى التفكير في أن اللوم

يقع على عاتق المتعصبين من البشر إذا قُتلت الساحرات. ما يعني أنه من أجل تجنب الكشف عنا، كان علينا أن نكون أكثر حذرًا، فلا مزيد من التعاويذ البسيطة في أي مكان يرانا فيه البشر. كنت شديدة الحذر، على العكس من أختي، التي كانت طريقتها المفضلة في الاختباء في الواقع هي عدم الاختباء على الإطلاق.

ربما كان للجدة كامل الحق في أن تقلق.

سألتها: «ماذا كنت تقصدين عندما قلت إن الشيطان سوف يأتي ليسترد ما يملكه؟ وأن ذلك جاء في النبوءة؟».

لم تبدُ الجدة راضية عن استفساري، لكنها استطاعت أن ترى المثابرة في عينيَّ، وعرفت أنني سأستمر. فتنهدت وقالت: «هناك شائعات بأن الأشرار سيبدأون زيارة صقلية كل بضعة أسابيع الآن من أجل العثور على شيء سُرق من الشيطان».

كانت هذه حكاية جديدة تمامًا بالنسبة إليَّ: «وما الذي سُرق؟».

تجمدت والدتي، ثم عادت لتشكيل المرزبان، بينما أخذت الجدة رشفات بطيئة بشكل متعمد من مشروبها، وهي تحدّق إليه كأنها تستطيع قراءة المستقبل من خلال ذلك اللب الذي يطفو على سطح المشروب؛ «دين الدم».

رفعت حاجبيَّ، إذ لا يبدو ذلك مشئومًا ألبتة. ثم سمعت طرق شخص ما على الباب الجانبي، حيث نجلب الإمدادات، قبل أن تسنح لي الفرصة لاستجوابها مرة أخرى. وقد علا صوت والدي على صوت الثرثرة في غرفة الطعام الصغيرة، وسمعته يطلب من العم نينو الترفيه عن ضيوف العشاء. وبعدها سمعت صرير فتح الباب، ووقع خطوات في الردهة.

«صباح الخير يا سيد كارلو، هل إميليا هنا؟».

استطعت تحديد نبرات ذلك الصوت العميق، وفهمت مبتغاه. لم يكن هناك سوى سبب واحد لكي يبحث عني أنطونيو فيتشنزو برناردو، العضو الجديد في الأخوية المقدسة، فبالنيابة عن مطعم عائلتنا، كنت أعد

العشاء للدير القريب مرة أو مرتين في الشهر؛ لأنه اعتمد بشكل كبير على التبرعات والمنح الخيرية.

كانت الجدة تهز رأسها بالفعل عندما مسحت يديَّ بمنشفة، ووضعت مئزري على الطاولة في منتصف المطبخ. ثم عدلت قليلًا من مقدمة تنورتي الداكنة، وتضايقت قليلًا من منظر الدقيق المتناثر على صدري. بدوت مثل ملكة الرماد، وربما كانت رائحتي نفاذة بسبب الثوم.

تنفست بعمق. ورغم كوني في الثامنة عشر من عمري إلا أنه كان محكومًا عليّ بالفشل في إثارة إعجاب أي شاب.

«إميليا، من فضلك».

«أيتها الجدة، مهرجان الغد يحتفل به بالفعل عدد كبير من الناس في الشوارع. أقسم أنني سأعد العشاء سريعًا، وأبقى على الطريق الرئيسي، وأحضر فيتوريا في طريق العودة. سأعود إلى المنزل قبل أن تشعري بغيابنا».

نهضت الجدة من كرسيها، وأعادتني مثل الدجاجة الضالة إلى الطاولة: «لا يا إميليا، لا يمكنك المغادرة الآن. ليس الليلة». توسلت عيناها، وهي متشبثة بتميمتها. سينتهي بك الأمر إلى الانضمام إلى الموتى في ذلك الدير؛ لذا دعي شخصًا آخر يتبرع بالطعام.

ويختها والدتي: «أمي! يا له من كلام مروع!».

طمأنتها: «لا تقلقي، يا جدتي. لا أتوقع وفاتي قبل فترة طويلة جدًّا جدًّا».

لثمت وجه جدتي بقبلة قبل أن أمسك نصف قطعة من حلوى المرزبان من الطبق الذي كانت والدتي تحضره وتناولتها. وبينما أمضغها في تلذذ ملأت سلة بالطماطم، وجبن الموزاريلا المصنوعة لدينا، والريحان الطازج، والثوم، وزيت الزيتون، وزجاجة صغيرة من الخل البلسمي الذي أحضره العم نينو من رحلته الأخيرة إلى مودينا. وعلى الرغم من أن ذلك

لـم يكن معتادًا، فإنني كنت أجرب، واكتشفت أنني أحب حقًّا النكهة التي تضفيها قطرات الخل.

وقبـل الدخول في جدال آخر، خرجت سـريعًا مـن المطبخ بعد إضافة جرة ملح ورغيف خبز هش كنا قد خبزناه من فورنا.

ابتسـمت بحرارة في وجه الأخ أنطونيو، على أمل ألا يسـمع الجدة وهي تلعنه وتلعن الدير كله في الداخل. كان شابًا وسيمًا مقارنة بأعضاء الأخوية - أكبر بثلاث سنوات فقط مني ومن فيتوريا. كانت عيناه بلون الشيكولاتة الذائبة، وشـفتاه دائمًا تحملان أجمل ابتسامة. لقد نشأ بجوارنا، وتخيلت ذات مرة أنني سـأتزوجه. ومن المؤسـف أنه قرر الانضمام للأخوية، فأنا متأكـدة مـن أن نصف فتيـات المملكة الإيطاليـة لم يكنَّ ليمانعن الزواج منه، وأنا بالطبع منهن.

حملت سلة الإمدادات الخاصة بي عاليًـا، متجاهلة مدى الغرابة التي شـعرت بهـا عندما أُطلق عليه اسـم «الأخ»، بينما كانـت لديَّ بعض الأفكار الرومانسـية حولـه: «صباح الخير أيها الأخ أنطونيـو. كنت أجرِّب وصفات جديدة مرة أخرى، وأنا سـأصنع نوعًا من مزيج الكابريس مع البروسكيتا للأخوية الليلة. هل سيكون هذا مقبولًا؟».

تمنيـت ذلـك لمصلحتـه، فعلى الرغم مـن أن طعم الخبـز كان أفضل عنـد دهنـه بزيت الزيتـون وتحميصه قليلًا، فـإن هذه الطريقـة الجديدة سريعة وبسيطة في صنعه، ولن يحتاج لإشعال النار.

«يبـدو طعمـه رائعًا، يا إميليـا. ومن فضلك نادنـي بأنطونيو فقط. فلا حاجـة للأصدقاء القدامى إلى الالتزام بالرسـميات». ثـم أومأ بخفة وهو يقول: «شعرك جميل الليلة».

قلـت: «شـكرًا يـا أنطونيـو»، ورفعـت يـدي لألمس الزهـرة التـي تزين شعري. منذ أن كنت أصغر سنًّا بدأت أضع أزهار البرتقال والياسمين في شـعري لأميز نفسـي عن توأمتي. كان عليَّ أن أذكِّر نفسـي بأن أنطونيو لم يكن يغازلني؛ فهو الآن عضو في الأخوة المقدسة.

مع أنني كنت أتمنى ألا يكون الأمر كذلك في بعض الأحيان.

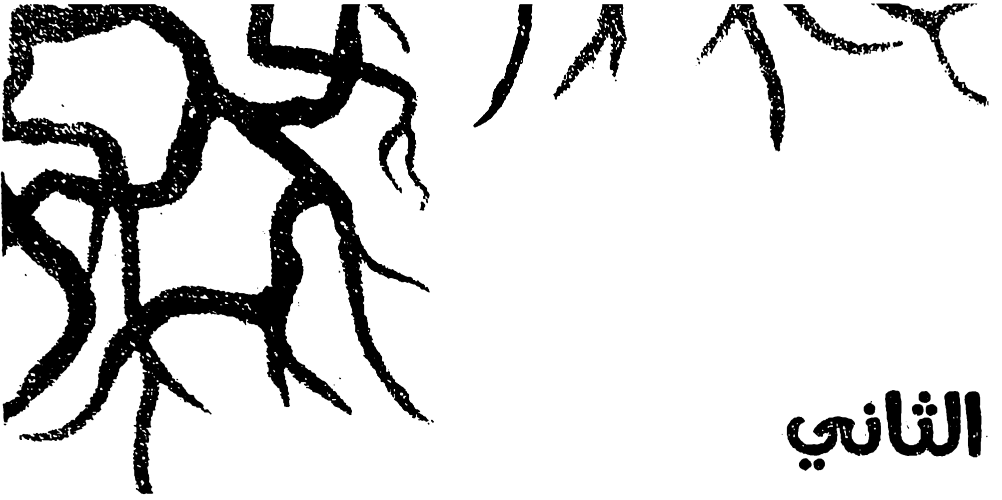
سرت قشعريرة باردة في جسدي، بينما تجاهل هو بثبات الصوت المكتوم لوعاء يتحطم على الأرضية الحجرية. ولم يكن لديَّ أي فكرة عما ستلقيه الجدة بعد ذلك.

قال: «أستطيع المساعدة إن شئت.... معظم الإخوة لن يعودوا إلى الدير إلا في وقت متأخر».

علت الأصوات الناتجة عن هستيريا الجدة، لقد كان مهذبًا بما يكفي ليتصرف كما لو أنه لم يسمع نبوءاتها المشئومة عن قتل شياطين صقلية للشابات وسرقة أرواحهن. ابتسمت له بعذوبة، وحاولت تجنب إظهار ضيقي مما تتفوه به جدتي، وقلت: «سأحب ذلك حقًّا».

ظهرت ثنية صغيرة في جبينه عندما وصلت إلينا صرخات الجدة، وتجول تركيزه بعيدًا عني برهة. كانت لديَّ عادة الحذر فيما يتعلق بالعملاء، فمطعمنا العائلي المزدحم سوف يتدمر إذا بدأت الجدة في الصراخ بتعاويذ السحر الأسود وسحر الحماية.

إن الساحرات هم الشيء الوحيد الذي يخافه الناس أكثر من الشياطين.



الثاني

عندما وصلنا إلى الدير نسيت تمامًا الشياطين الشريرة التي تسرق الأرواح، التي ادعت جدتي أنها كانت تجوب الأرض مرة أخرى. وعلى الرغم من حقيقة أن أنطونيو كان جذابًا بشكل لا يمكن إنكاره، فإنني لم أنجذب لابتسامته الخفيفة، أو الشعر البني الذي كان يتطاير فوق جبينه كلما نظر إليَّ سريعًا قبل أن يدير رأسه بعيدًا.

لم يسمني إلا التفكير في زيت الزيتون.

لسبب ما ملأت رائحة الزعتر المحترق الردهة، ما جعلني أتخيَّل كيف يمكن أن يكون طعم مقبلات الكروستيني عندما تدهن بزيت الزيتون المملوء بالزعتر. وجدت نفسي مرة أخرى أحلم بمطعمي الخاص، والقائمة التي سأبدعها. إن المقبلات اللذيذة ستكون كروستيني، حيث يغطى الخبز المحمص ببعض شرائح الفطر المقلي بالزبد والثوم والقليل من الشراب الأبيض. وربما أضيف بعض البقدونس والبيكورينو لإكمال النكهات.

دفعت هذه الأفكار بعيدًا وركزت على المهمة التي بين يدي عندما دخلنا الغرفة التي يُحتفظ فيها بمعدات المطبخ. أخذت لوحي تقطيع ووعاء كبير وأشياء أخرى من الخزانة ووضعتها على طاولة صغيرة.

«اصنع أنت مكعبات جبن الموزاريلا، وسوف أقطِّع الطماطم إلى مكعبات».

«كما تأمرين، يا سيدتي». ولمست أصابع أنطونيو يدي عندما وصل كلانا إلى السلة التي أحضرتها، وسرعان ما أخرجت الطماطم، بينما كنت أتظاهر بعدم التأثر بهذا التلامس غير المتوقع.

لم يكن الطهي بمفردي مع أنطونيو في غرفة مظلمة في جزء منسي تقريبًا من المبنى طريقة سيئة لتمضية الوقت، ولربما لكانت هذه ستصير بداية شيء بيننا لو لم يهب حياته للأخوية.

والآن، لم تكن لديه فكرة أننا أصبحنا أعداء.

كان أحد رجال الدين في الكنيسة وأنا ساحرة. بل لست مجرد ساحرة من ساحرات بني الإنس، أصلي للقديسين الكاثوليك، وأستخدم السحر الشعبي لدرء العين الشريرة. فلم تكن عائلتي بشرية من الأساس؛ بل كانت شيئًا آخر. وكانت قوتنا لا تجلب الاحترام، بل الخوف. كنّا بنات القمر الحقيقيات، نعيش سرًّا مع اثنتي عشرة عائلة أخرى من السحرة في باليرمو. نحن أحفاد كائنات سماوية حقيقية. تشتت المزيد من العائلات في جميع أنحاء الجزيرة، لكننا من أجل سلامة الجميع ابتعد بعضنا عن بعض.

كان سحرنا غريبًا، فعلى الرغم من أنه يجري توارثه فقط من خلال الأم، لم تتمتع به جميع النساء. فأمي، التي تنحدر من أم ساحرة، ليست لديها قوى خارقة. إلا إذا حسبنا قدراتها على صنع الخبز، وهي شيء أؤمن تمامًا بأنه قدرة سحرية. لا يمكن صنع الحلويات بالطريقة التي تصنعها والدتي إلا من شخص تباركه الآلهة.

فيما مضى كان هناك مجلس يتكوّن من أكبر فرد في كل عائلة من عائلات السحرة. وكانت الجدة هي رئيسة المجلس في باليرمو، ولكن بعد وقت قصير من ولادتي أنا و فيتوريا، انحل المجلس. كانت القصص غامضة بعض الشيء فيما يخص السبب الدقيق لذلك، ولكن ما توصلت إليه، استحضرت صوفيا سانتوريني العجوز السحر المظلم، ووقع خطأ أصابها بالجنون. قال البعض إنها استخدمت جمجمة بشرية أثناء

الجلسة. وزعم آخرون أنها كانت مرآة سوداء. لكن اتفق الجميع على النتيجة النهائية أن أصبح عقلها الآن محاصرًا بين العوالم.

انتاب الناس خوف مما اعتبروه جنونًا مفاجئًا. ثم بدأ الشيطان في الهمس. وفي النهاية، أصبح من الخطير جدًّا على السحرة الحقيقيين التجمع، ولو في السر. ووضعت العائلات الثلاث عشر في باليرمو قانونًا صارمًا للصمت حفاظًا على السرية.

كان لدى الإنسان طريقة مضحكة في نسب الأشياء السيئة في حياته إلى الشيطان. وكان من المستغرب أن يُشار إلينا بالشياطين الأشرار، بينما الناس هم من يسعدون برؤيتنا نحترق.

لم يبذل أنطونيو أي جهد لإخفاء ابتسامته وهو يقول: «كيف حالك بعيدًا عن حقيقة أن الشياطين تغزو مدينتنا؟ فمن حسن الحظ أن لديك أخًا من الرهبان ليرعى روحك الضعيفة».

«أنت بشع».

«صحيح، لكنك لا تعتقدين ذلك حقًّا، أليس كذلك؟»، رميت مكعبات طماطم عليه، بينما كان وجهي يشتعل خجلًا، فلمعت عيناه الداكنتان. وتفادى الطماطم دون عناء، وهو يستطرد: «أو على الأقل أتمنى ذلك».

«لن أجيبك»، وصرفت تركيزي إلى الطماطم الناضجة التي كنت أقوم بتقطيعها، فذات مرة ألقيت عليه تعويذة الحقيقة عندما كنا أصغر سنًّا لمعرفة إذا كان يكن لي المشاعر نفسها. وكان لديه الكثير مما أثار سروري، وشعرت حينها بأنني ملكت العالم بأسره. وبعد أن أخبرت الجدة بما فعلته جعلتني أنظف المطبخ من الأعلى إلى الأسفل وحدي مدة شهر. ولم يكن ذلك بالضبط رد الفعل الذي توقعته.

فوفقًا للجدة، ينبغي ألا نستخدم تعاويذ الحقيقة على البشر مطلقًا، على الرغم من أنها لا تعتبر من الناحية التقنية جزءًا من السحر المحرم. فالسحر المحرم على الرغم من قلة تعاويذه، فإن له عواقب وخيمة.

كانت تعاويذ الحقيقة ممنوعة لأن الإرادة الحرة، التي تعلو على أفكار السحر العادي والسحر الأسود، أحد أكثر قوانين الطبيعة الأساسية في هذا العالم، ولا يجوز العبث بها مطلقًا. وعندما شككنا في قواعد الجدة الصارمة، كانت تستخدم مثال صوفيا سانتوريني درسًا لنا.

ومع ذلك، لم تتبنَّ جميع الساحرات في مجتمعنا آراء الجدة، وبعض العائلات، مثل عائلة صديقتي كلوديا، تبنت علانية السحر الأسود بعد أن انحل المجلس. لقد اعتبر أفرادها أن السحر أيًا كان نوعه يجب على الساحرة أن تستخدمه كيفما شاءت. وادعى ممارسو السحر الأسود أن الدم والعظام من الأدوات المفيدة. وعندما كنا في الخامسة عشرة، حاولت فيتوريا إقناع الجدة بهذا المنطق، لكنها أُجبرت على العمل عاملة تنظيف المرحاض مدة أسبوع كامل.

أنهى أنطونيو تقطيع جبن الموتزاريلا إلى مكعبات، وبدأ تقطيع الريحان الطازج بمهارة، وسألني: «هل تخططين للتسلل بعيدًا عن المطعم للاحتفال غدًا؟».

«ربما، يعتمد ذلك على حجم أعمالنا ومدى تأخرها. لأكون صادقة تمامًا، قد أتوجه إلى المنزل وأطهو بعض الأشياء الجديدة، أو أقرأ».

«آه. يا لك من شابة مثقفة ومتدينة».

«مم» ابتسمت للوح التقطيع. الرواية التي كنت أقرؤها لم تبدُ مقدسة بالنسبة إليَّ، لكنها كانت جيدة على أي حال. منعت نفسي بصعوبة من إخباره بأحدث فصل قرأته، حيث عبّر البطل عن حبه لمعشوقته بطرق لا تخلو من الجرأة والأحاسيس المتأججة. قلت له: «هل تخطط لأي أنشطة ممتعة مع الإخوة؟».

«المرح يختلف من شخص لآخر. من المحتمل أن نقوم ببعض الأنشطة الجادة والدينية في مكان ما بالقرب من عربة الكرنفال».

ليس لديَّ سبب للشك في ذلك. بعد وفاة والدته بشكل غير متوقع الصيف الماضي، صدم أنطونيو الجميع بمغادرة المنزل ووقف حياته

على الدين. كان قادرًا على التغلب على الحزن من خلال التركيز على القواعد الصارمة، وكنت سعيدة من أجله، على الرغم من أن هذا يعني أننا لن نكون معًا أبدًا.

«إليك بهذا لتقطعه، وسوف أتبّل الطعام»، قلتها وأنا أناوله رغيف الخبز.

بعد أن وضعت الطماطم المقطعة في وعاء، أضفت إليها الموزاريلا والريحان، ثم رششت بعضًا من زيت الزيتون، وبعض الثوم المفروم، ورشة من ملح البحر. لن يأكل الإخوة على الفور؛ لذلك أضفت كمية صغيرة من الخل البلسمي وقلبت كل شيء معًا لأن الخبز لن يحمص. وعلى الرغم من أن المظهر لم يكن بالضبط ما أفضله، كان الأهم من ذلك أن يكون مذاق الطعام جيدًا، وألا يصبح الخبز رطبًا.

وسألته: «كيف كانت رحلتك؟ سمعت أنك كنت تحاول إسكات الشائعات».

«نعم، المنشقون من منطقة فريولي الذين أتوا إلى هنا بعد محاكم التفتيش يروون بعض الحكايات المثيرة. لقد عاد بالفعل المحاربون الأقوياء الذين تتحول أرواحهم إلى حيوانات من أجل الدفاع عن المحاصيل من قوى الشر». وضحك قليلًا، ثم استكمل حديثه: «في القرية التي تكلفت فيها، كانت هذه على الأقل الحكاية التي قيلت لنا. إنهم مقتنعون بأن القوى العليا ترشدهم في تجمع روحي، حيث يمكنهم تعلم كيفية الدفاع عن أنفسهم من الشر. يبدو أنه من الصعب كسر العادات القديمة»، نظر إليَّ، واستطعت أن أرى أن عينيه كانتا تقولان الكثير عن متاعب مقبلة، ويبدو أن جدتي ليست الشخص الوحيد الذي يعتقد أن الشياطين قد أتت إلى الأرض.

«أنا...»

صدر صوت في الممر، كان منخفضًا جدًّا لدرجة أننا لم نتمكن من سماع الكلمات بوضوح. وضع أنطونيو إصبعه على شفتيه. وتحدث صاحب

الصوت مرة أخرى بصوت أعلى قليلًا هذه المرة، لكن ظللت لا أستطيع أن أفهم ما قاله، لكنه لم يبدُ ودودًا. تحسست الطاولة بحثًا عن سكين، ثم دخل شخص مقنَّع إلى الغرفة خارجًا من الظلال، ومد ذراعيه نحونا ببطء، ثم قال: «الوثنيون».

سرت قشعريرة مثل جيش من الموتى الأحياء عبر جسدي. استبدلت صرخات التحذير من الشياطين التي أطلقتها جدتي بخوفي الحقيقي من صائدي السحرة. لقد وجدوني. ولم يكن من الممكن أن أستخدم السحر أمامهم، أو أمام أنطونيو، دون الكشف عن نفسي.

قفزت إلى الخلف بسرعة كبيرة، لدرجة أنني تعثرت في تنورتي وسقطت فوق سلتي. وتناثرت أدوات المائدة على الأرض، وكسرت زجاجة الخل البلسمي الخاصة بي.

من أجل أن يضع نفسه بيني وبين الدخيل، تقدَّم أنطونيو إلى الأمام وهو يحمل مسبحة خشبية كانت مخبأة تحت ردائه وهو يصيح: «عليك أن ترحل، أيها الشيطان، أنا آمرك باسم الرب».

انفجر الشبح في الضحك، وانحنى إلى الأمام. توقف شعوري بالرعب فجأة، وسرعان ما بدأت أشعر بالغضب. ضغطت على الحائط مستندة إليه وصحت: «فيتوريا».

توقفت توأمتي عن الضحك، وألقت بقناعها، وقالت: «لا تلقِ لي بالًا. فأنا أتخيل التعبير على وجهك مرة أخرى، وهو أكثر إمتاعًا كذلك من المرة الأولى».

تحرك أنطونيو ببطء مبتعدًا، عابسًا أمام فوضى الزجاج والخل. أخذت نفسًا عميقًا، وعددت بصمت إلى عشرة قبل أن أقول: «لم يكن ذلك مضحكًا، كما جعلتني أكسر زجاجة الخل البلسمي».

جفلت فيتوريا من شظايا الزجاج المتناثرة على الأرض، وقالت: «أوه، يا إميليا، أنا آسفة حقًّا». ثم عبرت الغرفة الصغيرة وضمتني بقوة في

عناق عميق، وأضافت: «عندما نعود إلى المنزل، يمكنك كسر زجاجة عطري المفضل من المريمية البيضاء واللافندر كعقاب».

تنهدت بقوة. كنت أعلم أنها تقصد ذلك بصدق؛ وكانت ستسلم زجاجتها لي بكل سرور، وتشاهدني أحطمها إلى قطع صغيرة، لكنني لن أختار الانتقام أبدًا، «سأقبل بكأس من مشروب ليمونتشيللو الذي تصنعينه بدلًا من ذلك».

«سأصنع لك إبريقًا كاملًا»، ثم قبلت وجنتي بصوت عالٍ، وأومأت إلى أنطونيو: «أما أنت، فإنك حقًا مخيف للغاية مع كل هذا الحديث عن الرب أيها الأخ أنطونيو. لو كنت شيطانًا، أنا متأكدة من أنني كنت سأنفى إلى الجحيم».

«في المرة التالية سأرشك بالماء المقدس، وأحرق الشيطان الذي يكمن داخلك مباشرة».

«إمم. قد تحتاج إلى إحضار إبريق حتى ينجح الأمر، خاصة إذا استدعيته إلى هنا».

هز رأسه، ثم التفت إليّ: «يجب أن أذهب؛ الإخوة بحاجة إلى مساعدتي على الاستعداد للغد. لا تقلقي بشأن الخل المسكوب، سأعود لاحقًا لتنظيفه. شكرًا لك مرة أخرى على الطعام، يا إميليا. بعد المهرجان، سأسافر فترة قصيرة للتحقق من المزيد من الشائعات الخرافية، ولكن آمل أن أراكِ عندما أعود».

بعد دقيقتين من مغادرته الغرفة، بدأت أختي الغبية الرقص في جميع أنحائها، متظاهرة بتقبيل شخص لا أستطيع إلا أن أفترض أنه أنطونيو. «أوه، يا إميليا. آمل أن أراك عندما أعود. ويفضل أن نكون وحدنا نصرخ باسمه معًا».

قلت: «توقفي عن ذلك!». وأشرت إليها في حرج، فعلى الأرجح لا يزال بإمكانه سماعها.

حركت ساقيها حركات موحية، وقالت: «هذا جيد، فربما سيمنحه ذلك بعض الإلهام. لا يزال لديه الوقت لترك الأخوية. ولا توجد قاعدة أو قانون يفرض على الشخص الذي يقبل الانضمام أن يبقى معهم بشكل دائم. إن هناك الكثير من الطرق الرائعة الأخرى التي يمكن للرجل أن يخدم بها دينه. ربما يمكنك أن تساعديه على فهم ذلك».

«أنتِ مهرطقة بشكل لا يمكن تخيُّله».

«وأنتِ وجهك أحمر مثل الكرز. لماذا لا تخبرينه بما تشعرين به؟ أو ربما يجب عليك فقط التقرب منه. فمن الطريقة التي ينظر بها إليك، أشك في أنه سيمانع. بالإضافة إلى ذلك، إن أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أنه سوف يشنِّف أذنيك بمواعظه الدينية، وسيكون عليك خنقه بمسبحته الخشبية».

«هيا يا فينوس. يكفيك ما فعلتِه اليوم».

أمسكت بيدها وأسرعنا خارج الغرفة، وشعرت بالارتياح عندما وجدت الممر خاليًا.

لم يكن هناك وجود لأنطونيو، أو لأي عضو آخر من الأخوية المقدسة. واندفعنا عبر القاعات الظليلة، ولم نتوقف عن الركض حتى غدا الدير مثل بقعة صغيرة منيرة في ظلام الليل.



في مطبخ منزلنا المريح، جمعت فيتوريا البرتقال الأحمر، وشراب الليمونتشيللو، والشراب الأحمر، وزجاجة من البروسيكو. راقبتها وهي تضيف كل شيء إلى الإبريق بشكل منظم؛ كوب من هذا، ورشَّة من ذلك، والقليل من القشور المغلفة بالسكر - الجرعات والعطور هي المكان الذي يلمع فيه سحرها بشكل مشرق، وغالبًا ما يُترجم إلى مشروبات. لقد

كانت واحدة من المرات القليلة التي كانت فيها جادة تمامًا، وقد أحببت مشاهدتها وهي تعمل في سعادة خالصة.

أحسست بلعابي يسيل وهي تقطع البرتقال. كان هذا مشروبي المفضل إلى حد بعيد، فقد استوحته فيتوريا من شراب السانجريا، الذي حاز شعبية كبيرة في فرنسا وإنجلترا في السنوات الأخيرة. وأحضرت بعض العائلات الإنجليزية التي انتقلت إلى باليرمو وصفاته معها، وكان بمنزلة إضافة قيّمة إلى قائمتنا المنتقاة بدقة. قالت جدتي إن الإسبان تأثروا بالفعل بالشراب الروماني القديم المسمى هيبوكراس. وبصرف النظر عن مكان نشأته، أحببت ببساطة مذاق عصير البرتقال الممزوج بالشراب والفقاعات الغازية الناتجة عن البروسيكو.

غمست فيتوريا ملعقة في الخليط، وحركته بقوة، ثم تذوقته قبل أن تصب لي كأسًا كبيرة. أحكمت إغلاق زجاجة الليمونتشيللو، وأشارت لي بصعود الدرج.

«أسرعي يا إميليا، قبل أن يستيقظ أي شخص».

» أغلقت باب غرفة النوم خلفنا بهدوء وسألتها: «أين كنت اليوم؟ كانت جدتنا على بعد خطوة واحدة من استخدام كل ما لدينا من زيت زيتون لمعرفة ما إذا كان مبعوث الشر قد وصل إلى مطعمنا، بل ربما إلى بقية الجزيرة إذا استطاعت ذلك».

ارتمت فيتوريا على فراشها، وفي يدها زجاجة الليمونتشيللو، وابتسمت ابتسامة عريضة وقالت: «كنت أستدعي الشيطان. لقد همس لي كتاب قديم بأسراره، وقررت أن أتخذه زوجًا. أود أن أدعوك إلى حضور حفل الزفاف، ولكنني متأكدة من أن الحفل سيقام في الجحيم».

رميتها بنظرة حادة، فإذا لم تكن تريد أن تقول لي الحقيقة، فلا بأس. يمكنها الاحتفاظ بلحظاتها الرومانسية السرية مع دومينيكو كما تريد، لكن: «عليكِ التوقف عن جذب الانتباه إليكِ».

«وإلا ماذا؟ هل سيأتي الشيطان ويسرق روحي؟ ربما سأبيعها له وحسب».

«وإلا فإن الأمور ستنتهي بشكل سيئ بالنسبة إلى عائلتنا. قُتلت فتاتان الأسبوع الماضي. كانتا ساحرتين. وقال أنطونيو إن الناس في آخر مدينة زارها كانوا يتحدثون عن المتحولين. والآن ليس الوقت المناسب للمزاح عن الشيطان. أنت تعرفين ما يمكن أن يصبح عليه البشر. في البداية يأتي المتحولون، ثم الشياطين، وبعد ذلك تصبح مسألة وقت فقط قبل أن يجري استهداف السحرة».

ازدردت فيتوريا لعابها بصعوبة، ونظرت بعيدًا وهي تقول: «أعرف».

فتحت فمي لأسألها عما كانت تفعله في الدير، لكن عندما استدارت، كانت عيناها المشاغبتان تلمعان، وسألتني: «إذن، هل تناولت أي مشروبات روحية خاصة أخيرًا؟».

سايرتها في استجوابها فقد كانت «المشروبات الروحية الخاصة» هي شفرتها السرية لـ«إحساس الساحرة الخارق للطبيعة»، وغالبًا ما كانت تستخدم الشفرة لمناقشة الموضوعات التي أردنا إخفاءها عن البشر أو الجدات الفضوليات. استلقيت على وسادتي ورفعت ركبتي إلى أعلى، وقبل أن أحكي قصتي، همست بتعويذة صمت لإخفاء أصواتنا: «حسنًا، في إحدى الليالي حلمت بشبح...»

«انتظري!»، ووضعت فيتوريا مشروبها، وأمسكت بالقلم وبمذكراتها، وجعلت زجاجة الحبر في متناول يدها. وقالت: «أخبريني بكل شيء، كل التفاصيل الأخيرة، كيف كان شكل الشبح؟ هل رأيت أي هالة حوله أو ظل خفّاق، أم كان أشبه بشيء شعرت به؟ وهل تحدث إليك؟ ومتى حدث هذا، مباشرة بعد نومك، أو في وقت لاحق من الليل؟».

«كان أقرب إلى الصباح. حتى إنني في البداية اعتقدت أنني كنت مستيقظة».

أخـذت رشـفة من شـرابي، وأخبرتهـا بالحلم الغريـب - ذلك الصوت الذي كان يصدر من الفراغ، ويهمس بصوت منخفض للغاية، لدرجة أنك لا تستطيعين سـماع أي شـيء غير ما بـدا كأنه لغة الأحـلام التي لا معنى لهـا - كنت أظن وقتها أنه لم يكن سـوى مخيلتـي التي تفرط في الأحلام، وليس العلامات الأولى لرعب آتٍ.



الثالث

قمت مسرعة بتكسير عظام الأسماك لصنع المرق، وتجاهلت فتات العظام. كنا بالفعل في مرحلة الاستعداد لتقديم العشاء، عندما أدركت أنني نسيت سلتي في الدير. ونظرًا إلى أنه كان يومًا مقدسًا، وكانت الحشود قد خرجت بالفعل بشكل جماعي، فقد اضطررت إلى الانتظار حتى يغلق المطعم لاستعادة أغراضي.

ربما كان ذلك أفضل، فبما أن الإخوة سيخرجون للاحتفال بـ«لا سانتوزا» - القديس الصغير - فلن أقلق بشأن رؤية أنطونيو. ولم أرغب حقًّا في مقابلته بعد حيلة فيتوريا الليلة الماضية. لقد استطاعت أن تفلت من عواقب طيشها ووقاحتها، وقد أحبها الناس لذلك. ولسوء الحظ، كانت هذه مهارة لم أتقنها.

نظرت إلى أختي التي كانت هادئة على غير العادة طوال الصباح. وكان هناك شيء يزعجها. فبعد أن أخبرتها بحلمي الليلة الماضية، بدت على وشك أن تبوح لي بأسرارها.

لكنها بدلًا من التحدث، وضعت مذكراتها جانبًا، وتقلبت على فراشها، وخلدت إلى النوم. تساءلت عما إذا كانت قد اختلفت مع صديقها السري. ربما كان من المفترض أن تقابله في الدير، لكنه لم يحضر.

قالت فيتوريا فجأة، مقاطعة تيار أفكاري: «أعلم أننا سنكون مشغولين الليلة، لكنني بحاجة إلى المغادرة مبكرًا».

عبرت جدتي من خلف أمي، التي كانت تحضر الإسبريسو لتقديمه مع الحلوى، ورفعت سلة من الخوص مليئة بالقواقع الصغيرة ووضعتها على طاولة منتصف المطبخ، وأومأت لتوأمتي، وقالت لها: «ضعي هذه لتقلي لنصنع *البابالوتشي*». وضربت يدها وأضافت: «لا تغليها كثيرًا، فلا نريدها أن تصبح مثل المطاط».

رفعت حاجبيَّ تحسبًا لمنع جدتي فيتوريا من المغادرة. لكنها ظلت صامتة. وبدأت تفرم الثوم، وتُسخن قِدرًا فيها زيت زيتون، وسرعان ما غلت فيتوريا بضع حفنات من القواقع. وبمجرد أن انغمس كل منا في إيقاعه الخاص، توقفت عن التفكير فيما كان يزعج أختي، وانتبهت لمرق السمك الذي أصنعه. ولاحقًا، سأجبرها على إخباري بكل شيء.

أخرجت فيتوريا القواقع، ثم أضافتها جدتي إلى الزيت والثوم، وحركتها قليلًا، ثم أضافت إليها الملح والفلفل والبقدونس الطازج. همست ببعض تمائم البركة فوق الأطباق، شاكرة الطعام على فوائده، والقواقع على تضحياتها. لقد كان شيئًا بسيطًا، وليس بالضرورة سحريًا، لكنني أقسم أنه جعل مذاق الطعام أفضل.

نادت جدتي: «يا نيكوليتا»، فوضعت والدتي طبق الحلوى الأخير جانبًا، وألقت بقطعة قماش على كتفها، فأكملت الجدة: «قدمي لأخيك وعاء *البابالوتشي* هذا، واطلبي منه أن يخرج ويعطي منه أي شخص يبدو جائعًا. سوف يسلي ذلك المنتظرين في الطابور».

لا شك أن هذا سوف يجذب المزيد من الناس إلى مطعمنا. قد لا تستخدم جدتي السحر مباشرة على العملاء، لكنها كانت ماهرة في فن جذب البشر باستخدام حواسهم الخاصة. نفحة واحدة من الثوم المقلي في زيت الزيتون ستجذب الكثير من الزبائن الجائعين ليزينوا طاولاتنا.

بمجرد رحيل والدتي، لوحت جدتي بملعقتها الخشبية المنحوتة نحونا: «هل رأيتما السماء هذا الصباح؟ لقد كانت حمراء مثل دم الشيطان. الليلة ليست ليلة للخروج. ابقيا في مكانكما، واقرآ كتبكما - واعملا على حياكة نبات اليارو المجفف في تنانيركما. هناك الكثير للقيام به في المنزل. فهل ترتديان تميمتيكما؟». سحبت تميمتي من تحت صدري وأظهرتها لها. وتنهدت فيتوريا وفعلت الشيء نفسه. «هذا جيد. أنتما لم تخلعاهما، أليس كذلك؟».

«لا يا جدتي»، وتجاهلت نظرة أختي التي أحسست بأنها حجر يهبط فوقي. نظريًا؛ لم أكن أكذب. فقد خلعت تميمتها عندما كنا في الثامنة من عمرنا، بينما كنت أرتدي أنا تميمتي. وعلى حد علمي، لم يقم أي منا بخلعها مرة أخرى.

بدت الجدة مرتاحة وهي تزفر بعمق: «هذا جيد. أنتما تدركان العواقب جيدًا».

«سوف يتحوَّل عالمنا إلى رماد وكوابيس». تعثرت فيتوريا بينما كانت تمد ذراعيها بشكل مستقيم كما لو كانت شيطانًا يسير ببطء، لكنها أكملت: «الشيطان سيتجول بحرية. وستُلعن أرواحنا وترسل إلى الجحيم إلى الأبد، وسنغرق في دماء الأبرياء».

«يا فيتوريا، يجب أن تشكري الإلهات عندما يرسلن إليك تحذيرًا. قد يمكن لتلك التمائم أن تحرر الأمراء الشياطين. وسأذكرك دومًا بتلك التحذيرات، إلا إذا كنت تريدين أن تكوني مسئولة عن اقتحام الشياطين هذا العالم بعد أن أبعدتهم الساحرة الأولى».

تلاشى من وجه أختي أي أثر للفكاهة. وأمسكت *تميمتها* بإحكام، وعادت إلى طهي القواقع. وازدردت لعابي بصعوبة شديدة عندما تذكرت ذلك الصوت المرعب الذي سمعناه ذات ليلة منذ فترة طويلة. يجب أن تكون الجدة مخطئة؛ وخوفها يجب أن يكون مجرد خرافة أخرى. لقد سُجِن الشيطان مع مملكته الكاملة وأتباعه من الشياطين. بالإضافة إلى

ذلـك، أكـدت الجدة دائمًا أنه لا يمكن *الجمع* بين *تميمتينا*. وأنا لم أسـمع بـأن تتلامسـا، بـل حملت تميمة أختـي بينما كنت مـا أزال أرتدي تميمتي. كان أمـراء الجحيـم في مكانهـم الصحيح. والشـياطين لا تجوب الأرض، وكل شـيء على ما يرام.

ومـع ذلك، تبادلنـا أنا وفيتوريا نظرة طويلة فـي صمت عندما ابتعدت جدتنا.



الرابع

ظللت أحدِّق إلى الدير المظلم؛ لأنني لم أستطع إلا أن أشعر بأنه كان يحدِّق إليَّ كأنه يكشر عن أنيابه في سخرية وحشية. وكان هذا دليلًا على أن خرافات الجدة أثرت في الواقع على أعصابي. فقد كان مجرد هيكل فارغ ما لم تستخدم ساحرة قوية تعويذة لم يُسمع بها من قبل لجعل الزجاج والحجر الجيري ينبضان بالحياة.

تمتمت: «شكرًا لك يا جدتي»، دون أن أشعر بالتقدير على الإطلاق.

اتجهت نحو باب خشبي كان يخفيه الظلام. وعندما دفعته لأدخل، احتجت مفصلات الحديد الثقيلة بغضب. وطار طائر كان نائمًا بالتأكيد فوق عوارض السقف، وخفق قلبي بشدة مع خفقان أجنحته.

لم يكن مطعمنا بعيدًا عن دير كابوتشن، أحد أكثر المباني شهرة في باليرمو، لكن تصميمه لم يكن السبب في ذلك، بل السبب هو سراديب الموتى الموجودة داخل أسواره المبجلة. على الرغم من أنه كان يعجبني بدرجة كبيرة خلال النهار، فإنني لم أتمكن من التخلص من القشعريرة التي انتابتني بسببه في الليل. كان الآن فارغًا تمامًا، ومع هذا تسللت إليَّ هواجس مرعبة. حتى الهواء بدا مجمدًا، كما لو كان يحبس أنفاسه خوفًا من هذا الشر المحدق.

بينما كنت أتسلل إلى الدير الصامت، تطاردني تحذيرات الجدة من الشياطين، أعددت نفسي لمواجهة شعوري المتزايد بالرهبة. ولم أرغب

حقًّا في التفكير في وحوش ذات عيون حمراء تغزو مدينتنا وتختطف الأرواح، خاصة أنني بمفردي.

سرعان ما انتقلت إلى ممر مضاء بشكل خافت مليء بالمومياوات، فعقدت ذراعي بالقرب من صدري. كانت المومياوات واقفة، مرتدية الملابس التي اختارها ذووها، وتعود إلى مئات السنين.

لقد بذلت جهدًا حتى لا ألاحظ حدقاتها الفارغة التي لا حياة فيها بينما كنت أسرع الخطى. ولعنت الإخوة على تصميمهم الغريب لهذا الممر، لكنه كان أسرع طريق إلى الغرفة التي تركت فيها سلتي.

ومع ذلك، لم يزعج هذا الممر أختي على الإطلاق، فقد تمنت وهي صغيرة أن تعمل على تنظيف وإعداد جثث الموتى. أثار افتتانها بالموتى قلق الجدة من أن يتحوّل ذلك إلى هوس بالسحر الأسود، ولهذا رفضته تمامًا. وقد واجهت صعوبة في تكوين رأي في هذا الأمر، وهو ما ثبت عدم أهميته في النهاية، فقد قرر الإخوة في النهاية الاستعانة بصديقتنا كلوديا للقيام بهذه المهمة.

كانت كلوديا تخبرنا بقصص عن أصل المومياوات في فترات بعد الظهر، عندما كنا جميعًا لا نعمل، ويكون المشي على طول الشاطئ لجمع الأصداف مسموحًا لنا. كانت فيتوريا تميل إلى الأمام، ووميض نهم في عينيها، جائعة لكل لقمة من المعلومات التي قدمتها لنا كلوديا.

حاولت جهدي الآن أن أنسى تلك الحكايات المروعة.

كانت إحدى النوافذ المرتفعة مفتوحة قليلًا، ما سمح لنسيم قوي بالمرور عبر الردهة، وكانت رائحة الهواء مثل الملح والأرض المعدة للزراعة - وكأن هناك عاصفة قادمة. *رائع!* فآخر ما كنت أحتاج إليه هو أن أواجه العاصفة في طريق العودة إلى المنزل.

تحركت سريعًا عبر الظلال، وكانت بكل طرف من طرفي هذا الممر الطويل شعلة واحدة مضاءة؛ لذلك كان معظم طريقي في الظلام. وتجمدت عندما لمحت بزاوية عيني حركة ما. وعلى الرغم من أنني

توقفت عن الحركة، فإن صوت احتكاك قماش ملابسي بالحجر استمر ثواني أو نحو ذلك قبل أن يتوقف تمامًا. كان هناك شخص أو شيء ما هنا.

زحف التوتر إلى كل ذرة من جسدي، حتى إن رأسي اهتز. لقد جعلني الحديث عن الشيطان متوترة بالفعل، والآن كان عقلي يخدعني. على الأرجح هي فيتوريا مرة أخرى. أجبرت نفسي على الالتفاف والتطلع إلى ممر المومياوات الصامتة بحثًا عن أختي بقليل من الشجاعة التي استطعت حشدها.

«فيتوريا؟». وعندما شكل الظل صورة قاتمة أكثر كثافة، وارتفع من خلف الجثث، كدت أصرخ بينما ظللت أواصل التحديق إلى الظلام: «من هناك؟».

أيًا كان، فقد بقي صامتًا. فكرت في الشائعات التي ذكرها أنطونيو أمس، ولم أستطع التوقف عن تصور أحد المتحولين وهو يختبئ في الظلام. وقفت الشعيرات الصغيرة على ذراعي. وأقسم أنني شعرت بعينيه تلامسان جلدي. ودقت أجراس التحذير الصغيرة في رأسي. إن الخطر يكمن في مكان قريب، كانت نونا على حق، فالليلة لم تكن مناسبة للخروج. كنت أفكر في مدى السرعة التي يمكنني العودة بها إلى الخارج عندما سمعت زفرفة الأجنحة فوق العوارض الخشبية، وتنفست الصعداء. لم يكن هذا شبحًا، أو متحولًا أسطوريًا، أو شيطانًا يطاردني. إنه مجرد طائر صغير ضائع، وربما أخفته أكثر مما أخافني.

تراجعت ببطء إلى نهاية الممر، وتوجهت إلى الغرفة التالية، متجاهلة التوتر الذي يسحق عظامي. أسرعت إلى الغرفة التي نسيت فيها سلتي وانتزعتها، وأعدت مؤونتي داخلها، ويداي ترتجفان طوال الوقت.

«طائر غبي».

كلما جمعت أغراضي أسرع، تمكنت من انتزاع فيتوريا من المهرجان والعودة إلى المنزل بشكل أسرع. ثم نستمير زجاجة من الشراب،

ونزحف إلى السرير ونشرب ونضحك معًا على كلمات الجدة الرهيبة عن الشيطان، ونحن متدثرتان ومرتاحتان في غرفتنا الآمنة.

أدى صوت احتكاك حذاء بالحجر إلى تجمدي في مكاني. ولم يكن هناك أي مجال لأقول إن هذا هو صوت أجنحة الطائر مرة أخرى. وقفت هناك، أتنفس بتؤدة ومشقة، وأستمع إلى صمت مضنٍ، وأمسكت تميمتي بقوة.

شعرت في تلك اللحظة بصوت هامس يتردد صداه في أذني ببطء وإصرار، كان أشبه بالطنين الصامت. قاومته بكل ما أوتيت من قوة. ويعلم الله وحده كم قاومته، بيد أنه كان أقوى من أن أتغلب عليه. لم يكن ذلك الصوت حقيقيًا ملموسًا، بل كان شعورًا داخليًا يتملكني. وكلما حاولت الفرار منه، كان يضيف إلى قوته قوة، ويمسك بي بين براثنه، فلا أستطيع منه فكاكًا.

أخرجت السكين من سلتي، وأمسكت بها بيدي الأخرى، وأنا أسير بحذر في الممر. توقفت بين الحين والآخر أمام كل غرفة لأتبين ما إذا كان هناك أصوات صادرة منها. وظل قلبي يخفق بجنون مع كل خطوة أخطوها. تملكني قلق شديد حتى إنني ظننت أن قلبي قد يتوقف تمامًا لو لم أحاول أن أهدئ من روعي.

خطوت خطوة أخرى، وأخرى، وكل خطوة أصعب من سابقتها. حاولت بصعوبة أن أسيطر على نبضات قلبي التي كانت أشبه بضربات الطبول، ولكنني لم أسمع أي شيء آخر وسط ذلك الظلام. ربما جعلني الخوف أتخيَّل ذلك الصوت الذي سمعته... لكن ذلك *الشعور*...

قادني شعوري إلى الردهة التالية، حيث توقفت أمام غرفة كان بابها مواربًا في آخرها. كان ذلك الشيء الذي يناديني يريدني أن أدخل تلك الغرفة. وكأن هناك ما يجذبني إليها، كأنه استدعاء لم أملك أمامه أي إرادة أو قدرة على مقاومته، كما أنني لم أتمكن من تحديد طبيعة ذلك السحر الذي أشعر به في المكان حولي.

أخرجت تميمتي، وحبست أنفاسي وأنا أتسلل إلى داخل الغرفة، ويسيطر عليَّ شعور بالقلق من ذلك الشيء الذي ظل يجذبني إليها. كثيرًا ما ويخنتني جدتي لأنني أتسلل دائمًا دون أن ينتبه لي أحد، ولكن الآن، شعرت بأن تلك القدرة على التسلل هي نعمة أكثر منها لعنة.

ما إن دخلت، حتى شممت رائحة زعتر مختلطة برائحة شمع البارافين. استغرقت لحظة لكي تعتاد عيناي الرؤية في الظلام، لكن ما إن بدأت الرؤية تتضح لي، حتى سارعت بكتمان شهقة كادت تفلت من بين شفتيَّ وأنا أتساءل عن سبب عدم رؤيتي إياه من البداية... ربما لأن سكونه غير الطبيعي هو السبب!

وما إن رأيته، لم أعد قادرة على إبعاد عينيَّ عنه. كان المكان مظلمًا، فلم أستطع رؤية وجهه بوضوح، ولكن لون شعره كان شديد السواد، وتتخلله ألوان تشبه في تدرجها ألوان ريش الغراب عندما تنعكس أشعة الشمس عليه. كان طويلًا ذا بنية قوية، ويبدو كأنه تمثال محارب روماني، على الرغم من ملابسه الأنيقة المعاصرة.

على الرغم من كل هذا، جعلني شيء ما في هيئته ألوذ بالظلال وأبقى مختبئة.

وقف الرجل أمام جسد مسجى غير واضح المعالم، ما ملأ رأسي بعشرات الاحتمالات... ربما هي جثة حبيبته التي ماتت بشكل مأساوي قبل أن يتمكنا من تحقيق أحلامهما معًا، وهو الآن غاضب من العالم، أو ربما ماتت بسلام أثناء نومها، أو ربما كانت الساحرة القتيلة التي ذكرتها جدتي أمس.

تلك الساحرة التي اكتشفوا جثتها في مدينتنا.

أصابتني تلك الفكرة بالقشعريرة، وكأن برميلًا من الثلج قد سُكب كاملًا فوقي. توقفت عن تلك التخيلات وركزت بشكل أكبر على الغرفة. لمحت مجموعة غريبة من الشموع التي انطفأ نصفها وقد رُتبت بحرص

في دائرة حول المذبح الحجري حيث استقر الجسد، مرة أخرى شممت رائحة الزعتر.

من الغريب أن يقوم بشري بترتيب الشموع بهذه الطريقة، وأن يحرق الأعشاب كذلك. تذكرت رائحة الزعتر التي شممتها الليلة الماضية، وتساءلت عمَّا إذا كان موجودًا أيضًا عندما كنت مع أنطونيو في المطبخ في الأسفل.

حملقت إليه، وصوت نبضات قلبي يكاد يُسمع. حاولت أن أحدِّد ما إذا كان هو مصدر السحر الذي ظل يجذبني إلى هذه الغرفة أم لا. لكنني لا أظن هذا، أعتقد أن الغرفة هي المصدر وليس هو. فجأة، شعرت بأن شيئًا ما ليس على ما يُرام في الغرفة، وكأن شعورًا بانعدام التوازن قد سيطر على المكان حولنا، حتى الظلال بدت كأنها تحني رؤوسها مستسلمة لذلك الشعور.

كانت أفكاري سخيفة؛ فأولًا، ظننت أن شياطين خفية كانت تتبعني أثناء سيري من ردهة إلى أخرى، والآن ما أراه أمامي؛ لا يوجد شيء مرعب أو مخيف في شاب يودِّع حبيبته، كما أن وضع الشموع حول إنسان قد فارق الحياة لم يكن بالأمر الغريب. الكثيرون يشعلونها أثناء الصلاة... لكن شيئًا ما جعلني أشك في الأمر...

فجأة، مال الرجل إلى الإمام في اتجاه الجثة، ويداه تبحثان عن شيء فوق مكان قلبها مباشرة. انتظرت أن يزيل الغطاء ليقبِّل حبيبته للمرة الأخيرة مودعًا إيَّاها، لكنه عندما أخرج يده من تحت الغطاء، كانت الدماء تغطي أصابعه ببطء، وكأنه تحت تأثير منوم، رفع أصابعه إلى فمه ولعق الدماء. للحظة، لم أستطع أن أفسِّر ما كنت أراه أمامي.

سرت القشعريرة في جسدي، وارتفع صوت في رأسي صارخًا، محذرًا من أنني أمام شيطان متعطش للدماء، ومع ذلك كنت غاضبة بشكل لم أتمكن من السيطرة عليه. إنه لم يكن كائنًا من كائنات الليل التي تولد من تمازج الظلام مع ضوء القمر كما قالت جدتي؛ بل إنه وحش بشري اقتحم

سراديب الموتى، وارتكب أفظع الجرائم، وتذوق دماء الموتى. تناسيت تحذيرات جدتي التي ظلت تلقنني إيَّاها منذ صغري، واندفعت من مكاني الذي اختبأت فيه، صارخة وكأنني مخلوقة من مخلوقات الليل.

«توقف!».

قفز الرجل الغريب إلى الخلف بشكل أسرع مما يمكن الانتباه له... ربما بسبب نبرتي الآمرة القوية، أو ربما لأنه فُزِع من حدة صوتي. كان هناك شيء غريب آخر بشأنه... أمسكت بتميمتي وركزت على هالته؛ لم تتوهج هالته باللون البنفسجي، ولكنها كانت ذات درجات مختلفة من الأسود المشوب بلون ذهبي. لم أرَ مثلها في حياتي من قبل.

نقل بصره بين سكين المطبخ التي أحملها والجسد المسجى على الطاولة الحجرية، غالبًا كان يفكر فيما سيفعله تاليًا. لاحظت الخنجر الذي أمسكه في يده، ومقبضه الذي التف حوله ثعبان ذهبي عيناه بنفسجيتان، وفمه مفتوح ليكشف عن أنيابه. كان جميلًا، وشريرًا، وقاتلًا.

لوهلة، ظننته سيلقي به ناحيتي ويصيبني في مقتل.

حذرته قائلة: «ابتعد عنها». تقدمت خطوة صغيرة ناحيته، وأكملت قائلة: «وإلا سأصرخ بصوت عالٍ لدرجة ستجعل جميع أعضاء الأخوية يأتون إلى هنا فهم منتشرون في المكان كله».

كانت كذبة، فقد كان أعضاء الأخوية جميعهم في الخارج يؤدون واجباتهم الدينية في جميع أنحاء المدينة. أي أنني وحدي الموجودة معه في الدير كله. وحيث كنا الآن في أعماق السراديب، فلا أحد سيسمع صرخاتي إذا هاجمني، لكنني لم أكن لأقف في مواجهته هكذا دون وسيلة للدفاع عن نفسي.

تركت التميمة، ووضعت يدي في جيبي الخفي لكي أخرج طباشير القمر المُبارك الذي أصرت جدتي على أن نحمله معنا دائمًا. استعددت لكي أجلس على ركبتي سريعًا لكي أرسم حولي دائرة حماية، فهي فعالة ضد أي إنسان أو كائن ذي قوى خارقة للطبيعة، لكنني ترددت في أن أفعل

هذا، فربما كان صائد ساحرات، لذلك إذا استخدمت السحر أمامه، فسأكشف سري له.

فتح فمه ليقول شيئًا... تساءلت عمَّا يمكن أن يقوله، وقد أوقعت به وهو يلعق دماء امرأة. فجأة، نظر إلى صدري. وكادت الحرارة المنبعثة من عينيه تحرق ملابسي. لقد قام بلعق الدماء، والآن لديه الجرأة الكافية لكي يحدِّق إليَّ، وكأنه يعاين طعامًا نادرًا أُعد من أجله هو فقط.

وقال: «كاذبة».

كان صوته عميقًا، وخشنًا، وراقيًا في الوقت نفسه، وكأنه نصل سكين حاد ملفوف في قطعة من الحرير، ومن ثم سرت القشعريرة في جسدي كله.

كنت على وشك سبِّه ولعنه عندما فعل آخر ما كنت أتوقعه منه؛ استدار على عقبيه، وركض هاربًا، وقد سقط خنجره منه دون أن يدري، أو ربما انتبه إلى ذلك، لكنه لم يهتم بسقوطه. ظللت في مكاني وسكين المطبخ في يدي موجهة أمامي، وأنفاسي متسارعة. ظننت أنه سيعود من أجله، لكنه لم يفعل، وسرعان ما سمعت صوتًا يشبه صوت نيران المدفأة، لكنه اختفى سريعًا.

لو حاول مهاجمتي من بين الظلال، فسأدافع عن نفسي بكل الطرق الممكنة، على أية حال. وأصابتني تلك الفكرة بالمزيد من عدم الراحة. مرت لحظة دون أن يحدث شيء، وقررت أن أتجاهل نبضات قلبي المتسارعة، في محاولة لكي أسمع أي خطوات تقترب مني.

ولم أسمع سوى صوت ضربات قلبي المتسارعة.

لم يعد، فُكرت في أن ألحق به، لكن مع أنفاسي المتلاحقة، وساقيَّ المرتجفتين، لم أجد أنها فكرة صائبة. نظرت إلى أسفل وأنا أحاول أن أفهم ما الذي جعله ينظر إليَّ بتلك الطريقة، فرأيت تميمتي وهي تتوهج في الظلام، كيف...

عـاد ذلـك النـداء الصامت يجذبنـي مجـددًا، يحثني علـى أن أنصت إليـه، لكننـي تجاهلته، ودفعت به نحو ظلمات عقلي. لـم أحتج إلى المزيد من التشتت. وقد استغرقت عدة ثوانٍ لكي أهدئ من ضربات قلبي، وحتى أتبيَّن أن الجسد الذي كان على الطاولة الحجرية لم يكن في المكان الذي اعتاد الإخوة في الدير إحضار الجثث إليه ليغسلوها ويجهزوها للتحنيط.

فـي الواقـع، يبدو أن هذه الغرفة لم تسـتخدم في أي شـيء. لقد كانت غرفـة مثيرة للانتباه، فهنـاك طبقة سـميكة من الغبـار. وبغض النظر عن المذبـح أو الطاولة الحجرية، كانت غرفـة صغيرة وحوائطها من الرخام. لـم أرَ أي أرفـف أو أماكن تخزيـن. وكان هواؤها يحمـل رائحة عفن كأنها ظلت مغلقة مئات السنين، وقد فُتحت فقط منذ وقت قصير. كانت رائحتها الآن أقوى كثيرًا من رائحة الزعتر الخفيفة التي شممتها في البداية.

تسللت قشعريرة غير مريحة إلى جسدي، وامتدت حتى أصابع قدميَّ. والآن، وبعـد أن رحـل ذلـك الرجـل الغريـب، لـم يعـد هنـاك من شـك في أن ذلك الجسـد المسـجى هو ما ينـاديني، وهو ليـس بالفأل الحسـن على الإطـلاق. لـم أتحدث مـع الموتى من قبل، ولم يخطر ببالي أنني سـأرغب في أن أفعل ذلك الآن، أردت أن أهرب، وألا أنظر تحت الغطاء الذي أخفى الجسد، لكنني لم أستطع.

أمسكت سكيني، وأجبرت نفسي على الاتجاه نحو الجثة، لكي أستجيب لتلـك القـوة التي تجذبني إليها بشـكل مسـتمر. ظللت أكيـل اللعنات طوال الوقـت، وأنا أتجه ناحيتها. وقبل أن أكشـف الغطـاء عنها، التقطت خنجر الرجـل الغريـب عن الأرض، مسـتبدلة إياه بسـكيني. مدَّنـي ثقله بنوع من الأمان؛ إذ لو عاد ذلك الشرير محب الدماء، فسيجد في مواجهته سلاحًا أكثر خطورة.

وهكذا، مدفوعة بشعور من الأمان، اقتربت من الجثة أكثر، مستسلمة أخيرًا لذلك الاسـتدعاء الذي صدر منها، ولم أسـمح للخوف بالاستحواذ على قلبي وأنا أزيح عن وجهها الغطاء.

ظللت صامتة لحظة قبل أن تنطلق صرختي ممزقة هدوء الدير.

الخامس

إن السحر كيان حي يتنفس؛ يعيش وينتعش بسبب الطاقة التي تمده بها. ومثله مثل قوى الطبيعة كلها، هو ليس طيبًا ولا شريرًا. إنه ببساطة يستمد طبيعته من نيات مستخدمه. وإذا غذيته بالحب فسينمو ويتفتح. أما إذا غذيته بالشر، فسيرد عليك كراهية تعادل شرك عشرات المرات.

– ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

كان الوجه الذي حدقت إليه هو مرآة لوجهي: عينان بنيتان، شعر بني داكن، بشرة زيتونية لوَّحتها الشمس، كما ورثنا لون جلود أجدادنا. مددت يدي تلقائيًا لكي أبعد خصلة شعر عن حاجب فيتوريا، لكنني سرعان ما انتزعت يدي مبعدة إياها عن ذلك الدفء الذي لا يزال بجسدها، وكأنه سيحرقني.

قلت: «فيتوريا؟ هل تستطيعين أن تتحركي؟».

كانت عيناها خاويتين تمامًا. انتظرتها أن ترمش بهما، ثم تنفجر ضاحكة، فهي لم تستطع كتمان ضحكاتها فترة طويلة من قبل قط.

لم تتحرك فيتوريا، وأنا أيضًا لم أجرؤ على أن أتنفس. وقفت هناك أنظر إليها، واقعة في أسر حالة من الإنكار والرعب. لم أستطع أن أجبر

نفسي على أن أفهم ذلك المنظر الذي أراه أمامي. رأيتها منذ ساعة أو ساعتين فقط، وكانت على قيد الحياة.

لا بد أن هذه خدعة أخرى من خدعها السخيفة.

همست: «فيتوريا؟». كنت آمل أن أحصل على إجابة منها. امتدت الثواني لتصبح دقائق. حملقتْ إلى الفراغ، دون أن ترف عيناها. ربما كانت فاقدة الوعي. مددت يدي وهززتها. وقلت لها: «أرجوك، تحركي».

مع أن عينيها كانتا مفتوحتين هكذا، بدت مسالمة للغاية، نائمة وهي مغطاة بذلك الكفن الذي وصل حتى ذقنها. كأنها في نوم عميق بفعل سحر ما سيوقظها منه أمير ما إن يطبع قبلته على محياها. ثم انتابني الإدراك؛ إن هذه لم تكن قصة خرافية. ولن يأتي أحد ليبطل تعويذة الموت. لكن *أنا* من ينبغي لي أن أنقذ أختي.

لو أنني فقط تركت المطعم في وقت مبكر عما فعلت قليلًا، لربما تمكنت من فعل أي شيء لإنقاذها. بل ربما قتلني ذلك الوحش القاتل بدلًا منها. أو ربما كان عليَّ أن أصر على أن تسمع كلام جدتي وتظل في المنزل. كانت هناك المئات من الخيارات المختلفة أمامي، وأنا لم أنتقي منها أي شيء. ربما لو أنني... أغلقت عينيَّ أمام ذلك الظلام الذي ملأني.

وهو أسوأ ما يمكن أن يحدث.

لا بد أن ما يحدث ليس سوى حلم شديد الواقعية؛ من المستحيل أن يكون ما أراه أمامي حقيقيًا. ومع ذلك، عندما فتحت عينيَّ مجددًا، لم يكن هناك أي مجال للشك في أن فيتوريا قد ماتت.

قطع سيل أفكاري صوت خرير منتظم. بدا غريبًا للغاية، وعاديًا بشكل غير متوقع. ومع ذلك ركزت عليه بشدة. وقد ساعدني على إسكات ذاك الصوت الهامس الذي ظللت أسمعه.

ربما بدأ الجنون يتسلل إليَّ.

تباطأ الخرير، فماذا يعني ابتعاده هكذا؟ لا أستطيع التفكير فيه الآن. فجأة، هدأ صوت الهمس لدرجة لم أعد أستطيع تمييزه معها، وكأن مصدره قد ابتعد عني بغتة.

وانطلقت صرخة عويل حطمت الصمت، استغرقت مني لحظة لأستوعب أنني كنت مصدرها.

دارت الغرفة بي حتى كدت أنهار. توأمتي... صديقتي المقربة، رحلت. لن نشرب، أو نضحك، أو نخطط لمستقبلنا معًا بعد الآن. لن تسخر من خرافات جدتنا، أو تقفز من الظلال لتفاجئني مجددًا. لن نتشاجر ثم نتصالح مرة أخرى. لن تشجعني لأصبح أكثر جرأة، أو تخبرني بأن أقاتل لتحقيق أحلامي. لم أعرف من سأصبح من دونها، ولا كيف سأستمر في الحياة من دونها.

قلت: «لا»، ثم هززت رأسي، رافضة موتها. لا بد أن في الأمر سحرًا ما. فمن المستحيل أن تكون فيتوريا قد ماتت. لقد كانت شابة، ومليئة *بالحياة*. كانت فيتوريا ترقص أكثر من أي شخص في الاحتفالات، وتصلي أكثر من أي شخص، ودائمًا ما جعلت أي شخص يشعر بأنه صديقها المفضل. لم أكن قد عرفت بشكل جيد بعد شخصية تلك الإنسانة الصامتة الساكنة أمامي.

اغرورقت عيناي بالدموع وأنا أزيل عنها الكفن تمامًا. كان الفستان الذي ارتدته أبيض... وكأنها قربان. كان من الحرير الفاخر الممزوج بالساتان. لم أره من قبل. لم نكن فقراء، لكننا بالتأكيد لم نكن لنقدر على شراء فستان كهذا. إلا إذا كانت تدخر مصروفها خلال فصول الصيف الماضية.

كانت مقدمة الفستان الرقيقة ممزقة، وقد اختفت *تميمتها*، و...

صرخت... انتزع أحدهم قلبها من صدرها وترك مكانه فراغًا بدا غير مستو. كانت فجوة سوداء وحمراء في جسدها، وقد بدت غير طبيعية لدرجة أنني لو عشت آلاف السنوات كذلك، فلن أتمكن أبدًا من محو ذلك

المنظر من ذاكرتي. حدقت إلى الدمـاء، وفهمت أخيرًا مصدر الخرير المستمر. تجمع الدم في بركة دائرية تحتها وفاض على حافة المذبح.

أغلقت عينيَّ، فعادت إليَّ صورتها وهي أكثر قوة ووحشية.

أخذت أستنشق نفسًا وراء آخر، لكنه لم يساعدني على مواجهة الدوار.

الآن، وبعد أن رأيت الدماء، كل ما شممته كان رائحة الموت... رائحة الدمـاء. كانـت فـي كل مـكان، وفـي كل شـيء. شـعرت بالبـرد والحـر في لحظات سريعة متتابعة.

انزلقـت إلـى الأمـام، وتمـددت علـى المذبح. حاولـت أن أقـف لكنني سـقطت مرة أخـرى. كنت غارقة في دماء شـقيقتي. تكـوَّرت علـى جانبي، وارتجفت. كان كابوسًـا... سأسـتيقظ قريبًا... سأستيقظ قريبًا. لا بد أن أفعل، فالكوابيس لا تستمر إلى الأبد. عليَّ فقط أن أحتمل هذه الليلة.

سيصبح كل شيء على ما يُرام.

لست واثقة كم بقيت على هذه الحال؛ أرتجف وأبكي على الأرض، لكن لا بد أن سـاعة أو سـاعتين على الأقل قد مرتا. ربما أكثر. إنني أحتاج إلى المساعدة.

لكن هذا لا يعني أن أحدًا سيتمكن من مساعدة فيتوريا الآن.

بذراعين واهنتين، تمكنت أخيرًا من دفع نفسـي بعيدًا عن الأرض، وأنا أحملق إلى أختي، غير قادرة على الاقتناع بالحقيقة الماثلة أمامي.

مقتولة.

ارتفع صدى الكلمة في داخلي مثل ناقوس الموت، نحت الخوف تمثالًا من اليأس الذي شعرت به. لقد قُتلت أختي. أريد المساعدة، أحتاج إلى أن أجد مكانًا آمنًا، أحتاج إلى... جرحت يدي بخنجر الرجل الغريب، ورفعت كفي النازفة فوق جسد أختي.

قلت: «أقسـم بحياتي أنني سـأجعل من فعل هذا بكِ يدفع الثمن غاليًا يا فيتوريا».

نظـرت إليهـا للمـرة الأخيـرة، ثـم ركضـت كأن الشـيطان كان قادمًـا ليستحوذ على روحي الملعونة.

السادس

ارتطم بي المحتفلون، وقد أغرقوا ملابسهم بالشراب، يضحكون، ويحاولون جذبي لأرقص معهم، وأن أشاركهم السعادة، وأن أحتفل بانتصار الحياة على الموت.

كنت كمن يسير في أثناء النوم، مررت بمطعمنا المظلم، الذي أُغلقت أبوابه منذ ساعات طويلة، ثم شققت طريقي إلى الحي الذي نقيم فيه. كانت أطراف تنورتي مبللة بشيء لا أعرف كنهه. وقد التصقت بكاحليَّ، وجعلتني أشعر بالرغبة في حكهما بشكل هستيري. ظللت سائرة، متجاهلة ذلك الشعور بعدم الراحة. ولم أملك أي حق في أن أشعر بأي شيء، وكذلك أختي لن تتمكن من الشعور بأي شيء مجددًا.

«الساحرة الصغيرة وحدها تمامًا».

كان الصوت أعلى قليلًا من الهمس، لكنه جعلني أرتجف بقوة. درت على عقبيَّ سريعًا، وحملقت إلى الشارع الفارغ. قلت متسائلة: «من هناك؟».

«الذكريات، كالقلوب، يمكن سرقتها».

جاءني الصوت من خلفي. والتفت ونبضات قلبي تتوالى سريعًا، لكنني لم أجد أحدًا.

همست لنفسي قائلة: «هذا ليس حقيقيًا». إن عقلي يتلاعب بي ويجعلني أتخيل أشياء مريعة بعدما وجدت جثة أختي المشوهة. ويبدو أن شبحي الشيطاني الخفي يستطيع التحدث أيضًا... يا لها من فكرة سخيفة لدرجة أنني لم أستطع أن أقنع نفسي بأنها حقيقة. قلت: «ابتعد عني».

«إنه يتمنى لو يتذكر، لكنه لا ينفك ينسى، سيأتي إلى هنا قريبًا».

«مَن هو؟ الرجل الذي فعل هذا بفيتوريا؟».

درت خلفي مرة أخرى، وتنورتي تلتف حولي مع حركتي المفاجأة. لم أجد كائنًا حيًا واحدًا في الشارع. وفي الواقع، بدا الشارع صامتًا بشكل يبعث على الريبة، وكأن أحدهم قد أطفأ الحياة فيه. لم أرَ أي أضواء منبعثة من أي منزل. لا حركة ولا ضوضاء. لم أستطع كذلك أن أسمع ضوضاء الاحتفالات.

تسلل ضباب سميك غير طبيعي بالقرب من الأرض، والتف حول قدميَّ، ومعه أتت رائحة كبريت ورماد. كانت جدتي لتقول إنها علامة على وجود شياطين في مكان ما قريب. وتساءلت عمًا إذا كان ثمة قاتل بشري يختبي في الظلام، يتربص بي ليقتلني بخنجره.

تساءلت مطالبة بإجابة: «من هذا الذي سيأتي؟». شعرت أكثر وأكثر بأنني حبيسة كابوس مرعب. أغلقت عينيَّ، وأجبرت نفسي على أن أعود إلى الواقع. لا أستطيع أن أنهار الآن. قلت: «عندما أفتح عينيَّ مرة أخرى، سيعود كل شيء إلى طبيعته».

وقد حدث... لم يعد هناك أثر للضباب الكبريتي، وعادت الأصوات المألوفة مجددًا لتتساب من النوافذ المفتوحة للمنازل، ووصلتني أصوات المحتفلين الذين أفقدتهم كثرة الشراب الوعي.

فركت ذراعيَّ، وأسرعت إلى منزلي... أشباح شيطانية... أصوات غير بشرية... ضباب شيطاني. أعرف ما يحدث تمامًا... إنني أعاني الهستيريا. إن الوقت ليس مناسبًا لكي تصيبني الهستيريا. لا بد أن يعود

جثمان فيتوريا إلى البيت من أجل شعائر الوفاة، ويمكنني أن أخفي يأسي وحزني وهلاوسي بعض الوقت من أجلها.

بعد عدة دقائق من إجبار نفسي على السير في شوارع مألوفة لي، وقفت خارج منزلنا الحجري تحت التعريشة المغطاة بالبلوميريا، غير قادرة على تكوين الكلمات التي أردت أن أقولها. لم أملك أدنى فكرة عن الطريقة التي سأخبر بها عائلتي عن موت أختي.

خلال لحظات، سيمرون بما أشعر به تمامًا؛ كأنهم قد ضُربوا وكُسروا مثلي.

منذ تلك اللحظة، لن تعود حياتنا إلى ما كانت عليه مجددًا. تخيلت صرخة أمي، ودموع أبي، والهلع المرتسم على وجه جدتي وهي تدرك أن جميع تدريباتها لنا لإنقاذنا من الشر لم تكن لها أي جدوى.

لقد ماتت فيتوريا.

لا بد أنني بكيت، أو أصدرت صوتًا ما؛ لأن ضوءًا ذهبيًا شق الظلمة التي وقفت فيها. وكانت جدتي واقفة أمام النافذة، تنتظر. لا بد أنها ظلت هكذا منذ أن عادت إلى المنزل. تشعر بالقلق ولا تهدأ. لم تعد تحذيراتها من الشيطان الذي يثير البحار، والسماء التي يصبغها بلون دمائه، تبدو خرافات تافهة الآن.

فُتح الباب على مصراعيه قبل حتى أن أكمل صعود الدرجات التي تؤدي إليه، وقبل أن أمد يديَّ لأفتحه.

بدأت جدتي تهز رأسها، وعيناها تدمعان، وهي تمسك *بتميمتها*. لم أضطر إلى أن أقول أي شيء. كانت الدماء التي لطخت يديَّ تقول كل شيء. صرخت: «لا»، وشفتها السفلى ترتجف بشدة. لم أرَ مثل هذا اليأس والخوف على وجه جدتي من قبل، ثم قالت: «لا، هذا مستحيل».

تضخَّم الفراغ في داخلي؛ كل دروسها، كل تعويذاتها... كل شيء لم يكن ذا جدوى.

قلت: «فيتوريا...». ازدردت ريقي بصعوبة، وقد كدت أختنق. أكملت قائلة، «إنها...»

حدقت إلى الخنجر ثعباني المقبض الذي ما زلت أمسكه، لكن لم أتذكر أنني قد أخذته. تساءلت عما إذا كان هذا هو السلاح الذي قُتلت به أختي. اشتدت قبضتي حول المقبض.

ألقت جدتي نظرة واحدة على الخنجر، ثم أحاطتني بذراعيها. وسألتني: «ماذا حدث يا طفلتي؟».

دفنت وجهي في كتفها، أستنشق رائحتها المألوفة من التوابل والأعشاب. عندما احتضنتني، أدركت أن كل شيء قد غدا واقعًا؛ وكان كابوسًا حقيقيًا.

أجبتها قائلة: «أسوأ مخاوفك».

رأيت أمامي لمحات من جسد أختي الخالي من قلبها، ثم فجأة انقطع الخيط الوحيد الذي كان يربطني بالوعي، وغرقت في الظلام.



في اليوم التالي لدفن أختي، جلست وحدي في غرفتنا، وكان ثمة كتاب مفتوح على قدميَّ. كان المكان هادئًا. اعتدت أن أقدّر الأيام الهادئة كهذا اليوم؛ عندما كانت أختي تخوض المغامرات في الخارج، بينما أنا في الداخل أعيش مغامرات شخصيتي المفضلة في الكتب. كان الكتاب الجيد ذا سحر خاص، حيث يمكنني أن أغرق فيه دون الخوف من أن يوقع بي أحد أولئك الذين يصطادوننا. أحببت الهرب من الواقع، خصوصًا في الأوقات الصعبة، وجعلت القصص كل شيء ممكنًا.

تحوَّل انتباهي إلى الباب بالطريقة نفسها التي أفعلها كل صباح، باحثة عن أي أثر لفيتوريا قبل أن تندفع داخل الغرفة، ووجهها أحمر، وابتسامتها ملء فمها. ظل كل شيء ساكنًا.

بالأسفل، وصلني صوت ملعقة وهي تحتك بإناء الطبخ الحديدي. مرت لحظة، ثم وصلتني روائح الأعشاب المختلفة. ظلت جدتي تصنع شموع التعاويذ بلا توقف. كانت توقدها وتصلي من أجل *الشرطة*، لكي تساعد رجالها في بحثهم، أو هكذا ادعت أنها تفعل. لقد رأيت شمعة توت العرعر والبيلادونا التي صنعتها وأضافت إليها بعض الملح والفلفل الأسود. كانت تعويذتها الخاصة، وكانت تستخدمها لكي تستطيع التفكير بوضوح.

أزحت كتابي جانبًا، ونزلت إلى الأسفل. ظللت أحوم بالقرب من المطبخ دون أن أدخله. لم أكن جائعة، لكنني شعرت بفراغ كبير. لم أشعر بالرغبة في أن أطبخ أو أصنع أي شيء، ولم أستطع أن أتخيل أنني سأشعر بالخفة والحرية مجددًا... أن أحيا في عالم من دون أختي... بدت الفكرة كئيبة وخاطئة.

رفعت جدتي عينيها، فرأتني، وقالت لي: «تعالي اجلسي يا إميليا. سأحضر لكِ شيئًا لتأكليه».

«لا بأس يا جدتي، أستطيع أن أحضِّر أي شيء بنفسي».

اتجهت إلى صندوق الثلج، وكدت أنفجر باكية عندما رأيت إبريق شراب الليمونتشيللو الذي صنعته فيتوريا من أجلي كما هو لم يلمسه أحد. أغلقت الصندوق سريعًا، وجلست على أقرب كرسي لي.

قالت جدتي: «خذي»، ثم وضعت طبقًا أمامي فيه جبن الريكوتا المحلى، وهي تنظر إليَّ بحنان. أكملت قائلة: «الحلويات سهلة الأكل دائمًا».

ظللت أقلِّب الطعام، ثم سألتها: «هل تظنين أن أحدًا قد اكتشف الأمر... اكتشف حقيقتنا. ربما مزحت فيتوريا بشأن الشيطان وأتباعه مع الشخص الخطأ».

«لا يا طفلتي، لا أصدق أن إنسانًا قد هاجمها. ليس ونحن نقابل كل تلك العلامات طوال الوقت. ومع دين الدم».

نسيت أمر دين الدم الغامض ذاك. فقد بدا كأن حياة كاملة قد مرت منذ أن ذكرته جدتي للمرة الأولى. سألتها: «هل تؤمنين بأن دين الدم هو السبب في موت فيتوريا؟».

«إمممم، كان جزءًا من صفقة شديدة القدم بين الساحرة الأولى لابريما والشيطان. يؤمن البعض بأن لابريما لعنت الشيطان، ويؤمن آخرون بأن الشيطان قد لعن الساحرات. إلى أن جاء تحذير في أحد الأيام بأنه: 'عندما تراق دماء الساحرات في صقلية، عليك أن تأخذ بناتك وتختبئ، فأتباع الشيطان قد وصلوا'... والآن، قُتلت ثلاث ساحرات بالفعل».

«لكن هذا لا يعني أن الشيطان هو من قتلهن. ماذا عن صائدي الساحرات؟ ألا ترين أن هذا أكثر منطقية من أن يقوم أمراء الشياطين بالهرب من الجحيم والسير وسطنا؟ أنتِ تعرفين مثلما أعرف كم يخاف البشر من الساحرات، وكم أنهم على استعداد تام لارتكاب أي خطيئة يتهموننا بها. وفي الواقع، قال لي أنطونيو إنه في قرية قريبة من هنا يشيع بين أهلها اعتقاد بأن المتحولين منتشرون في كل مكان. ربما رأى أحد أولئك فيتوريا وهي تلقي بتعويذة ما وقتلها».

«أثار الشيطان البحر، وجعل السماء تنزف. فما الذي يمكنه أن يحدث أكثر لكي تقتنعي بأن الخطر يحدق على الأبواب، وأنه لا علاقة له بالبشر. وما الذي سيفعله البشر بقلوب الساحرات؟».

تنفست بعمق، مجاولة تهدئة الغضب الذي تصاعد داخلي. لم يكن هذا بالوقت المناسب لتصديق القصص التي تناقلتها الأجيال عبر الزمان. فالوقت قد حان لكي نصدّق الحقائق المنطقية. بدءًا من الضحية الأولى في مدينة «شاكة» قبل أسبوع أو أكثر من مقتل فيتوريا، ومع ذلك فلم تبح أي عائلة من عائلات السحرة بمعلومات عن وصول الشرير؛ لذلك حتى تظهر أدلة جديدة تكشف أي شيء عن أمراء الشياطين، فأنا لن أغيّر ما أؤمن به، إن بشريًّا هو المسئول عما حدث.

«هل سنتحدث مع الشرطة يا جدتي؟».

«لو أن رجالها حققوا في الأمر واكتشفوا حقيقتنا، فهل تظنين أن نهايتنا ستختلف عمَّا حدث لأختك؟».

هززت رأسي نافية، لم أرد أن أتشاجر معها، لكنني في الوقت نفسه، لم أستطع أن أفكر في وسيلة يمكنني من خلالها أن أبلغ الشرطة بأن صائدي الساحرات هم من ينبغي لومهم دون أن أخاطر في الوقت نفسه بإثارة الشبهات حولنا.

شعرت بالغضب وانعدام الحيلة لدرجة أردت معها الصراخ. لقد قُتلت شقيقتي، ولا أحد ممن عرف أختي كان يرغب في أذيتها بذلك الشكل. وهو ما يعني أنه لا بد أن يكون غريبًا، أو شخصًا عرف حقيقتها. وكما أخبرتني جدتي، إن الضحيتين الأخريين كانتا ساحرتين أيضًا. هذه ليست مصادفة، بل هناك صلة ما؛ لأن امرأة ذات قوة عادية مثل أختي قد سبَّبت قلقًا شديدًا لشخص ما.

ضممت يدي في قبضتي، وصببت تركيزي كله على الألم الذي شعرت به عندما ضغطت بأظافري على جلدي. اختار شخص ما أن يؤذي فيتوريا. وأنا أريد أن أعرف من هو، *ولماذا*؟

ما الذي كانت فيتوريا تفعله في الساعات التي سبقت مقتلها وتسبب في ذلك الهجوم عليها؟ إنها لم تعتد زيارة الدير، لكنني رأيتها هناك مرتين على الأقل في عدة أيام سابقة.

ربما كانت على موعد مع ذلك الرجل الغريب ذي الشعر الداكن، لكنني لم أكن واثقة بأنني أعرف السبب. وربما كانت متورطة معه في أمر سري ما، أو ربما خدَّرها القاتل هناك، ولم تستطع مقاومته. ربما لم تعرفه مطلقًا، وقد قطع عليها طريقها وهي متجهة إلى مكان آخر.

لم أستطع أن أتذكر على وجه الدقة الوقت الذي غادرت فيه المطعم، فذلك اليوم بدأ كغيره من الأيام؛ استيقظنا، وارتدينا ملابسنا، وتناولنا وجبة الفطور معًا، وذهبنا إلى العمل مع عائلتنا لكي نبدأ التحضيرات ليوم المهرجان المزدحم دائمًا.

لم أسألها عن وجهتها قط، ولم أعرف أنها لن تعود أبدًا.

كانت دموعي على وشك الانهمار مجددًا، لكنني قاومتها. لو أنني فقط أستطيع أن أعود بالوقت إلى الوراء، لتصرفت بشكل مختلف. ضغطت بباطني يديَّ على عينيَّ، وأجبرت نفسي على التماسك.

قالت لي جدتي: «إن الأمر ليس سهلًا على أي منا يا إميليا. انسي الأمر. ودعي الانتقام يَسِر في طريقه المعهود. لن تسمح الساحرة الأولى للأمور بأن تسير على هذا المنوال. عليكِ أن تثقي بأنها تملك خطة لمقاومة الشيطان، وأنتِ، عليكِ أن تتدربي أكثر على تعويذات الحماية الخاصة بكِ، فعائلتكِ تحتاج إليك».

«لا أستطيع أن أجلس هنا بينما الشخص الذي قتلها حر طليق. أرجوكِ، لا تطلبي مني أن أثق بساحرة لم أقابلها في حياتي، أو في رموز لست واثقة بأنها حقيقية. تستحق فيتوريا أن تحصل على العدالة».

أحاطت جدتي وجهي بيديها، وملأت الدموع عينيها، وقالت: «عليكِ أن تتركي ذلك الأمر من أجل عائلتك. لن تكون العواقب حميدة إذا طرقتِ أبوابًا من الأفضل أن تظل مغلقة. ابحثي عن الغفران والتقبُّل في قلبكِ، وإلا فالظلام سيتسرب إليكِ ويدمرك».

استأذنتها وصعدت إلى حجرتي. أردت أن أكون وحدي لأفكر، ومن ثم ألقيت بنفسي على سريري، تطاردني ذكرياتي في تلك الغرفة اللعينة التي وجدت فيها فيتوريا.

ظللت أعيد تلك الذكريات مرارًا وتكرارًا في رأسي بتفصيل مؤلم، محاولة أن أفهم سبب وجود أختي هناك، ولا بد أنني لم ألحظ شيئًا شديد الأهمية؛ شيئًا ربما يساعدني على الإمساك بقاتل فيتوريا.

أغلقت عينيَّ وركزت، وتخيلت أنني أقف هناك مجددًا في تلك الحجرة وأمامي جسدها. ظللت أفكر فيما كانت ترتديه، ذلك الفستان الذي لم تكن ترتديه في آخر مرة رأيتها فيها، وهو ما يستدعي سؤالًا مهمًا

بخصوص ما كانت تفعله في ظهيرة ذلك اليوم؛ هل كانت تخطط للزواج بدومينيكو في السر؟ أو ربما كانت تخطط لشيء آخر؟

كان هناك أيضًا الغموض الذي أحاط بتميمتها المفقودة. أخبرتنا جدتنا بألا نخلعها نهائيًا، وعدا تلك المرة الوحيدة التي فعلناها عندما كنا في الثامنة، لم نخلعها قط. أو على الأقل، أنا لم أخلعها مجددًا مطلقًا. ربما فعلت أختي ذلك، لكنني لم أستطع أن أفكر في سبب يجعلها تفعل ذلك. ولم يكن علينا أن نرى أو أن نؤمن بوجود الشيطان وأتباعه لكي نخافهم. كانت قصص جدتي عنهم مخيفة لنا بشكل كافٍ. اعتادت فيتوريا المزاح بشأن خرافات جدتي، لكنها كانت في الوقت نفسه تحفر القبور لأخذ ترابها، وتعطينا زجاجات صغيرة بها مياه مباركة لكي نبارك بها تميمتينا في ضوء القمر الكامل كل شهر.

تقلبت على جانبي، مفكرة في أكثر الأسئلة التي أرقتني؛ لو أنها لم تخلع تميمتها، فمن فعلها، وأين هي الآن؟

لو أن صائد ساحرات هو من اكتشف حقيقتها، فمن المحتمل أنه قد أخذ تميمتها مكافأة. وربما شك في أنها أداة سحرية حقيقية، على عكس تلك التي يصنعها البشر. عادت أفكاري إلى ذلك الرجل الغريب ذي الشعر الداكن مجددًا. بالتأكيد هو لم يكن أحد أفراد الأخوية، ليس بتلك الملابس الفاخرة التي كان يرتديها. بدا جامحًا أيضًا بشكل لا يتلاءم مع أي ديانة. إنني لم أقابل صائد ساحرات من قبل؛ لذلك لم أستطع أن أعرف حقيقته. ربما كان لصًا، وهو ما يبرر تحركه بتلك السهولة في الظلام.

لعنت نفسي لأنني لم أطارده عندما سنحت لي الفرصة؛ عندما ركض مبتعدًا، أخذ معه كل الإجابات التي أحتاج إليها الآن. لكن الأمل لم يكن معدومًا. اعتدلت في جلستي، وقلبي ينبض بقوة، وفتحت درج منضدة الفراش بقوة؛ لقد أسقط خنجره. لا بد أن أحدًا ما في مكان ما سيتعرف على خنجر مميز كهذا.

هدأت أفكاري. هذا هو ما عليَّ فعله إذن. لديَّ شيء أستطيع التركيز عليه الآن بعيدًا عن الانهيار وإعادة إحياء تلك الليلة في مخيلتي مرارًا وتكرارًا.

تنفست بعمق عدة مرات لكي أهدئ نفسي وأعدها لموجة جديدة من الدموع. أقسمت أنني بشكل أو بآخر سأجد ذلك الغريب الغامض وسأكشف هويته، وما كان يفعله، وكيف عرف شقيقتي.

ولو اكتشفت أنه الشخص الذي سلبها مني، فسأجعله يدفع حياته ثمنًا لذلك.



السابع

مهما حاولت أن أتشبث بالوقت لكيلا يمر، فبالفعل مرت ثلاثة أسابيع منذ أن واروينا «فيتوريا» الثرى. ثلاثة أسابيع قضيتها في فراشها في غرفتنا المشتركة، ودموعي تغرق أغطيته، وقد بدأت رائحة أختي، رائحة الخزامى والمريمية البيضاء، تتلاشى بالفعل.

في الأيام التي شعرت فيها بأنني على ما يُرام، كنت أهبط إلى الطابق السفلي، وأجلس وأنا أحدق إلى النار في مطبخنا، وأحملق بشدة إلى لهيبها. تخيلت نفسي وأنا أحترق. لكن ليس كما حدث مع جداتي السالفات عندما أحرقن على العواميد. كانت هناك جمرة من الغضب تحترق داخلي ببطء، محوِّلة الإنسانة التي كنتها إلى رماد.

في بعض الأوقات، كان غضبي المشتعل مجرد دليل على أنني ما زلت على قيد الحياة.

بعد تقديم العشاء الليلة، ظلت جدتي ترمقني بنظرات قلقة، وهي تتمتم بتعويذات العافية وصلاح الحال أثناء تقليبها وقراءتها كتاب السحر والتعاويذ الخاص بعائلتنا. فهي لم تدرك الكراهية التي تملكتني بشكل كامل، ولم تلحظ أنني كنت أتطلع للانتقام.

أصبح الانتقام جزءًا مني، حقيقيًا وضروريًا مثل قلبي أو رئتيَّ. خلال النهار، كنت ابنة مطيعة، ولكن ما إن يحل الظلام حتى أنطلق بحثًا في

الشوارع، لا يدفعني سوى الرغبة في إصلاح ما فسد. لم أجد أي شخص يعرف ذلك الرجل الغريب الغامض أو تمكن من التعرف على *خنجره*، وقد راودني شك في أنهم ربما لا *يريدون* أن يفصحوا عن أي شيء بسبب الخوف من العقاب. ومع كل يوم يمر، يتأجج غضبي أكثر وأكثر.

امتلك ذلك الرجل ذو الشعر الأسود إجابات أحتاج إليها. وقد بدأت أفقد ما تبقى لديَّ من صبر قليل. كنت قد بدأت بالصلاة لآلهة الموت والانتقام، ووعدتها بكل أنواع الوعود لو أنها فقط ساعدتني على أن *أجده*.

قلت: «*مساء الخير* يا جدتي»، ثم وضعت حقيبة السكاكين على منضدة المطبخ في منزلنا، لأجلس بعدها على الكرسي. أصر والداي على أن أقضي عدة ساعات يوميًّا في المطعم. ولم نستطع أن نتحمَّل إغلاق المطعم سوى أسبوع حدادًا على فيتوريا. وبعده سواء أعجبنا ذلك أم لا، استمرت الحياة. ظلت والدتي تبكي بين حين وآخر، وكذلك أبي. لكنهما تظاهرا بالثبات من أجلي. أقل ما أمكنني فعله هو أن أدخل المطعم لأقطِّع بعض الخضراوات ثم أنهار مجددًا عائدة إلى حزني.

«إميليا، أعطيني شمع العسل، والبتلات المجففة».

وجدت بعض مكعبات الشمع ولفة صغيرة من الزهور المجففة على اللوح الجانبي. كانت جدتي تصنع شمعًا به تعاويذ، ومن الألوان - أبيض، وذهبي، وبنفسجي باهت - يمكنني أن أخمن أنها تعمل على عدة تعاويذ مختلفة. بعضها من أجل الاستبصار، وبعضها من أجل جلب الحظ، وبعضها من أجل السلام.

لم يحصل أي منا على أي سلام نفسي طيلة ذلك الشهر. ربطت الشرطة مقتل أختي بمقتل الفتاتين الأخريين. يبدو أنهما أيضًا قد انتزع قلباهما، لكن لم يكن هناك أي مشتبه به ولا أي دليل يمكن تتبعه. وأكدت الشرطة أن عدم وجود دليل لم يكن بسبب تقاعسها عن العمل على أكمل وجه، ولكن بعد الاجتماعات الأولى معنا، توقف الضباط عن الحضور إلى منزلنا ومطعمنا، كما توقفوا عن طرح الأسئلة. ماتت نساء شابات،

واستمرت الحياة، هذا هو قانون العالم، أو على الأقل هو هكذا بالنسبة إلى رجال الشرطة.

لم يهتم أحد بأن فيتوريا قد قُتلت كأنها حيوان، حتى إن بعض الشائعات الأكثر وحشية لمَّحت إلى أنها كانت تستحق، بلا شك، تلك النهاية. وأنها بطريقة ما تسببت في ذلك لنفسها لجرأتها الزائدة، أو ثقتها المفرطة، أو لأنها لم تكن مؤمنة. لو أنها فقط كانت أهدأ قليلًا، أو أكثر خضوعًا، فلربما ظلت على قيد الحياة. وكأن أي شخص يستحق مثل ذلك المصير.

بدت عائلتي كأنها قد ارتاحت قليلًا عندما بدأ الناس يثرثرون ويتحدثون عن فضائح جديدة. أراد أفراد العائلة أن يحزنوا على أختي، وأن يختفوا في الظلال مرة أخرى، آملين أن يهربوا من أسئلة الجيران والشرطة.

جاء باعة فضوليون من السوق إلى مطعمنا، أكلوا على موائدنا، آملين أن يعرفوا ما حدث، لكن عائلتي كانت تتمتع بمهارة كتمان الأسرار، فلم تخبر أحدًا بأي شيء.

قالت جدتي: «مرت بنا كلاوديا... مجددًا»، في محاولة لاختراق حاجز قلقي الأبدي.

تنهدت، إذ لا بد أن صديقتي يائسة لدرجة أنها استجمعت الشجاعة الكافية لتتحدث مع جدتي. فعائلة كلاوديا تمارس السحر الأسود، ولأننا لم يكن جائزًا لنا التعامل مع ساحرات أخريات من أجل أسباب تتعلق بالأمان، كانت صداقتنا التي امتدت على طول عمرنا مصدرًا للتوتر بين عائلتينا. أعلم أن تجنبي إياها لم يكن بالأمر الجيد، لكنني لم أكن مستعدة لمشاركة دموعي وأحزاني بعد.

«سأزورها قريبًا».

همهمت جدتي بكلمات لم أعِها.

راقبت القِدر التي علقتها جدتي فوق نار الفرن في مطبخنا، واستنشقت رائحة الأعشاب المختلطة داخله. اعتدت الشغف بمراقبتها

وهي تمزج الزيوت المختلفة. أما الآن، فبالكاد أتمكن من الجلوس لأشهد العملية كلها دون أن أفكر في شقيقتي، وفي الأوقات التي اعتادت فيها أن تستجدي جدتي لكي تصنع من أجلها صابونًا أو كريمًا خاصًا.

أحبت فيتوريا صناعة العطور بالقدر نفسه الذي أحببت به مزج المكونات لأصنع حساءً. اعتادت أن تجلس مكاني، غارقة في تصنيع خلطاتها السرية، محاولة مع العديد من المكونات حتى تحصل على الرائحة التي تريد. القليل من رائحة الزهور، ولمسة من رائحة الليمون، ودائمًا ما أضافت القليل من رائحة البهارات لكي توازن بين الروائح كلها. بعدها كانت تقفز فرحًا، وتجعلنا جميعًا نستخدم تركيبتها الأخيرة حتى نمل من الأمر. وفي أحد فصول الخريف الماضية، صنعت كل شيء من البرتقال الأحمر، والقرفة، والرمان. أقسم أنني من كثرة ما استخدمت ذلك العطر لم أعد أريد أن أرى أيًا من تلك الفواكه مجددًا. كانت الذكريات كثيرة...

نهضت من مكاني، وقبلت جدتي قائلة لها: «تصبحين على خير».

تنفست جدتي بعمق، وكأنها أرادت أن تقدّم لي نصيحة ما، أو أي مواساة، لكنها بدلًا من ذلك، أعطتني ابتسامة حزينة، وقالت: «تصبحين على خير يا طفلتي».

صعدت درجات السُلّم، وأنا خائفة من تلك الغرفة الصامتة التي كانت في الماضي تضج بالضحك والسعادة. لثانية، فكرت في أن أعذّب نفسي بمراقبة جدتي وهي تصنع شمع الحماية مجددًا، لكن الحزن أثقل جفنيّ وقلبي.

خلعت فستاني القطني الخفيف، وارتديت منامتي، وأنا أحاول ألا أركز على أن فيتوريا كانت لديها منامة مشابهة لها. الفارق الوحيد هو أن شرائط منامتي كانت زرقاء فاتحة، وشرائطها كانت وردية. شعرت بسخونة الهواء المحمل بحرارة الصيف، وهو ما كان يعني أنني سأقضي ليلة أخرى من الأرق.

نهضت وسرت حافية حتى النافذة لكي أفتحها.

تأملت الفراغ الممتد خلف أسطح المنازل المختلفة، وأنا أفكر فيما إذا كان قاتل فيتوريا في مكان ما الآن، يطارد فتاة أخرى. وفي اللحظة نفسها، أقسم أنني قد سمعت عواء ذئب، كان عواءً مقبضًا للنفس حزينًا، بدا كأنه عالق في هواء الصيف الراكد، وسرت على إثره رجفة في جسدي كله.

أسقطت كوبًا من الماء وأنا أُسرع إلى فراشي. تسرب الماء من خلال فتحة في الأرضية كنت قد نسيتها. تسرب في مكان اعتادت فيتوريا إخفاء الأشياء به؛ ورد مجفف، رسائل من آخر حبيب تعرفت عليه، ويومياتها، وعطر كانت قد صنعته.

أسرعت إلى تلك الجزئية من الأرضية، وجلست على ركبتي، وكدت أكسر أظفري وأنا أرفع لوح الأرضية. وتحته وجدت كل الأشياء التي تذكرتها.

وجدت قطعة من الأحجار المستخدمة في نوادي المرح على أحد وجهيها صورة ضفدع يرتدي تاجًا، ووجدت ورقتين من ورق الرسائل الأسود مربوطتين بخيط أسود. ووضعت كل هذا بحذر على منامتي، حريصة على ألا أفسد آخر ما تبقى من أثر شقيقتي. ارتجفت يدي، وأنا أبسط الورقة ذات الحواف المذهبة، والحبر اللامع فوق الورق الأسود. كانت تعويذات من كتاب سحر لم أرَها من قبل. قرأت المكتوب سريعًا، لكنني لم أتمكن من تحديد الهدف منها. وجدت ذكرًا للعديد من الأعشاب، والشمع الملون من نوع معين، وتعليمات مكتوبة باللاتينية. أزحت الورقتين جانبًا، ثم أخرجت دفتر يومياتها.

كنت على استعداد لأن أهب روحي مقابل أن أجد في يومياتها تفسيرًا لما كانت تفعله في الأيام التي سبقت موتها، وفيمن وضعت ثقتها بشكل خطأ.

مـررت أصابعـي علـى غلاف دفتـر يومياتها المشـقق، الذي أعـاد إليَّ ذكريـات آلمتنـي. اعتـادت ليـلًا أن تكتب فيها بشـكل منتظم، مسـجلة كل مـا حـدث معها بـدءًا من الأحـلام الغريبة التـي انتابتها؛ مرورًا بجلسـات كلاوديـا لاسـتدعاء الأرواح. وملاحظـات متعلقـة بالعطـر الـذي تصنعه، والتعويذات المختلفة. ووصفات عمل مشروبات جديدة، لم يكن لديَّ أدنى شك في أنها باحت بأسرارها في سطور يومياتها.

كل ما كان عليَّ فعله هو أن أفتح الدفتر، لأعرف كل ما احتجت إليه.

ترددت قليلًا؛ إنها أفكارها الخاصة، وأنا لم أرد أن أنتهك شيئًا كهذا، يكفـي مـا عانتـه بالفعل. جلسـت في هدوء أفكـر فيما كانت سـترغب منـي أن أفعلـه لـو أنهـا كانت هنـا. تخيلتها بوضوح وهي تقول لـي أن أتوقف عن التفكير في السـقوط وأن أقفز. كانت فيتوريا تخاطر دائمًا، وتتخذ القرار الصعب ما دام لصالح عائلتها.

ولكـي أعـرف هويـة قاتلهـا، احتجـت إلـى أن أتتبـع خطواتهـا، حتى لو شعرت بعدم الراحة. تنفست بعمق، وفتحت يومياتها.

أو هذا ما كنت سأفعله لو لم يكن الورق ملتصقًا بعضه ببعض.

جذبتـه بقليـل من القوة، والكثير من الحرص لكيلا أمزقه، وأنا أشـعر بالقلق من أن المياه قد أفسدته، لكن لم أستطع أن أفتحه. جذبت صفحات الغـلاف بـكل ما لديَّ من قوة، لكن لم تسـتجب لي. اسـتندت إلى الحائط بظهري، ووضعت قدميَّ على الغلاف الخلفي، وأمسكت بالغلاف الأمامي، وحاولت أن أفتحه، لكن... لا شيء. بدأ الشك يجتاحني ويسيطر عليَّ.

همست بتعويذة كشف، وألقيت بعض الملح فوق كتفي من أجل التوفيق. ظهـر ضـوء خفيـف لونـه بنفسـجي، وقد اتخذ شـكل شـبكة عنكبـوت فوق يومياتهـا، فبدت كالأفرع الشـائكة المتداخلة. لقد أغلقـت أختي يومياتها بتعويذة لم أرَ مثلها من قبل.

وهـو مـا يعنـي أنهـا كانـت تعـرف جيـدًا أن أسـرارها كانـت شـديدة الخطورة.

الثامن

يبدو أن فيتوريا لم تكتفِ بمجرد إلقاء نظرة على تعاويذ السحر الأسود، فأنا لم أستطع أن أفتح يومياتها مستخدمة القوة؛ ولذلك حاولت أن أستخدم تعويذة إلغاء السحر؛ أحرقت الأعشاب التي تساعد على الوضوح، وأشعلت الشموع، وصليت، ولكن اليوميات العنيدة لم تفتح.

ألقيت اليوميات على الأرض ولعنتها. لقد استخدمت فيتوريا تعويذة لم أرها من قبل. وهو ما يعني أنها كانت تعرف أنني سأفتحها عاجلًا أم آجلًا. هي حقًّا لم ترد أن أعرف سرها، وهو ما جعلني أصر أكثر على أن أعرفه.

تجولت في غرفتنا الصغيرة، وأنا أراقب الشمس وهي تشرق ببطء. احتجت إلى خطة الآن، فإلى جانب تعويذة الحقيقة المحرمة التي أعرفها، وبعض التعويذات البسيطة التي أعرفها كذلك، كنت أعرف القليل من السحر الأسود الذي كان يأتي بنتيجة بالفعل. قالت جدتي إن السحر الأسود يتطلب مقابلًا؛ لأنه يستهلك من مصدر آخر وليس مما هو موجود بالفعل. سأضحي بسعادة بكل ما لديَّ لكي أحصل على ما أريد. كان لديَّ دليل، ولكنني لم أستطع أن أكشفه. ولكن... ابتسمت فيما كانت فكرة جديدة تخطر لي. لم أستطع إبطال التعويذة، لكنني أعرف شخصًا يمكنه أن يفعله: «كارولينا جريمالدي».

كانت كارولينا هي خالة كلاوديا، وقد تولت رعايتها بعدما هاجر أبواها إلى أمريكا منذ سنة أو سنتين. كانت ماهرة في السحر الأسود، وظلت تعلم كلاوديا كل ما تعرفه. لم أرد أن أورط صديقتي؛ لذلك قررت أن أذهب إلى المصدر مباشرة. امتلكت كارولينا متجرًا صغيرًا في السوق، لذلك إذا أسرعت، فربما أتمكن من اللحاق بها قبل أن تفتح متجرها.

أمسكت حقيبة، ووضعت فيها ما وجدته من أوراق ودفتر اليوميات، ثم أسرعت خارجة من باب المنزل.

اعترضت جدتي طريقي، وقالت وهي عابسة: «هل يطاردك الشيطان؟».

تمنيت ألا يكون الأمر كذلك، فقلت لها: «ليس على حد علمي».

«جيد، إذن، يمكنك أن تجلسي دقيقة لتخبريني إلى أين أنت ذاهبة باستعجال هكذا وفي هذا الوقت المبكر؟».

«أنا...»، كدت أعترف لها بكل شيء، لكنني فكرت في أختي. لقد احتفظت فيتوريا بأسرارها بالقرب منها، وكانت على استعداد لأن تموت من أجلها. ولا بد أن هناك سببًا جيدًا لذلك، فأجبتها: «أريد أن أذهب إلى السوق لكي أشتري بعض البهارات قبل أن نبدأ إعداد العشاء من أجل الزبائن. فلديَّ فكرة صلصة جديدة».

حدَّقت جدتي إليَّ محاولة أن تكشف سر كذبي. كان تعبيرها مزيجًا بين خيبة الأمل، والشك. لم أظهر أي اهتمام بالطعام أو الابتكار منذ أن ماتت فيتوريا. فقط عندما أقنعت نفسي بأنها حتمًا ستجبرني على أن أصعد إلى الطابق العلوي ومعي قائمة من التعاويذ التي تريدني أن أطبقها، فوجئت بها تفسح لي الطريق وتقول: «لا تتأخري، هناك الكثير مما ينبغي لنا القيام به».



ناديت «سينيورا جريمالدي»، وأنا أرفع تنورتي وأندفع إليها. أخيرًا، أصبح الحظ حليفي. قابلت كارولينا قبل أن تعبر الطريق مباشرة لكي تدخل السوق.

غطت كارولينا وجهها لتحميه من أشعة الشمس، ثم سارت لتقف في الظل في زقاق ضيق عندما رأتني، وقالت: «إميليا! أنا آسفة من أجل...»

«ليس لديَّ الكثير من الوقت يا سينيورا. أحتاج إلى مساعدتك بشأن أمر... حساس». أخرجت دفتر اليوميات، وأنا أنظر حولي لأتأكد من أننا وحدنا. قلت: «هناك تعويذة على هذا الدفتر لم أرَ مثلها من قبل. كنت آمل في أن تخبريني، إن كان هذا في مقدورك، بطبيعتها وكيف يمكن أن أبطلها».

ابتعدت عني خطوة إلى الوراء، وهي تحدق إلى دفتر اليوميات وكأنه لعنة ما. أجابتني: «لا يوجد شيء في عالمنا هذا سيقوم بما تبحثين عنه. أعيديه إلى المكان الذي وجدته فيه يا طفلتي. إن وجوده فقط سيدعوهم إليكِ».

«ومن هم؟».

«الشياطين. إن هذا السحر تفوح منه رائحة عالمهم؛ وهو يريد أن يجده أحد ما».

حدقت إلى كارولينا، وأنا أتساءل عما إذا كانت جدتي قد كشفت خطتي، وتواصلت مع هذه الساحرة التي تمارس السحر الأسود قبلي. فقلت لها: «إنها يوميات أختي، وليست كِتابًا ملعونًا أو كتابًا للشياطين».

أومأت كارولينا ناحية حقيبتي، وقالت: «أريني ما يوجد في حقيبتك». نظرت حولي مرة ثانية، ثم أخرجت الورقتين السوداوين وناولتها إياهما وأنا أراقب وجهها وهو يشحب تدريجيًا عندما أدركت كنه هاتين الورقتين. وقالت: «إنها تعويذة استدعاء».

تساءلت: «أنا... أنا لا أفهم. لماذا قد تحتاج أختي إلى تعويذة استدعاء؟».

أجابت: «ربما كانت تريد أن تسيطر على شيطان».

تأملت الأوراق السوداء، وقلت: «هذا مستحيل، إن كل الشياطين عالقة في الجحيم منذ مائة عام تقريبًا».

قالت كارولينا باستهزاء: «هل هذا ما أخبرتك به جدتكِ؟ عودي إلى المنزل، وحاولي أن تستدعي واحدًا بنفسك، وسترين ما سيحدث. ما دمت لا تحوزين شيئًا من ممتلكات أحد أمراء الجحيم، فهذه التعويذات لن تستدعي سوى أتباع الشيطان الأقل مكانة، ومن السهل التحكم بهم، فهم غالبًا ما يتقاضون القليل مقابل المعلومات. أؤكد لكِ أن منهم من ليس محبوسًا في العالم السفلي؛ وكل ساحرة تقريبًا، سواء كانت تمارس السحر الأبيض أو الأسود تعرف هذا».

حدقت إليها وضربات قلبي تتسارع، وقلت لها: «هل تقصدين أن أختي قد استدعت بعض الشياطين، وطلبت منهم أن يفعلوا أشياء من أجلها قبل أن تموت؟».

ردت قائلة: «لا توجد طريقة لكي نعرف بشكل أكيد ما كانت تفعله، لكنني أؤكد لكِ أن هذه التعويذات تُستخدم بشكل أكيد من أجل الاستدعاء. كما أنني متأكدة من أن الشيطان الذي استدعته لم يقدّم إليها شيئًا دون أن يحصل على مقابل، فهم لا يحبون أعمال الخير. هناك دائمًا مصلحة لهم فيما يقومون به». ثم سكتت لتتأملني قليلًا قبل أن تكمل قائلة، وقد بدا على ملامحها شيء من الراحة: «انسي ما قلته لكِ يا ابنتي، لا تورطي نفسكِ في عالم الشياطين. مهما كان ما فعلته أختكِ، فأنا أؤكد لكِ أنكِ لن تحبي أن تصبحي جزءًا منه».

ذكّرتني طريقتها في الحديث بجدتي.

شكرتها ثم ودعتها ورحلت. عدت سريعًا إلى مطعم عائلتي، وفي ذهني تضطرب أسئلة أكثر من تلك التي خرجت لأجد إجابات لها. لو أن كارولينا كانت محقة فيما قالته بشأن التعويذة التي وضعتها فيتوريا على دفتر يومياتها، فمن المستحيل إذن أن أتمكن من فتحها. إلا إذا...

وخطـرت لـي فكرة جعلت ضربات قلبي تتسـارع؛ لو أن أختي قد *استدعت* شـيطانًا بالفعل، فلربما اسـتخدمته لتغلق يومياتها. ولم أسـتطع أن أتخيل أي سبب آخر يجعلها تستدعي شيطانًا سوى ذلك.

علـى الرغـم من القصـص التي كانت جدتـي تحكيها لنا فـي صغرنا، ففيتوريـا كانـت تعـرف أننـي لـم أؤمـن بوجـود الأمـراء الشـياطين. كنت أصدق بوجود الشـياطين الأقل شـأنًا، لكنني ظننت أنهم كانوا محبوسـين فـي عالمهم دون أي وسـيلة للهرب. كانت تلـك التعويذة التي وضعتها على يومياتهـا الوسـيلة المثلى لكـي تتأكد من أنني لن أفتح دفتـر يومياتها لكي أكشـف سـرها. وقـد كانت محقـة، لكنها لم تكـن كذلـك بخصوص نقطة واحـدة؛ فهـي لـم تكن لتعرف كيـف يمكن لموتهـا أن يغيرني. ليس هناك أي شيء في هذا العالم سيمنعنـي من أن أكتشف سر مقتلها، لا شيء على الإطلاق.

فكـرت في عدة نظريات مختلفة أثنـاء تقديمي الغداء للزبائن، لكنني لم أركز بشـكل جيد. ظللت أحاول أن أفكر مثل أختي. كانت بعض الأفكار التـي خطـرت لي جامحة، وتـكاد تكون مستحيلة، لكن فكـرة واحدة ظلت ملازمة لي، وقد كانت الفكرة التي ظللت أفكر فيها طوال اليوم.

ربما فكرت هكذا لأنها بدت مستحيلة بالنسبة إليّ، أو ربما لأن فيتوريا لم تؤمن بكلمة مسـتحيل... مهما كان السـبب، لازمتني الفكرة وأنا أقطع الخضراوات، وأنظف السكاكين.

فكرت فيها وأنا في طريقي إلى المنزل.

وكذلك وأنا أغير ملابسي، وأسرِّح شعري.

طاردتني الفكرة، ورحبت بمطاردتها لي.

لاحقًا، ما إن صعدت إلى فراشي، أمسكت بورقتي السحر مرة أخرى، وألقيت نظرة سـريعة على النص غير المفهوم وابتسمت. كانت ابتسامتي الحقيقية الوحيدة منذ عدة أسـابيع، وقد كانت ابتسـامة مظلمة وشـريرة بقدر ما كانت أفكاري حينها.

حاولت فيتوريا أن تستدعي شيطانًا. وكلما زاد تفكيري في هذه الفكرة، زاد تقبُّلي لها باعتبارها حقيقة واقعة. غدًا مساءً، سأحاول استدعاء واحد بنفسي. سأطلب منه أن يُبطل تعويذة يومياتها مقابل أي شيء بسيط. على أي حال، لم يكن لديَّ ما أخسره، إما أن ينجح الاستدعاء، وإما أن يفشل. ولو لم أفعل هذا، فلن أعرف أبدًا ما حدث لشقيقتي. عليَّ أن أزيح شكوكي جانبًا وأحاول، وهكذا اتخذت قراري.

كل ما احتجته كان بعض العظام.



مر اليوم التالي في المطعم ببطء قاتل، لكنني تمكنت من أن أستغل وقتي جيدًا في المطبخ. جمعت كل شيء ذُكِر في الورقتين، ولم يشك أحد في شيء عدا جدتي على ما أظن. ظلت جدتي تحدق إليَّ وهي تحرك شفتيها بتعاويذ خافتة، وكأنها تمكنت من قراءة ما في عقلي، وإلقاء تعويذة تمكّنها من قراءة أفكاري لتعرف ما أنوي القيام به، أو ربما هي تعلم أنني أفكر في الأمر منذ الليلة الماضية. كانت مجرد فكرة صغيرة تركتها تختمر في رأسي حتى أصبحت ما هي عليه الآن. والآن، أعرف ما عليَّ فعله.

كل ما أحتاج إليه الآن هو بعض الأشياء، وفرصة مواتية.

أخبرتنا جدتي بأن نختبئ من «إبليس الشرير»، وأن نتلو تعاويذنا، ونبارك تميمتينا في ضوء القمر الفضي والمياه المباركة، وألا نذكر «الشيطان الأكبر» أبدًا والقمر كامل، وأن نقوم بكل شيء كما ينبغي لساحرة طيبة أن تفعل، وإلا فسيسرق «الشيطان» أرواحنا.

في النهاية، لم يأتِ الوحش الذي خفنا منه من الجحيم. ذلك الرجل الذي رأيته واقفًا بالقرب من جسد أختي، بملابسه الراقية، وخنجره النفيس، إنه يستحق العقاب مثل أي شخص آخر يرتكب جريمة. يجب

ألا يُترك هكذا دون عقاب. أكاد أكون متأكدة أن الناس الذين أريتهم الخنجر قد تعرفوا عليه، لكنهم فقط لم يرغبوا في التحدث عنه، وكشف هويته، خوفًا من العواقب. ربما هو رجل قوي وغني، لكن العدالة ستوقع به.

وسأحرص على ذلك.

لم أكن متأكدة بعد مما إذا كان قد ارتكب فعلته تلك وحده، أم كان عضوًا من جماعة صائدي الساحرات الغامضة، ولم أُعر الأمر الكثير من التفكير. كان وحده تلك الليلة، وسأجده، وسأعرف المزيد منه. ولو صادفني في طريقي المزيد مثله، فسأتعامل معهم أيضًا.

كانت لديَّ خطة أيضًا لكي أحمي عائلتي بينما أتتبع خُطى قاتل فيتوريا؛ فبدلًا من صفقة واحدة، سأعقد صفقتين. أولًا، سأجعل الشيطان الذي سأستدعيه يُبطل التعويذة التي تقيد دفتر يوميات فيتوريا، ثم سأجعله يحدِّد لي موقع ذلك الرجل ذي الشعر الأسود. لحسن الحظ، إن امتلاكي ذلك الخنجر الذي يشبه الثعبان سيساعدني على ذلك.

إذا أسرت شيطانًا أستطيع التحكم فيه، فهذا يعني أن دعواتي كلها قد استجيبت.

يبدو أنني كنت مخطئة منذ البداية؛ لم تتجاهل الآلهة تضرعاتي، بل هي ببساطة كانت تنتظر الوقت المناسب؛ أن أحوِّل يأسي إلى أداة يمكنني استعمالها. إن فرع شجرة ضعيفًا ليس سوى قطعة خشب مكسورة حتى يتم شحذه وتحويله إلى رمح. لقد كسرني الحزن إلى قطع شحذها الغضب وصنع منها سلاحًا.

والآن، حان وقت إطلاقه.



التاسع

قد يساء استخدام سحر العظام، فيصبح سحرًا تجريبيًا. فاستخدام عظام الحيوانات من مخالب، وأظافر، وأنياب، وأصداف، وريش، يسمح للساحرة بالتواصل مع العالم السفلي. ولابد أن تجمع المكونات بشكل عقلاني دون أن تضحي بأي حيوان، وهو عكس ما يؤمن البشر بأنه يحدث في الواقع. ومن أجل التحكم في تلك القوة، لا بد أن تصنع دائرة من العظام والأعشاب، مع شيء يتعلق بما تريد فعله.

- ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

وقفت على أعتاب فتحة الكهف، أرهف السمع للبحر وهو يلقي بأمواجه على الصخور في الأسفل في غضب وعنف.

انتشر رذاذ البحر فوق المرتفع، لامسًا ذراعي ورقبتي، وكأن المياه الغاضبة تعكس مزاجي العكر، أو ربما أحست بالظلام الذي انبعث من ورقتي السحر الأسود اللتين حملتهما معي. فبالنسبة إليَّ، شعرت بالطاقة المنبعثة منهما بالتأكيد.

تتصل الساحرات بالأرض، ويقمن بإعادة توجيه القوة التي تنقلها الأرض إليهن عن طريق السحر الذي يمارسنه. ولن أفاجأ لو أن البحر كان يشعر بالقلق مما يوشك أن يحدث؛ القوة المظلمة التي أنا على وشك أن أحضرها إلى عالمنا. ربما شعر البحر بالقلق، لكنني لم أشعر بالقلق.

وكان عليَّ أن أنتظر ساعات حتى تنام جدتي في كرسيها الهزاز قبل أن أجمع حاجياتي وأتسلل خارجة من المنزل، وقد قضى إصراري الصلد على أي شعور بالقلق قد انتابني.

لم تكن لديَّ أدنى فكرة عن الطريقة التي حصلت بها فيتوريا على أوراق السحر الأسود تلك، لكنها ليست سوى شيء واحد ضمن العديد من الأشياء التي ضمتها قائمة لم أعلم بها. وعلى أية حال، سأستغل هاتين الورقتين. دفعتني الرياح إلى أعماق الكهف أكثر. وعندما غادرت المنزل، لم أكن متأكدة بشكل كامل من وجهتي، لكن عندما وصلت إلى المكان، شعرت كأن هناك ما يجذبني إليه. اعتادت فيتوريا أن تجد أسبابًا لكي أتسلل معها ونأتي إلى هذا الكهف ونحن طفلتان. يبدو الأمر لي الآن كأنها كانت تدلني عليه منذ البداية.

شعرت بثقل هواء الليل، وبالبرودة وهي تنشب مخالبها في جسدي.

رفعت مصباحي إلى الأعلى، محاولة ألا أخاف من الظلال التي أحاطت بي. سأستدعي شيطانًا داخل كهف مظلم، ولن يسمع أحد صرخاتي إذا حدث شيء ما بشكل خطأ. فكرت أنه منذ ثلاثة أسابيع لم أكن لأتخيل أن حياتي ستتخذ هذا المنحى.

حينها، كنت أقضي في مطعمنا ليالي سعيدة راضية باختراع وصفات طعام جديدة. كنت أقرأ قصة رومانسية، وأدعو أن يتخلى فراتيلو عن قسمه ليلة واحدة فقط ليقضيها معي، كان هذا قبل أن أجد جثة أختي المشوهة.

أما الآن فلديَّ أمنيتان فقط: أن أعرف مَن قتل أختي، ولماذا.

لا، إنها ثلاث أمنيات في الواقع، لو وضعنا في الحسبان قتلي الوغد الذي قتل فيتوريا. لقد كان هذا أكثر من مجرد أمنية... كان وعدًا.

بعد أن تأكدت من عدم وجود أي شيء مختبئ في الكهف - فئران، أو ثعابين، أو أي مفاجآت أخرى غير سارة - وضعت مصباحي فوق صخرة مسطحة، ثم وضعت سلتي على الأرض. ذاكرت كل ما يخص تعويذة

الاستدعاء جيدًا. ومع ذلك فقد اعترتني رجفة وأنا أخرج كل ما احتجته من السلة.

أخرجت شموعًا سوداء، وأوراق سرخس طازجة، وعظام حيوانات، وعلبة صغيرة بها دماء حيوانات، وقطعة ذهب. لم أمتلك الكثير من الذهب؛ لذلك أحضرت الخنجر الذهبي معي. بدا مناسبًا أن أستخدمه في الإمساك بصاحبه.

لو سار كل شيء على ما يُرام، فسأتمكن من الإمساك بشيطان ذي مكانة متدنية وأحتجزه داخل الدائرة. كنت أعرف أنه لم يكن ليتمكن من مغادرة الدائرة، ومع ذلك أنا لم أحب فكرة أن أظل مع وحش من الجحيم في مكان مظلم كذلك، حتى لو كنت متحكمة فيه بشكل كامل.

ألقيت نظرة على الورقة والملاحظات مرة أخرى؛ كنت أضيّع الوقت. ولكي يصبح الاستدعاء ناجحًا كان عليَّ أن أتبع تعليمات الطقوس بدقة، فأي تغييرات قد تتسبب في إطلاق سراح شيطان إلى عالمنا. أولًا، أحتاج إلى أن أصنع الدائرة، وأن أشعل الشموع بشكل صحيح، وأن أمزج السرخس والعظام. بعدها سأضع علبة الدماء داخل الدائرة، ثم سأدعو شيطانًا بشكل رسمي لكي ينضم إليَّ، وسأتحدث اللاتينية من أجل ذلك؛ فهي لغة الشياطين الأم.

ترددت عند تلك النقطة، لم أحب مادة اللغة اللاتينية، وقد حاولت جدتي تعليمنا إيَّاه. وكان هناك الكثير من الكلمات المتشابهة، لكن معانيها مختلفة تمامًا. إن تغييرًا واحدًا في المعنى قد يسبب كارثة. كان الأمر سيصبح أقل إثارة للقلق لو كان لديَّ أدنى معرفة بالسحر الأسود، أو لو أن تعويذة فيتوريا للاستدعاء تضمنت جملة قديمة يمكنني استخدامها بدلًا من التعليمات التي تتلفظ بجملة عشوائية تعبِّر عمَّا تريده الساحرة.

كانت نيتي الحقيقية هي أن أعرف ما الذي أرادت أختي أن تقوم به قبل موتها، ثم أقوم بتتبع الشخص الذي قتلها لكي أقتله. لن تكون نية العنف والدماء بداية جيدة ومهذبة لإتمام تعويذة الاستدعاء. كنت قلقة

بالفعل من عواقب ما أقوم به. لحسن الحظ، فكرت جيدًا بما أردت أن أطلبه من الشيطان. لم أرد أن أترك له أي فرصة للهرب من الدائرة، وبالتأكيد لم أرد منه أن يضرني؛ لذلك قررت أن أربطه بي برباط حماية أبدي.

بدت كلمة «الأبد» جيدة عندما عنى الأمر أن أضمن ألا يتمكن الشيطان من مغادرة الدائرة. وإذا أُجبر على حمايتي، فهذا يعني أنه لن يستطيع مهاجمتي. ومن أجل إتمام الجزء الأخير من التعويذة، أحتاج أولًا إلى أن أحضّر خطة لصرفه. ومن الواضح أن الشياطين كائنات تلتزم بقواعد صارمة؛ لذلك لو قمت باستدعاء أحدهم، فعليَّ أن أقوم بصرفه بشكل صحيح وإعادته إلى عالمه. ويُنصح باتباع قواعد السلوك الجيدة في التعامل، لكنني لم أكن متأكدة كيف سأتبع تلك *القواعد*.

تنفست عميقًا وقلت لنفسي: «لا بأس يا إميليا، يمكنك القيام بذلك».

وضعت كل شيء ببطء في دائرة، العظام... السرخس... الشموع، التي بسبب أطوالها المختلفة، بدت كأنها شمس سحرية. أشعلت الشموع، وأخذت أمشي حول الدائرة، وأنا أمسك بجمجمة طائر بالقرب من صدري، وهي القطعة الأخيرة التي سأكمل بها الطقس... ترددت قليلًا.

إذا أضفت تلك القطعة الأخيرة، فستكتمل الدائرة.

أخذت نفسًا وزفرته ببطء. لم تكن لديَّ أدنى فكرة عن طبيعة الشيطان الذي سأستدعيه، بعضهم يشبه البشر، وآخرون ليسوا سوى كوابيس متحركة على قدمين، أو هكذا أخبرتني جدتي. لم تعطنا التفاصيل قط، لكنني لست واثقة بأن قيامها بهذا له فائدة الآن. بالنسبة إليَّ، فكل ما أتخيله الآن هو شيطان أنيابه طويلة، ومخالبه كذلك، يسير إلى الخلف كالسلطعون ولديه أقدام متعددة.

حجبت السُّحب القمر، فتزايدت الظلال على جدران الكهف. سرت قشعريرة باردة في ظهري؛ فكل ما سأفعله لا ينبئ بنهاية سعيدة.

حدَّقت إلى جمجمة الطائر، وأنا أتساءل عمَّا إذا كان هذا هو الطريق الذي ينبغي عليَّ أن أتبعه. ربما ينبغي عليَّ أن أطفئ تلك الشموع، وأعود

إلى المنزل لأنام، وأنسى كل شيء عن الأشرار، وصائدي الساحرات، والشيطان. قالت جدتي ذات مرة إن الظلام لا يحل إلا إذا دعوناه، وبعدها تبدأ كل المشكلات.

تخيلت وجه شقيقتي - عينيها السوداوين اللتين تلمعان بسبب شقاوتها، وشفتيها اللتين تخبئ فيهما ابتسامة ساخرة، وقبل أن أفقد تماسكي، انحنيت سريعًا، ووضعت العظمة الأخيرة في مكانها. انتشر الصمت في المكان، وأسكت صوت البحر الذي بدا كأنه يرجوني ألا أكمل. اقتربت ببطء من حافة الدائرة، وفي إحدى يديَّ كنت أحمل علبة الدماء، عندما هبَّت فجأة رياح عاصفة داخل الكهف.

علا صوت الخفافيش وهي تطير نحوي. كان هناك المئات منها. صرخت، وأنا أرفع ذراعي لأحمي رأسي من أجنحتها الصغيرة، ومخالبها التي حاولت أن تتشبث بشعري ورقبتي. بعدها، وبالسرعة نفسها التي حدث بها الأمر، رحلت الخفافيش، وعاد الكهف إلى هدوئه.

بعد العديد من الأنفاس المتهدجة، والعميقة، أبعدت ببطء خصلة شعر عن وجهي، فقد انساب من ضفيرته بعد ذلك الهجوم المفاجئ. شعرت بخصلاتي التي احتكت بظهري كأنها عناكب صغيرة، فسرت القشعريرة في جسدي كله. ملأت بتلات الزهور أرض الكهف كأنها جنود سقطوا جرحى وقتلى أثناء معركة لم يتوقعوها، كما نسيت أن ثمة نفقًا مُغلقًا كان موجودًا في نهاية الكهف.

ضغطت بإحدى شفتيَّ على الأخرى، وأنا أشعر بالغضب من نفسي؛ لو أنني أستطيع أن أستدعي شيطانًا، فهذا يعني أنني أستطيع أن أتغلب على خوفي من بضعة خفافيش.

كان هذا نظريًّا!

وقفت وساقاي ترتعشان، نفضت ملابسي، وأنا أركز انتباهي على دائرة الاستدعاء، وقد انتابني نوع من القلق بسبب الزجاج المكسور الذي لمع في ضوء القمر. انتشرت الدماء على الأرض حول الدائرة، وهو ما لم

يكن جيدًا بالنسبة لي. كان من الضروري أن تسقط *داخل* الدائرة لكي تجذب الشيطان.

قلت غاضبة: «يا لها من خفافيش غبية لعينة». لم أملك علبة أخرى من الدماء، كما أنني سأستغرق وقتًا طويلًا للعودة إلى المطعم. لا بد أن ألقي بالتعويذة الليلة، إضافة إلى أنه لم يتبقَّ سوى ساعتين قبل الفجر، لن أذهب وأعود إلى هنا في الوقت المناسب.

نظرت في الكهف حولي، وقد تملكني اليأس لدرجة أنني كنت مستعدة لقتل أي شيء إذا اضطُررت إلى ذلك. بالطبع، ولأنني أصبحت في حاجة إلى ثعبان أو خفاش، فقد أصبح الكهف الآن فارغًا تمامًا. ركلت الصخور في غضب وأنا أتفوه بأقذع الشتائم التي ستجعل كلًّا من أمي وجدتي تشعران بالصدمة. أخيرًا، نظرت مجددًا إلى ورقتي السحر الأسود اللتين امتلكتهما فيتوريا.

إنها لم تنص بالتحديد على استخدام دماء *حيوانات*، هي فقط نصحت بذلك.

أعدت إشعال الشموع، ثم أمسكت بالخنجر، وأنا أقنع نفسي بأنني أحتاج إلى إتمام التعويذة بأي شكل ممكن. لقد مضى وقت التردد، ولن يقاطعني شيء آخر، سواء أردت أم لا، لو أنني أردت إبطال التعويذة الموجودة على دفتر يوميات فيتوريا، فهذا هو الخيار الوحيد أمامي.

لو أن كل ما عليَّ فعله هو تقديم القليل من دمائي، فهو ثمن بخس لأدفعه.

تجاهلت الألم وأنا أجرح ذراعي بالخنجر؛ لم أستطع جرح كفيَّ لأنني احتجت إلى سلامتهما للطبخ لاحقًا. ولمع الخنجر كأنه سعيد بما أفعل... دون المزيد من التفكير، رفعت ذراعي فوق دائرة الاستدعاء، وما إن لمست أول قطرة دماء الأرض، بدأت ألقي بالتعويذة.

قلت: «باسم الأرض، والدماء، والعظام. أدعوك. تعالَ، ادخل هذا العالم الذي يملكه البشر. انضم إليَّ في هذه الدائرة التي ستصبح

حدودك هنا حتى أعيدك إلى عالمك مجددًا، مقيدًا بدرع الحماية الأبدي».

وقفت دون أي حركة... أنتظر. انتظرت أن تنشق الأرض، أو أن تفتح بوابات الجحيم، أو أن يندفع نحوي جيش من صائدي الساحرات، أو أن يتوقف قلبي، لكن لم يحدث أي شيء. كنت على وشك أن ألقي بالتعويذة مجددًا، عندما بدأ الأمر. التف خيط من الدخان حول حافة الدائرة من الداخل، كأنه كان محبوسًا في زجاجة دون أن يتخطاها إلى باقي الكهف. نبض الدخان بالطاقة، وبدا كأنه يربِّت بحنان على يديَّ. تركت الخنجر، وأنا أسحب ذراعي بعيدًا، وأحتضنه حتى توقف هذا الشعور.

لم أستطع أن أصدق أن الأمر بدأ يحدث. وأخذت موجة أقوى من الظلام تتشكل في الدائرة، ولم أعد قادرة على رؤية أي شيء داخلها. بدأ يتشكل من داخل الظلام ألق أسود لامع. لم أستطع التنفس. سبق ظهور الشيطان صوت يشبه صوت النيران وهي تحترق في الشتاء. لقد فعلتها، لقد استدعيت شيطانًا من الجحيم حقًّا. ولو لم أفقد الوعي من فرط الحماس، لأمكنني أن أعتبر الأمر قد نجح دون خطأ. انتظرت الضباب حتى ينقشع، وقلبي ينبض بقوة.

وكأن هناك ما استجاب لأمنيتي غير المنطوقة، فقد دفع هواء مجهول المصدر ذلك الضباب، وخلفه ظهر رجل طويل أسود الشعر. كان ظهره القوي ناحيتي، وقد ارتدى سروالًا أسود فقط. لم يكن كما توقعته نهائيًّا من شيطان ذي مكانة دنيا. كانت بشرته ذهبية تلمع في ضوء الشموع، وقد غطَّى على ذلك اللمعان وشم بحبر لامع. كان جماله إهانة لما يجب أن يبدو عليه الشر. أظن أنني يجب أن أشعر بنوع من الامتنان لأنني لم أستدعِ ثعبانًا أو كائنًا شريرًا ذا قرنين.

دار الشيطان في مكانه كأنه يتعرَّف على المكان الجديد الذي أتى إليه. لقد دل صدره القوي وعضلات بطنه على أنه مقاتل يجيد استخدام الأسلحة، وتحوَّل انتباهي إلى وشم ذهبي بدأ من أعلى يده اليمنى والتف

حول ذراعه حتى وصل إلى كتفه. كان وشمًا على شكل ثعبان مخيف. ولم يكن لديَّ وقت لكي أنتبه لكل تفاصيله؛ لأنه أصبح يواجهني الآن بشكل كامل، وقد حدَّقت إليَّ عيناه السوداوان المشوبتان بنقاط ذهبية لامعة.

جميل، نادر، وقاتل. على الرغم من أن جدتي قالت إن أعينهم كانت حمراء، فقد عرفت هوية من وقف أمامي على الرغم من اختفاء هذه التفصيلة منه.

همست قائلة: «مستحيل».

رفع حاجبًا... كانت تعبيراته شبيهة بتعبيرات البشر بشكل كبير. نسيت ثانية كيف وصل إلى هذا الكهف. ومن حيث المنطق، فهو يجب ألا يكون له وجود. ومع ذلك، فها هو ذا؛ طويل، أسود الشعر، وغاضب بشدة. لم أستطع أن أحوِّل انتباهي بعيدًا عنه، خوفًا من أن يكون محض خيال؛ ربما كان ذلك الخيال المؤقت هو الثمن الذي ينبغي لي دفعه.

كان من الأسهل كثيرًا أن أظن أن كل هذا حقيقيًا، بدلًا من أن أتقبل فكرة أنني قد نجحت في تحقيق المستحيل؛ لقد أوقعت بواحد من «الشياطين» في هذا العالم. وهو أمر سيئ، سيئ للغاية.

بدا أقرب إلى البشر، لكنه كان تجسيدًا لكابوس مخيف.

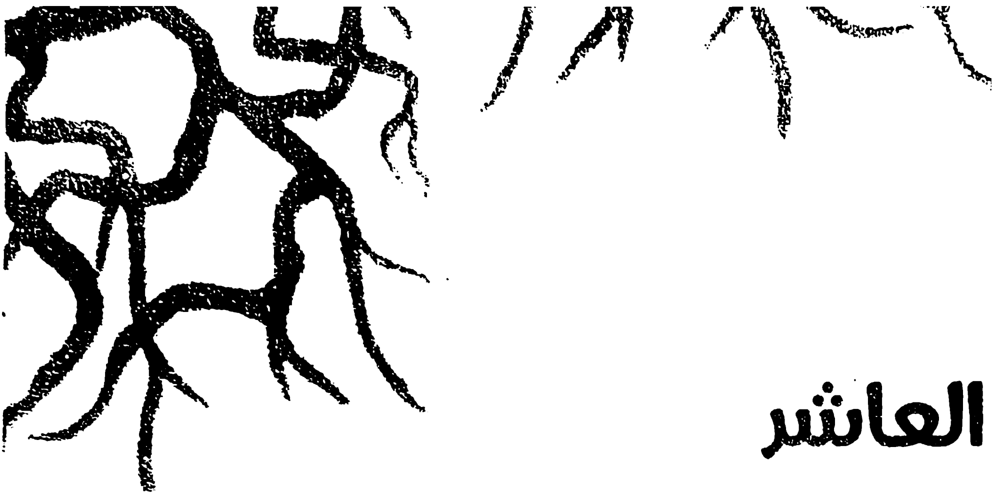
إنه مخلوق ليلي نَهِم للدماء، وسارق للأرواح. قاومت الرغبة في أن أقفز بعيدًا عن الدائرة، وبدلًا من ذلك، ظللت أحدق إلى عينيه. رأيت عاصفة داخلهما، كأنني أقف على حافة شاطئ مظلم، أراقب البرق وهو يقترب في البحر. تسلل الخوف إليَّ في حين استمر هو في التحديق إليَّ. لم أشعر في حياتي بمثل ذلك الامتنان الذي شعرت به الآن عندما فكرت في أنه محتجز داخل الدائرة وأنني بأمان. بشكل غريزي، أمسكت بتميمتي لأحصل منها على بعض الأمان.

بدا مستعدًا لكي... يا إلهي، ما كل هذا الغضب؟ كان يشع بهالة من الوهج الأسود والذهبي. لم أرَ شيئًا كهذا سوى مرة واحدة فقط. اصطدم

بـي الإدراك كقطـار مسـرع، وقـد تركت تميمتي سـريعًا وامتـدت يدي إلى الخنجر الذي سقط على الأرض... خنجره!

كان مقبضه باردًا في برودة الغضب الذي ملأني.

وصرخت قائلة قبل أن أندفع ناحيته: «سأقتلك».



العاشر

تناثرت العظام أثناء هجومي عليه. اندفعت بالخنجر مصوبة إياه تجاه قلبه، لكنه تحرك بخفة شديدة وتفاداه، فلم أنجح إلا في جرح صدره القوي. شعرت بألم غريب حارق تحت جلدي. لم أرد أن أفكر فيما عناه ذلك؛ فربما بسبب امتزاج دمه بدمي على نصل الخنجر، فألقيت تعويذة جديدة، أو ربما منعتني تعويذة الحماية من أن أقتله.

انتزع الخنجر من يدي بكل سهولة وألقاه على الأرض.

ضممت قبضتي وضربت صدره. شعرت كأنني أضرب حائطًا من الصخر.

وقف الشيطان أمامي، تاركًا إياي لأهاجمه. أما من ناحيتي، فقد أرهقت نفسي بركله، ولكمه، أما هو فقد اكتفى بتأمل المكان في هدوء، وهو ما زاد من غضبي. لم يبدُ عليه القلق، وقد تساءلت في داخلي عن عدد المرات التي استُدعي فيها، وكذلك عن عدد المرات التي هوجم فيها.

تأمل الدائرة، ثم عاد بتركيزه إليّ، وقد صب انتباهه على الجرح الذي في ذراعي، وبعدها بدأ العبوس ينتشر ببطء على وجهه.

سألته: «لماذا... لا... تنزف؟ أيها الوحش!». كنت أهاجمه بعنف، فغضبي وكراهيتي له كانا يفيضان عن الحد، لدرجة أنني بدوت كأنني ثملة جراءهما.

نظرت إليه، فرأيته يغلق عينيه كأنه يستمتع بتلك المشاعر المظلمة التي سيطرت عليَّ. قالت جدتي إن الشياطين يجذبون المشاعر إليهم، سامحين لها بالاختلاط بمشاعرهم الخاصة، ومن التعبير الذي رأيته على وجهه، بدأت أفكر في أن ما قالته كان صحيحًا.

انتابني شعور بالاشمئزاز، فتوقفت عن لكمه، ووقفت لألتقط أنفاسي، وأعيد لم شتات نفسي. انسالت الدماء على ذراعي تجاه الأرض. لم تكن دماءه، كانت دمائي التي سالت من الجرح الذي تسببت به لكي أستدعيه. حتى لو كان ثمن إرساله إلى الجحيم معي هو أن أنزف دمائي كلها، فلن أتردد في ذلك.

قال: «لديَّ نصيحة لكِ، أيتها الساحرة، إذا صرختِ بـ"سأقتلك"، فستفقدين عنصر المفاجأة قبل الهجوم». قالها وأنا أضربه بقبضتي في بطنه. أصبحت لكماتي أضعف، بينما لم يبدُ أنه قد تأثر بأي شيء.

أكمل قائلًا: «لن تتمكني من قتلي، لكن ما تفعلينه تمرين جيد لكِ».

«ربما لن أستطيع قتلك، لكنني سأجد طرقًا أخرى لكي أجعلك تعاني».

«ثقي بي، إن وجودك وحده كافيًا لتحقيق تلك المعاناة».

ارتفع صوت قطرات الدماء وهي تصدر هسيسًا بعد ارتطامها بالأرض داخل الدائرة. لم أعد أتحمل ذلك الألم الحارق الذي ازدادت حدته، لكن الغضب أجبرني على تجاهله.

سألني: «ما التعويذة التي ألقيتها أيتها الساحرة؟».

توقفت عن لكمه، وأخذت نفسًا، ثم أخبرته بها.

لم أكن متأكدة مما إذا كان يعرف بالضبط ما تعنيه التعويذة، لكن بدا أنه قد فهم ما تعنيه بشكل عام، ويبدو أنها لم تكن بالشيء الجيد بالنسبة إليه، فقد نظر إليَّ كأنه على أتم الاستعداد لجري معه إلى الجحيم في الحال. فجأة ابتعد عني، وقال في غضب: «ماذا تقولين؟!».

أجبته: «حسنًا، بالنظر إلى أنك هنا، وأنك غاضب، وغير قادر على مهاجمتي، أعتقد أنها تعويذة استدعاء، أيها الشيطان». ثم شبكت ذراعيَّ أمامي وأنا أضيف: «وألقيت تعويذة أخرى للحماية».

فجأة، ومن حيث لا أدري، لمع ضوء ذهبي فوق ذراعي قبل أن يتبدد، ويتحول إلى بنفسجيّ هادئ. بعدها ظهر وشم يحمل اللون البنفسجي الباهت نفسه - على شكل هلالين متشابهين ومتقابلين داخل دائرة من النجوم - أعلى ذراعي. وشعرت بأن ذراعي تحترق.

وقفت في مكاني، ألهث حتى اختفى الألم من كتفي. راقبته وهو ينظر إلى ذراعه كذلك ويضغط أسنانه بقوة. من الواضح أنه كان يعاني ألمًا شديدًا كذلك.

هذا جيد.

«أيتها الساحرة اللعينة، لقد وضعت علامة عليَّ».

ظهر وشم لونه باهت أعلى ذراعه كذلك، كان عبارة عن هلالين متشابهين ومتقابلين داخل دائرة من النجوم. لوهلة، بدا كأنه يجد صعوبة في استيعاب أنني قمت بشيء ظنه مستحيلًا. ولكي أكون صادقة، لم أكن متأكدة من سبب حمل كلينا وشمين متشابهين، لكنني أفضل الموت على أن أعترف له بأنني أجهل هذا.

لا بد أنه الثمن الذي عليَّ دفعه لاستخدام السحر الأسود من أجل استدعائه. كدت أضحك، عندما أخبرتني كارولينا بأن التعاويذ ستستحضر شيطانًا ذا مكانة أقل، لم أصدقها. تساءلت في نفسي ما إذا كان كل هذا مجرد كابوس؛ لأنه من المستحيل أن أكون قد استدعيت أميرًا من أمراء الجحيم. سيتطلب التحكم فيه سحرًا أكثر من الذي أستخدمه.

«هذا مستحيل».

وجَّه ذراعه نحوي وهو يقول: «وهو شيء يمكننا أن نتفق عليه. أخبريني بما قلته بالضبط وأنت تلقين التعويذة. علينا أن نعكسها قبل أن يفوت الوقت. لم يعد لدينا سوى دقائق قليلة على هذا».

«لا».

«لا فكرة لديكِ عما فعلته. أحتاج إلى أن أعرف ما قلته بالضبط. الآن، أيتها الساحرة».

كنت أعي تمامًا ما فعلت، فبعيدًا عن إزعاج سموه الملكي، حرصت على ألا ينتهي الأمر بأي منا وقد قتله الآخر. يبدو أن الوشمين هما بمنزلة رابط سحري بيننا. وهو يريدني أن أعكس التعويذة، وأبطل ذلك الرابط لكي ينتزع قلبي كما فعل مع شقيقتي.

قلت مستنكرة طلبه: «هذا لا يصدَّق، تلقي بالأوامر والطلبات في حين أنك لست المتحكم في الأمور هنا». تغيَّر تعبيره إلى تقزز تام. وآملت أن يكون هذا انعكاسًا لتعبير وجهي أيضًا، فأضفت: «*أحتاج إلى أن أعرف* هويتك، والسبب وراء قتلك أختي. وبما أنك لا تستطيع العودة إلى الجحيم من دون أن أسمح لك بذلك، فأنا أقترح عليك أن تتبع قواعدي».

لست متأكدة مما أحسست به، لكن بدا كأن طبيعة الهواء حولنا قد تغيرت. انتابني إحساس غريب بأن قوته قد انسابت منه، وأحاطت بي، ثم ابتعدت. نفث في غضب. ازداد غضبه بسبب القيد السحري الذي قيدته به وقد حاول التحرر منه. راقبته وابتسامة متشفية مرتسمة على وجهي. لو أنه لم يكن يكرهني من قبل، فقد نجحت في جعله يكرهني الآن، ممتاز، يبدو أننا قد بدأ كل منا يفهم الآخر.

«في يوم من الأيام، سأتحرر من هذا القيد. أريد منكِ أن تفكري في هذا الأمر جيدًا».

اقتربت منه، ورفعت وجهي إليه وقلت: «في يوم من الأيام، سأجد طريقة لأقتلك بها. أريد منك أن تفكر في هذا الأمر جيدًا. الآن، أخبرني من أنت، ولماذا أردت قتل فيتوريا؟».

ابتسم ابتسامة كريهة من المرجح أنها قد تجعل أعتى البشر يشعر بالرعب، لكنني منعت نفسي بصعوبة من أن أستسلم للخوف، ثم قال: «حسنًا، بما أنكِ ليس أمامكِ وقت طويل على احتجازي هنا، وأنكِ بالفعل

قد أضعتِ وقتًا ثمينًا من خلال محاولتك البائسة لقتلي، فسأسايركِ. أنا الأمير راث أمير الغضب، وقائد الحرب، وأحد الأمراء السبعة الذين يرهبهم الجميع».

قبل أن أتمكن من أن أطرف بعيني، وجدته قريبًا مني يحرك إصبعه على رقبتي، ثم يتوقف عند الشريان الذي ينبض تحت جلدي. ملأني الخوف الشديد والرهبة. دفعت يده بعيدًا عني، وخرجت من دائرة الاستدعاء. لاحظت أن العظام قد تناثرت في كل مكان فأسرعت بإعادتها إلى مكانها.

تحوَّلت ابتسامته إلى شيء عنيف وشرير.

«تهانئي أيتها الساحرة. لقد نجحتِ في الحصول على انتباهي كله. أرجو أن تكوني على استعداد لتحمل العواقب».

كان الغرور يفوح منه، أحمق من لا يشعر بالرعب من الوحش الذي شعرت به مختبئًا تحت وجهه ذاك. كان يشع بالقوة... قوة كبيرة وقديمة، قِدم الدهر ولم يكن لديَّ شك في أنه يستطيع أن ينهي حياتي دون أي تردد.

لا بأس، ابتسمت.

فجأة، ودون أدنى مقدمات، انحنيت إلى الأمام، وبدأت أضحك. تردد صوت ضحكاتي داخل الكهف، وقد تضخم لدرجة أنني أردت أن أسد أذني. أمسكت بمعدتي، وأنا أجاهد لألتقط أنفاسي بسبب انفجاري في الضحك بهذا الشكل. ربما أصابني الجنون، لقد انتقلت هذه الليلة من حال سيئ إلى أسوأ أسرع مما تصورت، ولم أصدق أنني قد استدعيت شيطانًا من العائلة المالكة. لم أصدق أن الشياطين الملكيين لهم وجود من الأساس، لقد انقلب عالمي رأسًا على عقب.

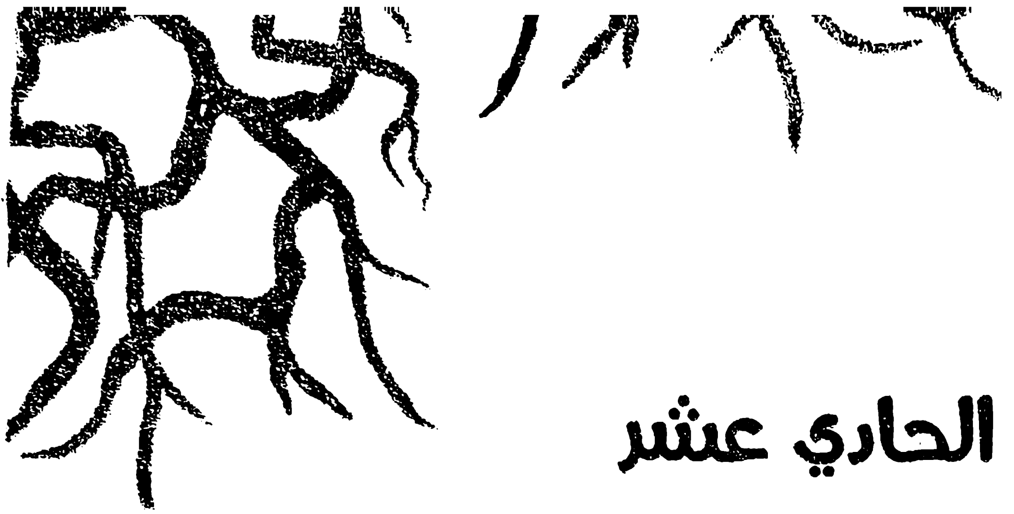
انفجر فيَّ قائلًا: «أنا سعيد لأنكِ تجدين فكرة الموت الوشيك ممتعة، وهو ما سيجعلني أتلذذ بقتلك أكثر. وأعدكِ بأن موتك لن يكون سريعًا. سأستمتع بكل لحظة منه».

أشرت بيدي كأنه لم يكن سوى ذبابة مزعجة. كنت أشعر بغضبه المُنصب عليَّ. ومع ذلك، شعرت بأنه كان يكبح نفسه عن مهاجمتي، وهو ما أقلقني.

«أخبريني، *أرجوكِ*، ما سبب ضحككِ بهذا الشكل؟».

اعتدلت في وقفتي وأنا أمسح الدموع التي سالت من عينيَّ، وقلت: «وكيف ينبغي لي بالضبط أن أدعوك؟ جلالتك؟ أوه، أم يا أحد السبعة العظام المرهوبين؟ أم سيادة القائد العام لجيوش الجحيم؟ أم الأمير راث؟».

تحركت عضلة في فكه وهو يحدِّق إلى عيني، ثم أجاب: «يومًا ما ستنادينني بأمير الهلاك، أما الآن فراث يكفي».



الحادي عشر

لن يقول أي أمير من أمراء الجحيم اسمه الحقيقي أبدًا لأعدائه. ويمكن استدعاؤهم فقط من خلال شيء يمتلكونه على أن يمتلك الشخص الذي يستدعيهم أيضًا مشاعر قوية للغاية فيما يخص حدث ما. ترتبط قواهم بالخطايا التي يمثلها كل واحد منهم. احذر، فهم كائنات أنانية تريد استغلالك لصالحهم.

- ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

تساءلت ساخرة: «راث؟». لم أحاول أن أخفي نبرة صوتي الممتعضة كذلك. بل تجاهلت الجملة الدرامية التي بدأ بها حديثه «ستنادينني بأمير الهلاك»، فقد ثبت أن تلك الليلة اللعينة أبعد ما تكون عن كل ما تخيلته، وعن كوني أؤمن بأنه «من المستحيل أن يكون القدر قاسيًا بهذا الشكل». أولًا، كنت متيقنة من أن صائد ساحرات هو من قتل فيتوريا، لكنني اكتشفت الآن أن من قتلها كان من تلك الكائنات التي ظللنا نختبئ منها طوال حياتنا. بعدها، وقع الشيطان الذي قتل أختي في يدي، وهأنذا غير قادرة على إلحاق الأذى به...

لا بد أنني قد أزعجت إلهة ما بشدة لكي تعاقبني بهذه الطريقة البشعة. كان اسمه الغبي وكل ألقابه تلك هي آخر ما يمكنني القلق بشأنه،

لكن الغضب الذي انبعث منه وأنا أضحك جعلني أميل إلى تعذيبه بهذا الشكل.

قلت: «هذا سخيف، أنا لن أدعوك باسم معناه ' الغضب'. فما اسمك الحقيقي؟».

لاحقتني نظراته الباردة وأنا ألتقط خنجره عن الأرض.

قال: «لا شأن لكِ باسمي الحقيقي. ستنادينني بلقبي، إلا إذا كنتِ ترغبين في أن تدعوني بصاحب السمو الملكي للرغبات التي لا يمكن إنكارها. وهو خيار مقبول دائمًا. وإذا أردتِ أن تنحني لي وأنتِ تنادينني بهذا الاسم، فلا بأس في ذلك أيضًا، فمع بعض التذلل قد أحقق أمنيتكِ قريبًا وأمنحكِ موتًا هادئًا».

كشفت عن أسناني في حركة عدائية لا إرادية، وقلت له: «هل أنت متأكد من أنك من بيت آل راث؟ لو أنني لم أكن على دراية بالأمر، لقلت إنك قائد تافه صغير من كتيبة لا ترتدي القمصان تابعة لبيت آل النرجسية».

لم يبدُ عليه الاستمتاع بما قلته حينما قال: «هل ينبغي لي أن أشعر بالخجل مثلًا؟ بما أنكِ لا تطيقين صحبتي، فلمَ لا تطلقي سراحي؟».

«أبدًا».

رد قائلًا: «إن هذه كلمة خطيرة. لو أنني مكانكِ لتجنبت استخدام كلمات مثلها، إذ من طبيعتها عادة ألا تبقى *أبدًا*».

أجبرت نفسي على التنفس بانتظام. ما أردته قبل أن أتعرف على هويته كونه قاتل شقيقتي هو إجابات عن أسئلتي. والآن، أردت أن أقتله وأقطعه آلاف القطع ثم أطعمه لأسماك القرش.

سألته: «لماذا قتلت شقيقتي؟».

تجوَّل ببطء داخل دائرة الاستدعاء، غالبًا لكي يختبر مدى قوتها، ثم سألني: «أهذا ما تظنينه؟ أنني انتزعت قلب أختكِ من مكانه؟».

قلت له: «كنت تقف أمام جثتها، *وتلعق دماءها التي لطخت أصابعك*، أيها الوحش المقزز».

تنفست بغضب، وأنا أراقبه من كثب، على الرغم من أنه كان مجهودًا لا طائل من ورائه. كان وجهه خاليًا من التعبيرات بشكل غير آدمي. لم يظهر أي تعبير قد يكشف عمَّا يدور في رأسه. دون تفكير، أمسكت بتميمتي مجددًا.

وسألته: «*لماذا* قتلت شقيقتي؟».

«لم أقتلها».

«ولماذا ينبغي لي أن أصدقك؟».

عاد ليقول: «كان موتها حادثًا مزعجًا».

رددت وراءه في استنكار: «*مزعجًا*؟».

وأمسكت بمقبض الخنجر، وأنا أفكر فيما إذا كان عليَّ أن أطعنه به في قلبه قبل أن يرد الضربة إليَّ. وفي الحقيقة هو لم يوجِّه أي ضربة إليَّ، بل لم يقم كذلك برفع يده عليَّ بينما أركله وألكمه، وهو أمر غريب باعتباره شيطان حرب. هززت رأسي، إن كل هذا بسبب تعويذة الحماية، وليس لأنه يمتلك ضميرًا.

قلت له: «نعم، أستطيع أن أتخيل كم كان الأمر مزعجًا *لك* أن تجد أختي بعد أن قُتلت. لماذا كنت في الدير إذن؟».

ومض ضوء ذهبي لامع، ثم خفت تدريجيًا ناحية الأرض، كأنه شلال. استغرق مني الأمر ثانية لكي أدرك أنه كان يجيبني فقط بسبب دائرة الاستدعاء، ومن الواضح أنه كان يقاومها. شعرت بالشجاعة وأنا أقترب من العظام، وأسأله مجددًا: «لماذا كنت هناك في تلك الليلة؟».

اشتعلت الكراهية في عينيه وهو يجيبني: «*من أجل شقيقتك*».

سألته: «ما الذي أردته منها؟».

ابتسم مجددًا، لكنها بدت ابتسامة وعيد أكثر مما تنم عن استمتاع، أجابني: «لقد عقدت صفقة مع أخي، وقد أتيت لآخذ حقه من تلك الصفقة».

استدرت بعيدًا عنه سريعًا، وأنا آمل ألا يكون قد رأى دهشتي. كنت أشك في أن فيتوريا قد عقدت صفقة مع شيطان ما لكيلا يستطيع أحد أن يفتح دفتر يومياتها، لكنني لم أظن أنها قد استدعت واحدًا من «أمراء الشياطين». انتقل تركيزي إلى السلة التي أحضرتها معي... خبَّأت يوميات شقيقتي فيها. قالت لي كارولينا جريمالدي إن بها ما يجعل «الشياطين» يحضرون. أتساءل عما إذا كان راث قد شعر بها الآن. لم أرده أن يضع يده اللعينة تلك عليها. وقررت ألا أسأله عن كيفية إبطال التعويذة التي على اليوميات. واجهته مجددًا، وسألته: «ما كانت شروط تلك الصفقة؟».

أجابني: «لست متأكدًا».

ضاقت عيناي في تفكير. بدا واضحًا أنه يكذب، لكنني لم أملك ما أستطيع أن أجبره به على الاعتراف بالحقيقة، إلا إذا استخدمت إحدى التعاويذ المحرَّمة، لكنني أعدت التفكير في الأمر؛ فقد استعملت ما يكفي من السحر الأسود في ليلة واحدة. ولم أرد أن أختبر حظي أكثر من ذلك. سألته: «ماذا فعلت بقلبها؟».

كزَّ على أسنانه وهو يجيبني: «لا شيء، كانت قد غادرتها الحياة عندما وصلت إلى المكان».

جفلت، فعلى الرغم من أنه لم تكن هناك أي قسوة في نبرته وهو يجيبني، ظل تعامله الجاف مع موت أختي يؤلمني. سألته: «لماذا تريد أن تعرف الكلمات التي قلتها في التعويذة؟».

جاءت إجابته هذه المرة أبطأ من قبل، كأنه يختار كلماته بعناية. أخيرًا قال: «لكي ألتزم بقواعدها؛ أحتاج إلى أن أفهم تعويذة الحماية - كما أسميتها - بشكل تام. ومعرفة الكلمات التي قلتها ستساعدني على أن أتأكد من اتباع الآخرين لها كذلك. وضعت 'الدوائر السبعة' قواعد

صارمة بهذا الشأن وعلينا جميعًا أن نلتزم بها، وإلا فالعواقب وخيمة إذا لم نفعل».

سألته: «عندما قلت 'الآخرين'، هل كنت تعنيني أنا؟».

هز رأسه نافيًا.

«من إذن؟».

«إخوتي».

كنت أعرف أن هناك سبعة أمراء للجحيم، لكنني لم أظن أنهم كانوا ذوي قرابة. شعرت بالخوف من فكرة أن هناك عائلات كاملة من الشياطين. وسألته: «هل يجب على كل الشياطين أن تتبع تلك القواعد، أم أنها تسري فقط على أمراء الجحيم؟».

قال لي: «بما أننا نتشارك الأسرار الآن، فأنا أرغب في أن أعرف عدد الساحرات اللاتي يعشن على هذه الجزيرة، واسم كبيرة الساحرات في كل مدينة. أخبريني أيضًا بمكان كتاب سحر الساحرة الأولى 'لابريما'، وسأعتبر بهذا أننا قد تعادلنا».

ابتسم في سخرية بسبب علامات الرفض التي ارتسمت على وجهي، وقال: «كنت أعرف أن هذا لن يروقكِ، لكنني أريد أن أعرف ما الكلمات اللاتينية التي استخدمتها أثناء إلقاء التعويذة الليلة؟».

وازنت بين مزايا إخباره بالأمر ومساوئه. لن يستطيع أن يؤذيني، وهو ما كان واضحًا لكلينا، كما أنه لن يستطيع إبطال التعويذة، أنا فقط من أستطيع القيام بذلك.

أخبرته بالكلمات اللاتينية.

في لحظة، بدا كأنه قد توقف عن التنفس. اكتفى بالتحديق إليَّ، والتعبير المرتسم على وجهه أقرب إلى الرعب. ملأني شعور عميق بالرضا؛ فلن ترى ساحرة مثل هذا الخوف على وجه أمير من أمراء الجحيم كل يوم، وبخاصة أمير الحرب العظيم.

سألته دون أن أهتم بإخفاء نبرتي المتشفية: «ماذا؟ ليس لديك أي تعليق سمج لتقوله؟ لا بأس، أعرف أنها تعويذة مثيرة للإعجاب».

أجابني وهو يشبك ذراعيه أمام صدره ويواجهني بنظرة فارغة: «المثير للإعجاب هو مدى خطئك، فبعيدًا عن محاولتك الطائشة استخدام السحر الأسود، سأعرض عليكِ صفقة جيدة في المقابل، مدتها قابلة للنقاش، لكن كيف ستتمها بيننا، فهذا أمر غير قابل للنقاش».

شعرت بارتفاع حرارة وجهي. لقد قالت لي جدتي إن معظم صفقات «الشياطين» تقريبًا تتضمن العناق لإتمام الصفقة، وإنه ما إن يحدث هذا، يفقد المرء أي شعور بما حوله على الفور، ويصبح راغبًا دائمًا في المزيد، وقد يصل به الأمر إلى أن يعرض روحه قربانًا لكي يتذوق تلك الخطيئة التي أدمنها مرة أخرى. لم أعرف ما إذا كان كل هذا صحيحًا، لكنني لم أكن مستعدة للمخاطرة.

قلت له: «أفضِّل الموت على أن أعانقك أيها الشيطان».

لم أرَ في ملامحه أي نوع من الاستمتاع وهو يفحصني من رأسي حتى أخمص قدميَّ مُقيِّمًا إياي. نظر ببطء شديد إلى جسدي، وطريقتي في الوقوف، وأنا أوجه الخنجر ناحية قلبه. ولو أنه نظر إلى العظام المتناثرة في دائرة حوله، ما كان ليعيرها أي اهتمام، ولكن عندما أعاد انتباهه إلى وجهي، كان هناك شيء مظلم في نظرته... شيء بدا كأنه قد صُنِع في أعمق أعماق الجحيم.

سرت البرودة في عظامي، كأنها تحذرني من أن ذاك الذي يقف أمامي لم يكن أميرًا مثل الأمراء الذين يحكون عنهم في القصص الخرافية... فذراعاه القويتان لم تكونا وعدًا بالحماية... كانتا الموت والغضب والنار. وأي شخص ينسى ذلك بغبائه، ستلتهمه نيران الجحيم.

اقترب مني بما يكفي لدرجة صار بإمكاني طعنه إن أردت، وقال لي: «يومًا ما ستتوسلين إليَّ لكي أعانقك». انبعثت منه حرارة عالية وحاصرتني. وانسالت قطرة من العرق على ظهري. ارتجفت. كانت

رائحته تشبه رائحة النعناع وأيام الصيف الداهئة، وهو أمر غريب للغاية يتنافر مع ذلك الظلام الذي أحاط به.

أكمل قائلًا: «قد تكرهين الأمر، أو تحببينه، لكن ذلك الإغراء سيجري في عروقك السحرية تلك ويقضي على حسك المنطقي. ستريدينني أن أنقذك من العذاب الأبدي بأن أمنحك كل شيء تكرهينه. وعندما أفعل ذلك، سترغبين في المزيد».

تحرك بسرعة وهدوء لم ألحظهما. وتجمدت في مكاني وهو يهمس لي، وشفتاه تكادان تلامسان رقبتي، قائلًا: «لا تقلقي، سيتحتم عليكِ أن تصبحي آخر مخلوقة في كل العوالم مجتمعة لتكون لدي رغبة فيك، أيتها الساحرة. حتى إذا حدث ذلك، فربما لن تكوني قادرة على إرضائي. إن ما أعرضه عليكِ هو صفقة رباط الدم».



الثاني عشر

لا تعقد صفقة مع شيطان أبدًا وبخاصة مع أمير من أمراء الجحيم. إن أكاذيب الشرير تشبه السكر - حلوة، لكنها تقتلك بمرور الوقت. احذر، إذ إن هناك أنواعًا قليلة من الترياق الذي يمكن تصنيعه لإنقاذك من سم كهذا.

- ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

انتفض قلبي بسبب قربه مني، لدرجة أنني كدت أسمع صوت نبضاتي حتى مع الصوت العالي للأمواج المتلاطمة في الأسفل. استقر على هذا الوضع لحظة قبل أن يبتعد عني، وقد بدا أنه لم يسمع دقات قلبي العنيفة فقط، بل استمتع بالخوف الذي عبرت عنه. تساءلت في داخلي عمَّا إذا كانت قد ذكَّرته بطبول الحرب، وفيما إذا كان قد افتقد فجأة خوض المعارك. أنا بالتأكيد شعرت بذلك. فاضت داخلي العديد من المشاعر، فوجدت صعوبة في أن أتخذ قرارًا. فكرت في صفقة أختي المحتملة مع أخيه... صفقة دماء مع راث. يا لها من ليلة غريبة ومستحيلة. كما أنني ما زلت أجد صعوبة في تصديق أن «أمراء الشياطين» حقيقيون، بل إن أحدهم يقف أمامي الآن ويعرض عليَّ صفقة.

سألني: «إذن، هل أنتِ مستعدة لقبول ما عرضته عليكِ؟».

قلت له: «أنت لم تكلف نفسك عناء شرح سبب عرضك هذه الصفقة عليّ؛ لذلك إجابتي هي لا».

أخذ نفسًا عميقًا، وكأن قيامه بتفسير ما يعنيه لساحرة قد أرهقه؛ لكنه قال: «وفقًا لشروط تعويذة الحماية الخاصة بكِ، لا بد لي أن أتأكد من أنكِ تحت الحماية. تفرض عليّ التعويذة ألا أؤذيكِ، وكذلك أن أحميكِ من الآخرين؛ لذلك رباط الدماء بيننا سيجعل الشياطين الآخرين يدركون أنكِ قد أصبحت، بشكل مؤقت، فردًا من آل راث، وهذا يعني أنهم لن يستطيعوا قتلك أو إيذاءك بعنف. والآن، هل توافقين على رابط الدماء بيننا؟».

ألا يؤذوني بعنف لا تعني أنهم لن يؤذوني على الإطلاق. حدَّقت إليه، وأنا أعض شفتيّ. وبعد دقيقة، هززت رأسي ببطء.

قلت: «لا، لا أظن أنني سأوافق. أنت مقيد حتى أحررك، وأنا لا أنوي استدعاء أي شيطان آخر، لهذا، فأنا لا أحتاج إلى حمايتك».

«أولًا، أنا مقيد داخل هذه الدائرة لمدة ثلاثة أيام فقط، لا إلى أن تحررينني أنتِ. أما بخصوص تعويذة الحماية، فللأسف، أنا ملزم بها للأبد». حرك كتفيه، لكن يبدو أن هذه الحركة لم تساعد على تخفيف التوتر بهما. فأضاف قائلًا: «ثانيًا، سيسمح لي رباط الدم بيننا بأن أشعر بكِ عندما تتعرضين للخطر، ومن دونه، لن أضمن سلامتك. وهو ما يعرضني لمخالفة القواعد التي وضعتها أنتِ عندما ألقيتِ تلك التعويذة».

«هكذا إذن!»، وبدا في نبرتي أنني أتهمه بالكذب البيِّن، ثم أضفت: «لا يهمني أيًا من هذا. عندما ينتهي وقتنا، سأرسلك إلى الجحيم مجددًا، وليس إلى الحي التجاري».

قال: «لا تخبريني بأن هذه أول تعويذة استدعاء تقومين بها! يبدو أنها كذلك بالفعل!». راقبني بحرص، فحدقت إليه، لكن دون أن أقول أي شيء أنفي به الأمر. تنهَّد وقال: «بالطبع، إنه حظي؛ أنا الآن مقيد إلى ساحرة

لا تفهم ما تفعله. أسدي معروفًا لكلينا ولا توافقي على عرضي. أفضِّل ألا أصبح كلبك الحارس على أي حال».

أملت رأسي وأنا أقول له: «ستأتي متى استدعيتك؟».

أجابني: «ليس بالضبط، لكن كما قلت من قبل، سأعرف عندما تحتاجين إليَّ».

سألته: «لماذا تهتم بأمر حمايتي؟».

«لا أهتم، لكن بفضل تعويذتكِ أنا مجبر على هذا، وإلا فأنا أخاطر بأن تضعف قواي. لهذا السبب، أنا ألتزم بالقواعد. بعضنا يتقبَّل تنفيذ نصيبه من الصفقة والقيام بواجبه».

بالتأكيد لديه حق، لكن هذا فقط عندما يفرض علينا السحر ذلك.

سألته: «كيف تعمل تعويذة الحماية تلك بالضبط؟».

أجابني: «سيشعر بقية الشياطين بالرباط الذي بيني وبينكِ وسيفكرون أكثر من مرة قبل أن يؤذوك. ربما لن تنجح التعويذة في إقناع معظمهم بألا يقتلوكِ، لكنها على الأقل ستجعلهم يفكرون قبل أن يفعلوا ذلك؛ لأنهم بقتلكِ سينالهم غضبي عقابًا لأنهم تدخلوا في شئون تتعلق بعائلتي».

على الرغم من أنني كرهت الفكرة، لكن أن يكون شيطان الحرب هو «ملاكي الحارس» لم يكن بالشيء السيئ. ولم يكن عليَّ أن أثق به، أو أن أحب وجوده أيضًا - كل ما أحتاج إليه هو أن أؤمن بحدسي الشخصي. والآن، أنبأني حدسي بأنه لم يكن مسئولًا عن موت شقيقتي. كنت متأكدة بشكل أو بآخر بأن هذه الصفقة ستفيده أكثر مني، لكنني سأجد طريقة في النهاية لكي أجعلها تصب في مصلحتي أنا. حتى لو لم أستطع فعل ذلك، لا يهم. يبدو أن راث لم يرغب في موتي، وأنا من ناحيتي أحتاج إلى أن أظل حية لكي أعرف حقيقة ما حدث لفيتوريا».

قلت: «حسنًا، أنا أقبل صفقة رباط الدم بيننا».

سألني: «بإرادتك؟». أومأت، فقال لي: «أعطني خنجري».

ترددت لحظة، وأنا أتذكر تعويذة الحماية التي ألقيتها عليه. للمرة الأولى منذ أن ظهر في الكهف، بدا منشرحًا وأنا أضع خنجره في يده. قبل أن أغيّر رأيي، جرح إصبعه فخرجت بضع قطرات من الدماء. شُفي جرحه تقريبًا ما إن جرحه.

سألته: «لن أضطر إلى أن... أشربه، أليس كذلك؟».

ألقى إليّ نظرة سريعة قبل أن يسألني: «أي نوع من القصص تسمعينها عنا؟».

تمتمت: «أشرار شاربون للدماء». لا بد أنه سمعني لأنه لم يكلف نفسه عناء سؤالي عن توضيح ما قلت.

أوضح لي قائلًا: «سيكفي مزج دمي بدمكِ، إلا إذا كنتِ تفضلين شرب الدماء».

زاد التحدي في نظرتي الثابتة تجاهه وأنا أرفع ذراعي التي ما زالت تنزف، وقام هو بضغط إصبعه على الجرح. عكس تقززه من الأمر التقزز الذي شعرت به داخلي. ضغطت على أسناني؛ فتبادل دمائي مع شيطان لم يكن بأفضل ما يمكن أن يحدث، لكن ما باليد حيلة.

قال: «كرري خلفي، أنا... مهما كان اسمك الكامل، أقبل بشكل كامل صفقة رباط الدم تلك بيني وبين بيت آل راث لمدة ستة أشهر».

«ستة أشهر؟»... صرخت وأنا أنزع ذراعي من قبضته وأقبض بكفيّ على أصابعي. أكملت قائلة: «هذا سخيف! ماذا لو أنني لا أريد حمايتك كل هذه المدة؟».

ضغط بإصبعيه على جانبي رأسه، وسألني: «ما الذي تريدينه أيتها الساحرة؟ لماذا استدعيتني؟».

أجبته قائلة: «لكي أكشف هوية قاتل شقيقتي».

سأل: «وماذا أيضًا؟».

ترددت في إجابته، ففي الأصل أردت أن أستدعي شيطانًا لكي أُبطل التعويذة التي تقيّد دفتر يوميات شقيقتي. وبالتأكيد أنا لم أرد أن يعرف

راث أي شيء عنها الآن. على الأقل حتى أعرف السبب الذي دفع كارولينا إلى قول إنهم سيأتون للبحث عنه.

أجبته: «هذا هو السبب الوحيد».

قال: «أنتِ تكذبين».

«وأنت ألم تكذب عليَّ؟».

هز رأسه وقال: «لأنني مرتبط بكِ الآن، فأنا ممنوع من الكذب، إذ لو فعلت، فسيكون أمرًا غير لائق».

قلت له هازئة: «بالتأكيد. لا بد أن يحافظ المرء دائمًا على أخلاقه بينما ينتزع قلوب أعدائه من أماكنها». نظرت إليه من رأسه حتى قدميه، وكأنني أقيمه. لم أكن لآخذ كلمته دون تشكك بهذه البساطة، فسألته: «لو أن السحر الذي استدعاك لم يكن مقيدًا بتعويذة الحماية، فهل كنت ستؤذيني؟».

أجابني: «لو أنني كنت مضطرًا إلى ذلك، نعم، فسأؤذيكِ».

بدا كأن الفكرة تعجبه، على الأقل كان يقول الحقيقة فيما يخص عدم قدرته على الكذب. وبدلًا من أن أرد عليه - إذ بدا أنه ينتظر ردي - لذتُ بصمت. اعتادت جدتي إخبارنا أننا يمكن أن نكتسب المزيد إذا تعلمنا قراءة جو المحادثة بيننا وبين الآخرين. كان شيطان حرب، لكنني فهمت إستراتيجيته أيضًا. لم يستغرق كثيرًا قبل أن يكسر هذا الصمت قائلًا: «صدقي ما تريدين تصديقه أيتها الساحرة، لكننا يربطنا هدف واحد، وهو أن نعرف هوية قاتل شقيقتك».

أنا وهو لم نكن مرتبطين بأي شيء، ولن نصبح هكذا أبدًا. انتشر الغضب داخل الكهف سريعًا وبشكل متزايد تخطت قوته قوة الرياح، وبدا كأنه يعوي. نظر إليَّ في ملل جعلني أشعر بالمزيد من الغضب. سألته: «ولماذا تهتم بكشف هوية الشخص الذي قتل شقيقتي؟».

أجابني: «أنا لا أهتم، لا تظني أنني إنسان لديه نيات نبيلة».

قلت: «إذا أردتني أن أثق بك بشكل كافٍ لكي تعقد صفقة رباط الدم بيننا، أو مهما كان اسمها، فأنا أحتاج إلى أن أعرف لماذا تريد أن تحل لغز مقتلها».

ظل صامتًا دقيقة، وقد بدا أنه يفكر في نوع المعلومات التي يجب أن يشاركني إياها. ثم قال: «أريد أن أوقف القاتل قبل أن يقتل مجددًا. وارتباطي بكِ ليس بالأمر الجيد، لكنه قدري الذي أجبرني على هذا، وأنا أحاول أن أجعل الأمر يصب في مصلحتي، فأنتِ لستِ ساحرة فقط، مثل كل الضحايا اللاتي قُتلن من قبل، بل لديكِ صلة قرابة لآخر ضحية. وفي وقت ما في المستقبل، أؤمن بأنكِ ستصبحين مهمة من أجل الإيقاع بذلك القاتل؛ لذلك أرغب في أن أشعر بكِ عندما تتعرضين للخطر لكي أحضر وأقضي على أي تهديد».

فتحت فمي لأتحدث، لكنه رفع يده لكي يمنعني من ذلك، وأكمل: «لن أخبركِ بأكثر من ذلك إلا إذا وافقتِ على رباط الدم بيننا».

لم يكن راث يكذب، وهو لن يخبرني بأي شيء آخر إلا إذا وافقت على الصفقة. ربما أوافق على تلك الصفقة بمحض إرادتي، لكن في الوقت نفسه، لم يبدُ أنني أمام أي خيار آخر. فكرت في شقيقتي، وعرفت ما عليَّ فعله بالضبط. أخذت نفسًا عميقًا وقلت له: «هل ستخبرني بالمزيد عن علاقة أختي بأخيك؟».

قال: «سأخبركِ بكل ما هو ضروري فقط».

يا له من شيطان مخادع، فكل المعلومات «الضرورية» لم تعن كل المعلومات. حدَّقت إليه، محاولة أن أفهم سبب ذلك القلق الذي يتزايد داخلي. ادَّعى أن رباط الدم جزء من تعويذة الحماية التي استخدمتها، لكنني لم أكن متأكدة من ذلك. فكرت في أن هناك صلة بيننا، وقال إنه يمكنه أن يعرف عندما أتعرض للخطر، لكنني لم أحبذ فكرة أن يعرف مكاني طوال الوقت. ربما يتبع الشياطين قواعد وقوانين، لكنني لم أعرف شيئًا عن طبيعتها.

ربما كان يعتبر عودته إلى الجحيم وهو يجر شخصًا خلفه أسمى مظاهر الشرف هناك.

قلت له: «أجب عن سؤال واحد فقط، بعيدًا عن كونك غير قادر على الكذب، ما الأشياء الأخرى التي يُحرَّم على الشياطين فعلها؟».

انتظر وهلة قبل أن يجيبني.

«نحن أيضًا لا نستطيع أن ندخل منزل أي إنسان دون أن يدعونا بنفسه. مسموح لنا بأن نستخدم قوانا، لكن غير مسموح لنا بأن نستخدمها لنتسبب في أذى مباشر. وأيضًا، ما إن نُستدعى، فنحن مجبرون على أن نظل في هذا العالم حتى ينتهي ذلك الاستدعاء».

سألته: «إذا أنهيت ذلك الاستدعاء الآن، فستصبح مُجبرًا على المغادرة حالًا؟».

قال: «نعم، هل اتفقنا أم ماذا؟».

بدا مسترخيًا، لكن عينيه كانتا مركزتين، ومنتبهتين لكل شيء. أرادني أن أوافق على عرضه بأي شكل، فتذكرت القصص التي اعتادت جدتي حكيها لنا ونحن أطفال، وكيف أننا لا يمكن أبدًا أن نثق بـ«أمراء الشياطين». وقد ذكرت اسم راث على وجه خاص.

أردت كثيرًا أن أكون مثل شقيقتي، لكنني لم أستطع أن أتوقف عن التفكير بطريقتي المعتادة.

قلت: «لا أيها الأمير راث، أنا لا أقبل صفقة رباط الدم».

الثالث عشر

«على الساحرة ألا تقبل عقد صفقة رباط الدم أبدًا مع أي أمير من أمراء الجحيم. فإذا فعلت ذلك، فسيسمح ذلك للأمير الذي استدعته بأن يكون على صلة مباشرة بها. ولن يكون معلومًا طول المدة التي تستمر عليها تلك الصفقة، أو ما إذا كان من الممكن كسرها. لا تنسي أبدًا أن إقامة رابطة قائمة على الحب مع أمير للجحيم تنطوي على الخطورة نفسها التي تنتج عن ارتباطك به بسبب الكراهية».

– ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

ألقت جدتي نظرة سريعة على الخنجر الذي علقته في حزامي، ثم أكملت الدق على الدجاجة بالمهراس وكأنها تدق جمجمة ألد أعدائها. كنت قد أخذت الخنجر من «راث» قبل أن أغادر الكهف، وقد نظر إليَّ كما كانت جدتي تنظر إليَّ الآن. لو أنها كرهت خنجر الشيطان إلى ذلك الحد، فأنا لا أستطيع أن تخيل مدى استيائها عندما تعرف بأمر ذلك الوشم السحري المشترك بيني وبينه.

كنت قد ارتديت قميصًا ذا أكمام واسعة لكي أخفي الوشم قبل أن أنام، وظللت أتأمل الهلالين المرسومين داخل دائرة النجوم. لمع الوشم مثل ضوء القمر، فعلى الرغم من أنه ربطني براث، فأنا مع ذلك لم أكره الوشم إلى ذلك الحد، لقد كان رقيقًا وجميلًا.

ظلت جدتي تركز على مهمة هرس الدجاجة المسكينة. على الأقل سيكون طبق اليوم طريًّا بشكل يسيل له لعاب الزبائن. ومن الجيد أنه لا يزال هناك بشر لديهم شهية مفتوحة، فأنا بالتأكيد قد فقدت شهيتي.

تجاهلت تقلص معدتي في كل مرة أفكر فيها فيما حدث الليلة السابقة، ولو أن جدتي عرفت أنني استدعيت أحد «أمراء الشياطين»، بل إنني كدت أقبل صفقة رباط دم مع واحد منهم... أغلقت عينيَّ، وقاومت الرغبة في أن أستلقي.

إذا عرفت جدتي بشأن ذلك، فستتوقف عن هرس الدجاج، وستذهب إلى أقرب تلٍّ لتلقي بنفسها من فوقه.

انتقل انتباهي إلى الساعة الصغيرة فوق الفرن. أردت أن أنتهي من تقديم العشاء إلى الزبائن لكي أعود إلى الكهف؛ كي أحتجز راث قبل أن يهبط الظلام. الليلة، سأطالبه ببعض الإجابات؛ لم أعرف عنه أي شيء سوى أنه أحد أمراء الجحيم، وأنه شيطان، ولديه مخطط شرير.

على أي حال، وعلى الرغم من أنني لا أعرف الكثير عنه، فأنا متأكدة من حقيقتين على الأقل: الأولى هي أنني أردت أن أجد قاتل شقيقتي، وأن أقتله مهما كان، والثانية هي أن راث يريد أن يعقد صفقة رباط دم معي. لم تكن لديَّ النية في أن أتمم هذا الأمر المريب معه، لكنه أعطاني ميزة عندما كنت أستجويه. يبدو أن أخاه كان مهتمًّا بعقد الصفقات والمقايضات مع الساحرات، وأنا أريد أن أعرف السبب.

لو أن أخاه ذاك لم يكن هو المسئول عن مقتل شقيقتي، فلا بد أن أحد «صائدي» الساحرات هو من فعلها. وفكرة أن يكون راث قريبًا مني لحمايتي من الشخص الذي يقتل الساحرات، مهما كانت هويته، فكرة جيدة؛ سأترك الأمير لمقاتلته، وسأركض أنا لكي أحتمي بعيدًا عنهما. ولو أنهما قتل كل منهما الآخر في النهاية، فهو أفضل ما يمكن أن يحدث.

قطعت الفِطر من أجل الصلصة، وأضفته إلى مقلاة بها ثوم وكرات كانا يطهوان في الزبد. كنت أعمل بشكل آلي اليوم، حيث لم يعد المطبخ

يحوي السحر نفسه الذي اعتاد أن يجذبني إليه. كما أن ذهني كان مشتتًا وأنا أنظر بين حين وآخر إلى الساعة؛ كنت قلقة من فكرة أن أترك شيطانًا كل ذلك الوقت كله. سواء كان أميرًا من أمراء الجحيم أم شيئًا أسوأ، فهو دون شك شيء خبيث.

قبل أن أغادر الكهف، وعندما بدأت الشمس تشرق، ألقيت تعويذة احتواء، وهذا لم يعجبه بتاتًا، لكنه لم يستطع أذيتي بسبب تعويذة الحماية التي ألقيتُها، وكنت واثقة بأنه لم يكن يكذب عندما أخبرني بأنه سيظل حبيسًا ثلاثة أيام فقط، لكنني استمتعت بفكرة أخذ كل التدابير الاحتياطية، خصوصًا عندما يغضب.

أخبرتني جدتي بأن «أمراء الشياطين» لا يتحملون ضوء الشمس، لذلك خططت أن أذهب إليه قبل أن تغيب الشمس، تحسبًا لأن تكون تعويذة الاحتواء قد فشلت، أو يكون قد أبطلها بشكل أو آخر.

وضعت جدتي المقلاة جانبًا، وناولتني طبقًا من الدجاج لأعطي أمي إياه لتضعه في الدقيق. راقبتني وأنا أقطع المزيد من الفِطر بينما تفتح زجاجة من شراب «المارسالا» وتضع منها في المقلاة الساخنة. وتظاهرت بأنني لم أنتبه إليها.

قالت لي وهي تمسح يديها وتضع المنشفة على كتفها: «ستتعرضين للحوادث في المطبخ يا إميليا إذا لم تنتبهي أثناء عملكِ به. هل تحتاجين إلى أن تستريحي قليلًا؟».

نظرت إليها، وقد توقفت عن تقطيع الفِطر بعنف كما كنت أفعل، وأجبتها: «أنا بخير يا جدتي. أنا فقط متعبة».

أيضًا كنت قلقة بشدة بسبب ما حدث في الأربع والعشرين ساعة الماضية. وكان من الصعب عليَّ أن أستوعب حقيقة أن الوحوش التي كنت أسمع عنها في قصص الطفولة حقيقية... لكن على عكس الوحوش المذكورة في القصص، لم تكن لتلك التي في عالمنا عيون حمراء، ولا أصابع تنتهي بمخالب طويلة، ولا كانت لديها قرون أيضًا. بل كانت وسيمة،

تتصرف مثل الملوك، وتتبع قواعد صارمة للسلوك. لقد غيَّر ذلك الأمر من فكرتي عن الشر، وكيف يجب أن يبدو للعالم. كان يجب على راث أن يمتلك أنيابًا، وأن يسيل لعابه من بينها؛ لا أن يكون رجلًا رائعًا لا يرتدي قميصًا، ويبدو في هيئة رجل يرغب أي رسام لو رسمه.

قالت جدتي موجهة الحديث لأمي: «يا نيكوليتا، هل لديكِ أي نصيحة لابنتكِ؟».

ثم استدارت ناحية أمي طالبة مساعدتها، لكن أمي كانت غارقة في حزنها اليوم. وضعت قطعة دجاج في إناء الدقيق المتبل بالملح والفلفل، ثم هزتها لتتخلص من الدقيق الزائد، ووضعتها في المقلاة. صدر صوت عندما لامست قطعة الدجاج الزبد، وكأنها أحبت الأمر.

تناولت أمي قطعة أخرى وكررت الأمر، وكأن جسدها يتحرك وحده متبعًا عادته في ذلك دون أن تعي ما تفعل. أشحت بناظري سريعًا.

أمسكت جدتي بذقني، وأجبرتني على النظر في عينيها الثابتتين، وقالت: «مهما كانت المشكلة التي تبحثين عنها، فلا بد أن تنتهي الليلة يا إميليا، فالقمر كامل وليس من الجيد أن تلعبي بقوى لن تستطيعي التحكم فيها، هل تفهمين ما أقوله؟».

أجبتها: «أنا لم أفعل أي شيء قد يسبب المشكلات يا جدتي».

كل ما فعلته هو أنني استدعيتها إليَّ.

أكملت قائلة: «كل شيء على ما يرام. *أنا* بخير، صدقيني».

تركت جدتي ذقني، وابتعدت عني وهي تهز رأسها وتقول: «لا شيء على ما يُرام يا ابنتي... مر شهر كامل دون أن يصير أي شيء على ما يُرام، وأظن أن الحال ستستمر هكذا فترة أطول. رحلت فيتوريا، ولا شيء سيعيدها. إنها حقيقة قاسية، أنا أعي ذلك جيدًا، لكن عليكِ أن تتقبليها، وأن تسمحي لنفسكِ بأن تحزني عليها. تخلصي من رغبتكِ في الانتقام، وإلا فستحل علينا جميعًا اللعنة».



سألت سلفاتوري في استنكار: «كم تريد مقابل هذا القميص؟!». كان لصًا يتظاهر بأنه بائع. لوّحت بالقميص في وجهه معترضة، وأنا أكمل قائلة: «كلانا يتحدث عن القميص نفسه، أليس كذلك؟ ذلك الذي يكاد قماش كميه يتهرأ وحده لقدمه! أتراه».

رفع يده ببطء وهو يتراجع خلف طاولة بضائعه، وهو يقول: «إنه ثمن مناسب، كما أن كارولينا تبيع ما لديها بأسعار أعلى، أليس كذلك؟».

أومأ سلفاتوري إلى متجر «كارولينا» في الناحية الأخرى... كان محقًا، فالجميع هنا يعرفون كارولينا عمة كلاوديا - وكذلك يحبونها - ويدعونها بـ«المخادعة». وعلى الرغم من ذلك، الأغنياء فقط، الذين يتمتعون بالتجول في الأزقة والأسواق المزدحمة، هم من يقبلون أسعارها الباهظة. ظننت أن الأمر يتعلق بأنها تبيع بضائع مغرية لفئة معينة من الزبائن. قاومت الرغبة في أن أنظر ناحية متجرها، فقط لأنها قد تناديني لتسألني عن عملية استدعائي الشيطان وكيف انتهت.

إن ممارسي السحر الأسود أيضًا يخافون «أمراء الشياطين».

أعطيت سلفاتوري الأموال، ودسست القميص في حقيبتي وأنا أتمتم بعدم رضا طوال الوقت، ومع أنني كنت أفضل البقاء واقفة لأفاصل في سعر ذلك القميص البائس، كانت الشمس تميل إلى المغيب قريبًا، كما كنت أريد التأكد من أن الشيطان لا يزال محتجزًا داخل الدائرة.

أسرعت عبر الحشد، وأنا أتجاهل الناس الذين أرادوا أن يعرضوا عليّ تذوق عينات من الجبن، أو الذين يريدون أن أجرّب طعامهم، أو الذين يريدونني أن أشتري منهم مجموعة جميلة من الأقراط. لن أهتم إلا إذا كان ما يعرضونه للبيع هو تعويذة شيطانية لإبطال تلك التي تغلق دفتر يوميات أختي.

«إميليا؟».

توقفت فجأة في نهاية الشارع الذي بدأ ينحدر متجهًا إلى الطريق الملتف المؤدي إلى الكهف المهجور. ربما تخيلت صوتها. أغلقت عينيَّ، وأنا أدعو أن أكون قد تخيلته. لم أكن مستعدة لذلك اللقاء، حتى لو أردت، كان النهار على وشك الانتهاء. تخرج الكائنات الشريرة في الظلام، وأنا أعرف أن أحدهم يريد أن يهرب من سجنه.

«إميليا، إنه أنتِ بالفعل، يا إلهي. كنت آملُ أن أراكِ هنا».

أخذت نفسًا عميقًا وأنا ألتفت لأنظر إلى صديقتي، قلت لها: «مرحبًا، كلاوديا، كيف...»

احتضنتني بقوة، وقد أغرقت دموعها المفاجئة ياقتي، قالت لي: «لقد مر شهر كامل وما زلت لا أستطيع أن أصدق ما حدث. حتى بعد أن رأيتها بعينيَّ». عادت «كلاوديا» خطوة إلى الوراء وهي تهز رأسها وشعرها الأسود. كان شعرها أقصر مما رأيته آخر مرة لكنه كان جميلًا على أية حال. أكملت قائلة: «انتابتني أحلام غريبة مؤخرًا. تظن خالتي أنها رسائل عاجلة».

نظرت كل منا حولها، لكن أحدًا لم يكن قريبًا بما يكفي ليسمعها. فبقولها «أحلامًا»، كانت صديقتي تعني «رؤى». كانت نقطة قوة «كلاوديا» تكمن في التنبؤات. أحيانًا كانت رؤاها مجرد أحلام غير واضحة، وأحيانًا أخرى كانت العكس تمامًا. وتكمن المشكلة في أننا لم نعرف قط أيها كان نذير خير، وأيها كان نذير شؤم، وأيها كان محض خيال.

كرهت فكرة أن أتركها وحدها للقلق من المعاني المحتملة لما رأت. اعتادت فيتوريا كتابة الملاحظات وسؤالها مئات الأسئلة المختلفة. وتمنيت بشدة لو أنها معي الآن.

سألتها: «ماذا رأيتِ؟».

نظرت كلاوديا حولها مجددًا قبل أن تجيب قائلة: «يبدو نذيرًا أكثر منه رؤيا حقيقية، أو هكذا أعتقد».

مهمـا كان مـا رأتـه، فلا بد أنـه أصابهـا بالرعب، فقد بـدت صديقتي كأنها سـتركض صارخة في أي وقت. مددت يدي وأمسكت يدها وسألتها: «ماذا هنـاك؟».

أجابتنـي: «لا أعرف... رأيت أجنحة سـوداء، وإناء فارغًا يُملأ ويُفرغ. كان كل شـيء غريبًـا للغايـة. أظن أن ظلامًا مريعًا سـيحل علينا قريبًا، أو ربما قد حل علينـا بالفعل».

سـرت القشـعريرة فـي كل ذرة فـي جسـدي. ابتلعت إحساسـي بالعار والخجـل. لـم يكن لديَّ أدنى شـك فـي أن كلاوديا قد رأتني وأنا أسـتدعي راث. فإجبـار أميـر للجحيـم على أن يترك العالم السـفلي لـم يكن بالأمر الهيِّـن. ولـم أسـتطع أن أتخيل كـم التقلبات السـحرية التي سببها ذلك، فـلا بـد أنه قد أخل بالتـوازن الطبيعي لهذا العالم؛ لأنني أحضرت قوة لا تنتمي إليه. كان أكثر أنواع السحر ظلامًا، ولم أفاجأ بأن ساحرة ممارسة للسحر الأسود قد استشعرته.

قلـت لهـا: «كل مـا في الأمر هو أن عقلكِ يحاول أن يجد تفسيرًا لموت فيتوريا...»

وافقتـي بإيماءة سـريعة، ثم قالت: «أنت محقـة. إن دومينيكو في حال يُرثى لها أيضًا. إنه يزور الدير مرتين في الأسبوع على الأقل ليصلي».

شـعرت بالسـعادة لأننـا ابتعدنـا فـي حديثنـا عن الشـر العظيـم الذي اسـتدعيته إلـى عالمنـا، على الرغم مـن أن التفكير في أختي وهي راقدة في لحدها قد أعاد إليَّ مشـاعر كريهة. حاولت ألا أركز على وجه كلاوديا الـذي تغرقـه الدمـوع، فآخر مـا أريده هو أن أبـدأ البـكاء، وأن يراني راث بعينين حمراوين وثمة دموع تغرق وجهي.

كانـت الفكرة الوحيدة التي سـاعدتني على المقاومة هي أن أعرف أن حبيـب أختـي السـري كان يـداوم على الصلاة مـن أجلها. فبسـبب حزني ورغبتي في أن أفتح دفتر يومياتها، نسيت أمره تمامًا.

قالت: «لم أكن أعرف أنهما قد اعترفا بعلاقتهما علنًا...»

لم أكن متأكدة مما يجب عليَّ أن أسمي به هذه العلاقة، فهي لم تكن خطبة؛ لأن دومينيكو لم يتحدث إلى أبي. كما أن فيتوريا لمْ تذكره لنا بكل تأكيد. ولولا أنني رأيت اسمه في يومياتها، ما كنت لأعرف أنها قد أحبته على الإطلاق. لقد آلمتني تلك الفكرة، فدفعتها عميقًا داخلي حيث لن تستطيع إيلامي مجددًا، وسألتها: «وماذا قال دومينيكو أيضًا؟».

أجابتني قائلة: «لست متأكدة، فهو لم يتحدث إليَّ بشأن أي شيء. في معظم الوقت، يغلق على نفسه في إحدى الغرف، ويشعل شموع الصلاة، ويظل فيها حتى بعد منتصف الليل، أظنه هناك الآن. يبدو عليه الحزن معظم الوقت».

أردت أن أتحدث معه، وأعرف أنني يجب عليَّ أن أفعل ذلك، لكنني لم أشعر بأنني مستعدة للأمر بعد. أقنعت نفسي بأنه سيكون نوعًا من القسوة إذا ظهرت أمامه وأنا صورة طبق الأصل من حبيبته التي قُتلت. وفي الواقع، لم أكن مستعدة لمواجهة أحد أسرار أختي دون أن يؤلمني قلبي بعدها.

شبكت كلاوديا ذراعها بذراعي، ووجهتني لنبتعد عن الطريق الرئيسي، وهي تقول: «يشعر الأخ أنطونيو بالقلق عليك. بما أنكِ كنتِ من...»، ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تكمل: «والآن وقد عاد من أسفاره، بعد أن أخمد الشائعات المنتشرة عن ظهور المتحولين؛ لذلك ربما يكون من الجيد أن تتحدثي معه، فقط لكي يساعدكِ على أن تجدي العزاء فيما حدث».

كان العزاء بعيدًا كل البعد عن الانتقام، ولم أرد أي شيء له علاقة به. سينصحني الإخوة في الدير بأن أصلي وأوقد الشموع مثل دومينيكو، وكلا الأمرين لن يساعد شقيقتي، ولن يزيلا التعويذة التي تغلق دفتر يومياتها. حتى لو اعترفت بأكثر رغباتي ظلمة، فأنطونيو لن يستطيع مساعدتي، فهو ليس سوى مجرد إنسان.

أجبرت نفسي على الابتسام وأنا أعرف أن كلاوديا تنصحني بذلك بدافع من الحب، وأن لديها ما يكفي لتكون مضطربة بسبب رؤاها المقلقة.

فقلت لها: «سأتحدث إليه قريبًا، أعدكِ».

تأملت كلاوديا وجهي، ثم قالت لي: «احرصي على زيارتي وأنتِ هناك. فقد أفتقدكِ. لا أستطيع أن أتخيل ما تمرين به الآن، لكنكِ ستصبحين وحيدة فقط إذا اخترت ذلك يا إميليا. أرجوكِ، لا تنسي أنكِ لا تزالين على قيد الحياة، وأن هناك من يحبونكِ. وأنكِ إذا سمحتِ لي بذلك، فسأتمكن من مساعدتكِ».

تخيلت نفسي وأنا أؤكد مخاوفها بشأن حلمها، وأخبرها بما فعلت الليلة الماضية؛ عن ذلك الشيطان الذي انتشلته من العالم السفلي، واحتجزته في عالمنا. وأنه لم يكن أي شيطان عادي، لكن إذا صدق فيما قاله حقًّا فهو أمير الحرب؛ شيطان شرير للغاية وقوي لدرجة أنه التجسيد الحي للغضب.

ولو أن كلاوديا عرفت ما كنت أخطط له مستقبلًا، لربما أعادت التفكير في عرضها مساعدتي.

نظرت إلى الإصرار في عينيها، وعرفت أنها ربما ستساعدني على الرغم من كل شيء حقًّا.

قلت: «أنا...»، وأخذت نفسًا عميقًا. فلم أثق براث لكي أفضي إليه بذلك السر، وكارولينا لم تستطع مساعدتي، لكن ربما تتمكن كلاوديا من ذلك. أخرجت يوميات شقيقتي من حقيبتي، وقلت لها: «هناك تعويذة لا أستطيع إبطالها على ذلك الدفتر. قالت خالتكِ إنه ليس سحرًا من عالمنا هذا، وأنه ربما يكون سحرًا شيطانيًا في طبيعته».

اتسعت عينا كلاوديا وهي تمرر أصابعها على الغلاف، ثم قالت: «إنه... سحر قديم للغاية».

سألتها: «هل تظنين أنكِ تستطيعين أن تعرفي أي نوع من السحر قد استُخدم عليه؟».

أومأت بقوة، وهي تجيب: «يمكنني أن أحاول بكل تأكيد».

حذرتها قائلة: «إنه خطير. لا يمكنكِ أن تخبري أي أحد بأنك تملكينه، ولا أن تريه أي شخص».

قالت: «لن أفعل، أعدكِ بذلك».

تركت دفتر اليوميات. وبينما أستدير لأغادر، بدا كأن ظلًّا يحوم فوق صديقتي ويهمس: «*إنه هنا*».

صرخت وأنا أتراجع فجأة، وأوشك أن أتعثر: «ماذا؟!».

كان الصوت الغريب نفسه الذي سمعته ليلة قُتلت شقيقتي ولن أنساه أبدًا. سألتها: «من؟».

نظرت كلاوديا حولها وهي تتساءل: «من ماذا؟!»، ثم مدت يدها لكي تسندني، وهي تسأل: «هل أنتِ بخير يا إميليا؟ تبدين كما لو أنكِ قد رأيتِ الشيطان نفسه».

«أنا...»

سألتها: «هل سمعتِ ذلك؟»، ثم مررت يدي على شعري وأمسكت بجذوره. لم يكن هناك أي شيء، لا ظل ولا تحذير من العالم الآخر. ربما كنت في حاجة إلى الصلاة بالفعل. أنا بالتأكيد في حاجة إلى كل الصلوات الممكنة. قلت: «لا شيء. ظننت أنك قد قلتِ شيئًا ما».

لم يبدُ أن كلاوديا قد اقتنعت بما قلته لها، لكن بعد لحظة من التوتر، احتضنتني مودعة إياي مع وعد بأن تعرف كل ما يمكنها أن تصل إليه بشأن تلك التعويذة الغامضة.

سمعت صوت جدتي في رأسي وأنا أسرع خارجة من المدينة، وأنظر خلفي بشكل مستمر لأتأكد من أنه لا يوجد ما يتبعني. كانت محقة – لا شيء على ما يُرام.

وبدأت أقتنع بأن لا شيء سيصبح على ما يرام مرة أخرى.



الرابع عشر

«**ارتدِ هذا**، ينبغي ألا يضطر أحد إلى مشاهدة *هذا* المنظر طوال الليل، أيها الشيطان».

أمسك راث بالقميص قبل أن يرتطم بوجهه، وقد بدا عليه الاشمئزاز الشديد منه. لكي أكون صادقة، لم أستطع أن ألومه، فقد كان القميص مكرمشًا، فيما غدا لونه البني باهتًا، ومرفقاه باليين، مع أربطة متقاطعة عند الصدر. حدَّق إليَّ كأنني أحضرت جثة متحللة، طالبة منه أن يسلخها ويأخذ الجلد ويعالجه ليصنع منه سترة.

ضغط على أسنانه وهو يقول لي: «لا».

أملت رأسي وأنا أسأله كأنني لم أسمع ما قاله بشكل صحيح: «لا؟».

قال: «يبدو كأنكِ قمتِ بتكويره ثم إلقائه في أحد الأدراج وتركه هناك أشهرًا، كما أن رائحته عفنة». ألقاه ناحيتي وهو يكمل قائلًا: «أحضري لي شيئًا يناسبني أكثر من هذا، أو سيتحتم عليك تحملي هكذا كما أنا».

تساءلت: «عذرًا؟»، سرت في غضب ناحية خط العظام، ثم مررت من فوقه دون أي تردد. وقفت على أصابعي لكي أصل لمستوى عينيه، والغضب يسيطر عليَّ تمامًا. لمعت عيناي بتحدٍّ لكي يجرؤ ويقول لي لا مجددًا. «ارتدي... القميص... *الآن*».

سأل قائلًا: «هل تشعرين بالضيق من مظهري؟ هل راودتكِ أفكار عني ليلة أمس؟»، قالها وهو يبتسم بخبث. وأكمل قائلًا: «عادة ما يكون هذا مجال تخصص أخي، لكن لا تخافي، فجميعنا ماهرون».

«يا لك من وقح».

«هل تريدين لمحة عن مهارتنا؟».

اشتعل الغضب داخلي وأنا أجيبه: «في أحلامك».

رد قائلًا: «أنا لا أحلم بهذا». وأقسم أن حرارة المكان انخفضت لكي تطابق برودة صوته. وأكمل قائلًا: «تسموننا نحن بالأشرار، لكن أنتن أيتها الساحرات كائنات انتقامية بلا روح ولا ضمير». ثم أومأ ناحية خنجره الذي ربطته إلى خصري. بدا سخيفًا ولا يتماشى مع تنورتي السوداء الواسعة، وسترتي من اللون نفسه بكميها الواسعين. لكنني لم أهتم. لن أعيده إليه. قال لي: «اطعنيني إذا أردتِ؛ لكنني لن أرتدي ذلك الشيء المقرف».

قلت له مستنكرة: «لا يمكن أن تكون جادًّا، إنه مجرد قميص». حدقت إليه دون أن أتمكن من فهم تلك النظرة الجديدة التي بدأت تلوح في عينيه. وأكملت: «هل يجب عليَّ أن أذكِّرك بأنك لست في وضع يسمح لك بأن تطالبني بأي شيء، أو ترفض أي شيء أطلبه منك؟».

وبدا كأن انزعاجه يناطح شعوري بالانزعاج.

وقال: «سأعطيكِ درسًا قصيرًا بما أنكِ تبدين جاهلة بشكل مزعج؛ إن الاستدعاء مختلف تمامًا عن *التملك*. والاحتواء لا يستمر إلى الأبد».

اقترب مني بما يكفي أن أضطر للبقاء في مكاني لأشعر بحرارة جسده، أو أضطر إلى التحرك لكي أتمكن من أن أظل محدقة إلى عينيه. استغرقت لحظة لكي أستسلم وأتراجع خطوة إلى الوراء أخيرًا.

لم أستطع أن أصدق أنه أراد أن يتجادل معي بسبب الملابس، في حين أنني أعاني بسبب شبح من الجحيم يطاردني. هذا لو كان الأمر حقيقيًا، لا مجرد خيال شرير اختلقه عقلي لكي يعذبني.

قال لي: «أستطيع، وسأعارضكِ، وأرفض ما تطلبينه في أي وقت أريد»، وأكمل بصوت خافت مخيف وجاد: «لا تظني أبدًا أن لديكِ القدرة على التحكم بي عدا تلك التعويذة التي تحتويني هنا، وكذلك لن يدوم تأثيرها للأبد».

أخذ نفسًا عميقًا، كأنه كان مستمتعًا بالغضب الذي تزايد داخلي. فكرت في أن ألكمه مجددًا، لكنني امتنعت عن ذلك. وقلت له: «لا يمكنك أن تبطل التعويذة من دوني أيها الشيطان».

قال: «ربما لا، لكن تعويذات الاحتواء - مثل تعويذة الاستدعاء - تستمر ثلاثة أيام فقط. وبعدها، سأصبح حرًا لمغادرة هذه الدائرة، وأفعل ما يحلو لي». أخيرًا، عاد إلى الخلف ثم استند إلى حائط الكهف، وهو يراقبني وأنا أستوعب المعلومات التي أخبرني بها. وسألني: «هل جئتِ الليلة لكي تجادليني، أم أنكِ غيرتِ رأيكِ بخصوص رباط الدم؟».

أجبته: «لم آتِ إلى هنا من أجل أي منهما، لقد جئت لكي أستجوبك بخصوص صائدي الساحرات». جفلت عندما ضحك فجأة، وتمالكت نفسي سريعًا، ثم ضممت ذراعيَّ فوق صدري وأنا أسأله: «ما المضحك فيما قلت؟».

أجابني: «من حيث أتيت تُعد المعلومات عملة نادرة. لا أحد يتوقع أن يحصل على أي شيء دون مقابل. وإذا دخلتِ أي بيت من بيوت العائلة الملكية وطالبتِ بالحصول على المعلومات فسيسلخونكِ حية».

آملت ألا يتمكن من سماع صوت قلبي وهو ينبض بقوة، وأنا أتخيل هؤلاء وهم يفعلون ذلك بي.

سألته: «وموافقتي على رباط الدم لا يمكن اعتبارها ثمنًا كافيًا؟».

استقام في وقفته، وقد اختفت ابتسامته تمامًا. لقد جذب ما قلته اهتمام سمو الأمير، وأكملت قائلة: «أنا أؤمن بأهمية اتخاذ قرارات مستنيرة، وعلى هذا الأساس، أطالب بتبادل بعض المعلومات الأساسية. وبالتأكيد لن يكون هذا كثيرًا بالنسبة إليك لتوافق عليه».

سألته: «هل تعطيهما الوقت الكافي للتفكير في الأمر؟».

أجاب قائلًا: «بالتأكيد، تحصل كل واحدة على يوم كامل للتفكير في الأمر».

فاجأتني إجابته، لو أنني أحتاج إلى شخص لكي أبطل لعنة، فسيصبح الوقت هو آخر ما سأرغب في إعطاء ذلك الشخص إياه؛ فقد تسوء كل الأمور.

سألته: «كيف يقع اختيارك على الساحرة؟». أعطاني راث نظرة معناها أن صبره على إجابة أسئلتي قد أوشك على النفاد. «على الأقل أجب هذا السؤال أيها الشيطان. كم عدد من يعرفون في عالمك هويات النساء اللاتي تعرض عليهن تلك الصفقة؟».

«أنا وبرايد فقط».

أدرت الأمر في رأسي. في الحقيقة، تعني إجابته تلك أن قائمة المشتبه فيهم أطول كثيرًا. وبدلًا من القلق من أن يكون هناك جاسوس في مملكة راث، فثمة احتمال بأن الضحايا هن من يخبرن آخرين بأمر الصفقة في عالمنا هذا. وهو ما يعني أن هؤلاء الآخرين بدورهم ربما يكونون قد أخبروا غيرهم، أو ربما يكون أحدهم قد سمع الساحرات اللاتي قُتلن وهن يتحدثن عن الأمر. إنه يوم طويل للغاية، وكافٍ لانتشار مثل هذه الشائعات.

إلا إذا... كان هناك أمر واحد غير صائب في هذه النظرية؛ *الساحرات* لا يفشين أسرارهن لأحد، فكرت في صائدي الساحرات مرة أخرى، ولم يبدُ لي أن راث يظن أنهم يشكلون أي تهديد، لكنني لم أجد أي دليل على أنهم مستبعدون من دائرة الاتهام. لا يزالون هم الاحتمال الأكثر منطقية ليكونوا مسئولين عن حالات القتل تلك. وربما اكتشفوا بطريقة ما هوية الساحرات الحقيقية على الجزيرة، وقد صادف اكتشافهم هذا موضوع صفقة الشيطان تلك.

سألته: «هلَّا أخبرتني مَن هي الساحرة التالية التي ستتحدث معها؟».

«لا».

أحصيت كل الاختيارات التي أمامي، يمكنني أن أبعث برسائل إلى اثنتي عشرة عائلة في باليرمو، لكن هناك احتمالًا بأن تقع إحداها في اليد الخطأ. كما أن زيارة هذه العائلات في منازلها أو أماكن عملها ليست أمرًا مأمونًا في حالة كانت تحت المراقبة. قد ينتهي الأمر بأن تتسبب نياتي الحسنة في مقتل إحداهن. آملُ أن تتنبه الأخريات، وأن يحتطن بعد كل جرائم القتل التي حدثت أخيرًا.

اقترب راث من حافة الدائرة، وقد بدا كأنه على وشك أن يتسبب في مشكلة ما، وقال: «إذن، هل أنتِ على استعداد لأن تصبحي فردًا من آل راث؟».

«لا، وإلى أن تبدأ التعاون معي على قدم المساواة، فأنا أرفض عرضك بحمايتي».

بدت ابتسامته كأنها تنفث سمًّا، وقال: «أنتِ لم تنوي حقًّا قبول تلك الصفقة، أليس كذلك؟». تجاهلته، ثم حملت حقيبتي عن الأرض، واتجهت إلى مدخل الكهف. سألني راث بصوت مرتفع: «إلى أين أنتِ ذاهبة؟».

أجبته: «إلى الدير».

قال: «إننا في أوقات خطيرة، وينبغي لكِ ألا تذهبي إلى هناك وحدكِ، حرريني لكي آتي معكِ».

قلت له كأنني سأسمح بشيء كهذا بأن يحدث: «في المرة التالية».

«حظ سعيد إذن، إنها جنازتكِ أنتِ».

لاحقتني ضحكاته الساخرة طوال الطريق حتى المدينة.



الخامس عشر

على بعد شارعين من الدير، ظل يلح عليَّ شعور مؤكد بأنني مراقبة. وتظاهرت بأنني لم ألحظ ذلك طوال مربع سكني كامل قبل أن أستدير وأسلك شارعًا خاليًا. لو أنني اضطررت إلى استخدام السحر، فأنا لست بحاجة إلى وجود أي شهود ليقصوا ما فعلته للكنيسة. عندما كنا أصغر، اعتاد أحد الإخوة في الدير واسمه كارميني البحث عن أي شخص تتلبسه روح شريرة. وسمعت أن الكنيسة قد أرسلته إلى شمال إيطاليا، وكنت أتذكره من وقت إلى آخر، وبخاصة حين أقترب من الدير، وأنا مستعدة بشكل كامل لاستخدام السحر.

أمسكت بتميمتي، وحدقت النظر إلى الشارع الضيق باحثة عن أي هالة أو ضوء أرجواني يشير إلى أن هناك إنسانًا قريبًا من المكان. وفي البداية، لم أرَ أي شيء، ثم...

ارتفع صوت ناعم منخفض من الظلال قائلًا: «حسنًا، هذه مفاجأة حقيقية».

أحسست بالشعر على مؤخرة عنقي يقف عندما خرج رجل من وسط الظلام. كان شعره أسود حريريًا، وعيناه خضراوين بشكل غير طبيعي؛ إذ لا يوجد إنسان عادي لديه عينان بهذا اللون، كما أن تلك الهالة اللامعة الغريبة التي أحاطت به كانت دليلًا على ما شككت فيه بالفعل. إنه لا شك

من «أمراء الشياطين»، لست متأكدة من السبب، لكنني أخفيت تميمتي سريعًا في ملابسي.

قلت: «أنت...»، إنه أمير آخر من الجحيم. أمير *لم أستدعه* إلى هذا العالم، ما يعني أن هناك طريقة أخرى يستخدمونها لكي يأتوا إلى هنا... وهو أمر كان عليَّ أن أدركه في اللحظة التي عرفت فيها أن راث هو من كان يقف فوق جثة أختي الشهر الماضي. كان المستحيل يتحوَّل ببطء إلى نكتة سيئة.

تراجعت خطوة إلى الوراء، ودعوت للآلهة في سري. ابتسم الشيطان الجديد كأنه قد قرأ أفكاري. أردت أن أحيد بنظري بعيدًا عنه، لكنني لم أستطع. بدا الأمر كأن تلك الطاقة الغريبة النابضة الصادرة عنه قد أسرتني، ومنعتني من الصراخ مهما أردت أن أفعل.

بدلًا من الصراخ، بدأت أستوعب تفاصيل ما يحدث؛ كان يقارب طول راث، وكان جذابًا بشكل كبير. اهتم بتشذيب لحيته جيدًا، وهو ما أبرز ملامح وجهه الأكثر حدة. وقد جعلني التحديق إلى وجهه أشعر تقريبًا بالـ...

«الحسد»، قال *إنني أمير الحسد* تلك الكلمة الواحدة، وقد نجح في جعلها تبدو تهديدًا ودعوة في الوقت نفسه، ثم أضاف قائلًا: «وأنتِ... مثيرة للاهتمام».

لم أرد أن أصبح مثيرة للاهتمام، كما لم أرد أن أظل وحدي معه في هذا المكان. بل أردت أن أهرب، لكنني لم أنجح في القيام بأي من هذا. وعوضًا عن ذلك، ظللت واقفة، والخوف ينخر عظامي بل ويجمدها. لم يأتِ «أمراء الشياطين» إلى عالمنا هذا منذ قرن تقريبًا، والآن يوجد اثنان منهم على الأقل هنا.

لم أستطع أن أستوعب السبب، لكنني شعرت بأن هذا الأمير كان مختلفًا عن راث؛ كان هناك خطب ما به، كان يبدو بريئًا، لكن على نحو

مـا خطيـر. كان ثمة شـيء ما به يجعلنـي أرغبُ في أن أسـقط على ركبتي مستسلمة له وصارخة طالبة الرحمة منه.

ظـل إنفـي واقفًـا علـى أول الطريـق الجانبـي، وتمامًا كمـا ارتدى راث ملابس أنيقـة تلك الليلـة التي رأيته فيهـا للمرة الأولـى، كان إنفي يرتدي مثلـه. وكانـت بدلتـه سـوداء تمامًا، أمـا قميصـه وصديريته فكانـا لونهما أخضـر، وبهمـا خطوط فضية اللون. هو أيضًا كان يحمل خنجرًا وقد علقه إلى جانبه، لكن خنجره كانت به جوهرة خضراء كبيرة في مقبضه.

ملأت إشارات الخطر حواسي كلها، وكذلك الخوف. إن ذلك المخلوق الليلـي ليس مجبـرًا علـى حمايتـي، وقد كنـت مدركـة تمامًا مـدى ضعفي أمامه.

لـم تكـن لـديَّ أي جيـوب خفيـة فـي تنورتـي؛ لذلـك تركت الطباشـير المُباركـة بضـوء القمـر فـي البيت، وهو مـا يعني أننـي لم أملك أي شـيء يمكننـي أن أسـتخدمه لكـي أرسـم دائرة الحمايـة؛ لا أعشـاب كذلك لكي أهديهـا الأرض لتحمينـي، وقد سـيطر عليَّ شـعور بـأن ركضـي هربًا من أمامه سيكون أمرًا مسـليًا له. وكاد الرعب يخنقني، فقد كنتُ تحت رحمة ذلك الشيطان.

فجـأة، تحـول رعبـي إلى شـيء آخر؛ إلى شـعور قوي ومسـيطر ومظلم أحاط بي كأجنحة جلدية كبيرة. كان شـعورًا باردًا ينبعث من الماضي، لا بدايـة ولا نهايـة له. ومثل السـحر، أصبح ذلك الشـعور موجودًا هكذا دون أي تفسير.

وقد أردتُه أن يصبح *ملكًا* لي، كله.

فجأة، شـعرت بالغيرة من تلك القوة المهولة التي امتلكها الشـياطين. ولماذا تمتع الشياطين بها ولم أمتلكها مثلهم؟ لماذا أنا أقل من أن أستحق أن أمتلك قوة مثلها، وأن تصبح ملكًا لي وحدي؟

كنتُ مباركة، ولست ملعونة كالشياطين.

لو أنني تحكمت ولو في لمحة من تلك القوى الساحرة، فسأتمكن من إجبار الآخرين على إخباري بحقيقة ما حدث لشقيقتي، وسأتمكن كذلك من أن أمنع مقتل أي ساحرة أخرى بسبب تلك الصفقة الشيطانية. وسأستطيع كذلك إخضاع العالم السفلي كله لي. أردت أن أمتلك تلك القوة التي كرهتها بكل ما أملك. وكانت كراهية باردة كالثلج وقوية لدرجة أنني شعرت بالبرد يجمد أوصالي.

كان كل ذلك فوق ما أتحمل... أن أرغب فيما لا يمكنني الحصول عليه...

مال إنفي إلى الأمام، وفي عينيه الغريبتين شعاع يشي بطمعه. انتابني شعور غريب بأنه يعاني المشاعر نفسها التي عانيت منها؛ إنه يحسد إخوته بطريقة ما، وأن حسده لهم يكاد يصيبه بالجنون. لن أستطيع أن أتخيل أبدًا أنني قد أحسد شقيقتي بهذا الشكل. لا بد أنه شعور يسبب له الوحدة الشديدة، والعزلة.

أمسكت بالخنجر الذي أخذته من راث، وضغطت به على صدري، كدت أصدر صوتًا معبرًا عن لذتي والدم يسيل من جرحي، شق الخنجر جلدي، وبدلًا من الألم شعرت بنشوة غامرة ومرعبة. كنت على استعداد لأن أخرج قلبي فقط لكي أوقف ذلك الألم الذي ينبع من إدراكي أنني لن أمتلك تلك القوة أبدًا.

سرى تيار كهربائي صغير كان مصدره هو وشمي عبر جلدي كله، فحررني من تلك التعويذة، وطرفت عيناي كأنني كنت أحلم. نقلت بصري بين الخنجر الذي أمسكه بيدي المرتجفة، وعينيْ الشيطان الخضراوين اللتين تحول انتباههما إلى ذراعي.

لا بد أن إنفي كان يغذيني بمشاعره، أو يضعني في مواجهة نفسي.

قال الأمير الشيطاني: «هذا استثنائي».. «هل شعرتِ بمثل ما أشعر به؟».

لـو أنـه يشـعر بأنه في هاوية بـلا حدود ولا قـاع، وبالكراهيـة، والبرد، فإجابتي عن سؤاله هي، نعم. سألته: «ماذا فعلتَ بي؟».

أجابنـي: «سـمحت لمشـاعركِ الدفينـة بـأن تظهـر. يدعوهـا البعض بالخطايا».

ارتجفـت وأنـا أشـعر بأن أحدهم قـد اعتدى عليَّ بطريقة لم أشـهدها مـن قبل، وآملت ألا أختبرها مرة أخرى أبدًا. لقـد كدت أدفع بخنجر إلى قلبـي. ولـولـم يوقفنـي وشـمي في اللحظـة الأخيـرة، لكنت ميتـة الآن. لم أسـتطع سـوى التسـاؤل عمَّا إذا كنت قد أخطأت في نظريتي عن صائدي السـاحرات؛ ربمـا كانـت جدتـي محقـة طيلة الوقت بـأن اللـوم لا يقع على البشر.

لا شـك في أن ذلك الشـيطان هو المسئول عن كل تلك الجثث منزوعة القلوب.

لقـد أثَّـر إنفي فيَّ وأنا أرتدي تميمتي التي لم تكن كافية لمواجهة أمير من الجحيم. لم أكن متأكدة كذلك مما إذا كان قد استخدم قواه كلها، أم جزءًا صغيرًا منها.

لو أنه فعل ذلك معي وأنا في المطبخ مع عائلتي...

أغلقـت عينيَّ، لـم أرد أن أفكر في احتمالية ما كان ليجبرني على فعله بهم، وكيف أنني لم أكن لأمتلك القوة اللازمة لمقاومته. فهل كانت أي من تعاويذ الحماية الخاصة بنا لتعمل، أم أن أهميتها فقط تكمن في إحساس الأمان الكاذب الذي تمدنا به؟

مـع وجـود مخلوقـات كإنفي على وجـه الأرض، لم أثق قط بأننـا نعيشـ فـي أمـان. تملكتني رغبـة مفاجئة في البكاء، لا عجب فـي أن جدتي كانت تخبرنا بقصص عنهم، وحاولت أن تخيفنا بها.

هؤلاء الشياطين كانوا أسوأ من الكوابيس، والآن هم هنا في عالمنا.

قـال إنفـي: «هـذا غريـب»، ثـم ثبَّـت عينيـه اللتيـن تذكرانـني بأعيـن الحيوانـات المفترسـة علـيَّ، وتفحصنـي بفضـول. نظـرت إلـى وشـمي،

وفوجئت برؤية الثعبانين وقد أصبح جسداهما متصلين حول الهلالين، مكونين دائرة كبيرة حولهما. لقد شتتني الخوف لدرجة أنني لم أشعر بالألم الحارق بأعلى ذراعي. وتحوَّل اهتمام إنفي بعد ذلك إلى الخنجر الذي ربطته إلى حزامي مجددًا، وقد ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتيه، ثم قال: «هذا مثير للاهتمام بكل تأكيد، يا له من أمر شديد التعقيد! استدعاء قائم على الكراهية ومقيد بالدم».

سألته: «ما الذي تعنيه بهذا؟».

وضع يديه في جيبيه وهو يقول: «لديكِ شيء أريده».

قلت له: «لو أنك تريد قلبي النابض في صدري، فأنا أخشى من أنني لا بد أن أرفض طلبك».

«لا، لكنني أستطيع أن أتخيل أن الأمر سينتهي بكِ وأنتِ تعطينه أخي يومًا ما».

لم يشِ صوته بأي شيء مما يشعر به، وقد تساءلت عمَّا إذا كان راث يعرف كم يغار أخوه منه ومن الآخرين، لكنه لم يقل أي شيء عن الأمر.

قال: «ربما يمكننا أن نعقد صفقة ما، إذا وافقتِ على بيع روحكِ لبيت آل إنفي، فسأساعدكِ على أن تجدي ما تبحثين عنه». كان تعبيره غير بشري وباردًا، بينما وقف منتظرًا ردًّا مني. انتصب شعر مؤخرة عنقي بسبب ما أسمعه، وأكمل: «أرغب في أن أجمع كل ما هو فريد، وأنتِ ستكونين بمنزلة هدية فريدة لمنزلي. فهل تغنين؟».

«أنا لست فريدة. ولست «شيئًا»، ولا «هدية» لكي أنتقل كأنني شيء مثير للفضول في حفلة ما».

«هل أنتِ متأكدة من هذا؟». ابتسم وأكمل قائلًا: «لقد مر وقت طويل للغاية منذ آخر مرة رأيت فيها ساحرة ظلال. إنه لمن دواعي سروري أن تنضمي إلى منزلي».

لم أعرف ما قصده بقوله ساحرة ظلال، وكان هذا آخر ما يمكن أن يشغل بالي حينها، فقد تخيلت مجموعة من الساحرات والبشر وقد

تجمدوا تمامًا كالتماثيل، ووقفوا فوق لوح شطرنج كبير للغاية. وبدا إنفي شريرًا خبيثًا يستعرض بفخر إنجازاته، وهو يأمل أن يشعر الآخرون بالغيرة من ممتلكاته التي *يرغبها* الجميع.

ابتلعت خوفي المتزايد، وأنا غير متأكدة مما إذا كان ما تخيلته هو مجرد فكرة وضعها في مخيلتي. ولم أرد أن أعرف قط ما إذا كان هذا الخوف يحمل ولو ذرة من الحقيقة.

سألني إنفي وقد بدا كأن صبره أوشك على النفاد: «إذن؟» «هل ستنضمين إلى عائلتي؟ يمكنني أن أعرض عليكِ حمايتي من عالمي ومن إخوتي. فأنتِ *ستحتاجين* إليها بكل تأكيد، خصوصًا مع كل حالات القتل المؤسفة التي وقعت أخيرًا».

دق قلبي بجنون، وتذكرت مثلًا اعتادت جدتي ترديده، وهو «شيطان تعرفه خير من آخر لا تعرفه». ولم أشعر بكم كان مناسبًا إلا تلك اللحظة، فإذا خيِّرت بين عقد صفقة مع راث أو إنفي، فسأختار راث.

لم أشك ولو لحظة في أن إنفي كان سيستمتع بأن يسلخ جلدي بخنجره ذاك، طبقة وراء أخرى، حتى يعرف *بالضبط* سر كوني ساحرة ظلال.

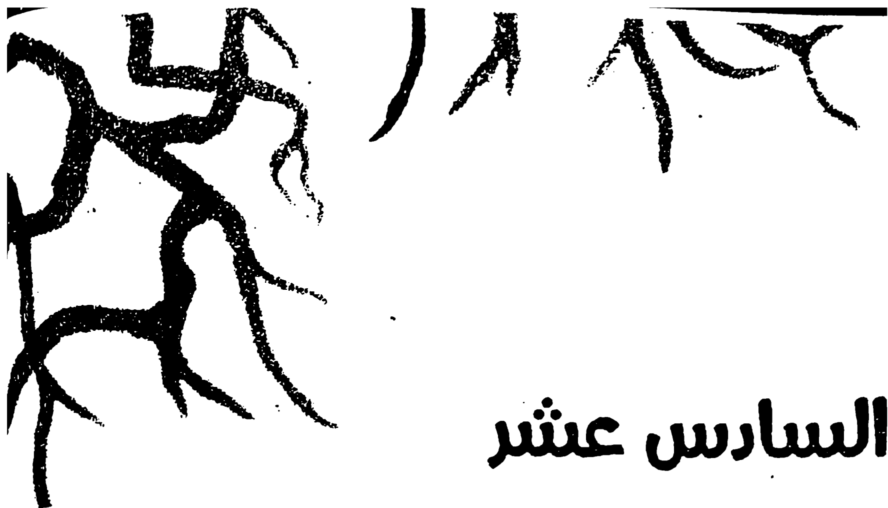
مهما كان ما يعنيه بساحرة الظلال.

ولأنني أفهم الآن طرقهم العتيقة والراقية في التعامل، لم أرد أن أغضبه بالتسرع في رفض عرضه. وبعد مرور ما بدا كأنه ألفية كاملة، وأنا أتظاهر بأنني أفكر في عرضه، قلت أخيرًا: «لا يمكنني قبوله الآن، شكرًا لك».

بدا كأنه على وشك المجادلة، لكنه فجأة أمال رأسه كأنه يعلن هزيمته، ونظرته تعود مجددًا إلى التركيز على وشم ذراعي.

قال: «حسنًا إذن، حتى نحن، أمراء الجحيم، لا نعرف ما يحمله المستقبل لنا، ربما تغيرين رأيك، أو ما تظنينه صوابًا. سأقبل بكِ حينها عندما تختارين الانضمام إلى عائلتي وليس إلى عائلة أخي». واستدار الشيطان ثم سار في الاتجاه الآخر من الشارع، ثم توقف عند مفترق

الطرق ونظر خلفه. وارتفع صوته قائلًا: «احذري، فالآخرون سينفد صبرهم، هذا إن لم يكونوا قد خرجوا للصيد بالفعل، سيأتون من أجلك قريبًا. ليكن هذا تحذيرًا لكِ، أو عربون صداقة من آل إنفي. اختاري عائلة لتتحدي معها، وإلا فسيكون هناك مَن سيتخذ هذا القرار نيابة عنكِ».



السادس عشر

تعالى صوت طقطقة نيران في مكان قريب، بعدها ارتفع دخان وزحف في الهواء، فبدا كأنه ثعبان هارب. عندما رأيت أمير الغضب للمرة الأولى في الدير، سمعت صوتًا مشابهًا لذلك الصوت. ربما هناك علاقة ما بين النار والدخان وانتقال الشياطين عبر العوالم المختلفة.

والآن وقد رحل إنفي، زفرت أنفاسي قوية ومتلاحقة وتقريبًا في السرعة نفسها التي نبض بها قلبي. لقد ظللنا مختبئين من «الشياطين» ثماني عشرة سنة، لكنني منذ قليل وقعت في فخ أحدهم، وقد استخدم قواه ضدي، ونجوت. أردت أن أضحك، أو أن أتقيأ. وقبل من أتمكن من القيام بأيهما، كان عليَّ أن أجبر ركبتيَّ على أن تتوقفا عن الارتجاف.

يا إلهي، كانت تلك هي أكثر اللحظات التي مررت بها رعبًا في حياتي. لو أن شقيقتي قد تورطت مع «الشياطين»، فسيصبح من الصعب عليَّ أن أظل في أمان بينما أسعى إلى الكشف عن أسرارها. لم أكن متأكدة مما إذا كان الحظ سيحالفني مجددًا في المرة التالية التي سأقابل فيها أميرًا آخر من أمراء الجحيم. إن لهم تأثيرًا قويًا على كل ما حولهم، وقد بدا أن قيامهم بهذا كان بلا جهد على الإطلاق، كما رأيت مع إنفي. نظرت خلفي حتى نهاية الشارع، وشعرت بالامتنان لأنه ظل فارغًا. فقبل أن يظهر إنفي، كنت في طريقي إلى الدير، وذكرت كلاوديا أن دومينيكو هناك، وقد فكرت في أنه ربما قد حان الوقت لسؤاله عمَّا إذا كان يعرف ما...

ثم اعتراني الخوف فجأة واستحوذ عليّ لدرجة أنني لم أتمكن من التنفس. قال إنفي شيئًا عن حيازتي شيئًا أراده. شيئًا آخر غير تميمتي التي أخفيتها في ملابسي حتى لا يراها، كما أنه لم يرد خنجر رات، وعداهما فأنا لم أحمل أي شيء آخر. لكن كلاوديا معها يوميات أختي، ولو كان بإمكان «الشياطين» الشعور بمكانها، فهذا يعني أن إنفي ربما يكون في إثرها بالفعل الآن.

لو أن أي شيء حدث لها...

انطلقت متجهة إلى منزلها، وأنا أركض بأسرع ما أستطيع لدرجة أنني كدت أفقد صندلي أثناء ركضي فوق الأرض الحجرية. ركضت أسرع، وأنا أركز فقط على الوصول إلى بيت كلاوديا قبل أن يصل ذلك الشيطان. قفزت فوق سلال متروكة في الخارج، وفوق أواني التبول، والدجاج الذي ركض هاربًا إلى الشوارع الجانبية. وتفاديت حبال الغسيل، ولم أرتطم بأي شخص من المارة إلا بصياد بائس بينما أتوقف فجأة أمام بيت كلاوديا.

ظللت أطرق الباب حتى أشعل أحدهم شمعة في الدور العلوي، ثم أخرجت كلاوديا رأسها من نافذة الدور الثاني.

قالت مندهشة: «إميليا؟ يا إلهي. لقد أخفتني! انتظري».

التفت حولي سريعًا لكي ألقي نظرة خاطفة على الشارع المظلم. لم ألحظ أي علامة تدل على أن أحدهم قد تتبعني. كما أنني لم أشعر بأن أحدهم يراقبني، وقد دعوت أن يعني هذا أن إنفي كان بعيدًا عنّا تمامًا.

بعد لحظات، فُتِح الباب وأشارت لي كلاوديا كي أدخل. أسرعت بالدخول، وأغلقت الباب خلفي بقوة، وأنا ما زلت ألهث.

«ما الخطب يا إميليا؟».

«هل خالتكِ في المنزل؟».

قالت وهي ترفع شمعتها ناحية وجهي: «لم تعُد بعد، ستتأخر في السوق قليلًا. ما الذي حدث؟، تبدين في حالة مروعة».

تنهدت، لكن أنفاسي خرجت متقطعة، وسألتها: «هل وجدتِ أي شيء يخص التعويذة الملقاة على اليوميات؟».

أجابتني: «لا، لم أنجح بعد. إنه سحر قديم، وبالتأكيد هو ليس من هذا العالم، لكن هناك شيئًا آخر غريبًا متعلقًا به. أنا أحتاج إلى المزيد من الوقت لكي أنجح في أن...»

«لا!»، ومددت يدي وضغطت برفق على كتفها؛ لكي أخفف من وقع كلماتي عليها: «أريدكِ أن تنسي كل ما يتعلق بتلك التعويذة. أرجوكِ، إن الأمر خطير للغاية».

ضاقت عينا كلاوديا، وهي تسألني: «هل هناك علاقة بين أي مما حدث معك والرؤيا التي انتابتني؟».

«ربما». أجبتُها وأنا أدلك جانبي رأسي، فقد زحف صداع رهيب عبر رأسي. ثم قلت: «اسمعي، أنا... أنا لست متأكدة مما حدث الليلة، لكن الشياطين هنا. وأنا أعتقد أن وجودهم هنا له علاقة بشكل ما بيوميات فيتوريا. ومهما كان السبب، فأنا لا أريد أن ألفت انتباههم إلى دفتر اليوميات ولا إليكِ».

سألتني: «هل تحدثتِ مع أحدهم؟».

أومأتُ، وقلت: «تبادلت محادثة لطيفة مع أمير الحسد منذ قليل. بدأت المحادثة وأنا على وشك إخراج قلبي من مكانه».

توقعت سماع شهقة حادة، أو أية إشارة ما بأن صديقتي كانت مرعوبة تمامًا من أن الشياطين كانوا يتجولون بالفعل في أنحاء صقلية. أو ربما ظنت أنني ضربت رأسي؛ فقد ذهبت هي بهدوء إلى الخزانة وأخرجت زجاجة من مشروب عشبي صنعته بنفسها. وسكبت لكل منا جرعة ووضعت كأسي أمامي.

ثم قالت وهي تشير إلى أحد الكراسي الخشبية: «اجلسي واشربي هذا، سيهدئ أعصابك».

ارتميت فوق الكرسي، ورفعت الكأس إلى أنفي لكي أشم ما فيها. كانت رائحة تشبه رائحة النعناع مع شيء آخر ربما يكون ليمونًا. شربته سريعًا وأنا أشعر بالامتنان لنكهته القوية. وقلت: «شكرًا لكِ».

تناولت كلاوديا مشروبها، ثم وضعت الزجاجة في مكانها.

«أنتِ لا تبدين متفاجئة، هل كنتِ تعرفين أنهم هنا».

أجابتني وهي تستند إلى الطاولة وتتنهد: «شككت في الأمر عندما بدأت تظهر جرائم القتل، ووُجدت الجثث منزوعة القلوب، حينها تذكرت اللعنة».

سألتُها: «هل تعنين دين الدماء بين الساحرة الأولى والشيطان الأكبر؟».

أجابتني ببطء: «لا، أعني اللعنة».

تجهمت وأنا أفكر فيما قاله راث عن كون الشيطان يريد إبطال اللعنة، فسألتُها: «هل أُلقيت اللعنة على الساحرات، أم على شيء آخر؟».

أجابتني: «هذا هو لب الأمر». تحركت حول الطاولة، ثم خفضت صوتها وأكملت: «لا أحد يعلم الإجابة عن هذا السؤال خاصة، فساحرات الظلال يؤمنَّ بأن الساحرة الأولى قد دفعت ثمن إلقائها تعويذة الانتقام على الشيطان».

كان هذا تفسيرًا مقبولًا، فالسحر الأسود يتطلب مقابلًا. لكن موضوع إلقاء تعويذة على الشيطان ذاك... انتابتني رجفة على الرغم من حرارة الصيف الخانقة. ومرت بذهني بعض الذكريات الضبابية لجدتي وهي تذكر الأمر، لكنها لم تبدُ مقتنعة بحقيقته. سألت كلاوديا: «لماذا لعنت الشيطان؟».

«تدعي القصص القديمة أنه سرق روح مولودها الأول، ومنذ ذلك الوقت والشيطان عالق بالجحيم إلى الأبد. فيما يستطيع إخوته أن يسافروا عبر العوالم لكن في حدود معينة، في الأيام التي تسبق أو تلي اكتمال القمر غالبًا، لكن بالنسبة إليه فهو لن يستطيع أبدًا أن يغادر

العالم السفلي. لكن هذا ليس كل شيء، ومن المفترض أنه لن يستعيد قواه كلها إلا إذا جلست ساحرة على العرش بجانبه وهي ترتدي قرني هاديس لكي تحفظ التوازن بين العوالم المختلفة».

«قرنا هاديس؟ هل يشكلان تاجًا ما؟».

«لا يوجد ما يمكنه أن يشرح طبيعتهما بالضبط، أو كيف يعملان. تظن خالتي أن جزءًا من اللعنة يتضمن محو أو كبت ذكرياتنا. فهي أيضًا تؤمن بأن هذا هو ما حدث حقًّا مع العجوز صوفيا سانتوريني؛ وهو أن جلسة تحضير الأرواح التي قامت بها كشفت عن شيء ما بخصوص اللعنة، وأنها أرادته أن يظل طي الكتمان».

سألتها: «عندما تقولين 'إنها...'، هل تقصدين اللعنة؟ هل تعنين أنها كيان متفرد بذاته؟».

أومأت كلاوديا، وأكملت: «من الغريب أن لا أحد يتذكر تفاصيل معينة. الجميع يتذكر نسخته الخاصة من الأسطورة، لكن لا أحد يعرف الحقيقة كاملة».

«لم تخبرني جدتي بأي من هذا من قبل».

«لست متفاجئة من هذا. أخبرتني عمتي بأن ساحرات النور لا يؤمنَّ بأن الساحرة الأولى يمكنها أن تلقي بتعويذة خطيرة كتلك، فالقيام بهذا سيشوه الصورة التي يردن العالم أن يراها عليها؛ فهن يُردن أن يظن الجميع أنها مباركة، لكن من يعرف الحقيقة؟». وهزت كلاوديا كتفيها، ثم أكملت: «تتغير القصص في كل مرة يحكيها أحدهم، وربما تكون قد تحولت إلى محض خيال الآن دون شيء من الحقيقة فيها، والطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها أن نعرف الحقيقة هي إذا حصلنا على كتاب التعاويذ الأول الذي سطرته الساحرة الأولى. لقد سمعت بعض الأقاويل عن أن الشياطين يبحثون عنه. ربما هناك تعويذة داخله ستسمح للشيطان بأن يتخلص من التعويذة التي تقيده ليصبح حرًّا مرة أخرى في التنقل بين العوالم المختلفة دون أن يحتاج إلى الزواج بساحرة».

سرى نوع من عدم الارتياح داخلي وأنا أفكر في أوراق السحر القديمة التي خبأتها فيتوريا تحت ألواح الأرضية. ومن المستحيل أن تكون شقيقتي قد وجدت كتاب التعاويذ المفقود الخاص بالساحرة الأولى.

ومع ذلك، هناك سحر قديم يتحكم في يومياتها وهو ليس من هذا العالم. فهل ذكرت المكان السري لذلك الكتاب في يومياتها؟ كنت سأظن الأمر مستحيلًا، لكنني تعلمت أن المستحيل ليس سوى محض خيال.

لو أن الأمر صحيح، إذن، كيف تمكنت شقيقتي من أن تجده؟

أبعدت الكرسي الذي كنت أجلس عليه عن المائدة، ووقفت... لكي أتمكن من أن أجد إجابات لكل أسئلتي، فعليَّ أن أمنع أي شخص من أن يقترب أو يضع يده على يوميات فيتوريا. فلو أنها تتضمن تعويذة يريدها الشيطان الأكبر، ويمكنها أن تحرره من الجحيم، فهذا يعني أنها أكثر خطورة مما ظننت في البداية.

سألتها: «هلا أحضرتِ لي دفتر اليوميات؟».

السابع عشر

في تلك الليلة وجدت أول دليل مخبأ تحت ألواح الأرضية في غرفتي. وكما هي الحال مع معظم التفاصيل التي تبدو تافهة في البداية، تغاضيت عن قطعة الحجر المستخدمة في نوادي المرح عندما رأيتها للمرة الأولى، فقد كنت مشغولة جدًّا بالمذكرات وأوراق الكتابة الغريبة لدرجة أنني لم أهتم كثيرًا بتذكار آخر احتفظت به أختي، خاصة أنه كان صغيرًا ولا يبدو ذا أهمية.

قلبت قطعة الحجر بعناية، وقرأت الكلمة اللاتينية المنقوشة على الظهر: «أفاريشا»، وتعني الجشع. تأملت الضفدع المتوج المنقوش على أحد وجهيها. قبل شهر لم أكن لأعطي وزنًا أو أهمية للتاج أو تلك الكلمة اللاتينية. كان من سوء حظي الآن أن أقابل اثنين من أمراء الجحيم السبعة الباطشين، وألا أتمكن من الهروب من الشكوك المزعجة بأن صاحب قطعة الحجر تلك هذه مخلوق مرعب آخر أود تجنبه.

إذا كان مثل إنفي، فإنني لا أستطيع أن أفهم لِمَ قد يرغب أحدهم في البحث عنه. فمن ناحيتي، لا أستطيع أن أتخيل مقدار الأذى الذي قد يحاول إلحاقه بي. لكن، لا بد أن فيتوريا قد واجهته ما دامت قد احتفظت بهذه القطعة. ومهما كانت العلاقة بينهما، كان من المهم أن تترك قطعة صغيرة تخصه ليجدها شخص ما.

حتى الآن، على الرغم من أنني لم أستبعد تمامًا احتمال أن يكون صائدو الساحرات هم المسئولين عن جرائم القتل، فإنني لم أجد أي دليل قوي يشير إليهم.

في الوقت الحالي، كنت بحاجة إلى التركيز على هذا الدليل، وتنحية شكوكي الأخرى جانبًا.

ألقيت نظرة نحو نافذتي، وإلى النجوم وهي تلمع في الظلام بينما تمر السحب أمامها. تمنيت لو أن شقيقتي قد وثقت بي وباحت لي بأسرارها. لكن التمني لن يصل بأي منا إلى أي مكان الآن، بل القيام بما يجب هو ما سيفعل ذلك. أخرجت قطعة من المخطوطة من منضدتنا المشتركة، وجلست مع قلم ووعاء من الحبر. إن كتابة الأشياء التي تحتاج للمزيد من البحث قد يساعد على الكشف عن خيط آخر. كان وجود أمراء الشياطين دليلًا قويًا، لكن لازمني شعور مزعج بأنني قد فوّت شيئًا ما سيطر عليّ.

كان لا بد من وجود رابط يربط الأشياء بعضها ببعض؛ يشبه العثور على قطعة الأحجية المفقودة.

دفتر يوميات محمي بتعويذة قوية - ترى، أي سحر لجأت إليه فيتوريا لكي تحمي دفتر يومياتها؟ وكيف نجمدته؟

صفقة مع الشيطان - لماذا وافقت على أن تصبح عروسه؟ هل للأمر علاقة بالسبب الذي ذكرته كلاوديا؟ أم هل ظنت أنها يمكنها عدم الوفاء بنصيبها من الصفقة والبقاء هنا؟

الكتاب الأول للتعاويذ - لو أنه ملك الساحرة الأولى، فكيف يمكن للشياطين الشعور به؟

قرنا هاديس - ما هما؟ وهل هما عبارة عن تمائم؟ وإلى أي مدى تصل قوتهما؟

ضحايا الساحرات - هل هم متورطون في الأمر؟ ولو أنهم كذلك، فهل يرافقون الشياطين، أم أن هناك صلة بينهم وبين صفقة الشيطان؟

قرأت ملاحظاتي سريعًا، لم يظهر أي شيء بشكل استثنائي، عدا... عدت بذاكرتي إلى اللحظة التي بدأت فيها فيتوريا تتصرف بغرابة. لقد حدث ذلك قبل وفاتها بثلاثة أسابيع تقريبًا. مع اقتراب ذكرى ميلادنا الثامنة عشرة. افترضت حينها أن الأمر يتعلق بعلاقتها السرية مع دومينيكو، ولكن يبدو من المرجح الآن أن ذلك كان عندما بدأت استدعاء الشياطين.

وبعد أسبوع واحد، وقعت أول جريمة قتل في شاكة. ثم ماتت الساحرة الأولى في باليرمو بعد أيام قليلة من ذلك. وفي غضون أسبوع من جريمة القتل الثانية، قُتلت أختي. لم أكن أعرف ما إذا كان راث سيشاركني أي معلومات تفصيلية عن الصفقات أم لا، ولكنَّ هناك احتمالًا قويًا بأن يكون الاستدعاء الأول لأختي مرتبطًا برغبة الشيطان المفاجئة في إبطال اللعنة.

ربما أدى استخدامها السحر الشيطاني إلى إيقاظ شيء ظل نائمًا فترة طويلة في العالم السفلي. وإذا تمكنت هي من استدعاء أمير من أمراء الجحيم، فإن كل شيء ممكن، أو ربما لم يكن أيٌّ من ذلك صحيحًا. وإذا لم تستدعِ شيطانًا أو تجد أول كتاب تعاويذ، فربما وجدت قرني هاديس، وقد أدى اكتشافهما إلى تغيير كل شيء.

دفعت تلك الأفكار جانبًا، وركزت على النظرية التي بدأت بها. صائدو الساحرات، لقد كانوا بشرًا، لكن البشر استخدموا السحر الشعبي بوصفه جزءًا من تقاليدهم في جميع أنحاء مملكة إيطاليا، فربما كانت لديهم طريقة ما يسترشدون بها من أجل استخدام هذا النوع من السحر الأسود.

تنهدت، لا تزال نظرية صائدي الساحرات غير متوافقة مع المعطيات التي لديَّ تمامًا، بغض النظر عن مدى صعوبة محاولتي فهمها. ومع ذلك، على الأرجح هناك صلة بين الشياطين الذين استُدعوا، وصفقة الشيطان، وعمليات القتل التي تلت ذلك. لقد قمت باستدعاء أمير من أمراء الجحيم، وغالبًا ستكون فيتوريا قد حققت المستحيل أيضًا. وهو ما يطرح السؤال المتعلق بالمصدر الذي حصلت منه على تعويذات الاستدعاء. وكتبت ملاحظة أخرى.

أوراق السحر السوداء (الجريمواز) — هل استدعت فيتوريا شيطانًا للسيطرة عليها، أم أن أحدهم أعطاها تعويذة الاستدعاء هذه؟ وإذا كان الأمر كذلك، فمن هو ولماذا؟

توقفت عن الكتابة، وأمعنت التفكير في النقطة الأخيرة. فماذا لو لم تستدعِ فيتوريا شيطانًا من الأساس... ربما كان أحدهم موجودًا هنا بالفعل، مثل راث. فإذا أعطى ذلك الأمير الشيطاني أختي أوراق السحر تلك، فهل يعني هذا أنه أقنعها بمساعدته على تنفيذ مخطط شرير ما؟ وما الذي يمكن أن يستفيده أمير من الجحيم من إغضاب الشيطان، وقتل جميع مَن سيتزوجهن؟ هل كان ثمنًا لا بد من دفعه من أجل تقوية عرش الظلام؟ بغض النظر عن الأسرار التي تحتفظ بها أختي، كنت أعرف على وجه اليقين أنها لن تساعد أي شخص أبدًا إذا قتل أي ساحرة.

التقطت قطعة حجر الحظ، وتساءلت في داخلي عمًا إذا كانت فيتوريا لم تأخذ هذه، بل كانت هدية لها. ربما كانت عربونًا للتعبير عن حسن النية، أو... كنت بحاجة إلى التوقف عن التخمين وبدء الصيد. إن لديَّ خطة جديدة للتنفيذ في الصباح، وقد آلمتني معدتي بسبب القلق.



سألت سلفاتوري وأنا أريه قطعة الحجر: «هل رأيت مثل هذه من قبل؟». ربما كان بائع ملابس عاديًا، لكنه كان مصدرًا استثنائيًا للمعلومات. استيقظت مع شروق الشمس، وخرجت مسرعة من المنزل قبل أن تستجوبني جدتي بشأن الشيطان مرة أخرى، وربما لن يطاردني بعد، لكنني بالتأكيد أحاول العثور عليه وعلى إخوته البائسين.

تساقطت حبات من العرق على رقبتي أثناء ركضي إلى السوق، ربما بدت هيئتي جامحة بعض الشيء بسبب تجعد شعري الرطب خاصة، وآملت ألا يدقق سلفاتوري في هيئتي، فهناك شيء أكثر إثارة للاهتمام يجب الالتفات إليه. من بين جميع من في المدينة، كان سلفاتوري هو الشخص الذي لا يخيب الظن مطلقًا في قدرته على نقل الشائعات والنميمة.

والأرجح أنه سيشارك كل التفاصيل التي يعرفها مع أي شخص يسأل مهما كان ذلك الشخص.

ألقى بسؤال مبتور: «هل هذا...؟»، ثم انحنى فوق كومة من القمصان المطوية. وأكمل: «إنه هو بالفعل! إنه النادي الذي يتحدث عنه الجميع هذه الأيام. إنه نادٍ غامض حقًا. لا اسم، فقط ختم الضفدع الذي يرتدي التاج على الباب. سمعت أنه يغيِّر أماكنه باستمرار، وأنكِ بحاجة إلى إحدى تلك القطع للدخول». فتش في كومة من الملابس، وأمسك بفستان قرمزي جميل. وكان واحدًا من أرقى الفساتين لديه، وقد بدأت أتشكك

في الأمر على الفور. قال: «هل تبادلينني؟ سأعطيكِ هذا الفستان مقابل هذه القطعة من الحجر. ما رأيكِ؟ إنها صفقة جيدة».

«شكرًا لك، لكنني سأحتفظ بها لنفسي». وضعت القطعة في جيبي، ثم سألته: «هل تعرف الموقع الأخير لهذا الوكر؟».

«في مكان ما بالقرب من الكاتدرائية، لكن كان ذلك منذ عدة أيام. وعلى الأرجح فإن المكان اعتراه تغيير الآن. فإذا لم يحالفك الحظ هناك، فاسألي العجوز جيوفاني الذي يبيع الجرانيتا بالقرب من المدخل الأمامي، إنه يحب ممارسة هذه الألعاب».

قررت أن أجرب حظي مع الكاتدرائية أولًا. قضيت ثلاثين دقيقة مشيًا مارة بكل زقاق وشارع جانبي. وعثرت على رجل يتبول بالقرب من نخلة، وفكرت في أنه ربما يكون هناك مخبأ سري ما عند تلك النخلة لكنه لم يكن كذلك. بحثت بضع دقائق أخرى قبل أن أذهب للبحث عن العجوز جيوفاني. وكانت اللافتة المعلقة على طاولته تشير إلى أنه «مغلق».

بالطبع. ربما كان في وكر اللعب.

كنت على وشك الاستسلام وتجربة حظي في مكان آخر عندما شعرت بالرغبة المفاجئة في الإمساك بتميمتي. ربما كانت ساحرة الموت والغضب هي التي ترشد طريقي، أو ربما في مكان ما في أعماقي في موضع لم أرغب في استكشافه من قبل، شعرت بشيء ما يجذبني إلى ممارسة السحر الشيطاني.

كان بإمكاني أن أقسم أنني سمعت طنينًا خافتًا يقودني في طريقي. ولم أكن أعرف ما إذا كنت قد أسلمت نفسي تمامًا للأشباح، أم أنها مهارة خفية داخلي تظهر في كل مرة أمسك فيها تميمتي وأركز. لم أهتم بالسبب، كنت بحاجة فقط إلى السماح لغرائزي بتوجيهي.

بعد بضع دقائق من التجول في الطرق الجانبية التي أبعدتني عن الكاتدرائية، توقفت أمام أحد الأبواب، وقد حُفر ضفدع يرتدي تاجًا عليه. لقد نجحت في الوصول إليه!

شعرت بالغثيان قليلًا. تركت *تميمتي*، وفكرت في خطوتي التالية. يمكنني أن أعود وأذهب إلى مطعم *سي أند فاين* وأنسى هذا الكابوس، وأترك أمراء الجحيم لشخص أكثر استعدادًا للتعامل معهم، أو يمكنني أن أحاول أن أكون ولو قليلًا مثل فيتوريا.

أخرجت قطعة حجر الحظ من جيبي، ووضعتها على الباب، متمنية ألا أسير على خطى أختي *تمامًا وألا ألقى مصيرها*.



الثامن عشر

لإلقاء تعويذة المجاعة، ادهني شمعة حمراء بالمكونات التالية أثناء اكتمال القمر، ثم أحرقيها حتى ينطفئ اللهب: القليل من الفلفل الحار، بعض القرنفل، نقطتين من زيت مبارك، وملعقة كبيرة من الفحم المطحون.

- ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

فتح الباب، ونزلت عبر مجموعة من السلالم التي أخذت تحدث صريرًا قبل الدخول إلى مخبأ تحت الأرض. وبناءً على المدخل المسدود القذر، فكرت في أن الجزء الداخلي من وكر جريد سيكون مظلمًا ومهجورًا. وهو ما كان صحيحًا في جزء منه في الواقع؛ كان المكان المكتظ مظلمًا بالفعل - جدران من الطوب، ومشرب من خشب الأبنوس اللامع يمتد بطول الغرفة، والعديد من الطاولات ذات الأسطح المخملية باللون الأحمر الداكن منتشرة على الأرضية المبلطة.

خصصت كل طاولة للعبة ورق مختلفة، وكانت هناك جولة من اللعب جذبت أكبر قدر من الاهتمام، حيث تجمع الرجال والنساء، وأنظارهم مثبتة على ما كانوا يأملون أن تكون ورقتهم الرابحة، وكان لديَّ شعور بأن الفائز الحقيقي الوحيد هو الأمير الشيطاني الذي يتحكَّم بالمكان.

كان وكر اللعب يفيض بالوعود والثروات، كما كانت الرغبة في الثروة والسلطة قوية للغاية، لدرجة أنها كادت تصبح ملموسة. تخيلتها تصل إلى حلقي، وتضغط حتى أتنفس الهواء المشبع بالطمع. انتقل انتباهي من طاولة مليئة بالخطيئة إلى أخرى.

ظهر الطمع بأشكاله المتعددة، فقد كان هناك طمع للسلطة والثروة والاهتمام، وكان الإفراط هو السم المفضل هنا، ويبدو أن الزبائن لم يتمكنوا من الحصول على ما يكفيهم. تساءلت عمَّا إذا كانوا يعرفون ما الوقت، وأن الشمس قد أشرقت من فورها، وهي تطالبهم بالخروج من أجل كسب قوت يومهم. كان بعضهم منهكين ومتعبين، كما لو أنهم ظلوا مستيقظين عدة أيام، وقد أدمنوا شكلًا من أشكال الجشع الذي اختاروه. كان هناك أيضًا تيار من العنف المنتشر في الجو، ويمكن أن يحوِّل رغبة بسيطة إلى شيء مميت في أي لحظة. لم يكن من الصعب تخيل شخص وهو يطعن منافسيه، ويأخذ ما يريد بالقوة.

لاحظت أن البعض ينظرون بحدة إلى إحدى الزوايا، فتتبعت نظراتهم، ووجدت رجلًا يجلس هناك وتحيط به العشرات من زجاجات الخمر باهظة الثمن، وهو يوزع المشروبات على أولئك الذين ينعمون بحضوره. وفي الطرف المقابل من الغرفة، كان الرجال والنساء يخلعون قطع ملابسهم ببطء، ويهزون أجسادهم على أمل أن يلفتوا انتباه النظرات الجشعة لأولئك الذين يكتفون بالمشاهدة. كان الاهتمام هو رذيلتهم، وعلى الرغم من أنه بدا لي بوضوح أنه من الخطأ المشاركة في شيء كان من المؤكد يعزز قوة جريد أمير الطمع، فإنني لم أستطع منع نفسي من متابعة عرضهم المثير.

حاولت أن أدفع نفسي للخروج من غيبوبتي المؤقتة تلك، وبحثت عن هذا الشيطان الذي كنت أظن أنه موجود في مكان ما هنا.

كان هناك باب ناحية الجدار البعيد محاطًا بحراس متجهمين يرتدون ملابس فاخرة. جزمت أنني سأجده هناك، هذا إذا تمكنت

من اجتياز الغرفة المزدحمة؛ كان هناك الكثير من الزبائن لدرجة أنني اضطررت إلى التحرك بحذر. حاولت التجول حول مجموعات من الأشخاص الذين يقفون خلف لاعبي الورق، لكنني بمشقة كنت أمر من بين أجسادهم المتحجرة. كان النُّدل يحملون الصواني الفضية المليئة بالطعام والشراب، ما يجعل التقدم أكثر صعوبة مما كان عليه بالفعل. ثم تمكنت من المرور سريعًا من بين صف من الأشخاص بينما يضعون جانبًا كئوس مشروباتهم إيذانًا ببدء القتال الذي نشب بالفعل خلفي.

تعالت الهتافات وقهقهات السخرية على طاولة قريبة، فوقفت على أطراف أصابعي، ونظرت إلى حشد من الناس الذين أرادوا معرفة ما أثار رد الفعل ذاك. كان الباب لا يزال بعيدًا بشكل مستحيل، وفكرت في القفز على الطاولات، والركض فوقها لكن الفكرة تحطمت عندما سمعت اسمها؛ الذي كان بمنزلة نصل طعن قلبي.

«فيتوريا!».

التفت ببطء بحثًا عمن نادى أختي. جذب انتباهي رجل في عمر والدي تقريبًا، يكاد يسقط من فوق الكرسي الذي يجلس عليه. كانت قطع حجارة اللعب والكئوس الفارغة مكدسة في أكوام عشوائية من حوله. رفع بصره، فأخذت نفسًا حادًّا، كان السيد دومينيكو نوتشي.

قلت: «سيد نوتشي. هل أنت...»

قال: «يا فيتوريا، كوني فتاة طيبة وأحضري لي شيئًا لأشربه، هل يمكنكِ فعل ذلك؟».

تحوَّل انتباهه إلى الورقة التالية التي لعبها أحدهم. ثم أكمل قائلًا: «هلا تحضرين لي أيضًا بعض الأخطبوط المقلي مع المزيد من صوص الأرابياتا لأغمسه فيه. ستكون مباراة طويلة ثانية. هؤلاء الغشاشون يجعلونني أشعر بأنني أنا الجشع».

وابتسم كما لو كان يشاركني سرًّا خطيرًا.

«أنا لست... أنا إميليا، أختي هي...». كان من الواضح أن السيد نوتشي ثمل، وربما اعتقد أنه كان في مطعمنا يطلب العشاء. كانت صلصة المارينارا الحارة والأخطبوط المقلي من أكثر الأطباق شعبية لدينا، كما أوضح ذلك أيضًا ارتباكه بشأن مناداتي بفيتوريا، فقد اعتادت مساعدة والدنا وعمّنا في غرفة الطعام أحيانًا. «سأحرص على أن أرسل أحدًا بالطعام قريبًا».

التفت واصطدمت بصدر صلب؛ كان أحد الرجال الذين يرتدون ملابس أنيقة ويحرسون الباب. حدق إلى وجهي وقال: «يرغب الرئيس في التحدث معكِ. اتبعيني».

مهما كان الألم الذي شعرت به عندما ناداني السيد نوتشي ظانًّا أنني أختي، فقد تبدَّل على الفور، وحل الخوف محله. تبعت الرجل قوي البنية وهو يفسح الطريق إلى الباب. شعرت بالقوة كأنها تطل برأسها من مصدر ما خلف الباب، وعرفت أن ذلك يعني وجود أمير من أمراء الجحيم في الداخل. فسيطرت على أعصابي المضطربة.

لم يضع الرجل وقتًا طويلًا في اللعب بمخاوفي، ودفع الباب ليفتحه. اندفع إلى الغرفة دون أن يلقي نظرة ثانية، وتبعته دون أن يكون لي أي خيار آخر.

«إنها هنا يا سيدي».

لا أعرف ما الذي كنت أتوقع رؤيته، ربما يكون تنينًا ينفث النار ويحرس جبلًا من الذهب والمجوهرات، أو ضفدعًا سامًّا كبيرًا حقًّا يقذف بلسان يشبه السوط مغطى بالأشواك.. لكن ما رأيته كان غرفة فخمة أرضيتها مغطاة بالسجاد الفارسي، ومكتبًا ضخمًا، وكراسي جلدية فخمة، وثريا كريستالية باهرة. وكان كل شيء أنيقًا ودافئًا، على عكس ما اعتراني من رعشة سرت في ظهري.

جلس جريد أمير الطمع خلف المكتب الضخم، وأصابعه تحت ذقنه، والملل مرتسم على وجهه المنحوت بدقة. كان، باختصار يشبه التماثيل

البرونزية؛ من شعره البني الداكن إلى عينيه النحاسيتين الداكنتين، ذكَّرني بالعملات النحاسية المصهورة والمعاد تشكيلها على شكل إنسان. وإذا كان لديه خنجر مثل إنفي أمير الحسد وراث أمير الغضب، من الواضح أنه قد أخفاه جيدًا. ما جعلني أقل ثقة به.

قال وهو يبتسم: «لم أكن أتوقع هذا اللقاء، لكنني سعيد به على الرغم من ذلك». كان هناك شيء كريه بشأنه.. شيء ليس طبيعيًا تمامًا. قال: «تفضلي بالجلوس».

وأشار إلى أحد الكراسي التي أمامه، لكنني بقيت واقفة بالقرب من الباب. إما أن قواه تضاءلت إلى حد كبير على الرغم من الطمع المتدفق من وكر اللعب الخاص به، أو أنه تعمَّد أن تبدو ضعيفة من أجل هذا الاجتماع. إنها لعبة شيطانية معتادة؛ التظاهر بالضعف لإغراء الفريسة، على الرغم من أنه وفي هذه الغرفة لا يبدو أنه يخفي من هو أو من أين أتى.

وقف اثنان من الحراس الشياطين خلفه وأذرعهم متقاطعة، وهما يزمجران. كان لدى أحدهم جلد كالزواحف أخضر شاحب، وعينان متطابقتان. والآخر كان مغطى بفراء قصير يشبه الغزلان، وله عيون شديدة السواد وقد ارتفع من رأسه اثنان من القرون الملتوية. كان الأمر مقلقًا؛ أن ترى شيئًا يشبه الإنسان تقريبًا لكن بجلد وعيون حيوان. حاولت إقناع نفسي بعبور الغرفة للجلوس في مقابله، لكنني لم أتمكن من إجبار جسدي على حملي إلى أي مكان بالقرب من هؤلاء الشياطين. قلت: «أنا...»

تحوَّل انتباه جريد ببطء مني إلى ما لفت انتباهي. طرقع بأصابعه فخلت الغرفة تمامًا. وعندما نظر إليَّ مرة أخرى، كانت نظراته تمتلئ بالجوع؛ نظرة تنضح بحب التملك. لم يرد إغوائي، بل أراد أن يمتلكني. إنني لن أكون جائزة بالنسبة له مثل إنفي، بل سأكون أداة للسلطة.

قال وهو يومئ برأسه إلى الكرسي غير المشغول: «إميليا، من فضلك، لن يؤذيكِ أحد أثناء وجودك هنا. أعدكِ».

هكذا وعد الذئب الدجاجة الصغيرة. أثار استخدامه اسمي قلقي، لكنني تمكنت من أن أتظاهر بالتماسك وأنا أخطو إلى الأمام وأجلس. وسألته: «هل أخبرتك أختي باسمي؟».

أجابني: «لا، أنتِ من فعلتِ ذلك. اعذري وقاحتي، لكن لديَّ مخبرين في جميع أنحاء النادي. لقد سمعوا حديثك مع أحد زبائني الدائمين». كانت ابتسامته مقنعة تقريبًا هذه المرة. تساءلت عمَّا إذا كان قد شعر بخوفي وجهَّز ردوده وفقًا له. أثارت هذه الفكرة قلقًا جديدًا! لم أكن بحاجة إليه. أن أكون وحدي مع أمير الطمع، كانت فكرة متهورة للغاية، لكنني حقًا لم أستطع التفكير في طريقة أفضل للحصول على المعلومات. وأكمل قائلًا: «في الواقع، لم تذكرك فيتوريا على الإطلاق. إنها مفاجأة تمامًا».

سكب في كأس ماء من إبريق لم أنتبه لوجوده من قبل، ثم ملأ لي واحدة. كان هناك رسم للضفادع المتوجة على الكأسين. قبلت الماء، لكنني لم أشرب. سألته: «لماذا الضفدع؟».

أجاب: «إنها مخلوقات جشعة لا تكتفي بالأرض أو بالماء فقط، بل ترغب في كليهما».

كانت إجابة منطقية... وفق منطقه الشيطاني، وسألته: «هل استدعتك فيتوريا؟».

كانت أجابني وهو يمعن النظر في: «لديكِ الكثير من الأسئلة. هذا غريب... أنتما متطابقتان تمامًا».

لم تُظهر كلماته مشاعره. كان يقر بحقيقة واقعية، ولا شيء آخر. كما لا يبدو عليه التأثر بموت أختي.

سألته: «أعلم أن أختي قد جاءت إلى هنا قبل أن تُقتل. أريد أن أعرف السبب. ماذا كانت تريد منك؟».

أجابني: «إمم، يا لها من خطوة جريئة أيتها الفأرة الصغيرة». وانحنى إلى الوراء، ورمقني بنظرته الحادة، وقد بدا كأنه يحسب خطوته التالية. بذلت قصارى جهدي حتى لا أرتجف بسبب تأمله لي. إلى أن قال: «يبدو أن لديَّ معلومات قيمة تريدينها. وأنت، يا آنسة دي كارلو، لديكِ أيضًا شيء ذو قيمة كبيرة لي. سأجيب عن أسئلتك بأفضل ما في استطاعتي مقابل تميمتكِ».

أمسكت تلقائيًّا بتميمتي وسألته: «لماذا تريدها؟».

«هل تعلمين ما هذا؟».

أجبته: «إنها تعويذة شعبية لدرء العين الشريرة». على عكس سحر *مالوكيو* «عين الشر» التي يرتديها البشر، فإنها ستجلب على العالم أيضًا شفقًا أبديًّا إذا جمعت مع تميمة أختي، وفقًا لما قالته لي جدتي. قررت أن أحتفظ بتلك المعلومة لنفسي، في حال شعر بالإغراء لتملك التميمتين وبدأ لعابه يسيل على ملابسه الفاخرة.

همهم جريد وهو يخرج كيسًا مخمليًّا من درج مكتبه، ويسقط في كفه عقدًا عبارة عن سلسلة ذهبية بها ياقوتة بحجم بيضة السمان تتلألأ في الضوء. صدر عنها شيء غريب، يشبه تقريبًا نحيبًا عاليًّا قادمًا من بعيد، وهو ما أصابني بالتوتر الشديد.

أردته أن يعيده إلى حيث وجده، وفي الحال، سألته: «ما هذا؟».

أجابني: «إنها تسمى عين الظلام، وهي تمنح من يرتديها الحماية الحقيقية من المخلوقات ذات النيات الخبيثة. أعطيني تميمتك، وستكون ملككِ».

هدية كهذه لا تأتي دون ثمن، سألته: «وماذا تريد أيضًا؟».

«أن تنضمي إلى منزل آل جريد».

حدقت إليه وأقسم أن جلدي بدا كأنه يكاد ينفصل عن جسدي احتجاجًا على ما سمعته. كان جريد وسيمًا بشكل كلاسيكي، لكن كان هناك شيء غريب به. لقد كانت عيناه خاليتين من المشاعر الإنسانية.

بدا غريبًا وغير طبيعي. لم أستطع أن أتخيل أن أختي قد وقعت في حبه أو رغبت فيه، ما يعني أن سبب مجيئها إلى هنا لم يكن نتيجة الإغواء. لقد كانت لديه المعلومات التي أرادتها. وأنا أردت أن أعرف تلك المعلومات.

«ولماذا تريدني أن أتحالف معك؟».

«لأنني أعتقد أنك ستكونين مفيدة جدًّا لي في المستقبل. وإذا أصبحت ملكة، فسوف تدينين لي بمعروف كبير. وستكونين ملكة قوية خاصة إذا انتهى الأمر بهذا السحر وأنقذ حياتك».

لم يبدُ جريد لي من النوع الذي يجازف، ما جعلني أكثر ترددًا في قبول هذه الهدية الصغيرة. لم يكن لديَّ أي مخطط لكي أصبح ملكة الشياطين، وبالتأكيد لن أعطيه سببًا لمساعدتي لكي أجلس على ذلك العرش المظلم.

«هل قدمت عين الظلام لأختي؟».

«اقبلي صفقتي لتعرفي الإجابة».

قلت: «إذا لم تجب عن أسئلتي البسيطة، فأخشى أننا انتهينا هنا». وقفت، مستعدة لأن أبتعد عن هذا الأمير، وذلك المكان بأبعد قدر ممكن، عندها قام واقفًا عن كرسيه.

«انتظري»، ثم جلس مرة أخرى ووضع عقد الياقوت في حقيبته مرة أخرى. خف القلق الذي ملأني قليلًا. واستطرد قائلًا: «من باب إظهار حسن النية، سأجيب عن أحد أسئلتك».

«في مقابل...»

«لا شيء، أعدكِ بذلك. تذكري أن العرض يسري على سؤال واحد فقط، وأي شيء آخر سيكلفكِ المزيد».

جلست مجددًا وأنا أحسب خطوتي التالية. وكان هناك الكثير من الأسئلة التي كنت بحاجة إلى إجابات عنها، ولكن لم يكن أي منها يستحق أن أعطيه تميمتي. فكرت مليًّا في القائمة التي كتبتها الليلة الماضية،

وركزت على تفصيل واحد أزعجني أكثر من غيره؛ كان يعني شيئًا، وأردت أن أعرف ما هو. واخترت كلماتي بدقة متناهية.

«أخبرني عن قرني هاديس».

إذا كان متفاجئًا بما طلبته، فهو لم يظهر ذلك. فأجابني مباشرة: «إنهما يشكلان مفتاحًا يُغلق أبواب الجحيم».

قلت: «سمعت أنهما جزء من لعنة ما، وأنه إذا ارتدتهما ساحرة فستمتلك السيطرة على الشيطان».

«إنها من أساطير الساحرات. إن قرني هاديس كانا هدية. وكانت أختك تعرف القصة الحقيقية».

أردت بشدة أن أسأله عن الأمر، ولكن كان هناك شيء أكثر أهمية أحتاج إلى معرفته.

سألته: «كيف يمكنك كسر تعويذة شيطانية تم إلقاؤها على شيء ما؟».

كانت ابتسامته مليئة بالسم وهو يجيبني: «لقد أخبرتك بقرني هاديس، لكن الباقي سيكلفك. أنا لا أؤمن بالعطاء دون مقابل».

الآن أصبحت ابتسامتي أنا حادة وأنا أقول: «وفقًا لقواعدك، هذا سؤالي الفعلي الأول».

رجع بظهره إلى الخلف، وفتحتا أنفه متسعتان قليلًا. كنت شبه مقتنعة بأنه على وشك القفز فوق المكتب، ولف يديه حول رقبتي. مرت لحظة طويلة قبل أن يتكلم.

قال: «فتاة ذكية»، ثم مد يده إلى كأسه وشرب كثيرًا. تحولت مفاصله إلى اللون الأبيض بينما هو على الأرجح يفكر فيما سيقول: «ضحي بالقليل من نفسك».

«هذه ليست إجابة صادقة».

«أوه، لكنها كذلك».

أخذ جريد رشفة أخرى من الماء، وسألني: «هل ترغبين في طرح سؤال آخر؟».

أود أن أطرح عشرة أسئلة أخرى، لكن الحصول على معلومات مفيدة من أمير من أمراء الجحيم كان أصعب مما كنت أعتقد.

رفع قدمه فوق المكتب، وأسند ذقنه على أصابعه مرة أخرى. «اسمحي لي بأن أكون صريحًا يا آنسة دي كارلو. أعطتني أختك *تميمتها*، وهي تعلم أهميتها. أحتاج إليها وإلى تميمتك من أجل تعويذة ما. أعطني *تميمتك*، وأنا أتعهد بحماية عالمك».

نعم بالتأكيد، لكن أولًا ستنهبه وتدمره. لقد ملأني الشك. ولم يكن من الممكن على الإطلاق أن تمنحه أختي *تميمتها* عن طيب خاطر. ولو أنها في حوزته، فهذا يعني أنه بالتأكيد قد أخذها بالقوة. كنت أعلم يقينًا أن فيتوريا كانت ترتديها يوم وفاتها. ابتلعت ريقي. وبدأ واضحًا لي أكثر وأكثر أنني أجلس أمام قاتل شقيقتي. قمت بمحو صائدي السحرة من قائمة المشتبه بهم في رأسي. حتى الآن، أشارت كل الأدلة إلى الشياطين.

تساءلت عما إذا كان جريد قد أخبر أختي بقصة مماثلة ورفضت. كنت خائفة جدًا مما قد يفعل إذا رفضت أيضًا، ومن المحتمل أن يكون بمقدوره الشعور بخوفي؛ لذلك حاولت إخفاءه إلى أقصى ما أستطيع داخلي، وقلت له: «لو أن فيتوريا أعطتك تميمتها، فأرني إياها».

أخذ نفسًا طويلًا، ثم قال: «آه.. هذا غير ممكن».

سألته: «غير ممكن، أم أنك لن تفعل ذلك؟».

«كلاهما، استدعيت أفعى إلى هذا العالم. وعشها موجود أسفل الكاتدرائية، وهي، حسنًا، من النوع الذي يدافع بشدة عن مكانها. ستبقى التميمة هناك حتى تقرر الأفعى التخلي عنها».

لم أزعج نفسي بالسؤال عن ماهية الأفعى، أو من الذي استدعاها. وشككت في أنه سيخبرني بأي شيء آخر بعد أن خدعته.

«وأنت تركت التميمة هناك...». لم أتوقع إجابة ولم يقدّم إجابة. كان من المستبعد جدًا أن يضع شيئًا يريده بشدة في مكان لا يمكنه الوصول إليه. ولكن كان لديَّ شعور بأن أختي ستفعل ذلك. كنت أعلم، بما لا يدع

مجالًا للشك، أن فيتوريا لن تتنازل عن تميمتها لأي شخص عن طيب خاطر، ناهيك بأحد أفراد عائلة الشيطان.

لم تضف قصة جريد أي جديد. أردت أن أصدق، على الرغم من صعوبة ذلك، أنه شبه صادق، لكنها كانت مجازفة لا أستطيع المخاطرة بها. لقد أعطاني هدفًا آخر قصير المدى للتركيز عليه: سأستعيد تميمة أختي، وأسأل جدتي عن سبب اهتمام الشيطان بها إلى هذا الحد.

سألني: «إذن؟ هل اتفقنا على أن نتم الصفقة يا آنسة دي كارلو؟».

أجبته وأنا أقف متأهبة للانصراف: «*شكرًا*، لكن إجابتي لا تزال الرفض».

التاسع عشر

إن أمير الجحيم هو أخطر الشياطين، فهو يبدو ملائكيًا، لكنه سينتزع قلبك بلا رحمة. ولمقاومته، ارتدي أو ارسمي تعويذة لسيماروتا (تميمة الحماية) - وهي فرع من نبتة الحرمل، به خمس سيقان، بتصميمات تتوافق مع احتياجاتك. اختاري خمس صور مطلوبة لإعادة الأمير الشيطاني إلى مملكته. فمثلًا المفتاح، والخنجر، والبومة، والثعبان، والقمر سترسله مباشرة إلى الجحيم.

- ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

كان الدم هو المفتاح لإبطال السحر الشيطاني.

ظللت طوال فترة ما بعد الظهر أفكر في إجابة جريد التي بدت بريئة في ظاهرها، وسرعان ما بدأت أوصل النقاط بعضها ببعض. سجلت بعض الحالات التي كان فيها الدم جزءًا أساسيًّا من السحر الشيطاني؛ فمن أجل استدعاء شيطان، كنت بحاجة إلى تقديم الدم قربانًا.

بعدها، ظهر راث وعرض عليَّ صفقة رباط الدم التي ذكرتها جدتي.

حاولت أن أخفي اشمئزازي، لكنني فشلت في ذلك. ألا يمكن لأولئك الشياطين أن يقبلوا قليلًا من الشراب الأحمر بدلًا من الدماء؟ تنهدت

ووخزت إصبعي بدبوس، وتركت قطرة واحدة تسقط على دفتر يوميات فيتوريا. حبست أنفاسي، وحدقت إليه باهتمام، في انتظار إشارة ما إلى أن التعويذة قد انتهت.

لم يقع حدث كارثي ما، أو يسطع البرق مثلًا. وكل ما في الأمر هو أنني منذ دقيقة واحدة فقط لم أتمكن من فتحه، والآن تمكنت من ذلك. ترددت قليلًا عندما لاحظت عقبه المتصدع. ظللت أحاول فتح هذه اليوميات فترة طويلة، والآن عندما نجحت في ذلك، أصابني الخوف قليلًا مما قد أجده فيها. ربما أعرف هوية قاتل أختي. وكلما قرأت أكثر، ازدادت شكوكي بشأن صائدي الساحرات. كان أمراء الشياطين يأخذون زمام المبادرة باعتبارهم الأكثر احتمالية لارتكاب جرائم القتل، ولكن إذا كان الشيطان يحتاج إلى ساحرة، فليس من المنطقي أن يقتلها. وهو ما يعني أن هناك احتمالًا بأن أحد الأشخاص في دائرتنا هو المسئول عن ذلك. سرت رجفة في جسدي. فقد كان من السهل أن أعتقد أنها قُتلت على يد شيطان، ولكن التفكير في أن القاتل قد يكون شخصًا تعرفه هي...

أخذت نفسًا عميقًا، وبدأت قراءة يوميات فيتوريا الخاصة بها وحدها. خصصت الصفحات الأولى للعطور التي صنعتها، وبعض التعاويذ العشوائية، أو تلك الخاصة بالقمر والحظ. ثم رسم تخطيطي أو اثنان *للسيماروتا* وبعض الرموز الأخرى التي لم أتعرف عليها. غير أنني توقفت عند الصفحة التي دوّنت فيها وصفًا تفصيليًا لإحدى جلسات تحضير الأرواح التي أجرتها كلاوديا، وكنت على وشك الانتقال إلى الصفحة المقابلة عندما لفت انتباهي شيء ما.. ملاحظة صغيرة تكاد تكون غير ظاهرة تركتها لنفسها.

هل الشموع كل ما هو سحري؟ أم هي أرواح ارتبطت بتلك الأشياء مع مرور الوقت؟ في بعض الأحيان، تصبح اللهبات أعلى وأكثر وضوحًا، وفي أحيان أخرى تصبح معتمة ويصعب فهمها. فهل تتصرف بما يشبه كالويجا في جلسات استدعاء الأرواح، أم أن هذا أمر مختلف؟

سماع كل ما هو سحري؟ حدقت إلى الخط دون أن تطرف لي عين. لا بد أنني أسأت الفهم بطريقة أو بأخرى. لم تذكر فيتوريا هذه القدرة من قبل قط، فقد اعتدنا أن نقول كل شيء إحدانا للأخرى؛ كنت توأمتها، نصفها الآخر، لكن لكي أكون صادقة مع نفسي، فأنا نفسي لم أخبرها بموضوع الهالة ذاك أيضًا.

أدرت أحداث تلك الليلة في عقلي عندما كنا في الثامنة من عمرنا. وكان من المحتمل جدًّا أن تكون قد صارت تمتلك بعض القدرات الكامنة أيضًا؛ لأن هذا ما فعلته أنا، على الرغم من أنني كنت أعتقد أنني حالة فريدة، لأنني كنت الشخص الذي يحمل تميمتينا معًا، ولم أخبر أختي لأنني لم أرغب في أن تقلق بشأن التداعيات، أو أن تلوم نفسها لأن ما حدث كان فكرتها.

انتقلت بسرعة إلى الصفحة التالية، ولكن لم يكن هناك شيء خارج المألوف، فلا دليل على استخدامها ذلك السحر. انتقلت إلى صفحة أخرى، وأخرى، حتى وصلت إلى منتصف يومياتها قبل أن أجد فقرة أخرى عن السحر السري الغريب.

كنت في الشارع بالقرب من البحر أجمع الأصوات وعلم
النفس عندما سمعته. بدأ الأمر همسًا خفيفًا ومنخفضًا جدًا حتى
إنه لا يمكن سماعه بوضوح، وضعت سماعتي جانبًا، وأمسكت
تميمتي، التي كانت كأنها تساعدني على التركيز على الهامش.
تلك الأصوات كانت مختلفة الكثير منها. وكانوا يتحدثون في
وقت واحد. توسلوا إلي أن أقدم لهم المساعدة. قالوا إن الوقت
قد حان، وتتابعت الهمسات حتى تحولت إلى ثرثرة غير
واضحة وغير متصلة، كما لو كانوا يتحدثون بلغات مختلفة.
ذكروني الأمر بالعثور [illegible] عندما جعلوا قلبي ينبض
الزوالم. أردت أن أ [illegible] الأخضر إيليا، لكن شيئًا ما
منعني من ذلك. قال [illegible] الأصوات والأحلام كيف ترتفع
فوق سطح البحر. لا أعرف [illegible] لكنني جثوت على ركبتي
وبدأت الحفر، ووجدته [illegible] مدفونًا في أعماق الأرض.
تمكنت من فهم سطر واحد [illegible] يؤول كل شيء إلى الفوضى.

لسوء الحظ، لم تكتب أختي تلك الجملة التي سمعتها. زفرت بصوت عالٍ، ويداي ترتجفان فيما أقلِّب بقية اليوميات. لم يكن هناك أي مقطع آخر عن «الأمر» الغامض الذي وجدته مدفونًا في الأرض. قلبت رسومات للزهور والقلوب، وأحلام كلاوديا، وجميع الأسئلة التي سجلت فيتوريا إجاباتها.

لم أستطع أن أحمل نفسي على قراءة الجزء المتعلق بما انتهى به الأمر ليكون ليلتنا الأخيرة في العالم معًا. حتى الآن لم تكن هناك أسماء، ولا ذكر لأشخاص لم تثق بهم، أو شياطين عقدت معهم صفقات. فكيف انتهى بها الأمر إلى الموافقة على الزواج إذن؟ ثم جذب انتباهي شيء جعل كفيّ تتعرقان.

لم أعد أطيق الإنصات إلى تلك الأصوات مرة أخرى، وقررت بالفعل إخفاءه بعيدًا عن المكان الذي يمكنهم العثور عليه فيه. ثم همست إلى تلك الأصوات بشيء بدا كأنه هراء لا معنى له، لكن القشعريرة سرت في جسدي بالفعل. إن قرن هاديس هو مفتاح إغلاق أبواب الجحيم، ولكن وفقًا لما فاته ينتمي إلى جرايس، أو بالأحرى إنهما قرنا الشيطان اللذان كنا نرتديهما. أمسكت بالتميمة، وأنا أشعر بالحقيقة من القرنين والهمسات. هذا أصل تميمتي أنا وإميليا، والأسباب لست متأكدة منها. عرفت أننا كنا نرتدي قرني الشيطان طوال حياتنا.

إذا كان هذا صحيحًا، فكيف وصلا إلينا؟

أغلقت المذكرات ببطء وزفرت. يا إلهي، قرنا الشيطان! كان من الصعب تصديق الأمر، ومع ذلك كنت أعرف أنه كان صحيحًا. لقد كنا نرتدي قرني هاديس طوال حياتنا. لا عجب في أن جريد كان مهتمًا جدًا بتميمتينا. لم أستطع أن أتخيل كذلك الضرر الذي يمكن أن يسببه إذا تمكن من وضع يديه على كليهما. أزحت تصوري لذلك الدمار جانبًا، وقرأت السطر الأخير الذي كتبته أختي مرة أخرى. لقد كان سؤالًا ممتازًا.. واحدًا كنت أنوي الحصول على الإجابة عنه على الفور.



قالت جدتي: «لقد حان الوقت لتتوقفي عما تطاردينه يا طفلتي، إنه أمر خطير للغاية، يكاد والديك يصابان بالمرض بسبب القلق». كانت جالسة

على الكرسي الهزاز أمام القدر التي يغلي ما بها، وحولها أضاءت شموع تعويذات للسلام والنوم المريح. وأردفت: «لقد قضينا اليوم كله ونحن خائفون من احتمال أن نجدك ملقاة في مكان ما وقد شق قلبك، وحيدة، مثل أختك. فهل لديك أي فكرة عما جعلتنا نمر به؟».

نعم لديَّ فكرة، وقد كرهت ذلك، لكنني لم أكن الوحيدة التي ينبغي لجدتي أن تجيب عن أسئلتها. تحركت من جوار الباب ووضعت خنجر راث، ثم تميمتي على طاولة تتوسط الغرفة، وسألتها: «هل هذا هو أحد قرني الشيطان؟» شحب وجه جدتي. فأكملت: «هل كنا نرتدي قرني هاديس طوال هذا الوقت؟».

قالت: «ما هذه السخافات التي تقولينها؟ من ملأ رأسك بهذه الترهات؟». نهضت جدتي وسارت نحو القِدر، ثم أضافت القليل من الأعشاب وقلبتها لتصنع أحدث تركيباتها. كانت رائحتها خليطًا من شجرة التنوب والنعناع. تساءلت من أين حصلت على هذه الشجرة دائمة الخضرة، لكنني لم أسألها. قالت: «نحن لا نؤمن بمثل هذه الأشياء يا طفلتي».

«لقد تم استدعاء أفعى أسطورية وهي الآن تحرس تميمة فيتوريا».

توقفت عن تحريك الخليط، وقالت: «هذا صحيح، إذن. لقد عاد الشيطان».

انتظرتها حتى تبدأ التمتمة بتعويذة الحماية، أو أن تندفع في أرجاء المنزل، وهي تفحص جميع النوافذ والأبواب بحثًا عن الأعشاب وأكاليل الثوم التي علقتها لإبعاد الشر. لم تطلب مني إحضار زيت زيتون ووعاء من الماء للتأكد من عدم وجود الشر في منزلنا. كانت هذه النسخة الهادئة والمتزنة من جدتي غريبة تمامًا بالنسبة إليَّ، فطوال عمرنا أتذكرها وهي قلقة دائمًا بشأن الشيطان وأعوانه الذين يسرقون الأرواح.

كان بإمكانهم أن يغنوا لنا أغاني المهد في طفولتنا، كما يفعل البشر مع أطفالهم، لكن عوضًا عن ذلك علمونا من هم أمراء الشياطين السبعة،

والأربعة - على وجه الخصوص - الذين يجب على كل فرد من عائلتنا، عائلة دي كارلو، أن يخشاهم أكثر من غيرهم. ولم أنسَ أن اسم راث قد ذُكر، ولم أفهم ما إذا كان هو من سيشتهي دمي، أو سيأسر قلبي، أو سيسرق روحي، أو سينهي حياتي. بصراحة، يمكنني أن أتخيله وهو يفعل كل هذا بي.

حرَّكت جدتي الملعقة الخشبية في الخليط الذي يغلي، وركزت انتباهها بعناد على مقبضها المنحوت المزخرف، دون أن تقول شيئًا. وبالطبع، الآن بعد أن بدأت كل تلك القصص المرعبة تنبض بالحياة، ظلت صامتة ولم تتحدث.

قلت لها: «يا جدتي، عليكِ أن تخبريني بالمزيد عن حقيقة قرني هاديس. عرفت فيتوريا الأمر فقُتلت. أرجوكِ، إذا كنت لا تريدين لهذا أن يصبح قدَري أنا أيضًا، فعليكِ أن تخبريني بماهيته، والسبب الذي نرتديه من أجله. أنا أستحق أن أعرف».

حدقت جدتي إلى المرجل وتنهدت.

ثم قالت: «نحن نمر بأيام حالكة السواد. وقد حان الوقت لتصبحي محاربة النور». تركت جدتي الملعقة، وأخرجت إبريق الشراب من الخزانة الجانبية. سكبت لنفسها كأسًا من شراب كيانتي، ثم جلست على كرسيها الهزاز. واستطردت: «لم أرغب قط في أن يصل الأمر إلى هذا يا طفلتي. لكن القدر له رأي آخر كما هو واضح. وما نحن سوى دمى يُلعب بها على أوتار القدَر الكونية».

كانت غامضة كعادتها؛ لذا قررت أن أبدأ بالتفاصيل الصغيرة، ثم أنتقل إلى الأسئلة الأصعب، فسألتها: «هل هي حقًّا مفتاح لإغلاق أبواب الجحيم؟».

أجابتني: «نعم ولا، لديها القدرة على فتح وإغلاق البوابات، ولكن هذا ليس كل ما تفعله».

«هل هما قرنا الشيطان؟».

«نعم».

«وكنتِ تعرفين هذا طوال الوقت؟».

أومأت جدتي. حدقت إليها، محاولة استيعاب حقيقة أن جدتي - التي كانت تجعلنا نبارك تعويذاتنا لحماية أنفسنا من أمراء الشياطين طوال حياتنا - قد تركتنا نرتدي مثل هذه الأشياء حول عنقينا. وقالت: «لقد ألقت الساحرة الأولى تعويذة فحولتهما إلى تميمتين أصغر حجمًا، على أمل إخفائهما عن كل من يبحث عنهما».

«لأنهما ملك للشيطان؟».

«لأنه إذا جمعهما معًا، فلن يكون لديهما القدرة على غلق البوابات فحسب، بل ستتسببان في استدعائه أيضًا. إنهما يمنحان المستدعي قدرًا معينًا من السيطرة عليه».

حدَّقت إلى التميمة التي كنت أرتديها طوال حياتي، وتساءلت عن السبب الذي من أجله لم تلجأ أختي إلى جدتي عندما اكتشفت ذلك. لا يزال لديَّ الكثير من الأسئلة عن صفقتها. وإذا كانت لدينا وسيلة للسيطرة على الشيطان، فلماذا لم تطلب مني *تميمتي*؟

فهمت الآن السبب الذي من أجله يسعى جريد للحصول على *التميمة*؛ كانت خطيئته مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالسلطة. ولكن إذا كان كل أمراء الجحيم يتوقون إلى السلطة، فلماذا لم يحاول راث سلب *تميمتي* من حول عنقي؟

وفي وسط كل هذه الحيرة تذكرت شيئًا قاله إنفي، فسألتها: «مَن ساحرة الظلال؟».

أصدرت جدتي صوتًا معبرًا عن اشمئزازها وهي تجيبني قائلة: «ساحرات الظلال هو الاسم الذي يطلقه الشياطين علينا. نحن معروفات باسم *ستيلي ستريجيه* أي ساحرات النجوم».

ساحرات النجوم. «*أحقًا نحن معروفات بهذا*؟ ومنذ متى ونحن معروفات باسم ساحرات النجوم؟».

حدجتني جدتي بنظرة ساخرة وهي تجيبني: «منذ مستهل سلالتنا، نحن ننحدر من سلالة قديمة من الساحرات اللاتي كانت لهن علاقات بالشيطان قبل اللعنة، كنا نوعًا ما من الحراس، دورنا أن نضمن بقاء مخلوقات العالم السفلي في أماكنها في الأسفل دون التدخل مطلقًا في عالم البشر. ولبعض الوقت عملنا جنبًا إلى جنب مع أمراء الشياطين. وكان هذا قبل أن...»

طارت كأس جدتي عبر الغرفة، وتحطمت على الحائط، وبدا الشراب على الحائط مثل الدم. صرخت، ولكن ليس بسبب الزجاج، بل كان هناك نصل يحوم أمام حلق جدتي. لقد عاد شيطاني الشبح، ولا يبدو الأمر كأنه مجرد وهم من مخيلتي الآن. كان الجو هادئًا في الأيام القليلة الماضية، فنسيت أمره تمامًا. والآن، كان من الصعب تجاهل خنجر راث وهو يلمع في الضوء.

قال صوت ما: «أيتها الساحرة المخادعة الصغيرة».

ضغطت شفرة الشيطان على جلد جدتي. هززت رأسي وتقدمت إلى الأمام، وأنا أتوسل إليه قائلة: «أرجوك، إذا كان الأمر متعلقًا بما فعلته لجريد، فلا علاقة لها بالأمر. اتركها وشأنها، فهي بريئة».

كرر ما قلته ساخرًا بصوت كالهسيس: «بريئة؟». أكمل قائلًا: «إنها ليست كذلك تمامًا».

قبل أن أتمكن من الإسراع عبر الغرفة لدفع جدتي بعيدًا عن الخنجر، جُذِب رأسها إلى الخلف بقوة، وسحبت اليد الخفية شفرة راث عبر حلقها. تدفق الدم من جرحها. قرقرت، وكان هذا الصوت من أفظع الأصوات التي سمعتها في حياتي على الإطلاق. وقع الخنجر على الأرض. شاهدت كل شيء يحدث كما لو أنه يحدث بالحركة البطيئة.

انفتحت نافذة، وتخيلت أن الشيطان غير المرئي قد هرب من خلالها، بعدها اصطدم بي الواقع، وبدأت أتحرك. في لحظة كالبرق كنت قد وصلت إلى الجانب الآخر من الغرفة.

صرخت: «لا!»، انتزعت قطعة قماش من المنضدة، ووضعتها على رقبتها، لأوقف تدفق الدماء، ثم ظللت أصرخ حتى بح صوتي. أيقظت المنزل كله من السبات الذي سحرتهم به جدتي. كانت هنالك تعويذات للمساعدة على إبطاء تدفق الدم، لكنني لم أستطع التفكير في أي منها بسبب الذعر الذي سيطر عليَّ. وكان الأمر كما لو أنني فقدت القدرة على التفكير، كان كل ما استطعت التركيز عليه هو حاجة أساسية واحدة: الضغط على الجرح.

أسرعت والدتي إلى المطبخ أولًا، واسترعى انتباهها فورًا وجود جدتي، وبحيرة الدم المنسابة حولها. تدفقت الدموع على وجهي، ما أدى إلى عدم وضوح رؤيتي. لن أترك جدتي تموت، ليس بهذه الطريقة.

ظهر والدي بعد دقيقة واحدة، وقد اتسعت عيناه عندما رأى المشهد، وقال: «سأحضر الضمادات».

توقفت عن الاهتمام بأي شيء آخر عدا إبقاء قطعة القماش مضغوطة بقوة على جرح جدتي، ومر الوقت مثل البرق. تشبعت قطعة القماش بالدم، وأمي تقرأ التعاويذ على معجون عشبي سميك صنعته. تمسكت بالقماشة بحزم. وكثيرًا ما تمنيت أن أكون من النوع الذي لا يشعر بالذعر، ويمكنه التصرف بهدوء، لكن هذا المنطق لم يستطع أن يخترق جدار خوفي. حاولت أمي أن تسحب يدي بعيدًا، لكنني رفضت التزحزح. كان عليَّ أن أواصل الضغط، فجدتي تحتاج إليَّ.

قالت أمي: «لا بأس يا عزيزتي، دعيني آخذ هذه منكِ، سوف أغلق الجرح».

«لا أستطيع».

«على العكس، كل شيء على ما يرام».

احتاج الأمر إلى المزيد من المحاولات لإقناعي، إلى أن أرخيت قبضتي أخيرًا. انزلقت جدتي على الأرض، وتنفست بصعوبة. لقد رأيت هذا يحدث مع الحيوانات المصابة من قبل، وهي ليست علامة جيدة.

دهنت والدتي العجينة السميكة على الجرح، ثم لفت إحدى الضمادات النظيفة حوله. أحضرها والدي قبل أن يذهب إلى المطعم ليتأكد من عدم وجود أي متسللين آخرين، ولتأمين نافذتنا. أنهت والدتي ربط الضمادة بالدعاء لكي تشفي جدتي سريعًا. فعلت مثلها على أمل أن يُستجاب دعاؤنا.

«ساعديني على وضعها في السرير يا إميليا».

مسحت دموعي، وفعلت ما طلبته مني. بمجرد أن وضعناها على المرتبة، سحبت والدتي كرسيًّا لتظل معها. جلست مستندة إلى الحائط وبقيت هناك حتى غروب الشمس. وامتلأت الغرفة بظلال من اللونين الأرجواني والأسود. أخيرًا، عاد تنفس جدتي إلى انتظامه، وذهبت في نوم عميق. لقد نجت، والفضل لا يعود إليّ.

قالت أمي: «يجب أن تأخذي قسطًا من الراحة يا صغيرتي. جدتك ستكون بخير، لقد انتهى الأسوأ».

أومأت برأسي، لكنني لن أستطيع النوم الآن. فلم أكن متأكدة من أنني سأتمكن من الشعور بالراحة مرة أخرى دون رؤية ذلك المشهد الدموي وهو يتكرر في ذهني. وأسوأ ما في الأمر هو أن جدتي كادت تُقتل بسببي، وعندما كانت في أمسّ الحاجة إليّ، خذلتها مرة أخرى. لقد نسيت كل تعاويذ سحر الشفاء، وتركت الخوف يسيطر عليّ. لو لم أبدأ التحقيق في مقتل أختي، أو لو لم أخدع جريد، ما حدث أي من هذا.

تسللت إلى المطبخ، راغبة في تنظيف الدم قبل أن يراه والداي مرة أخرى. قمت بفرك الأرضية حتى صارت تلمع وآلمتني أصابعي. ثم كررت الأمر: صب الماء، والفسل. كنت بحاجة لإزالة البقع من الجص. استغرق الأمر معظم الليل، لكنني تمكنت أخيرًا من محو جميع علامات الهجوم. لكن الذكرى لن تتركني أبدًا.

غسلت قطعة القماش، واستندت إلى الطاولة أرتشف كوبًا من الماء. استغرقت بعض الوقت حتى ألاحظ الأمر، لكن في النهاية أدركت أن

زفرت ببطء ونظرت نحو الزاوية... وكان هناك ضوء كهرماني اللون ينسكب نحو الغرفة من الأعلى، أضاء تلك الأفعى الشيطانية. لم يبالغ رات، فقد كانت الأفعى أكبر منه. وقد تغطت بحراشف داكنة مثل منتصف الليل، وذات قوام ملفوف لامع في وسط النفق. حتى وهي ملتفة حول نفسها هكذا احتلت معظم المساحة؛ بدت أطول مني بمقدار الضعف أو أكثر. لكن عندما تستيقظ وترفع جسدها... لم أرد أن أفكر في مواجهة شيء كهذا.

أخرجت حفنة من أوراق البابونج المجففة من جيب تنورتي وهمست بتعويذة النوم: «سومنوم».

أشار صوت التنفس الثابت إلى أن الوحش كان الآن في سبات عميق. زفرت في راحة. والآن، كان عليَّ فقط العثور على التميمة والتسلل عائدة من الطريق الذي جئت منه. كانت الأفعى ترقد في مواجهة الاتجاه المعاكس، وكان حجم رأسها ضعف حجم أكبر فرن لدينا. لم أكن في حاجة إلى أن أرى أنيابها لأعلم أنا ستمزق جسدي بقضمة واحدة.

بحثت بعينيَّ في العش، وكدت أصرخ فرحًا عندما رأيت شيئًا مألوفًا على شكل قرن؛ لمعت تميمة أختي على الأرض بجانب الوحش. ولحسن الحظ أن *التميمة* كانت على أحد جانبي النفق، بدا أنه من السهل التسلل والاستيلاء عليها والعودة دون إيقاظ الأفعى. نظرت حولي، وحددت كل مخرج بمقدوري الخروج منه في الضوء الخافت. وقد كان هناك نفقان آخران على شكل حرف Y... الأمر سهل.

كان من الممكن أن يكون كذلك لولا كل الحصى والحطام المتناثر على الأرض. خطأ صغير واحد، وبغض النظر عن تعويذة النوم، فإن الأفعى ستهاجمني في لحظة. رددت دعوة أخيرة، وخطوت الخطوة الأولى داخل النفق.

لم أتنفس بعمق خوفًا من إصدار أدنى صوت، لقد غطى الصمت غير الطبيعي الغرفة مثل ثلج سقط حديثًا. فذات مرة، في صغرنا، اصطحبتنا جدتنا إلى كوخ في شمال إيطاليا حيث التقينا بإحدى صديقاتها. كنت

منذ أكثر من شهر بقليل، كنت سأضحك مع أختي بشأن احتمال وجود شيء مثل أفعى عملاقة من العالم السفلي، معتقدة أن خرافات جدتي قد عادت بقوة مرة أخرى، حتى مع وجود السحر الذي يسري في عروقي. لم أؤمن مطلقًا بالقصص التي روتها لنا؛ لقد كانت خيالية أكثر من اللازم، فلا يمكن للمخلوقات الخالدة التي تشرب الدم مثل الأشرار أن تكون حقيقية.

والآن، عرفت الحقيقة؛ كانت كل خرافة طويلة متجذرة في الحقيقة.

تتبعت رائحة بيض كريهة وغريبة، وقطعًا من جلد الثعبان المتساقط، وتمنيت لو أنني تغلبت على نفوري من خنجر راث وأخذته معي. كان الضوء المنبعث من القضبان الموجودة في الأعلى يظهر من حين لآخر، لكنني كنت أسير في الغالب في الظلام.

انتبهت إلى أدنى تغيير في الجو، ما سمح لحواسي بإرشادي. كان لديَّ شك في أن الأفعى لن ترغب في لفت الانتباه إلى نفسها أو إلى كنزها الثمين. وبالإضافة إلى ذلك، كانت لديَّ بالفعل فكرة جيدة عن مكان عشها، قال جريد إنه يقع تحت الكاتدرائية، وكنت أقترب بسرعة من المنعطف الذي يفضي إلى أسفل الكاتدرائية تمامًا. وتوقفت عند الزاوية واستجمعت قواي. نفذت خطتي في ذهني، والآن بعد أن كنت على وشك مواجهة عدوي، بدا لي أن خطتي كانت ساذجة للغاية. ربما قرر راث أن يرسلني إلى موتي مسلحة بمخطط مستحيل... يا له من شيطان ماكر.

أخذت نفسًا عميقًا... أستطيع أن أقوم بهذا، لكنني كنت بحاجة إلى التحرك بسرعة، فكلما طال انتظاري، زاد خوفي. وتخيلت ما كانت أختي ستفعله لو كانت هنا بدلًا مني؛ ستتدخل لإنقاذ الموقف، كما حاولت أن تفعل عندما وافقت على صفقة الشيطان. ومن المؤكد أن هذا لم يكن القرار الأكثر حكمة لها، لكنها على الأقل كانت شجاعة بما يكفي للمحاولة. ومقارنة بما فعلته، كان إلقاء تعويذة نوم بسيطة واستعادة القلادة أمرًا سهلًا.

لم يبدُ راث متفاجئًا أو مهتمًا بما أخبرته به، كل ما فعله هو أن اكتفى بالجلوس وظهره إلى الحائط، وساقاه ممدودتان، يتفحص دائرة الظلام التي تحتويه. بالطبع لم يرتدِ القميص الذي اشتريته له، وألقاه على الأرض.

«لديَّ ستة إخوة، عليكِ أن تكوني أكثر تحديدًا أيهم قابلتِ».

«ألا تعرف من منهم هنا؟».

تحوَّل انتباهه إلى خصري قبل أن يرفع نظره مرة أخرى إليَّ ليسألني: «هل عدتِ لتتوسلي من أجل أن أساعدك؟ لا أشعر بأنني في مزاج لأن أمارس الخير اليوم، إن جو الأسر هذا لا يناسب صحتي».

إن غزو الشياطين مدينتي، ومهاجمة جدتي، وسرقة تميمتي، وقتل أختي، كل هذا لم يناسبني أيضًا. وبدلًا من الجدال، أخرجت حلوى الكانولي من الكيس الورقي البني الذي كنت أضعه في حقيبتي. قالت جدتي إنه يمكن صيد الذباب بالعسل أكثر من الخل، ولذلك فكرت في أن الكانولي سيساعدني على التأثير في أمير الجحيم ودفعه إلى العمل لصالحي.

بدت عليه الحيرة عندما ناولته إياه، وسألني: «ما هذا؟».

أجبته: «إنه طعام، ما لم تكن تحيا الآن على صيد الحشرات، فأنا أشك في أن تكون قد تناولت شيئًا حتى الآن منذُ أن أتيت إلى هنا».

قال لي: «لا أحتاج إلى طعام بشري، ولا أريد أن ألوث جسدي بتلك القذارة».

نظرت إليه في استنكار شديد، فبعد كل الأشياء الفظيعة التي حدثت وتعرضت لها، أشعل ما قاله غضبي، فصحت به: «أنت حقًّا وحش، ألست كذلك؟».

قال وهو يأخذ الكانولي ويمسكه بإصبعيه ويقربه من وجهه ليتفحصه: «هذا الطعام لا يبدو صالحًا للأكل كذلك».

ثم دون أن ينظر لي سألني: «ماذا تتوقعين مني أن أفعل به؟».

أجبته: «أتوقع منك أن تساير أعداءك».

لمس حشو جبن الريكوتا بإصبعه، ثم سأل مجددًا: «هل هو مسموم؟».

تنهدت وأنا أقول: «هلا أكلته دون الكثير من الكلام أيها المحارب العظيم؟ إنه من أجل الاستمتاع وليس للتعذيب. لقد صنعته بنفسي، أقسم أنه غير مسموم... هذه المرة».

بدا متشككًا، لكنه أخذ قضمة. تحول انتباهه نحوي وهو يمضغ. لم أستطع إلا أن أبتسم وهو يأخذ قضمة أكبر، ثم أخرج قطعة كانولي ثانية من الكيس. كان مستغرقًا في تناول الكانولي عندما لاحظ أنني لا أزال أشاهده، عبس وهو يسأل: «ماذا؟».

أجبته بسخرية: «لا أريد أن ألوث جسدي بقذارة طعام الإنسان، لكن الحلوى لا بأس بها».

لم يرد، بدلًا من ذلك، قام بالتفتيش في الحقيبة، وهو غير راضٍ عن فراغها، ثم وضعها جانبًا ونظر إليَّ مرة أخرى. وقال: «أتصور أن هذه الأطباق الشهية جزء من مخطط أكبر لاختراق دفاعاتي. إن رائحتك تسيطر عليها رائحة دماء ليست لكِ، وشعرك متشابك كأن مخلوقًا بريًّا بنى عشًّا فيه، ودعا أقرباءه ليعيشوا معه. وخنجري غير موجود في مكانه على خصرك، وتبدين مستعدة لقتال العالم كله، فما الذي تريدين معرفته أيتها الساحرة؟ وما الذي أخافك؟».

انتقلت يدي إلى المكان الذي كنت أربط فيه خنجره. بعد الضرر الذي ألحقه بجدتي، لم أستطع تحمل فكرة الاحتفاظ به. والآن شعرت بغيابه بقدر ما افتقدت تميمتي. سألته: «كيف يمكن لشخص ما استدعاء الأفعى الأسطورية؟».

أجابني: «لن يفعل ذلك شخص لديه إحساس بأهمية البقاء على قيد الحياة».

قلت: «ربما من فعل ذلك هو شخص خالد ومتغطرس».

لم يكن راث سعيدًا بتقييمي العائلة الملكية للشياطين، فقال: «أشكّ في ذلك... إن الأفاعي مخلوقات فريدة من نوعها، فإذا اختارت حراسة شيء ما، أو إحضاره إلى عشها، فلا يجوز لأي ساكن في العالم السفلي أن يتدخل. يجب عليها أن تختار التخلي عن هذا الشيء بنفسها».

سجلت ملاحظة في ذهني بأن أحضر له الحلوى في أي وقت أريد فيه الحصول على معلومات منه؛ لقد أصبح لطيفًا وثرثارًا بعد أن أعطيته الكانولي. سألته: «كيف تبدو؟».

أجابني: «مثل الأفاعي كما يوحي اسمها، لها أنياب طويلة ومقوسة، ومن المصادفة أيضًا أنها أكبر مني حجمًا وأكثر خطورة مرتين. إن هناك أنواعًا قليلة جدًّا من الترياق المناسب في حالة تعرض شخص ما للدغ، ومع ذلك ينبغي عدم الاستخفاف باستخدامه، فهناك ثمن لاستخدامه، تمامًا مثل أي سحر. إنه قرارك، ولكن عليكِ أن تعرفي أنكِ قد لا تتمكنين من البقاء على قيد الحياة لرؤية شروق الشمس مرة أخرى إذا أزعجتِ واحدة من تلك الأفاعي».

أخذت أفرك ذراعي، ليس لأن تحذيره أخافني، بل لأن ثمة إحساسًا مزعجًا شعرت به تحت جلدي، كما لو أن شخصًا ما كان يخدش المكان نفسه باستخدام دبوس. تتبع راث الحركة، ثم نظر إلى ذراعه.

يبدو أن وشمينا يتغيران مرة أخرى، بدأت أزهار برية الظهور ملتفة حول الثعبانين، وقد لاحظت أن راث أيضًا لديه مثلها.

وأمام عينيَّ، غُطي ثعباناي بقشور متلألئة ومتشابهة. لم أرد أن أفكر في أنها جميلة، لكنها كانت كذلك، ولا يمكن إنكار ذلك. قبض راث يده، ولم أتمكن من معرفة ما إذا كان ذلك بسبب الألم، أم بسبب وشمنا الغريب والمتغير باستمرار. قررت أنه من الأفضل عدم بدء الحديث عن هذا الأمر. وكان لديَّ سؤال آخر للشيطان قبل أن أنطلق في مهمتي.

سألته: «إذا قام شخص ما بمهاجمة الأفعى، فما نوع التعويذة التي قد يستخدمها؟».

جذبت انتباهه بعيدًا عن وشمه، وقد بدا الاستسلام الكامل في نظرته وهو يجيبني قائلًا: «ينبغي ألا يهاجم الأفعى أحد، ولكن إذا كانت هناك ساحرة حمقاء تتمنى الموت، فربما تحاول إلقاء تعويذة نوم، ربما تكون هذه هي الطريقة الوحيدة للتسلل إليها».

قلت: «أنا...»، لكنني لم أكمل ما أردت قوله؛ منعت نفسي من شكره، فلولاه هو وإخوته القساة، ما أصبحت عائلتي كلها في هذه الفوضى. زفرت بعمق وأنا أفكر في تعويذة النوم. كان الأمر بسيطًا، وأنا أحب الخطط البسيطة، وهو ما يعني أن كم الأشياء التي يمكن أن تخرج عن السيطرة قليل.

«تحذير أخير»، وقف راث وانتقل إلى حيث كنت أقف بالقرب من حافة دائرة العظام. تجاهلت تناسق لون بشرته الذهبية التي اقتربت من وجهي. وأردف قائلًا: «سأصبح حرًا قريبًا، فإذا كنتِ حمقاء بما فيه الكفاية لمهاجمة مثل هذا المخلوق، فلن آتي لمساعدتكِ».

حدقت إليه، ثم قلت: «جيد».



لو أن أحدهم أخبرني الشهر الماضي بأنني سأختار التجول في الأنفاق المنسية تحت الكاتدرائية بمفردي لتعقب أفعى شيطانية قديمة تحرس نصف المفتاح المقدس الذي لا يغلق أبواب الجحيم فحسب، بل كان في الواقع قرن الشيطان، لاعتقدت أنه مريض يحتاج إلى علاج عاجل.

إميليا ماريا دي كارلو لم تذهب لأي خطر بقدميها. كانت أختي من النوع المغامر، وكنت أنا راضية بالاستمتاع الهادئ الآمن. أعطني رواية رومانسية مشبعة بالحب والاحتمالات المستحيلة.

كان هذا هو نوع المغامرة التي يمكنني أن أستكشفها.

العشرون

«**تبدين كمن ذهب** إلى الجحيم وعاد أيتها الساحرة».

حدقت غاضبة إلى شيطان الحرب على سبيل التحية. وفي غضون ساعات قليلة، سيصبح حرًا، ولم أكن متأكدة أنه سيجيب عن أي أسئلة بمجرد انتهاء فترة الاحتواء. بعد ذلك الهجوم الوحشي على جدتي، غادرت المنزل وتجولت في أنحاء باليرمو لأقرر ما يجب فعله بعد ذلك. لقد ارتكبت خطأ فادحًا، كاد يكلّف جدتي حياتها. كان يجب ألا أعود إلى منزلي بعد مواجهة جريد، وكان يجب عليّ أن أتوقع إرساله جواسيسه ورائي لسرقة تميمتي. لقد كان تهورًا مني أن أعتقد أن أميرًا من أمراء الجحيم سيسمح لي ببساطة بأن أخرج سالمة بعد أن تفوقت عليه.

والآن، بعد أن عرفت أنني وأختي كنا نرتدي قرني الشيطان، ومدى قوة تميمتينا وخطورتهما، كان عليّ استعادة التميمة بأي شكل. ربما لا أعرف مكانها في هذه اللحظة، لكن بفضل جريد، عرفت بالضبط مكان وجود تميمة فيتوريا، كنت بحاجة فقط إلى بعض المعلومات من راث عن تلك الأفعى أولًا، وبعدها سأعمل على استعادتها.

ابتسمت وأنا أقول: «بالتأكيد أنت من بين كل الناس تعرف كيف هو ذلك الشعور... بالمناسبة، التقيت باثنين من إخوتك مؤخرًا... إنهما شديدا اللطف».

الشيطان غير المرئي جاء إلى هنا لينفذ مهمة موكلة إليه. رفعت يدي فجأة وأنا أفكر في إصابة جدتي لأمسك تميمتي. سقطت يدي، فارغة. لقد نسيت أنني خلعتها. هرعت لآخذها من فوق الطاولة وتجمدت في مكاني.

لقد اختفت تميمتي.

أصغر من أن أتذكر كل شيء، لكنني لم أنسَ قط ذلك الهدوء الخانق الذي فرضته الثلوج على المكان.

كنت في منتصف الطريق إلى *التميمة* عندما لاحظت أن الوحش قد توقف عن التنفس بشكل منتظم. توقفت، وانتظرت الموت. كانت مشكلة تعويذات النوم هي عدم وجود طريقة لمنع شخص ما أو أي شيء من الاستيقاظ بشكل طبيعي.

وعندما لم تتحرك الأفعى، قررت إنهاء ما بدأته، إذ لو أنها في مرحلة ما بين النوم واليقظة، فلن تبقى كذلك إلى الأبد. توزع انتباهي بينها وبين الأرض، فقد كنت حريصة على عدم إصدار أي ضجيج، ولم أسمح لحصاة واحدة بأن تنزلق من مكانها.

أخيرًا، بعدما بدا كأنه ألف سنة ملعونة، وصلت إلى *التميمة*، وانحنيت ببطء شديد لاستعادتها. أبقيت عينيَّ على الأفعى، وهو ما تبين أنه كان خطأً فادحًا. ففي اللحظة التي لمست فيها *التميمة*، وقعت السلسلة على الأرض. وتحركت الأفعى.

انطلق ذيلها ناحيتي، ما أدى إلى سقوطي بضربة واحدة سريعة. أمسكت بتميمة فيتوريا بإحدى يدي، وبحفنة من التراب والحصى باليد الأخرى. انتظرت حتى اقتربت الأفعى مني قبل أن أقذف بالحصى في عينيها. أطلقت الأفعى فحيحًا عاليًا بدا كأنه صرخة أرسلت قشعريرة في جسدي.

يا إلهي... لقد أغضبتها حقًّا. التف الشيطان شبيه الثعبان حول نفسه، وصرخ وأخذ يضرب بلا هدى. سقطت قطع من الحجر من الجدران وسط سيل من الفوضى. ملأت سحب الغبار الهواء، وخنقتني. تسبب ما قامت به الأفعى بإغلاق أحد الأنفاق تمامًا. وكان عليَّ أن أخرج من هنا على الفور، لكنني لم أستطع.

ابتعدت عنها قدر الإمكان، محاولة الزحف على طول الجدار، لكنها تحركت بسرعة كبيرة، ولم يكن من الممكن أن أتفادى ضربة بذيلها.

لن يمر وقت طويل قبل أن تخرج الحصى من عينيها. غير أن جسدها القوي اصطدم بالنفق الموجود على اليمين، فلم أُضِع فرصتي الوحيدة للهروب. تجاوزتها، وقلبي يدق، وأدعو الرب ألا تتحرك مرة أخرى وتقتلني. اتخذت خطوتي الأولى داخل النفق الذي وصلت من خلاله إلى هنا.

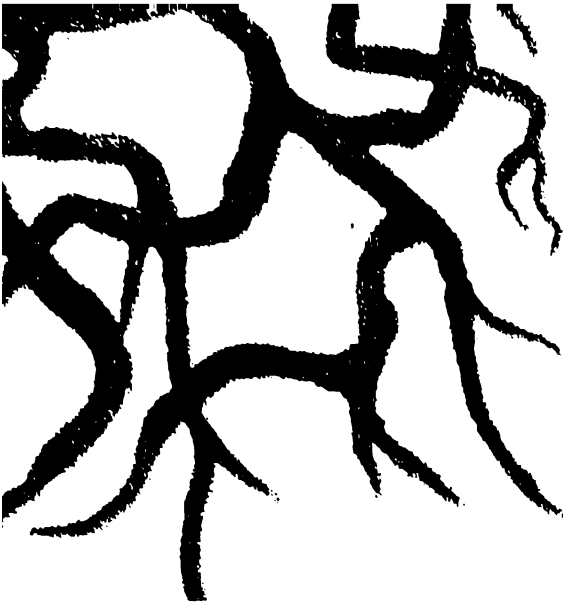
اخترق ناب بحجم السيف أسفل ظهري. وكانت العضة سريعة للغاية، وانتهت قبل أن أتمكن من الصراخ كذلك. توقفت عن الحركة، وشعرت في جسدي كله الوخز، وأصبح باردًا كالثلج. كنت أعرف ما يكفي من الطب الشعبي لأدرك علامات الصدمة. تستغرق الصدمات الكبرى أحيانًا بضع ثوانٍ حتى تتمكن من الوصول إلى المستقبلات العصبية في الدماغ. وكما اعتقدت، أصابني الألم بقوة لاحقًا.. حار، وحارق، ومؤلم تمامًا.

سقطت على الأرض، واستدرت في الوقت المناسب لأرى الأفعى تقترب مني لتقتلني. تدحرجت ثانية قبل أن تمزق حلقي. تسببت الحركة المفاجئة في اتساع جرحي. تناثر الدم من حولي، وبذلت قصارى جهدي لعدم التركيز على احتمال أن تكون الأفعى قد وجهت لي ضربة قاتلة بالفعل. انطلقت ناحيتي مرة أخرى، وهذه المرة، سمحت لها بالاقتراب بدرجة كافية لدرجة رؤية انعكاسي في عينيها المشقوقتين. نحيت الألم والصراخ جانبًا، وانتفض قلبي. وانتظرت... وانتظرت... فيما خفضت هي رأسها استعدادًا لغرز أنيابها...

ضربتها بقوة وبسرعة، غارزة تميمة فيتوريا في إحدى عينيها. تدفق سائل دافئ على يدي، بينما صاحت الأفعى للمرة الأخيرة. دفعت بقوة أكبر حتى تأكدت تقريبًا من أنني وصلت لدماغها.

لم أنتظر لأرى ما إذا كانت قد ماتت أم أصيبت بجروح بالغة، بل استدرت وهربت.

ولكنني لم أستطع الهرب بعيدًا على أية حال، فقد كان للسم خطط أخرى بالنسبة إليَّ.



الواحد والعشرون

كان كل شيء يدور بعنف، مثل المرات القليلة التي تناولت فيها عن طريق الخطأ الكثير من الشراب مع كلاوديا وفيتوريا. أخذت أترنح صوب مخرج النفق، وانهرت أسفل القضبان التي تسللت من خلالها. وكان المخرج قريبًا جدًّا، لكنه بدا في الوقت نفسه بعيد جدًّا. كنت بحاجة إلى استجماع قواي وسحب نفسي، وتعهدت بفعل ذلك بمجرد توقف رأسي عن الدوران وزوال الغثيان.

سمعت صوت خبطة ناعمة بالقرب مني، أعقبتها سلسلة من الشتائم البذيئة. ولو لم أكن واثقة بأنني سأتقيأ إذا فتحت فمي، لضحكت. لم أتمكن من تذكر اسمه بالضبط في هذه اللحظة، لكنني تذكرت أنه لم يكن في العادة معرضًا لفقدان السيطرة على مشاعره بتلك الطريقة. ولسبب ما، بدا لي الموقف مضحكًا على الرغم من أنه لم يكن كذلك.

فجأة شعرت بألم في رأسي، وكان الألم حادًّا ومؤذيًا. شعرت كأن ألف إبرة تخز عقلي في وقت واحد. تأوهت، ما زاد الأمر سوءًا.

«أين تأذيت؟»، كان صوته عاليًا جدًّا. لوحت بيدي لأبعده عني، لكنه كان شيطانًا مثابرًا بشكل مزعج، فقال: «ركِّزي! هل عضتكِ أيتها الساحرة؟».

«توقف».

شعرت بأصابع تتحسس جمجمتي، وحلقي، ثم توقفت عند خط رقبتي. بطريقة ما تمكّنت من ارتداء التميمة. دحرجني على جانبي، وكدت أفقد وعيي من موجة الألم التالية. ومن الواضح أنه لم يهتم بألمي ومعاناتي، ربما كان يستمتع بها. تذكرت بشكل ضبابي أنني أكرهه، والآن عرفت السبب.

توقف أقل من لحظة، ثم أعقب صوت تمزيق القماش هجوم هواء مثلج أسفل ظهري. ضرب الهواء جسدي المجروح، وأعماني الألم بقوته. أعتقد أنني ربما صرخت.

«*اللعنة*».

رفعتني ذراعان صلبتان إلى أعلى، وضمتني إلى جسد لا بد أنه من الفولاذ وليس من العضلات والعظام. بدأنا نتحرك سريعًا. كانت خطواته سلسة ورشيقة، وكان ذلك أمرًا جيدًا - إذا كان قد اهتز أثناء الجري، لتقيأت عليه، ولم أعتقد أنه كان سيحب ذلك.

حرّكت الرياح شعري، ونحن نسير بسرعة مستحيلة عبر شوارع المدينة. أخطأت عندما نظرت إلى المباني التي بدت كأنها تومض مسرعة، وندمت على الفور. ضممت نفسي أكثر إلى صدره، وأغمضت عينيّ. كان الألم هو كل ما أعرفه.

قال: «نحن على وشك الوصول».

اصطكت أسناني بشكل لا يمكن السيطرة عليه. ولم تكن لديَّ أي فكرة عن المكان الذي *يقصده*، ولكنني كنت آمل أن تكون به بطانيات ونار. انتشر البرد داخلي، وقد كان مُهلكًا ومخيفًا. سيطر عليَّ شعور سيئ بأنني لن أعرف أبدًا راحة الدفء مرة أخرى. وكان ذلك غريبًا؛ لأنني اعتقدت أن اليوم كان حارًا بشكل خاص. انتشر الخدر البارد ببطء في ساقيَّ. وانفتح باب، ثم انغلق. وشعرت بأننا صعدنا مجموعة من السلالم، ثم وضعت على مرتبة ناعمة.

تعالـت الأصوات من حولي، ولم أتمكن مـن تمييز الأصوات المكتومة. غمـرت مياه كانت تُسكب في حوض ما حواسـي، ثم تبعتهـا رائحة دخان، انتفضت. في مكان ما، في أعماق ذاكرتي، كنت أعرف ما يعنيه الدخان؛ كان يعني الخطر.

قـال صـوت آخر غير مألـوف: «لا تخافـي... إنه يعرف مـا يجب فعله، وسيعود قريبًـا». كانت البطانيـات تحيطني بإحـكام شـديد، لدرجة أنني بالكاد تمكنت من التنفس. لا بد أنني شهقت؛ وشعرت بيدين دافئتين على جبهتي. «اهدئي. لا تقاومي حتى لا ينتشر السم بشكل أسرع».

شعرت بأن الوقت قد انكمش، ولم أنتبه إلا ثواني عشوائية، وكان عذابًا لا يرحـم. كانت نبضات قلبي سـريعة جـدًّا، ما جعل رأسـي ينبض بالألم. مرت لحظات، واسـتمر الألم. ثم سـمعت صوت طقطقة النيران، وشممت رائحة دخان، ثم رأيته عائدًا؛ ففتحت عينيَّ على وسعهما.

قـال: «سـوف أصلح الأمـر، لكن عليكِ أن تمنحينـي الإذن لأفعل ذلك، حسنًا؟».

حاولـت الإيماء، لكنني بالكاد استطعت التحرك. وقد جلس بجانبي، ووضع يديه على جانبي رأسـي، وكرر السـؤال. لا بد أنه شعر بحركتي غير المحسوسـة تقريبًا هذه المرة. وقبل أن تضـرب الموجة التالية من الألم، بدأ يتحرك بنشاط كبير.

صـرخ في شـخص ما لـم أتمكن من رؤيته: «راقـب محيط المكان، ولا تقاطعنا مهما حدث». بدأت أشعر بالذعر مرة أخرى. محيط المكان؟ أين كنت، هل أنا في الجحيم؟ حملني، وأغلق الباب خلفنا. أصبح صوته ألطف بشكل ملحوظ، وهو يقول: «سنجلس معًا في الماء، أيناسبك الأمر؟».

حاولـت أن أقـول نعـم، لكـن الخـدر انتشـر في حلقـي. أعتقد أنـه رأى الإجابة في وجهي على أي حال. وبدا كأنه يهمس وهو يقول: «ابقِ على قيد الحياة لكي تكرهيني بسبب ما سأفعله».

ما شعرت به بعد ذلك كان دفئًا يجتاحني، وكأنني أطفو على سحابة بالقرب من الشمس. سمعت كلمات بلغة لم أفهمها بالقرب من أذني. اقترب مني حتى إن شفتيه كادتا تلامسان بشرتي. كان هذا هو آخر إحساس لطيف شعرت به قبل أن يحل الظلام التام.

«اشربي».

أردت ذلك أكثر من أي شيء آخر، لكنني لم أستطع. أمال رأسي إلى الخلف، وفتح شفتيَّ وسكب شرابًا حلوًا في حلقي. حاولت أن أتغلب على مذاقه المتخمر، كان حلوًا وثقيلًا لدرجة أنني كدت أختنق، لكنني فقدت القدرة على التحرك بمفردي منذ فترة طويلة.

انسابت دمعة على خدي، فمسحتها أصابع قوية. تناثرت حولي قطرات المياه. ثم أحاط بي نوع مختلف من الدفء، وشعرت بهمسات ناعمة ولطيفة. كانت كطنين النحل؛ إنه وعد وعهد غير قابلين للنقض. تجاوزت الألم، وشعرت بأنني عدت إلى منزلي. أعتقد أنني أردت المزيد، لكنني لم أنل ما أردت. تحدث بهدوء وقال كلمات بلغة لم أفهمها.

ومض ضوء ساطع ثم بدأ جحيمي الحقيقي.



أيقظني صوت ناعم من أسوأ حلم حلمت به على الإطلاق.

أغلقت عينيَّ بقوة، وحاولت أن أتنفس بعمق وانتظام. كنت لا أزال في حوض المياه. وللحظة، لم أتذكر كيف وصلت إليه.

ثم بدأت أتذكر لقطات مما حدث، لم أتمكن من معرفة ما إذا كانت أحلامًا أم ذكريات.

ثعبان موشوم على ذراع ملفوفة حول جسدي، ليس بغرض التملك، بل لطمأنتي. وكأن رات قد تبعني إلى كابوسي، وحارب الموت، وخرج بي منه.

وأقسم أنني ما زلت أشعر بحرارة وجوده، وفوجئت بأنني لم أكره ذلك الشعور.

أغمضت عينيَّ مع ظهور المزيد من الصور: ثعبان عملاق، معركة مميتة، أنياب، دماء، رقبة جدتي وجرحها. ارتشاف مشروب حلو أكثر ثقلًا من العسل، وقد أردت أن أتقيأ. ومع كل هذا سمعت كلمات غريبة من صوت منفعل، ثم ظهرت شرارة تعمي البصر.

وبدأت الكوابيس.

شياطين تصرُخ، مخالب تخدش، وامرأة مجهولة ذات عينين سوداوين مثل منتصف الليل، وروحها من نار، تلعنني. مدينة النار والجليد، غرفة عرش شديدة السواد، تاج مصنوع من اللهب والدخان، بوابات ضخمة من العظام والأجنحة الجلدية، تنفتح بقوة. خيانة.

طردت الحلم من رأسي، وركزت على ما يحيط بي، ثم تمنيت على الفور لو أنني لم أفعل. تذكرت بشكل غير واضح الإحساس ببشرة دافئة ومبللة، وجسد قوي. والشعور بالأمان التام، لم أعرف إذا كان ذلك حقيقيًا أم متخيَّلًا أيضًا.

أغمضت عينيَّ مرة أخرى، وعددت بصمت حتى تباطأ نبضي. استغرق الأمر ثانية، لكنني أدركت أن جرحي قد شُفي تمامًا.

يبدو أن راث ألقى تعويذة قوية للغاية، فأنا أشعر بالقوة مجددًا. كنت كالوعاء الفارغ قبل أن تعود الحياة لتملأني بما يفوق طاقتي. أردت أن أقفز وأرقص، أو أقاتل، أو أمرح. وربما أقوم بكل هذا في الوقت نفسه.

ولكي أتجنب مثل هذه الأفكار، ركزت على الغرفة من حولي. كنت في غرفة استحمام مزخرفة غير أنها متداعية. كان الحوض الرخامي القديم جميلًا، لونه أبيض تتخلله عروق ذهبية. وغطى بلاط الفسيفساء الجدران مصورًا مخلوقات مجنحة وحقولًا من الزهور.

ولفت انتباهي حفيف خافت من زاوية الغرفة إلى يساري. وقف راث وظهره نحوي، كما لو كان يعطيني القليل من الخصوصية. تقاطرت نقاط

مياه من الجزء العلوي من جسده. يا للهول، عليه أن يرتدي قميصًا في الحال.

ألقيت نظرة خاطفة على الوشم الذي رأيته في الكهف في الليلة الأولى التي استدعيته فيها. كان وشمًا ذهبيًا يتداخل معه اللون الأسود، لامعًا متقاطعًا من كتف إلى كتف. بدا كأنه سطور باللاتينية، لكنني كنت بعيدة جدًّا لأتأكد من ذلك. ازدردت لعابي وشتت انتباهي بعيدًا عنه. بدا كأنه خرج من الحوض قبل لحظات من استيقاظي، وتلك الأجزاء الضبابية من الليلة الماضية كانت بالتأكيد ذكريات وليست أحلامًا... شعرت بأن وجهي يزداد سخونة، ربما اكتشف بالفعل أنني كنت مستيقظة، وكان ينتظرني لأقول شيئًا ما، لكن الأمر كان محرجًا بشكل مؤلم.

تنحنحت لأنني لم أرد تأخير ما لا مفر منه، والتفتُّ حتى أصبحنا وجهًا لوجه. أعطاه شعره الرطب هيئة إنسان.. بالكاد؛ لكن الطاقة المشعة من حوله حطمت ذلك الوهم، وكان الأمر أشبه بالغطس في حوض الاستحمام يضرب البرق بالقرب منه بشكل خطير. بدا في حالة تأهب، وكان من الغريب رؤيته خارج دائرة الاستدعاء، والغريب كذلك أنه أنقذني. لم أكن متأكدة مما يعنيه ذلك، واستندت إلى جانب الحوض وأخذت نفسًا عميقًا.

وعلى الرغم من أنه أخبرني بأنه لن يأتي من أجلي، فهو لم يتركني أموت.

لا أعرف ما القوى التي استخدمها لإعادتي من حافة الموت، لكنه بذل كل ما لديه، ولا أظن أن تعويذة الحماية الخاصة بي هي السبب الوحيد الذي جعله يساعدني. لقد شعرت بشيء الليلة الماضية، شيء أكثر حميمية. فلثانية واحدة طالت بشكل غريب، أقسم أن كلينا كان داخل عقل الآخر. فما رأيته هناك، في العمق الذي لم يتمكن من إخفائه، لم يكن مجرد كراهية يشعر بها تجاهي، كان الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك بالتأكيد.

تسلل الضوء من نافذة دائرية بلا ستائر، فأبرز عظام وجهه المنحوت. لو أنني لم أكن أعرف طبيعته، لظننته بشرًا. تساءلت عمَّا فعله وكان سيئًا لدرجة كافية ليصبح هكذا. لم أسأله، فقد شككت في أنه سيعترف بخطاياه.

كان تركيزه منصبًّا على ملامحي، ولم أستطع قراءة تعبيره، وسرى البرد في جسدي.

قلت ببطء: «راودتني تلك الـ... أحلام، أو ربما هي ذكريات، أو ربما كانت كلتيهما. لقد استخدمتَ سحرًا قويًّا الليلة الماضية». راقبت ملامحه، ولم يتحرك أو يقطع تواصله البصري معي. وفي ثانية مرت كالدهر، تساءلت عمَّا إذا كان قد تحوَّل إلى تمثال، طأطأ رأسه منتظرًا، فأكملت: «قبل أن أذهب إلى الأفعى، قلت إن الترياق سيكلف كثيرًا».

ألقيت نظرة خاطفة على الماء، وتذكرت الطريقة التي كنا نجلس بها، وقربه مني... رأيت رسومًا من قبل، فقط عدد قليل من الطقوس القديمة كانت تتطلب هذا القرب؛ وهي في جوهرها، بمنزلة ولادة جديدة من نوع ما. كما لو أنه نقل جزءًا من قوته إليَّ، مستخدمًا الماء باعتباره موصلًا بين أجسادنا. لم يكن ممكنًا الاستخفاف بأي من هذه الطقوس. لم أكن متأكدة مما إذا كان سحره هو السحر نفسه الذي نمارسه، لكنني اعتقدت أنه قريب.

عاد انتباهي إليه مرة أخرى... فسألته: «ما الثمن الذي دفعته لإنقاذي؟».

شعرت وكأن درجة الحرارة تنخفض. ظل محدقًا إلى عينيَّ، وهو يعبر الغرفة ببطء. لمع غضب شديد في هاتين العينين الذهبيتين. قال: «أنتِ من ينبغي لها أن تقلق أكثر بشأن الثمن الذي تعيَّن عليكِ دفعه، آمل أن يكون ما فعلته يستحق كل ذلك».

التفت ليغادر، وقبل أن يتمكن من ذلك، قفزت خارجة من الماء لأمنعه. وقلت: «لا يمكنك أن تقول ذلك وتذهب دون تفسير. ما الثمن الذي تعين عليَّ دفعه؟».

سألني مستنكرًا: «هل ترغبين حقًا في إجراء هذه المحادثة في الحمام؟».

«ولِمَ لا؟ هل تشعر بالخجل فجأة؟».

كان كل ما فيه ينطق بكل ما يناقض الخجل. بصراحة، مع كل هذه القوة التي يمتلكها، لم أكن لأفاجأ بثقته تلك. فقد ضم ذراعيه إلى صدره العريض. وعن قرب، كان الثعبان الذهبي الموشوم على ذراعه رائعًا بشكل يخطف الأنفاس. ثم قال: «هل تريدين التحدث أيتها الساحرة؟ سوف أتحدث إذن. لقد اتخذت قرارًا الليلة الماضية وقد كانت له عواقب وخيمة، ولو لم أحضر في الوقت المناسب، لكنت ميتة الآن».

كان محقًا بشكل مزعج، فقد حاولت تبرير فعلتي: «إن استعادة تميمة أختي كانت تستحق كل هذا العناء مهما كلفني الأمر. وإذا اضطُررت إلى القيام بذلك مرة أخرى، فسأفعل ذلك دون تردد».

«وهو ما يثبت أنكِ متهورة، أو حمقاء، أو كلاهما».

رفعت يدي أمام وجهه، وقلت: «لو أنني غبية ومتهورة إلى ذلك الحد، فلماذا أنقذتني؟ واعفني من هراء تعويذة الحماية ذلك، فكلانا يعرف أن هذه ليست الحقيقة كاملة». فتح فمه ليجيبني، لكنني قاطعته مرة أخرى: «لا أعرف التعويذة التي استخدمتها بالضبط، لكنني أعرف ما يكفي عن الطقوس التي قمت بها ومتطلباتها لدرجة أن لديَّ فكرة جيدة عمَّا قمت به. أخبرني لماذا أنقذتني؟ الآن».

عبس وهو يجيبني: «هل لديكِ أية أسئلة أخرى، يا صاحبة السمو؟ أم في إمكاني أن أذهب الآن؟».

«في الواقع، لديَّ المزيد، نعم. فهل استخدمت تعويذة الإحياء عليَّ؟»، هز رأسه نافيًا، فسألته: «إذن، لِمَ أجلستني في ذلك الحوض هكذا؟».

ظهر شبح ابتسامة على شفتيه، وعلى وجهه تعبير لرجل سعيد للغاية، ولكنه لزج في الوقت نفسه، وأجابني: «لأنك مزقتِ ملابسي مثل وحش من الجحيم». رمقته بنظرة مشمئزة. وتنهد لكنني ظننته يضحك. وبما أنه لا يستطيع أن يكذب عليَّ، فلا بد أن الأمر حقيقة بالنسبة إليه حتى يمكنه أن يقوله لي. رفعت عينيَّ إلى السقف في نفاد صبر. ومن الواضح أنني فقدت عقلي، وأخبرته بذلك. فتابع قائلًا: «أيضًا؛ لأن سم تلك الأفعى له تأثير الثلج على الجسد، فقد كنا بحاجة إلى عكس تأثير السم سريعًا. فقد كانت حرارة الجسد والماء الساخن من أكثر الطرق فاعلية وسرعة لمنع انخفاض حرارة الجسد من قتلك».

كان محقًّا، لكنني سمعته أيضًا يهمس بتلك اللغة الغريبة. ولم يكن راث يكذب، لكنه كان يحتفظ بالأسرار لنفسه، فقلت: «لقد فعلت شيئًا آخر».

نظر بعيدًا فجأة وهو يقول: «إن الأحلام التي تأتي للمرء وهو يعاني الحمى لها آثار جانبية غريبة».

ابتسمت، ربما لا أعرف التعويذة الكاملة، لكنني كنت أعلم أن لثمة عفيفة هي جزء أساسي لإتمام السحر الذي استخدمه. ربما لم يرد فعل ذلك من الأساس، غير أنه لم يكن أمامه الكثير من الخيارات.

لكنني سعيدة لأنه تحمَّل الأمر كله، وإلا لكنت ميتة الآن.

عندما شعرت بأنني داخل رأسه الليلة الماضية، لم تكن مشاعره تعبيرًا عن الحب، بل الخوف. وعلى الرغم من جهوده الحثيثة لمنعي، كنت مثل شظية تحفر ببطء تحت جلده الخالد. وقد أسافر يومًا ما بعمق كافٍ لاختراق قلبه الحجري، فليثق بحدوث ذلك.

بغض النظر عمَّا إذا كان قد ضحى بجزء صغير من قوته لإنقاذي، فلن أنسى أبدًا حقيقته؛ لقد كان شيطانًا أنانيًّا، ومهمته حماية عالمه الخاص بأي وسيلة ضرورية. ولم يكن يهتم حقًّا بهذا العالم، أو بالساحرات اللاتي قُتلن. وكان يهتم فقط بما يعنيه كل ذلك له، وذلك الخوف الذي رأيته في

قلبه لا علاقة له بي شخصيًا، بل بما تمثله التعقيدات العاطفية التي كان يواجهها. فقد كانت بالنسبة له كالموت.

موت كل ما كان عليه، وموت كل ما اختار أن يكونه.

إن أمراء الجحيم مخلصون لأنفسهم فقط. وقد يصطحب راث عدوه إلى أي مكان حتى لو كان غرفته الخاصة في أي لحظة إذا كان ذلك يعني الحصول على المعلومات، وأشك في أنه قد يحتقر قيامه بذلك.

تحركت مقتربة منه، ولم يتراجع، لكنه لم يقترب مني أيضًا. ولم يكن لسلوكه أي علاقة بالخير، أو الصداقة المزدهرة، أو الرغبة. بل كانت له علاقة بالمكاسب. أنا فقط لم أفهم بعد كيف أو لماذا يحتاج إليَّ على قيد الحياة.

لكنني سأفعل كل ما بوسعي لمعرفة أهدافه الحقيقية.

تحوَّل انتباهه إلى فمي، لم يكنْ هناك أي شيء لطيف أو طيب في نظرته. وفي الواقع، لم يكن هناك أي شيء ناعم على الإطلاق. وفي بعض الأحيان، عندما كان ينظر إليَّ، أقسم أنني كنت أرى وحشًا يختبئ تحت قناع الجلد الذي كان يرتديه، كان وحشًا مضطربًا يريد الخروج. وقد انتابني شعور بأنه يُبقي ذلك الوحش حبيسًا داخله، لكنه لم يكن بعيدًا قط. وقاومت القشعريرة التي سرت في جسدي. ولم أرغب قط في أن أكون قريبة عندما يقرر السماح لوحشه هذا بالخروج من قفصه.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه ثم سألني: «هل هذا هو الجزء الذي تشكرينني فيه لأنني أنقذتكِ؟».

«هذا غير وارد على الإطلاق.. أنا لست مثلك أيها الشيطان. أنا لا أتقرب ممن أكرههم، ولن أفعل ذلك أبدًا».

«أبدًا؟ هل أنتِ متأكدة من هذا التعليق القوي؟».

لم أكن متأكدة من أي شيء في الوقت الحالي، بل كنت في حيرة من أمري، ويملأني سحر لم يكن ملكي تمامًا. لقد عشت أربعًا وعشرين ساعة في الجحيم، من الهجوم على جدتي، وتعرضي للموت، وإنقاذي على يد

عدوي. لقد غمرتني قوته، وملأتني. وفي لحظة ما، أردته أن يجذبني إليه.. إنها كلها مشاعر لا معنى لها.

لم أستطع أن أفكر وهو يقف قريبًا جدًّا مني. وكنت في حاجة ماسة إلى لحظة مع نفسي، لكي أجمع أفكاري وأحدّد كيفية المضي قدمًا. لم أتمكن من إنجاز أي من هذه الأشياء مع وجود ذلك الشيطان نصف العاري الذي يملأ مساحتي الخاصة، وقد سرت القوة في عروقي.

قبل أن يبهرني راث بمزيد من السحر، همست بتعويذة احتواء، لا بد أنها كانت قوية بسبب سحره الشيطاني لأنها لم تسِر كما هو مخطط لها. ففي ثانية كان واقفًا أمامي، وفي اللحظة التالية اختفى. اختفى من الوجود. حدث الأمر بسرعة كبيرة، لكنني تمكنت من إلقاء نظرة خاطفة على وجهه قبل أن يختفي، إذ ارتسمت على وجهه مشاعر التعرض للخيانة.

طاردني مزيج من المشاعر عدة دقائق؛ لقد كان عدوي، حتى لو أنه أنقذني. ولم يغير عمله النبيل من هذه الحقيقة. ومع ذلك، لم أكن متأكدة مما إذا كنت أتمنى أن أعيده إلى العالم السفلي، أو أسجنه في الكهف مرة أخرى. والآن، ليس من المهم تحديد أين سيذهب.

حتى لو شعرت بالذنب قليلًا؛ لأنني استخدمت سحره ضده، فقد رفضت السماح له بالتأثير عليَّ، إذ إن لديه مهمته، ولديَّ أنا أيضًا مهمتي. بحثت في الأرض، لكنني لم أتمكن من العثور على ملابسي. يا له من شيطان ملعون، من بين كل الطرق التي يمكن أن ينتقم بها، لم أتوقع أن إحداها تتمثل في أن أمشي في شوارع المدينة هكذا.

نظرت إلى الأعلى، مستعدة للعن راث مرة أخرى، عندما رأيت فستانًا جديدًا مطويًا في كومة أنيقة في الزاوية، حيث كان يقف. أمسكته، وفوجئت بجماله. كانت تنورته داكنة وبها نقاط ذهبية لامعة ومتناثرة بشكل أنيق، ذكرتني *بهالة* راث. كان كماه الأسودان الشفافان ينسابان من أعلى الكتفين، وله مشد ذهبي طُرزت عليه رسومات أشواك وأجنحة

على الظهر. نسيت أن ملابسي تمزقت أثناء هجوم الأفعى. وتكونت لديَّ مشاعر فضلت ألا أفكر فيها كثيرًا وأنا أمسك بالفستان. أبعدته عني.

شعرت بسحره يسري في عروقي، ويصيب روحي. ومنعت نفسي من التعلق بمشاعر الحياة القوية التي منحني إياها.

ارتديت ملابسي سريعًا، فقد كنت بحاجة إلى مهمة عادية للتركيز عليها، بينما تضطرب مشاعري كالأمواج. فمع اختفاء راث، أصبح التفكير أسهل قليلًا لأن أفكاري ظلت تعود إليه، وإلى التعبير الذي ارتسم على وجهه. وقد جرحت مشاعره، هذا... أزعجني، يا له من تحول مثير للسخرية للأحداث. أرسلت عائلته شياطين غير مرئية لمهاجمة جدتي وسرقة *تميمتي*، وهآنذا *أشعر* بالسوء بشأن احتمال إرسال شيطان إلى الجحيم، حيث يعيش ويحكم... بسعادة غالبًا. ويتمتع هناك بنوع ما من الترف الشيطاني، من النار والكبريت، وأوركسترا من صراخ الملعونين.

ومع ذلك، ربما كان قرارًا متسرعًا. فبغض النظر عن أنه لم يكن شيئًا لطيفًا، يمكن أن يكون راث مفيدًا في سعيي إلى تحقيق العدالة. وكنت متأكدة من أن لديه دوافع خفية للوقوف بجانبي، لكن عندما كنت في حاجة إليه حقًّا، كان موجودًا. هذا الفعل، فوق كل شيء آخر، أخبرني بما يكفي.

كانت روحي آمنة معه.

هذا يعني أنه يمكننا أن ننحّي خلافاتنا جانبًا ونعمل معًا لحل قضية مقتل فيتوريا. ولم يكن أي منَّا يحب هذه الفكرة، لكن على الأقل كان بإمكاني أن أثق بأنه لن يقتلني. واعتبارًا من الآن، كانت الأدلة تشير إلى أن أميرًا من أمراء الجحيم هو المسئول عن جرائم القتل، وليس صائدي الساحرات. بعد ما حدث مع جريد والهجوم على جدتي، كنت بحاجة ليكون راث إلى جانبي.

زفرت نفسًا طويلًا، على أمل أن يكون قرارًا سليمًا.

اللعنة عليَّ، الآن يجب أن أعرف أين أرسلت أمير الغضب.

أمسكت بالقميص وعدت إلى المدينة لتعقب أمير الجحيم المفقود.



الثاني والعشرون

«**إذا كنتِ تريدين** مني أن أتحدث معك الآن، فاطلبي بلطف».

لن أسمي ما شعرت به بالراحة، لكن انفكت عقدة في صدري عندما وجدت راث عالقًا في دائرة الاستدعاء مرة أخرى. ولم يكن غاضبًا كما توقعت، بل بدا حائرًا بعض الشيء. افترضت أنه لم يتوقع أن يجري إبعاده مباشرة بعد إنقاذ حياتي. وهو ما كان عادلًا. لأكون صادقة، لم أكن أتوقع أن أرد إليه الجميل بهذه الطريقة أيضًا. فسألته: «هل كل الشياطين مجانين، أم أنت فقط؟».

زفر في نفاد صبر وهو يقول: «أنت لستِ من الأشخاص الذين يمكن أن يقال إنهم لطفاء، أليس كذلك؟ إن شكر الشخص الذي أنقذ حياتك من خلال سجنه ليس بالطريقة التي تسير عليها الأمور في مملكتي. لا شك في أنكِ تحتاجين إلى العمل على تحسين أخلاقك».

عندما قال ذلك، تخلت عني كل الأفكار المتعلقة بعقد تحالف مبدئي معه؛ كان تلقي محاضرة من شيطان عن الأخلاق هو أكثر الأشياء التي سمعتها سخافة على الإطلاق. كيف تجرأ على ذلك؟ أمطرته بمجموعة متنوعة من الاقتراحات لما يمكن أن يفعله في الوقت المتبقي له على الأرض - كان من ضمنها تربية الحيوانات.

قال ساخرًا: «يا له من أمر جذاب. أتساءل من أين يأتي إبداعك ذلك، ربما من تجربة شخصية؟». لم تكن تلك المشاحنات لتقودنا إلى

أي مكان، وأنا لديَّ أشياء أكثر أهمية للقيام بها. وعلى ما يبدو، شعر راث بالأمر نفسه، فضاقت عيناه وهو يتفحصني، ثم سألني: «ما الذي يشغلكِ أيتها الساحرة؟».

«لا شيء».

«إذا كان الأمر يتعلق بالتعويذة التي ألقيتها، أو الفستان...»

«ليس الأمر كذلك»، لسبب ما، بعد أن أصبحت قريبة منه مرة أخرى، لم أكن مستعدة تمامًا لطلب مساعدته في حل جريمة قتل أختي. وكنت بحاجة إلى بعض الضمانات الأخرى بأن هذا هو أفضل مسار لاتباعه. كان هناك شيء واحد ربما يكون قادرًا على الإجابة عنه من شأنه أن يساعدني على اتخاذ قراري. هذا إذا لم يضحك حتى الموت أولًا. أغمضت عينيَّ وعددت إلى عشرة. قلت: «هاجم شيطان خفي جدتي أمس. أعتقد... أعتقد أنه كان يلاحقني من قبل».

كنت أتوقع منه أن يسخر مني، أو أن يسألني عمَّا إذا كنت قد انغمست أخيرًا في الكثير من جلسات استدعاء الأرواح. وبدلًا من ذلك تأملني بعناية شديدة، ثم سألني: «هل تحدث إليكِ؟».

أومأت وأنا أجيبه: «لقد قال: 'إنه قادم'».

ذرع راث دائرة العظام جيئة وذهابًا قائلًا: «يبدو كأنه شيطان ظلال. لكن، أن يكون هنا ويتحدث إليكِ... هل قال أي شيء آخر؟».

«أنا... لا أتذكر بالضبط. ففي المرة الأولى، قال شيئًا عن سرقة الذكريات والقلوب».

«المرة *الأولى*؟» استدار ليحدق إلى وجهي. لم يكن راث بارعًا في إظهار الكثير من المشاعر، ربما لأنه كائن خالد وُلد في الجحيم وليس إنسانًا، ولكن من الواضح أنه فوجئ بهذا الخبر. وسألني: «كم مرة قابلته بالضبط؟».

أجبته: «ربما ثلاثًا؟ ظننت أنني كنت مُراقبة في الدير... تلك الليلة.. ثم وجدت أختي ولم أفكر في الأمر مرة أخرى». بدأت بالمشي حول الحافة الخارجية للدائرة، ثم سألته: «ما شيطان الظلال؟».

أجابني: «جواسيس مرتزقة في الغالب. إنهم يبيعون خدماتهم لأي عائلة ملكية تحتاج إليهم. وهناك عدد منهم موالون لبرايد أمير الكِبر فقط. وهم في الغالب لا يمتلكون أجسادًا ويصعب قتلهم. لا ينجح السحر معهم دائمًا بالطريقة التي قد تظنينها».

إن قولك يصعب *قتلهم* ليس مثل *من المستحيل قتلهم*، وهو أمر يدعو إلى الأمل، إذا كان هناك أمل. وسألته: «إذا كان من المفترض أن يكون جاسوسًا، فلماذا كشف عن نفسه؟».

«هذا هو السؤال، أليس كذلك، أيتها الساحرة؟ وهم عادة لا يتحدثون على الإطلاق».

«هل تعتقد أن جريد قد استأجره؟».

«ولماذا قد أعتقد ذلك؟».

نظرت إليه بحثًا عن أي علامة من علامات الخداع، فبالتأكيد هو يعلم أن شقيقه كان هنا. ومن ثم أجبته: «لأنني تحدثت معه في وكر اللعب قبل أن تتعرض جدتي للهجوم. وربما أكون قد خدعته ليعطيني معلومات أكثر مما وافق عليها في الأصل. وعلى الرغم من أنها ليست نقطة ضعفه، لكنني متأكدة من أن كبرياءه الملكية قد جُرحت».

أعطاني راث نظرة جافة، وهو يقول ساخرًا: «هذا مضحك»، من المستحيل تقريبًا خداع أمير من أمراء الجحيم».

«حسنًا، ما لم يكن يكذب بشأن هويته، فإن خداعه لم يكن بهذه الصعوبة». لم أستطع معرفة ما إذا كان راث يصدقني، ولم أهتم، وسألته: «لقد قلت إن بعض شياطين الظلال مخلصون لبرايد... هل تعتقد أنه هو مَن أرسلهم؟».

بالنظر إلى حقيقة أنه قد سرق أحد القرنين، فقد بدا الأمر محتملًا، لكن راث لم يكن يعلم أن هذا ما كنت أسعى إليه عندما ذهبت إلى عش الأفعى. وأردت أن أعرف إجابته.

قال: «هذا ممكن، لكنه غير محتمل. وليس وأنا هنا. لا يستطيع شيطان ظلال الانتقال إلى العالم السفلي. يمكنهم فقط التسلل بين العوالم إذا أرسلهم أمير، أو إذا استُدعوا. وعلى الرغم من ذلك لا يمكن استخدام هذا النوع من القوة إلا خلال فترات محددة».

سألته: «كيف يجري السفر بين العوالم؟».

أجابني: «إنه يشبه تجميع خيوط الزمن ونسجها معًا في أماكن مختلفة».

هذا رد غامض. فألححت: «إذا حاول شخص ما استدعاء الشيطان... فهل ستكون قادرًا على معرفة ذلك؟».

رمقني راث بنظرة حادة، ثم أجابني: «لا يمكن استدعاؤه».

«ماذا لو أن شخصًا ما يمتلك أحد قرني هاديس؟ هل يمكن استدعاء برايد حينها؟».

سكن الأمير الشيطان تمامًا، ولم يستمر شعوره بالمفاجأة سوى ثانية واحدة قبل أن ترتسم ابتسامة بطيئة على وجهه، ثم قال: «لقد كنتِ مشغولة».

كنت كذلك بالفعل، وقد قمت بعمل جيد حتى الآن في تتبع خطوات أختي، لكنني الآن بحاجة إلى المساعدة. وقد يكون راث عدوي، لكنه أنقذ حياتي. وكنت آمل أن يعني ذلك أنني أستطيع الوثوق به.

فكرت مليًا فيما أردت أن أفعله بعد ذلك. ذكرتني إجاباته عن شيطان الظلال بتوأمتي، والطريقة التي كانت تدوِّن بها الملاحظات في مذكراتها، وشعرت بالارتياح. بدا الأمر كما لو أن فيتوريا كانت تبارك هذا الاتحاد غير المعتاد. ذكرت نفسي بأنه كان من الممكن أن يحاول راث بسهولة

سـرقة روحي أو المسـاومة على حياتي بينما كنت أموت، لكنه لم يفعل أيًا من هذين الأمرين. بدلًا من ذلك، ضحى بقواه دون أن يتوقع مقابلًا.

سألته: «هل ستساعدني على معرفة ما إذا كان... ذلك قد حدث؟».

سأل: «تقصدين لو أن أحدًا قد استدعى برايد؟». أومأت، بدا متشككًا للغاية، لكنه أكمل: «نحن بحاجة إلى معرفة المكان الذي تمت فيه محاولة الاستدعاء، فلا شيء مضمون. هل كان قرنا هاديس مدمجين أم استُخدم قرن واحد فقط؟».

أخذت نفسًـا وأنا أجيبه: «واحد فقط، وأنا أعرف من أين أبدأ. إذن هل ستساعدني؟».

«يجب أن تكوني أكثر تحديدًا عند طلب إبطال تعويذة الاحتواء. ولا تنسي استخدام لقبي. من الأدب أن تفعلي ذلك». ألقيت نظرة سريعة على خنجره الذي أحضرته من المنزل، ثم عدت بانتباهي إليه. ابتسم مرة أخرى، وهذه المرة كانت ابتسامته تعبّر عن استمتاعه بالأمر. قلت: «أنا لا أتبع مثل هذه القواعد».

سكت ثم أكملت مرغمة: «هل يمكنك، رجاءً، أن تترك دائرة العظام وتساعدني على معرفة ما إذا كان ثمة شخص استدعى برايد، أيها الأمير راث؟».

كانت هذه هي المرة الأولى لي التي أبطل فيها تعويذة احتواء، وقد كان الأمر غريبًا. لم يكن عليَّ أن أهمس بتعويذة أخرى، بل أن أطلب منه ببساطة أن يغادر دائرة الاستدعاء.

ملأت شحنة كهربائية هواء الكهف، وتوسعت ببطء حتى دفعت حدود دائرة الاحتواء بعيدًا، كان هناك صوت طقطقة طفيف، ثم عاد العالم الخارجي كما كان تمامًا.

وقف راث قريبًا مني، وقد بدا طويلًا للغاية، قال: «إذا كنتِ تقدرين تحالفنا الجديد، فلا تستخدمي تعويذة الاحتواء هذه معي مرة أخرى،

أيتها الساحرة، إن الثقة يجب أن تكون أمرًا متبادلًا بين الطرفين، وقد بدأ صبري ينفد».

«حسنًا، إذا كنت تريد ثقتي، فتوقف عن مساعدة برايد في بحثه عن زوجة».

«لا أستطيع».

«إذن، لا تفاجأ عندما أدافع عن نفسي باستخدام أي وسيلة ضرورية».

ابتعد وهو يمرر يده فوق شعره. راقبته بلا مبالاة وهو يقترب مني، والتصميم في عينيه الذهبيتين. قال: «ناوليني خنجري»، أجبته بنظرة رافضة، فقال: «أنا فقط بحاجة إليه لحظة. لا، لن أطعنك به».

على الرغم من أنه ربما أراد ذلك... بشدة.

فككت خنجر الثعبان من جراب حول فخذي وأعطيته إياه.

نزل راث على ركبة واحدة.

قال: «إميليا ماريا دي كارلو، أعدكِ بأنني لن أؤذي أي ساحرة جسديًا، ولن أجبرها على الزواج ببرايد». ثم جرح كفه، وضغط بيده النازفة على قلبه. ثم أردف قائلًا: «تكريمًا لتاجي ودمي، أقسم أن مهمتي الحالية هي إنقاذ الأرواح، وليس إزهاقها».

وقف وأعاد خنجره لي، قبض عليه أولًا، وهو عرض آخر للثقة. أعدت الخنجر إلى مكانه ونظرت إليه. كان جرحه قد التأم بالفعل. سألته: «ألن تطلب مني قبول رباط الدم الذي عرضته عليَّ في السابق؟».

«أفضّل لو تقبلينه، لكنني لن أجبرك على ذلك. هل أنت راضية الآن عن وعدي؟».

«حاليًا».

«هذا جيد بما فيه الكفاية».

تجاوزني وتوقف بالقرب من حافة الكهف. قاومت رغبتي في دفعه إلى الأسفل في البحر. تبعته في صمت. كانت الأمواج الفضية، متموجة مثل مخلوق ضخم من خشب الأبنوس يتمدد تحت البدر. *سحقًا* بالطبع.

اكتمال القمر يعني المزيد من المتاعب. وأنا لديَّ بالفعل متاعب بطول مائة وتسعين سنتيمترًا.

قلت: «خذ». ضربت صدره بالقميص الذي اشتريته له، وأضفت: «لا يهمني إذا كنت تكرهه، أو إذا كانت رائحته كريهة، أو إذا كنت أميرًا لا تناسبه ملابس الفلاحين تلك، ولكنك سترتديه أثناء سيرنا في المدينة، فآخر شيء نحتاج إليه هو لفت المزيد من الأنظار إليك».



وقفت أنا وراث مستندين إلى المبنى المجاور للدير، نراقب الأضواء تنطفئ واحدًا تلو آخر. وسرعان ما سينام الإخوة في غرف نومهم. سألته: «ما الذي دفعك إلى أن تقطع لي وعدًا بالدم؟».

قال ساخرًا: «أردت أن أقدم غصنًا صغيرًا من الثقة».

«تقصد غصن زيتون».

«المفهوم نفسه أيتها الساحرة»، ثم رفع وجهه نحو القمر.

وأضاف: «وأيضًا لأنني ربما كنت أرغب في المزيد من تلك... الأشياء التي أحضرتها. وإذا مت فسوف يتعين عليَّ الانطلاق في البحث عنها. وسيبدو الأمر غير مناسب».

سألته وأنا متظاهرة بعدم تصديق محاولته المزاح: «أتقصد الكانولي؟ هل أحد أسباب إنقاذك لي هو بعض الريكوتا المحلاة؟». لكم أشعر بالامتنان للظروف التي جعلته لم يعرف مدى شعبيتها، أو مدى انتشارها في المدينة. سألته: «هل تعتقد أن ثمة شيطان ظلال يراقبنا الآن؟».

كان مختبئًا بين الظلال، فيما كان الظلام شديدًا بحيث لم أتمكن من رؤية ملامحه بوضوح، لكنني تصورت نظرة الاستسلام على أي حال، وسألني: «هل أنت خائفة؟».

تجنب مثالي لسؤالي، كنت أعلم أنه يشير إلى شيطان الظلال، لكن الحقيقة هي أن راث قد أخافني أيضًا. أي شخص لم يكن خائفًا قليلًا من دخول غرفة مع الشيطان الذي شوهد آخر مرة مع أحبائه المقتولين سيكون أحمق.

على بعد بضعة شوارع، ترددت أصوات بدت مثل قصف رعد بعيد. تبعت ذلك ضحكة جريئة وعالية. كانت باليرمو مدينة تعشق الليل بقدر ما تنعم ببركة النهار. يقام الكثير من المهرجانات والأعياد، ويبدو دائمًا أن هناك مناسبة ما تستحق الاحتفال، خاصة مع تقديم الطعام والشراب. وكنت آمل أن أوقف الوحش المصمم على تدمير كل هذا قبل أن يضرب مرة أخرى.

وبعد عدة دقائق من الهدوء، أظلم آخر ضوء ذهبي في الدير.

استقام راث في مكانه وقال: «حسنًا، لقد حان الوقت. إذا كنتِ تفضلين البقاء هنا، فابقِ. أنا لا أدلل أحدًا».

تجاهلته، وانزلقت إلى الظلال تاركة إيَّاه يتحدث إلى نفسه. ويبدو أنه يستمتع بصوته بما فيه الكفاية، وشعرت بأنني سأكون وقحة لو قاطعته.

كان يقول: «لن أهدئكِ، أو أضمد جراحك، سواء أكانت عاطفية أم غير ذلك. أنا أحتقر...»

عندما فتحت الباب عبر الزقاق، توقف عن الحديث. ورمقته بنظرة غاضبة، بينما كنت أفتح الباب أكثر وأدعوه للعبور. وقف في مكانه، عابسًا. أجزم بأنه لم يسمعني وأنا أتحرك. تساءلت كم من الناس تمكنوا من مفاجأته هكذا. ربما ليس الكثير، نظرًا إلى الطريقة التي بدا منزعجًا بها لأن ساحرة تفوقت عليه.

«هل ستأتي أم لا أيها الشيطان؟».



الثالث والعشرون

لحسن الحظ، لم تكن هناك همسات غير طبيعية تنتظرني في الغرفة التي ماتت فيها فيتوريا. ولا يوجد استدعاء مُلح أو طلب سحري من العالم الآخر. لم يكن هناك سوى الصمت وحفيف احتكاك حذاء راث أثناء تحركه في الظلام. بناءً على طلبه الهادئ، ولكن الفظ، سلمته حقيبة الإمدادات الخاصة بي، ممتنة لتلك اللحظات القليلة التي حصلت فيها على التحكم في نفسي بينما كان هو يبحث داخلها عن الشموع.

وفقًا لراث، لم يكن أمامنا سوى بضع دقائق حتى يشعر بآثار أي سحر استدعاء. وقد حذرني من أنه قد لا يكون هناك أي أثر ما دام قد مر على الأمر أكثر من شهر. لم أعد إلى هذه الغرفة منذ أن عثرت للمرة الأولى على جثة أختي المشوهة. ولو كان لديَّ خيار، ما وضعت قدمي في هذا الدير الملعون مرة أخرى. وكنت أعلم أن فيتوريا ليست هنا، لكن شبح تلك الليلة طاردني على الرغم من ذلك. وقد أغمضت عينيَّ على ذكرى جسدها الممزق. تذكرت السكون المطلق للموت، والدم.

فركت ذراعيَّ بيديَّ، على الرغم من أن الهواء كان دافئًا بشكل لطيف. وكان من الغريب أن أفكر كم أن الحياة غير متوقعة. وقبل شهر، لم أكن لأتخيل قط العودة إلى هنا مع المخلوق نفسه الذي وجدته للمرة الأولى وهو يلعق دم أختي، ومع ذلك ها نحن ذا نعمل معًا.

فجأة، لم أعد غارقة في الحزن، ومع كل ما حدث، كنت قد نسيت كل تلك التفاصيل المؤلمة. التفت وقد أحببت ثقل خنجر الشيطان وهو يرتد عن جانبي، وقلت له: «لأكون واضحة؛ لقد سمحت لك بمغادرة دائرة الاحتواء الليلة لمصلحتي فقط. وهذا لا يعني أنني أستلطفك».

«وأنا من اعتقد أن رباطنا الأبدي يعني أننا قد أصبحنا صديقين مقربين».

«لم تخبرني سبب لعقك دم أختي».

أنهى التفتيش في حقيبتي، وأخرج شمعة، وأشعل عود ثقاب. شع الضوء، فأضاء حواف وجهه. وقد أخفت الظلال نظرته، لكنها لم تخفِ لون الذهب المتلألئ في عينيه. صرف انتباهه إلى الخنجر، وظل مسلطًا عليه. كان يحدق إليه كثيرًا أثناء سيرنا إلى هنا، لدرجة أنني لم أستطع سوى أن أفكر في أنه كان يخطط لطرق مبتكرة لاستعادته مني.

حاربت رعشة باردة مع عودة الشعور المألوف بالخطر. وفي بعض الأحيان، خاصة أنه قد وافق على مساعدتي، كان من السهل أن أنسى أنه أحد الأشرار، وقال: «لأنكِ لم تسأليني».

«لقد فعلت ذلك بالتأكيد».

«ما قلتِه هو: كنت تقف فوق جسدها، *وتلعق دمها من أصابعك*، أيها الوحش المقزز». من الواضح أن ذلك قد أثّر فيه بشكل كبير لدرجة أنه لم ينسَ ما قلته. وأشعل الشموع وأعطاني واحدة. تجنبت ملامسة أصابعه، فقال: «لا تلمسي أي شيء أيتها الساحرة. لا نريد أن نضيع أي رائحة متبقية».

«هل أحتاج إلى أن أعرف ما الذي *تقصده* بـ'الرائحة المتبقية'، أم أنه من الأفضل ترك فهم بعض الحقائق للخيال؟».

«على الرغم من أن الأمر قد يكون مغريًا، فمن الأفضل ألا تتخيليني على الإطلاق».

زفرت في نفاد صبر. إذا لم يكن يريد التوضيح، فلا بأس في ذلك. لم أهتم بحواسه الشيطانية الثمينة، لكنني كنت *أهتم* بفيتوريا.

«إذن، لماذا كنت تلعق دمها؟».

رفع شمعته ودار في مكانه، متفحصًا الغرفة، وقال: «كنت أختبره».

أخذت نفسًا عميقًا، ودعوت الله ليمنعني من قتله هنا والآن.

«اسمع، سيعمل هذا التحالف الصغير بشكل أفضل إذا قمت بالتوضيح دون مطالبة مستمرة مني بذلك. تظاهر بأنني لا أعرف شيئًا عن طرقك الشريرة. اختبار دمها *لماذا*؟».

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه وهو يقول: «سامحيني يا صاحبة السمو». كنت أختبره بحثًا عن أي أدلة عن عائلة من عائلات الشياطين التي ربما تكون أختكِ قد انضمت إليها».

«مثل رباط الدم الذي عرضته عليّ؟».

أومأ بالموافقة.

«وماذا اكتشفت عندما ذقت دم فيتوريا؟».

«لم تكن قد تحالفت مع أي أحد بعد، لكن هذا لا يعني أنها لم تتعامل مع أمير من الجحيم».

«إذن، على الرغم من أنني استدعيتك إلى هنا، فلن يعرف أحد أنك وأنا... نعمل معًا... من دون رباط الدم، أليس كذلك؟».

«هذا صحيح».

يا إلهي، هذا يعني أن فيتوريا كان بإمكانها استدعاء جريد أو إنفي، وإذا لم توافق على رباط الدم، فلن تكون هناك طريقة لتتبع ذلك.

سألته: «هل تعتقد أن جريد أو إنفي سيرغبان في منع برايد من الزواج؟».

فكر قبل أن يجيب قائلًا: «يستمتع جريد بحكم عائلته؛ لذلك لا. ولن يحاول إنفي القيام بأي شيء من شأنه أن يجلب الحرب إلى عائلته. ومن

المرجح أنه يفكر في كل الأشياء التي لا يملكها ولا يريدها، لكنه يفتقر إلى الطموح لأخذها».

انتهت المحادثة، وعاد راث يلتفت بشمعته. جذب انتباهي شيء ما. انحنيت وكشطت قطعة من الشمع بأظافري. كان الشمع ورديًا شاحبًا. وتذكرت فجأة الشموع التي كانت هنا في تلك الليلة الرهيبة. قمت بتحريك الضوء لرؤية الأرضية بشكل أفضل. كانت هناك بقعة شمع أصفر حجمًا باللون الرمادي. بحثت، ورأيت الآثار نفسها من الشمع الوردي والرمادي بالتناوب.

كان هذا بالتأكيد هو المكان الذي قامت فيه فيتوريا بتكوين دائرة الاستدعاء. سألته: «قال إنني إن الآخرين سيأتون للبحث عني، هل كان يقصد إخوتك؟».

«غالبًا».

«هل يمكن أن يقصد شياطين الظلال أيضًا؟».

«ربما».

لو أن النظرات يمكن أن تتحول إلى خناجر لأصابته نظراتي في مقتل. بعد أن بذل قصارى جهده لإنقاذ حياتي، أردت أن أصرخ بسبب ردوده القصيرة. فكرت مرة أخرى في عدم قدرته على الكذب عليّ مباشرة، وضاقت عيناي، وسألته: «ماذا كان يعني بعدم معرفة المستقبل؟».

«لم أكن هناك؛ لذلك فأنا لست متأكدًا بالضبط مما كان يشير إليه». تجنّب راث النظر في عينيّ. لكنه تابع قائلًا: «من الممكن أنه يستخدم ذلك كوسيلة تخويف للوصول إلى أفكارك».

«ومن تكون ساحرة الظلال؟».

حوّل انتباهه نحوي، وأعطاني نظرة تقول إنني لو لم أكن أعرف فليس هو من سيخبرني بها؛ فرنوت إليه بنظرة توحي بالتهديد الشديد فرضخ وأجابني: «هذا يعني أن دماء شيطانية تسري في عروقك بشكل أكثر قليلًا من الساحرات الأخريات».

«لا يمكن لهذا أن يكون صحيحًا. أنت...» أغلقت فمي، أعلم أنه لا يستطيع أن يكذب، لكن لم يكن هناك أي احتمال لأن يكون ما قاله صحيحًا. كانت عائلتنا مباركة، ولسن ساحرات ظلال. سألته: «كيف يمكن أن يكون ذلك ممكنًا؟».

رفع حاجبيه، وسألني: «هل تعرفين كيف يأتي الأطفال؟».

«بالطبع أعرف».

«جيد، أي أنني لست مضطرًا إلى أن أشرح كيف أن إحدى جداتك كانت على علاقة بشيطان ما، وأنجبت منه. ربما لم يحدث هذا منذ وقت بعيد للغاية، ما دام إنفي استطاع تخمين طبيعتك من مجرد النظر إليكِ».

«قالت جدتي إننا حارسات بين العوالم، وأن 'ساحرة الظلال' هو الاسم السيئ الذي أطلقه علينا الشيطان».

انصب اهتمامه كاملًا عليَّ الآن. وفجأة، لم أعد أرغب في أن يعرف أي شيء يتعلق بالتاريخ السري لعائلتي. وأومأت برأسي ناحية الشمعة، وغيرت الموضوع: «أتذكر أنني كنت أعتقد أن رائحة الهواء تشبه رائحة الزعتر.. والبارافين. هل هذا دليل على أنها حاولت استدعاء برايد؟».

«لا، تُستخدم الشموع الوردية والرمادية الشاحبة من قبل منزل جريد». وسار حول الغرفة، ثم أكمل: «الزعتر والنحاس مطلوبان أيضًا عند استدعاء الشيطان الذي ينتمي إلى ذلك المنزل».

سألته: «لا يمكن استدعاء الشياطين إلا باستخدام الشموع الملونة المناسبة؟».

«من بين أمور أخرى، نعم. إذ تنقسم عائلات الشياطين إلى سبع عائلات ملكية، ولكل منها طقوسها ومتطلباتها الخاصة. وتختلف ألوان الشموع، والنباتات، والتوقيت وأيضًا المعادن».

أشرت إلى الأشياء حولنا، وأنا أقول: «لا يمكن استخدام أي من هذا لاستدعاء برايد؟ أم أن وجود قرني هاديس يغني عن هذا الجزء من متطلبات تعويذة الاستدعاء؟».

«حتى لو امتلكت أختك القرنين كليهما، فلن ينجح الأمر من دون الشموع والمعادن والنباتات الصحيحة». ورفع شمعته، وأكمل قائلًا: «مهما حدث في هذه الغرفة في تلك الليلة، أعلم أن أختك لم تستدعِ برايد، ولا يبدو أنها كانت تحاول ذلك أيضًا».

«لقد أخبرتني بأنها كانت تفعل ذلك».

راقبني راث من كثب، ثم قال: «من المستحيل معرفة نياتها. ربما أرادت استدعاءه، لكنها غيرت رأيها، أو إذا كانت قد حاولت استدعاءه، فهي لم تفعل ذلك هنا».

تزايد شعوري بالإحباط. فإذا لم تستدعِ برايد، فهذا يعني أن جريد هو السبب، ولا بد أنه السبب. فكرت في الهجوم على جدتي، ورغبته في الحصول على قرني هاديس، وكان من المنطقي أن جريد لن يكون راضيًا عن كونه أميرًا للجحيم بينما بإمكانه أن يصبح ملكًا للشياطين، فجزء من خطيئته هو عدم الشعور بالرضا قط، والرغبة الدائمة في الحصول على المزيد، دون الاهتمام بمن أو بما تم تدميره في السعي لتحقيق أهدافه.

تصاعد داخلي غضب غير متوقع، واجتاح كل شبر من الغرفة. كان غضبًا قويًا للغاية لدرجة أن ركبتيَّ كادتا تتخلعان بسببه.

«أقسم بدمي أنني سأدمر الشيطان الذي فعل هذا بفيتوريا، وسأستمتع بفعل ذلك». نظر إليَّ راث بحدة، ونظرًا لدهشته، تخيلت أن نظرتي قد أصبحت مظلمة تقريبًا. وأصبحت مشاعري أقوى وأكثر قتامة. وألقيت باللوم على قربي من الأمير المحارب. فإذا كان إنفي قد أثار مشاعر الغيرة داخلي ونماها، فمن المنطقي أن راث - سواء عن قصد أو بغير قصد - قد أذكى غضبي. واجهته: «سوف تساعدني على استجواب جريد مرة أخرى. وإذا لم أتمكن من قتله، فسوف تقتله أنت».

توهجت تميمة أختي بلون أرجواني غير طبيعي. وتحوَّل انتباه راث إليها، ثم عاد إلى وجهي. ارتديتها بعد أن سرقتها من الأفعى. حتى الآن، لم تكن أبواب الجحيم قد انفتحت، ولم يحاول راث نزعها عن رقبتي.

قال: «على الرغم من أن كلامك ومزاجك مثيران للإعجاب، فلن أشن الحرب على أي شخص، ولن تفعلي ذلك أيضًا. على الأقل ليس دون دليل دامغ، واحتمال أن يكون جريد وراء ذلك ضئيل للغاية».

«إذن، كيف وصل إلى هنا؟ لا بد أن أحدهم قد استدعاه». ولوّحت بذراعي في الغرفة، وقلت: «من الواضح أنه قد استُدعي إلى هذه الغرفة».

قال راث: «ليس بالضرورة أن يكون هذا ما حدث. فبصرف النظر عن برايد، يمكن لأمراء الجحيم المجيء إلى هنا بمفردهم. بالإضافة إلى ذلك، ليس هناك أي أثر لقوة جريد في هذه الغرفة. فما لم تكن أختك تمتلك غرضًا شخصيًّا يخصه، فمن المرجح جدًّا أنها - أو من أنشأ هذه الدائرة - قد استدعى أحد رعاياه، وهم يعدون بالآلاف».

«ولكنّ هناك أميرًا شيطانيًّا واحدًا فقط من ذلك المنزل موجود حاليًّا في باليرمو. فأنا لا أرى الآلاف من الشياطين الآخرين هنا، أليس كذلك؟».

سألني راث: «هل هذا مجرد سؤال بلاغي أم أنكِ في انتظار إجابة؟».

هممت بطرح أسئلة عن عالم الشياطين، لكنني غيرت رأيي بسرعة، كانت لديَّ استفسارات كثيرة حقًّا، وشعرت بأن راث يحثني على طرحها. ومع ذلك، اخترت تأجيلها اليوم؛ إذ يبدو أن راث لم يكن محظوظًا للعثور على إجابات وافية لأسئلته.

لكنني سألته: «ما الشيء الذي ربما احتاجت إليه لاستدعاء جريد؟ خنجر مثل خنجرك مثلًا؟». لا أستطيع أن أتذكر ما إن كنت رأيت خنجرًا معه عندما زرت وكر اللعب الخاص به، وهذا دليل آخر على أنه قد استُدعي. فاستطردت قائلة: «ربما لا يزال في غرفة نومي أنا وفيتوريا».

«أخشى أنكِ لن تجديه هناك»، ثم هز رأسه وهو يكمل: «من المفترض أنه كان هنا في الليلة التي قُتلت فيها. ولا بد أن من قتلها قد أخذه عندما غادر. على الرغم من ذلك، لا توجد رائحة هنا يمكن تتبعها. إذا كان شيطانًا فهذا يعني أنني سأضطر إلى تتبعه بطريقة مختلفة».

فكرت بصوت عالٍ: «إلا إذا كنت محقًّا فيما قلته من قبل بأنها لم تستدعِ شيطانًا بالفعل. وربما عثرت على شخص آخر يحاول استدعاء جريد فقتلها، أو ربما استدعي شيطان أقل مكانة فهاجمها وقتلها».

تذكرت الطريقة التي انتُزع بها قلبها، لن يُقدم على فعل شنيع كهذا سوى كائن رهيب قاسٍ. لن أسمح لنفسي بأن أنسى أنني لم أعرف سوى شيطان واحد كان في هذه الغرفة مع توأمتي المقتولة، بعد لحظات قليلة من فقدانها حياتها.

قال راث: «هذا ممكن، ولكنني لا أعتقد أنه كان شيطانًا». ثم حدَّق إلى المذبح حيث كانت جثة شقيقتي، وأكمل: «عادة ما يستهدف الشيطان الأقل مكانة الحلق والأحشاء، ولا يستهدف عضوًا واحدًا ويغادر. وبخاصة أنه سيكون ضخمًا وعنيفًا بما يكفي لإلحاق هذا النوع من الضرر بالجسد».

إذن فالقاتل ليس برايد، ولا جريد، ولا يوجد هنا أي نوع من الأدلة. لم تسر هذه الرحلة كما كان مخططًا لها.

فكرت في ورقتي السحر القديم اللتين وجدتهما. قال راث إنه من أجل استدعاء شيطان من عائلة معينة لا بد من استخدام شموع ذات ألوان محددة وبعض الأشياء الخاصة بكل أسرة يحكمها أحد الأمراء. كانت المشكلة هي أن كلتا الورقتين اللتين وجدتهما مع يوميات فيتوريا لم تحتوِ على تعويذة تتضمن شموعًا وردية ورمادية. عاد الغضب ليزداد داخلي من جديد، ويحتاج إلى متنفس... أو هدف ما.

قلت: «هذا غريب». كان الهواء دافئًا، لكن النصل الذي ضغطته على ظهر راث بدا كأنه قطعة من الثلج في يدي. توقف راث عن التنفس. قلت له: «لا يمكنك الكذب، وأنا أصدق هذا بما فيه الكفاية، ولكن، لماذا لا أستطيع العثور على دليل يدعم ادعاءاتك بالبراءة؟».

«هل تطلبين مني التعليق على انعدام كفاءتك؟».

«هل وضعت الشموع هنا لتكون دليلًا في تلك الليلة لإلقاء اللوم على جريد؟ لا بد أنكِ أدركتِ أن أختي لديها تعويذة الاستدعاء الخاصة بمائلتك، وهذا من شأنه أن يورطك».

«لم أكن أعلم أنك استدعيتني باستخدام أي تعويذة أخرى غير تعويذتك. ولم أتواصل مطلقًا مع أختك، باستثناء الليلة التي اكتشفت فيها جثتها. لا بد أنكِ تتذكرين أنني أخبرتكِ بحاجتي إلى معرفة هوية قاتل الساحرات أيضًا، أليس كذلك؟ وربما أريد أن أجده أكثر منكِ أيضًا».

«لماذا؟ هل بسبب اللعنة؟».

«نعم، بكل بساطة».

«أخبرني بكل شيء عنها. أريد أن أعرف من لعن الشيطان، ولماذا، ولماذا يجدر بي أن أقلق أو أن يقلق أي شخص بخصوص هذا الأمر؟».

التفت إليّ وحدجني بنظرة مفادها أن هذا السؤال لن يرد عليه، حتى إن كان نصل الخنجر ملتصقًا بظهره. فكرت في طعنه على أي حال، ولكن ربما سينتهي الأمر برفضه الإجابة عن أي أسئلة أخرى. فسألته: «هل كنت تتظاهر بأن تعويذة الحماية الخاصة بي فعالة؟».

«إذا كنت أتظاهر، فلماذا لم أذبحكِ أو أستخدم قوتي حتى الآن؟ السبب بالتأكيد ليس لأنني أستمتع بصحبتك الرائعة».

«أعطني سببًا واحدًا يمنعني من غرس هذا النصل في قلبك. هذه هي الطريقة التي يمكن أن تموت بها، أليس كذلك؟ بسلاحك الخاص، وفي تلك البقعة فقط».

«ربما».

«هل أنت متأكد؟». حركت طرف النصل ليصبح فوق عموده الفقري تمامًا. أكملت قائلة: «أعتقد أنك لا تخبرني بالحقيقة كاملة، أتعرف لماذا؟».

«أنيريني من فضلك».

«أشعر بنظرتك متسلطة عليَّ عندما تعتقد أنني غير منتبهة لك. أنت تختلس النظرات إلى الخنجر في كل مرة أتحرك فيها. تريد أن تعرف أين هو طوال الوقت، لهذا السبب فوجئ إنفي بوجوده معي. أنت تقريبًا مخلوق خالد، باستثناء نقطة الضعف الصغيرة هذه؛ لذا يا أمير الغضب العظيم، إذا كنت لا تريد أن تموت الليلة، أخبرني لماذا أرسلك برايد إلى هنا حقًا؟».

الرابع والعشرون

دار راث حول نفسه، فأصبح في مواجهتي، ثم انحنى إلى الأمام، وضغط طرف خنجره على صدره قبل أن أتمكن من أن أطرف بعينيَّ. انزلقت قطرة من الدم على الخنجر، وأضاءته فترة وجيزة. حدقت بصمت بينما التأم جرح الشيطان أمام عينيَّ.

مال برأسه إلى الأسفل، واقترب من وجهي، فلم أجرؤ على أن أتنفس، وقال: «ربما يؤلمني الخنجر إذا طعنتني في القلب أيتها الساحرة، لكن قتل أمير من أمراء الجحيم يتطلب أكثر من ذلك كثيرًا. إذا كنتِ لا تزالين تعتقدين أنني أكذب، فهيا، اطعنيني».

أراد جزء متهور مني أن يختبر تلك النظرية، ولو لمعرفة ما إذا كان صادقًا فيما قاله أم لا، لكن جزءًا آخر أكثر عقلانية لا يزال يعاني الحزن أراد أن يسلمه النصل ويرى ما إذا كانت تعويذة الحماية الخاصة بي تعمل حقًا. قررت أن الآن ليس هو الوقت المناسب للمخاطرة الحمقاء وأغمدت خنجره.

ابتعدت عنه، محاولة ألا أفكر في الأمر على أنه تراجع واستسلام. أما هو فلم يقم بأي خطوة لإيقافي أو ملاحقتي، بل راقبني فقط وأنا أزيد المسافة بيني وبينه.

سألته: «هل ستخبرني على الأقل بتلك اللعنة؟ أعتقد أننا نستطيع أن...»

وضع راث شمعته على المذبح الحجري، وتحرك سريعًا ليقف أمامي في أقل من ثانية. كان قريبًا جدًا، فقد لمسني ظهره. ورفعت يدي، استعدادًا لدفعه بعيدًا عني، عندما سمعت خطوات خافتة تقترب من مكاننا.

سألني راث: «هل أخبرتِ أحدًا بأننا قادمان إلى هنا؟». هززت رأسي، مرعوبة من أن يكون أي من جريد أو إنفي قد تعقبنا إلى هنا. كان جسد راث متأهبًا، مستعدًا للقتال. وبذلت قصارى جهدي لتهدئة أنفاسي.

ارتفع صوت مألوف وعميق من الممر: «مرحبًا؟».

«اللعنة»، ألقيت برأسي إلى الوراء وتأوهت قائلة: «ليس الآن».

ألقى راث نظرة خلفه، وهو يسألني: «هل تعرفينه؟».

أومأت، فاسترخى الشيطان، وعدَّل من وقفته المتأهبة للقتال. كان الضوء المنبعث من المصباح الذي يحمله زائرنا يسبقه إلى الغرفة. لعنت تلك المقاطعة في سري. تنحى راث جانبًا، وبدا سعيدًا تمامًا بانزعاجي. تجاهلته عندما دخل أنطونيو وتوقف على الفور عندما رآنا.

قال مندهشًا: «إميليا»، أصبحت نظرة أنطونيو دافئة عندما رآني، لكنها تبدلت إلى الشك عندما رأى أنني لست وحدي. تناقلت نظراته بيني وبين رفيقي الذي يبدو خطرًا. كان واضحًا أنه فقد القدرة على ترتيب كلماته ليتحدث، لكنه في النهاية قال متلعثمًا: «سمعت أصواتًا فـ...». عاد تركيزه إلى راث، وبدأ يتأمل وشم الثعبان الذي بدأ من يد الشيطان ملتفًا حول معصمه، ليختفي أعلى ذراعه تحت كمه، ثم انتقل بناظريه بيننا عندما لاحظ الوشمين المتشابهين على ساعدينا. لم أتمكن من أن أفهم طبيعة نظرته. استقام أنطونيو في وقفته أكثر، وسألني: «هل كل شيء على ما يُرام؟».

تفحص راث أنطونيو بطريقة جعلت القشعريرة تسري في جسده مثل تيار كهربي.

سرعان ما وضعت نفسي بينهما، وأنا أبتسم لصديقي القديم ابتسامة خجولة، وأقول: «أنا آسفة إذا كان صوتنا عاليًا. لقد طلبت من...»، لكنني لم أكمل كلامي.. وترددت. لم أستطع أن أدعوه بـ«راث». تحرك الأمير الشيطاني لكي أراه جيدًا، وأومأ لي سريعًا. كان من الصعب معرفة ما إذا كان ذلك تحذيرًا بعدم ذكر اسمه، أم أنه أراد فقط أن يستمتع برؤيتي في ذلك الموقف الحرج. قلت: «إنه صديقي سمائيل يزورنا، وقد أردنا أن نضيء شمعة لفيتوريا».

لم يبدُ أنطونيو مقتنعًا، ولا أستطيع لومه، فأنا لم أكن ممثلة جيدة على أي حال. كنت آمل حقًّا ألا يستمر في طرح الأسئلة. ولا بد أن الكذب على رجل دين في مكان مقدس وبحضور شيطان يعني الحظ السيئ. قال أخيرًا: «هذا اسم غير عادي. قلتِ من أين هو؟».

تدخل راث قائلًا: «هي لم تقل من أين جئت. هل تود إحضار بعض الشراب المبارك لنا لنجلس ونتحدث أكثر عن نسبي؟». رمقه راث بنظرة جعلتني أقسم أنه بدا مفترسًا، ثم أكمل: «لا أمانع في التعرف عليك بشكل أفضل أيضًا. خاصة إذا كنت *صديقًا* مقربًا لعزيزتي إميليا».

ردد راث كلمة «صديق» كما لو كان يعتقد أن أنطونيو ليس كذلك، لكن فمي كان مفتوحًا لسبب مختلف تمامًا. لم أستطع أن أفهم لماذا قال راث «عزيزتي إميليا». بصراحة، كنت أظن أن هذا الشيطان لا يتذكر اسمي في الأساس، خاصة وهو لا يفتأ يناديني بـ«الساحرة».

بدا أنطونيو مذهولًا تمامًا وهو يكرر: «عزيزتك...»

استعدت انتباهي سريعًا وأنا أقول مقاطعة إياه: «أنا آسفة يا أنطونيو». ثم نظرت إلى راث نظرة تحذيرية بينما أشبك ذراعي بذراع أنطونيو، وأتجه به سريعًا نحو الباب. وأجزم بأن أمير الغضب كان يحاول فقط إثارة غضب صديقي حتى يتمكن من امتصاص تلك المشاعر، تمامًا كما فعل بي إنفي. وقلت لأنطونيو: «أرجو أن تسامحه على وقاحته؛ كانت رحلته طويلة في ظل ظروف هي الأسوأ على الإطلاق».

اندهشت عندما شعرت بعضلات أنطونيو تحت ردائه، لكنه لم يحاول إيقافي بينما كنت أرشده إلى الممر.

سألته: «هل يمكننا أن نبقى بضع دقائق أخرى لتلاوة صلواتنا؟».

نظر أنطونيو في عينيَّ، وهدأ تعبير وجهه المتوتر، وقال: «بالطبع، سأكون في الممر التالي بالقرب من صنبور المياه إذا احتجتِ إليَّ».

«شكرًا لك».

زفرت وهو يشق طريقه ببطء عبر القاعة نحو غرفة التحضير، ثم انتظرت حتى اختفى مصباحه عن مجال رؤيتي قبل أن أدخل الغرفة مرة أخرى. استند راث إلى المذبح، وحدق إلى وجهي، وهو يرفع أحد حاجبيه. كان واحدًا من أكثر التعبيرات الإنسانية التي رأيته يظهرها على الإطلاق. ثم قال مستنكرًا: «سمائيل، حقًّا؟ هل هذا هو أفضل ما استطعتِ التفكير فيه؟».

«كان أمير روما وملاك الموت، وفي رأيي إنه مناسب جدًّا لك. سيكون من دواعي سروري أن تخبرني باسمك الحقيقي لكي أستخدمه ولا تعترض على الأسماء المستعارة التي سأطلقها عليك».

سار متجهًا نحوي، وتوقف على بعد مسافة لائقة.. تقريبًا. وقال: «لا تناديني بهذا الاسم مرة أخرى. أنا لستِ ملاكًا، أيتها الساحرة. لا ترتكبي مثل هذا الخطأ مرة ثانية مطلقًا».

«يا للهول، هذا مستحيل! وهأنذا كنت أظن أن معظم البشر يعتبرونه شيطانًا. مررت بجانبه لأعود إلى آثار الشمع التي تركتها دائرة استدعاء فيتوريا. فسألني: «هل أنتِ...». سكت، ثم عاد ليسأل: «هل سبق لكِ أن كنتِ في... علاقة ما مع ذلك الإنسان؟ أنت تدرين ما أعني».

درت ناحيته، وقد فوجئت بسؤاله تمامًا، فقد كنت أتوقع أن أرى ابتسامة ساخرة؛ لذا لم أكن مستعدة لرؤية ذلك الفضول الحقيقي الذي ارتسم على وجهه. لم أكن متأكدة مما كان أكثر إزعاجًا لي؛ أن يسخر مني، أم أنه يريد أن يعرف الإجابة حقًّا. فأجبت: «أولًا، هذا ليس

من شأنك. وثانيًا، لماذا تسأل مثل هذا السؤال الأحمق؟ في حالة عدم ملاحظتك، إنه رجل دين».

«لم يكن كذلك دائمًا».

أغلقت فمي. هذا صحيح، فقد أصبح رجل دين مؤخرًا، ولم يمنعني ذلك من الحنين إليه. إن الحقيقة هي أنني لم أستطع التوقف عن تخيل حياتي معه، وتمنيت لو أنه اختارني بدلًا من الدير.

قبل أن يؤدي اليمين مباشرة، أقسم أنه بدا مهتمًا بأن يبدأ علاقة رومانسية معي. كان يأتي إلى مطعمنا ويعرض عليّ أن يرافقني إلى المنزل، ويظل يتلكأ أمام منزلنا ليتحدث معي. وأكثر من مرة كنت متأكدة من أنه بذل قصارى جهده ليقاوم الاقتراب مني أكثر. وكان يتحدث بعصبية عن كتبه المفضلة، واعتادت فيتوريا أن تفسح لنا المجال لنكون وحدنا، فكانت تسرع داخلة قبلي لتتركني وحدي معه، لكنه لم يتجاوز المسافة بيننا قط.

لا شيء من ذلك يهم الآن... لعدة أسباب.

«هل يمكنك العثور على أي شيء مفيد هنا لمساعدتنا في قضية مقتل فيتوريا؟».

قال: «نبضات قلبك سريعة»، مد راث يده ليلمس الوريد في رقبتي، لكنه توقف خجلًا عن ملامسة بشرتي، أكمل قائلًا: «تمامًا مثل إنسانك ذاك عندما قلت إنكِ عزيزتي. من الغريب أن يشعر مثل هذا الرجل التقي بالغيرة إلى هذا الحد».

انتقل انتباهه إلى وجهي، وأخذ وقته في انتقاله من عينيَّ إلى شفتيَّ، متتبعًا كل منحنى وخط للوشم الذي لم يتمكن كماي من إخفائه. استمرت الزهور البرية في التفتح على ذراعينا، وكذلك أزهار فرانجيباني النابضة بالحياة، لا بد أن ذلك قد حدث بعد التعويذة التي استخدمها لإنقاذي. تفحصني بعناية، كما لو كان يتخيل ما رآه أنطونيو فيَّ، ثم حرَّك تركيزه إلى الأسفل بوصة بعد أخرى حتى استوعب كل شيء من وجهي حتى

صندلي، ثم عاد بعينيه مرة أخرى إلى الأعلى ببطء مماثل. لم يكن لديّ أدنى شك في أنه قام بتسجيل التفاصيل الدقيقة وتخزينها بعيدًا لتحليلها في المستقبل. ربما كان يحفظ مقاسي لتجهيز التابوت المناسب.

أجبرت قلبي على الهدوء، وسألته: «هل هناك هدف من وراء هذا، أم أنك ببساطة تحاول إثارة غضبي مرة أخرى؟».

«هناك هدف لكل شيء، أيتها الساحرة. علينا فقط أن نعرف كيف يترابط كل شيء. فلا تستبعدي *صديقك* لمجرد أنه فانٍ. للعواطف قوى كبيرة. ويُقتل الناس لأسباب أقل كثيرًا من الجشع أو الغيرة».

حاولت أن أتخيل أنطونيو وهو يتسلل ليلًا ليقتل الشابات. أردت أن أقول إن رانث كان مخطئًا، لكنني عرفت ما يكفي من الرجال لاعتقاد أن أي شخص قادر على فعل أي شيء في أي وقت. وعلى الرغم من أنني لم أكن مقتنعة بأن أنطونيو كان لديه أي *دافع* للقتل، فسأبقي كل الخيارات مفتوحة من باب الاحتياط. ومن يعرف، ربما كان يستدعي الشياطين ويمزق القلوب بين فترات الصلاة.

قلت: «إذا لم نتمكن من العثور على دليل على أن فيتوريا قد استدعت برايد، فماذا علينا أن نفعل الآن؟».

حدق إلى وجهي لحظة طويلة قبل أن ينظر بعيدًا وهو يقول: «سأرسل رسالة إلى العروس المحتملة التالية. وآمل أن تلتقي بنا غدًا لكي ننتهي من ذلك».

توقف العالم عن الدوران. وحدقت إليه، وأنا أحاول أن أستوعب أن ساحرة أخرى قد عقدت صفقة، وكان هو على علم بذلك. قلت له: «لقد وعدت بالتوقف عن مساعدة برايد، ومع ذلك أنت *كنت* تعرف عن وجود ساحرة أخرى بالفعل؟». أومأ، فسألته: «لماذا لم تخبرني بهذا؟!».

قال: «أولًا، وافقت على عدم إيذاء أي ساحرة أو إجبارها على عقد صفقة. ثانيًا، كنت سأخبركِ بعد هجوم الأفعى، لكنك أرسلتني مجددًا إلى دائرة الاستدعاء قبل أن تتاح لي فرصة القيام بذلك».

«هل عدت إلى مملكتك للحصول على هذه المعلومات؟».

«لا، بمجرد استدعائي، لا أستطيع مغادرة هذا العالم حتى تعيديني، أو إذا قطع اتصالي بك خنجر شيطاني».

«ماذا عن ذلك التنقل أو الانتقال.. أو أيًا كان هذا؟!».

«*ترانسفينيو*.. اتصالي بكِ يمنعني من السفر بين العوالم بحرية. لكنه يسمح لي أيضًا بالبقاء هنا فترة أطول مما أستطيع في الحقيقة. ببساطة، اتصالنا ذاك يربطني بهذا العالم».

«إذن، كيف عرفت أمر الصفقة الجديدة؟».

«أرسل برايد مرسالًا».

كان الأمر بسيطًا لدرجة لا تدعو إلى الراحة. لم يعجبني أن الشيطان يستطيع إرسال واستقبال رسائل بين العوالم. جعلني ذلك أفكر في شيطان الظل مرة أخرى، وكيف أنه استخدم الخنجر لإيذاء جدتي بكل بسهولة. ربما سئم الشيطان من ارتداء الساحرات قرنيه.

«لو أنك لا تستطيع مغادرة هذا العالم إلا إذا أعدتك، فكيف تخطط لتسليم الساحرة إلى الجحيم؟».

أضاء الإعجاب عينيه وهو يجيبني: «سأتحدث معها غدًا فقط. ولم أقل شيئًا عن اصطحابها إلى الجحيم». ثم عاد لينظر إليَّ من أعلى لأسفل مجددًا، تساءلت عما إذا كان ينظر إليَّ الآن باعتباري خصمًا جديرًا بالإعجاب. ثم قال: «سأجد مبنى آمنًا الليلة. وبمجرد أن أفعل ذلك، سأرسل إليك برسالة تخبرك بالمكان الذي سأكون موجودًا فيه. وإذا لم يصل إلى مسامعك شيء عني بحلول الغسق، فقابليني مرة أخرى في الكهف».



الخامس والعشرون

سحبت المهراس ووعاءه من فوق الرف، متجهمة الوجه بسبب التركيز، بينما كنت أجمع زيت الزيتون، والثوم، واللوز، والريحان، وجبن البيكورينو، والطماطم الكرزية لإعداد طبق البيستو ألا ترابانيزي. وفي مثل هذه الأيام، عندما تكون الشمس شديدة الحرارة قبل الظهر، ولو كنت أرتدي أخف فستان لديَّ، فإنه يلتصق بي من العرق، وكأنه طبقة ثانية من جلدي. دائمًا ما أحببت إضافة النعناع الطازج إلى بيستو الطماطم، لكن لسوء الحظ، لم يكن لدينا فائض منه حاليًا.

وضعت مستلزماتي جانبًا، ورفعت شعري المتموج لأعلى، ما سمح لبعض الخصلات القصيرة بأن تحيط بوجهي. لم أضع زهورًا في خصلات شعري اليوم، إذ كانت تذبل سريعًا. وغطى العرق رقبتي من الخلف مع أن اليوم ما زال في بدايته. كنت أعيد النظر بجدية في اختياري ارتداء اللون الأبيض، حيث ربطت مئزرًا فوق فستاني الذي لا كمّان له. كنت أفضل أن أبقي وشمي السحري مخفيًا، لكنني لم أكن لأنجو من تلك الحرارة، حتى مع الكمين الشفافين. تمنيت ألا يلاحظ أحد في عائلتي الوشم شاحب اللون، خاصة إذا أملت ذراعي إلى الداخل كثيرًا.

كنت غارقة في التفكير وأنا أتصور راث وهو يجرب بيستو الطماطم عندما انضمت إليَّ والدتي في مطبخنا الصغير لتحضر سمك السردين من صندوق الثلج.

قالت: «لم تأتي إلى المنزل»، لم تكن والدتي تسألني. كانت نبرتها حادة مثل السكين الذي كانت تستخدمه لنزع أشواك السمك. «هلا تفضلت سموك بإخباري أين كنتِ طوال الليل؟».

أفضل أن أبيع روحي على أن أخبرها بالليلة الماضية.

أبقيت تركيزي على البيستو، وأنا أطحن اللوز بقوة. لم يكن من الممكن أن أعترف لها بأنني أعمل مع شيطان يشرب الدماء لحل قضية مقتل فيتوريا، ولم يقتصر الأمر على أنني تحالفت مؤقتًا مع أحد أمراء الشياطين فحسب، بل تحدثت مع اثنين آخرين.

أوه، بالمناسبة، هناك أيضًا شيطان مرتزق غير مرئي يتبعني في كل مكان، ويلقي لي بتحذيرات مبهمة، وهو من هاجم جدتي، وربما يقتلني إذا تلقّى أمرًا بذلك. كما أنني كنت على وشك الموت في هجوم أفعى عملاقة، لكن أنقذني أمير الجحيم باستخدام سحر أسود قديم تطلب منا أن نجلس معًا في حوض استحمام. سوف يدور رأس أمي إذا أخبرتها بكل ذلك، لكن على الأقل حينها لن يبدو الوشم بهذا القدر من السوء.

أجبتها: «كنت في الدير».

«أعرف».

حدقت إليها بذهول وأنا أسألها: «كيف؟».

«لقد مر الأخ أنطونيو هذا الصباح، وبدا قلقًا». وانتقلت إلى سمكة السردين التالية، وبحركة عنيفة أدخلت السكين تحت الجلد، ثم سحبته إلى أسفل السلسلة الفقرية وهي تكمل قائلة: «قال إنك كنت مع شاب، صديق لعائلتنا، وقال إن اسمه كان غريبًا».

«أنا...»

قالت أمي وهي تشدد بقبضتها على سكينها: «لا تحاولي الكذب، فهذا هو أسرع سبيل إلى الجحيم».

أطبقت فمي، لا بد أنها تعرف كل شيء. ولا بد أنها أدركت حيلتي، وتوصلت بطريقة ما إلى أنني استخدمت السحر الأسود، وقد أكد لها الأخ

أنطونيو برناردو مخاوفها. ازدردت ريقي بصعوبة، وفكرت إلى أي مدى يجب أن أكون صادقة معها.

«حسنًا، الأمر...».

«إن التجول في الأماكن المظلمة مع شباب وسيمين قد يشتت انتباهك بعيدًا عن الألم لبعض الوقت، لكنه لن يزيله أبدًا. لكن عليكِ أن تجدي قوتك الداخلية لتحقيق ذلك».

«أنا... *ماذا*؟».

هزت أمي سكينها تجاهي، وهي تقول: «لا تتظاهري بأنكِ لا تعرفين ما أتحدث عنه. من حسن حظك أن جدتك كانت نائمة ولم تسمعه، فهي لديها ما يكفي لتقلق بشأنه أثناء شفائها. وآخر ما تحتاج إليه الآن أن تقلق عليك من مثل هؤلاء الرجال الساحرين. أخبرني الأخ أنطونيو بكل شيء عن ذلك الشاب. ويبدو مما أخبرني إياه أنكِ قد سحرتِ ذلك الشاب. قال أنطونيو إنه دعاك بعزيزته إميليا. أنتِ لستِ ملكًا لأحد سوى نفسك يا فتاة. لا تنسي هذا أبدًا».

يا للهول، كان هذا أسوأ *كثيرًا* من اكتشاف جدتي أنني استدعيت شيطانًا. ارتفعت حرارة وجهي، وتسللت إلى رقبتي، ولم تكن بسبب درجات الحرارة المرتفعة. اعتقدت والدتي أنني وراث...

تملكني شعور ساحق بالإهانة لدرجة أنه ربما كان بإمكانه أن يخرج روحي من جسدي.

وتخيلته وهو بجواري بجسده القوي الموشوم، يشع بحرارته المستفزة، كما لو كان لعنتي الأبدية ومصدر خلاصي ونحن نـ...

كنت بحاجة إلى إيقاف تيار أفكاري هذا على الفور؛ فلم أشعر بالتقزز من الصورة التي تخيلتها كما كنت أعتقد أنني سأفعل.

كنت أعلم أن سخرية المراهقين التي يستخدمها راث معي ستعود لتغرس أنيابها الكريهة داخلي ذات يوم، لكن لم أتخيل على الإطلاق أن الأمر سيحدث بهذه الطريقة.

وضعت أمي سكينها جانبًا، وخففت من تعبيرات وجهها الجادة قليلًا؛ إذ من الواضح أنها أخطأت تمامًا في قراءة السبب وراء احمرار وجهي، فقد قالت: «أحبي أو استمتعي بصحبة من تريدين، ولكن عليكِ أن تكوني أكثر حذرًا. لو أن والدكِ هو من فتح الباب لـ...»، ولم تضطر إلى إنهاء الجملة لتوصيل المعنى الذي قصدته.

إن ضرب الشخص الذي «يسقط ابنته في حباله» ستكون الطريقة المثالية للتخلص من بعض حزنه. فقد كان الدفاع عن شرف الابنة هواية قديمة للذكور. وبعيدًا عن هذا السلوك البشري العتيق، لم أستطع أن أصدق أن أنطونيو قد جاء إلى منزلنا.

عدت لأنظر إلى الساعة الصغيرة للمرة الألف. كانت فترة ما بعد الظهر تمر ببطء، وتبقت عدة ساعات حتى يحين موعد مقابلتي راث. ولكي أشغل يديَّ بشيء تقومان به، فضلًا عن تخيلهما تلتفان حول رقبة أنطونيو، أزلت قطعة القماش المبللة من فوق العجين، وبدأت لف المكرونة لعمل مكرونة *البوسياتي*.

لم أصدق أنني أردت الارتباط بذلك الأحمق الفضولي.

عادت أمي لتقول: «أوه، إميليا، صحيح...» أوقفت تحريكي العنيف للعجين، ونظرت إلى والدتي التي أكملت: «اصنعي المزيد من *البوسياتي*، وعدت أنطونيو بأنكِ ستعطينه بعضًا منها اليوم مع بعض الاعتذار».

ابتسمت، فأنا يسعدني أن أصنع المزيد من المكرونة لألقيها على رأس هذا *الأخ* جالب المشكلات.



«استمتعوا»... قلتها وأنا أضع بقوة سلتي على الطاولة الخشبية الطويلة في قاعة الطعام، دون أن أزعج نفسي ولو بإزالة الغطاء لأكشف عن الطعام داخلها. صمت الجمع الصغير من الرجال الذين كانوا ينتظرون

وجبتهم. أوقف أنطونيو محادثته مؤقتًا مع أخ آخر في عمره تقريبًا، وقد جعَّد القلق جبينه.

ألقيت عليه نظرة عبَّرت عن أمنيتي له بموت بطيء ومعذب، ولا بد أن الأمر قد نجح، فقد وقف من مكانه سريعًا، ورافقني على عجل إلى الممر. تحملت قبضته على ذراعي العارية حتى غبنا عن الأنظار، ثم أبعدتها عني.

سواء كنت أرتدي ملابس بلا أكمام أم لا، لم أكن أتقبل استباحته ملامسة بشرتي.

«هل كل شيء على ما يُرام يا إميليا؟».

همست غاضبة: «لا أستطيع أن أصدق أنك أخبرت والدتي بأنني كنت هنا مع شخص ما الليلة الماضية. ما أفعله ومع مَن أقضي وقتي أمر لا يعنيك في شيء».

ضغط أنطونيو على أسنانه وهو يقول: «لقد قُتلت أختك هنا، وبعد شهر وجدتك في الغرفة نفسها مع شخص لم أرَه من قبل، وترفضين ذكر اسمه. سامحيني لأنني أردت التأكد من أنكِ بخير».

«إذا كنت قلقًا إلى هذا الحد، لكان بإمكانك ببساطة الانتظار في الدير وإعادتي إلى المنزل. لم يكن عليك أن تأتي إلى منزلي قبل الفجر».

أغمض عينيه، وتركني أتساءل عما يدور في رأسه بالضبط. كان عليه أن يعرف مقدار المشكلات التي ربما يكون قد سببها لي. فليس هناك أحد بهذه السذاجة. وأخيرًا، عندما نظر إليَّ مرة أخرى، بدا كأن قدرته على الجدال قد نفدت وصار خالي الوفاض.

كان صوته هادئًا عندما قال: «لقد قُتلت فتاة أخرى بعد أن تحدثنا الليلة الماضية ... ولأنني لم أستطع كف القلق من أنها ربما كانت أنتِ، خاصة بعد ما حدث مع فيتوريا، كان عليَّ أن أتأكد من أن الأمر ليس كذلك. أعتذر عن أي مشكلات سببتها، فلم أكن أفكر بوضوح».

أخذت نفسًا حادًّا، فقد فات الأوان، ولا بد أن شخصًا ما قد اكتشف هوية الساحرة التي خطط راث للقائها لاحقًا. ولكن كيف؟

دار عقلي. قال راث إنه الأمير الوحيد الذي يعرف العرائس المحتملات، لكن هذا لا يعني أن الأمراء الآخرين لا يمكنهم معرفة ذلك. يُستخدم الجواسيس في البلاط الملكي البشري، ومن المحتمل أن يحدث الأمر نفسه في عالم الشياطين. وخطر ببالي شياطين الظل غير المرئيين الذين عملوا لصالح جريد. فإذا كان قد أرسل واحدًا ورائي وهاجم جدتي، فمن المحتمل أن أحدهم كان يخبره أيضًا بأسماء العرائس المحتملات.

ما زلت لم أفهم تمامًا سبب رغبته في موت الساحرات. ربما كان ذلك فقط للتأكد من أن الشيطان لن يُبطل اللعنة، ولن يغادر الجحيم أبدًا.

مد أنطونيو يده نحوي، وأعاد خصلة من شعري خلف أذني، ولم يبعد يده سريعًا. قبل بضعة أسابيع، كان قلبي سيرفرف بجنون في صدري بسبب حركة كتلك، أما الآن، فلا يسعني سوى أن أتذكر مدى سهولة تغيُّر المشاعر تجاه شخص ما.

سألته: «هل تعرف من كانت؟». تراجع أنطونيو إلى الوراء، وبدا في حالة ذهول بعض الشيء وهو يسقط يده إلى جانبه. وعندما لم يجب، أوضحت: «الفتاة من الليلة الماضية؟».

هز رأسه، وأجاب: «هناك شائعات، ولكن لم يتأكد أي شيء. لكن أجمع الكل حتى الآن على أن شعرها داكن، وعينيها مثل الأخريات. وهذا ليس بالكثير نظرًا إلى أن كل شخص تقريبًا في هذه الجزيرة ينطبق عليه ذلك الوصف».

سألته: «أين عُثر على جثتها؟».

«لا أعرف، فلم يُستدع أي شخص من الأخوية إلى هناك، لمباركة الجسد، لكنني متأكد من أن السوق ستكون مليئة بالمعلومات الليلة. إنها كذلك دائمًا».

كان أنطونيو محقًا. يعرف البائعون كل شيء وكل شخص. وكان العملاء من جميع أنحاء المدينة يدخلون ويخرجون من أكشاكهم طوال اليوم، ويتبادلون المعلومات والقيل والقال أثناء التسوق. بالطبع كانت القصص غالبًا ما تُحرَّف، لكن الحقيقة عادة ما تظل مخفية في مكان ما داخل تلك المبالغات. ولحسن الحظ، كان لديَّ مصدر آخر أكثر موثوقية يعرف اسم ضحيتنا. كان الفسق يقترب؛ لذا من المفترض أن يكون راث في انتظاري في الكهف. سأسأله عن كل ما يعرفه عن الساحرة، وبعدها سأتجه إلى السوق وأعرف أين وقعت الجريمة.

آمل أن يتمكن راث من فحص محل الجريمة كما فعل من قبل، ولكن هذه المرة سننجح بالتأكيد في معرفة الأمير الشيطاني المسئول عن الأمر.

وحين نجده، فلا يلومن سوى نفسه. وأنا متأكدة من أن شيطان الحرب لن يستمتع بتدمير القاتل بالقدر الذي سأستمتع أنا به.



السادس والعشرون

شقت حشود من الناس طريقها عبر السوق المزدحمة، ومع ذلك سمحوا لراث بأخذ مساحة كبيرة من الطريق ليسير فيها. تساءلت عمَّا إذا كانوا قد شعروا باختلافه دون أن يتمكنوا من تحديد رد فعلهم على هذا الشعور. كانت هناك ثقة هادئة تشع منه، ثقة بنفسه وبالمساحة التي يشغلها. توقف الرجال والنساء عن ثرثرتهم، وتتبعته أنظارهم أثناء مرورنا. نظر إليه البعض بتقدير، والبعض الآخر بشك وازدراء صريحين. ومع ذلك ربما يكون السبب هو جريمة القتل التي تحدث عنها الجميع، فقد كان راث يبدو كأنه من النوع الذي يسبب المشكلات.

وتخيلت أن التجول في الشوارع المزدحمة والملتوية مع نمر مقيد بلجام من شأنه أن يثير هالة الخطر البدائي نفسها. فلو أن شخصًا ما أراد التصرف بتهور، فأنا أعترف بأنه يمكن لذلك أن يعطيه نوعًا معينًا من الإثارة؛ أي أن تكون قريبًا هكذا من كائن مميت للغاية.

ومع ذلك، أنا لم أكن على هذا القدر من التهور. كنت أعلم أنه لا يمكن ترويض وحش بري، وأن ما يظهره لي ليس سوى مجرد وهم بالألفة يظهره عندما يشعر بالرغبة في اللعب بوجبته التالية. كانت الملابس الفاخرة والأخلاق التي لا تشوبها شائبة جزءًا من فخ معد جيدًا لجذب الفريسة، ومن المحتمل أن كل هذا صُقِل قبل دهور، قبل أن يسير الإنسان على

الأرض. كان راث حيوانًا مفترسًا بكل معنى الكلمة. وكان لديَّ شعور بأنني إذا تركت نفسي أنسى أنه كذلك ولو ثانية واحدة، فسيفرس أسنانه في حلقي ويقتلعه بكل سرور.

انتبه لي وأنا أحدق إليه، فرفع حاجبًا وسألني: «هل يعجبكِ ما ترينه أيتها الساحرة؟».

«فقط إذا كانت لديَّ رغبة في الموت».

«وهل لديكِ تلك الرغبة؟».

«ولا القليل منها».

كانت عيناه تتلألآن بنوع من التسلية المظلمة. بالطبع يروقه الحديث عن الموت. وسألني: «من البائع الذي تعتقدين أنه يعرف موقع جريمة القتل؟».

أومأت برأسي نحو وسط السوق، حيث متاجر بيع الملابس. كانت الملابس والأقمشة المعلقة ترفرف في نسيم الهواء الهادئ أمام المتجر، وكأنها تدعونا للاقتراب.

قلت له: «سلفاتوري واحد من أفضل مروجي الشائعات في المدينة. وإذا كان لدى أي شخص معلومات موثوقة عن جيليا، فهو ذلك الشخص». ألقيت نظرة سريعة على قميص راث وأنا أكمل: «إنه أيضًا البائع الذي باعني ذلك القميص الذي ترتديه».

«لهذا السبب أحضرتني إلى هنا، لارتكاب جريمة قتل بينما نقوم بالتحقيق في أخرى».

فجأة تغيَّر وجهه ولم يعد يمزح. أخفيت ابتسامتي بينما تنفس هو بحدة. فبالنسبة إلى أمير جحيم يحب الانتقام، كان بالتأكيد حساسًا بشأن الملابس، وكنت متأكدة من أنه كان يمزح بشأن قتل البائع، أو هكذا تمنيت.

في الواقع، لقد فوجئت بأنه كان يمزح منذ البداية. فبعد أن خرجت من الدير توجهت إليه مباشرة، وأبلغته بالخبر. كنت على يقين من أنه

سيدمر المدينة كلها. وبدلًا من ذلك، أبلغني بهدوء كل ما يعرفه عن العروس المحتملة، كان اسمها جيليا سانتوريني، ولم يتمكن من إيصال رسالته إليها الليلة الماضية. استغرقت ثانية لأستوعب تلك المعلومات الأخيرة.

أعدت التفكير في كل شيء مرة أخرى، وكنت أعرف عائلتها. كان والداها يبيعان التوابل في حي كالسا، وكانت فيتوريا تتطوع للذهاب إليهم وتسلم طلبات مطعمنا عندما لا يتمكن العم نينو أو والدي من ذلك. كانت صوفيا، جدة جيليا، هي الساحرة التي حوصر عقلها بين العوالم، وتتنقل بين الحقائق بسرعة كبيرة لدرجة أنها لم تعد تميِّز بين الحقيقة والخيال.

وعلى حد علمي، بعد ما حدث لصوفيا، لم ينخرط آل سانتوريني في السحر الأسود مرة أخرى. ربما كنت مخطئة، وربما قررت جيليا أن تفعل مثل جدتها، وربما كانت هي من أعطت أختي تلك الصفحات الغامضة من كتاب السحر القديم.

تسببت تلك الفكرة في سريان القشعريرة في عظامي.

إذا كانت جيليا قد أعطت أختي بطريقة ما تعويذة لاستدعاء شيطان، فمن المنطقي أنها أخذتها من كتاب سحر جدتها؛ فصوفيا معروفة باستخدام السحر الأسود، وربما كان كتاب السحر ذاك هو الحلقة المفقودة... فكرت مرة أخرى في كتاب التعاويذ الأول، وفي السحر الذي أغلق دفتر يوميات أختي. هل كان هذا هو الرابط بين جرائم القتل؟ ربما ليس السحر الأسود نفسه، ولكن ماذا عن المصدر؟

سألني راث مقتحمًا أفكاري: «ما خطبكِ؟ تبدين غريبة».

«هل أنت *متأكد* من أنك لم تخبر جيليا بأن تقابلك الليلة الماضية؟».

نظر لي راث نظرة أوضحت بصمت أنه قد يخنقني إذا ناقشنا هذا الأمر مرة أخرى... ولكي أكون منصفة، ربما أكون قد سألته عن الأمر بالفعل ست مرات أثناء سيرنا في المدينة، وست مرات أخرى عندما وصلنا إلى هنا. قلت: «ربما أنت تحاول خداع برايد وقتلها».

تنهد تنهيدة طويلة قبل أن يقول: «أؤكد لكِ أن الأمر ليس كذلك. ليس لديَّ أي سبب لقتل أي شخص، وكما قلت من قبل، رسالتي لم تصل إليها قط».

كنت أعلم أنه لا يخدع أحدًا، لكنني أحببت سماعه وهو مرتبك. «هل تعتقد أن أحد إخوتك هو من قتلها؟».

«لا».

«وها قد عدنا إلى الإجابات المكونة من كلمة واحدة».

«احذري أيتها الساحرة، وإلا فربما أظن أنكِ تريدين بالفعل تبادل محادثة متحضرة معي». لاح شبح ابتسامة على شفتيه وأنا أشيح بناظريَّ بعيدًا في تأفف وأقول: «لا تتطلب الإجابات البسيطة الكثير من الحشو».

«لماذا لا تعتقد أن أحد إخوتك هو من فعل ذلك؟».

«ما الدافع؟».

«دعني أعدد الدوافع لك.. يا مبعوث إبليس». وبدأت أحصيها على أصابعي قائلة: «قد يكون إنفي مهتمًّا بالاستيلاء على العرش. وربما يشعر بالغيرة ويريد المزيد من القوة. وإذا لم يتزوج برايد، فسيظل ملعونًا، ولن يستطيع مغادرة الجحيم، وهو دافع جيد جدًّا إذا كان أحد إخوتك يريد أن يحكم هذا العالم. هل أكمل؟».

حدق راث إليَّ في غضب، لكنه لم يجبني. من الواضح أن اتهاماتي لم تعجبه، لكنه لم يجد طريقة لنفيها باعتبارها نظريات حمقاء. انعطفنا عند الزاوية، وتجولنا حول كومة من الصناديق الخشبية المرتفعة غير المستقرة، وتجنبنا بصعوبة التعرض للطعن من رأس سمكة أبو سيف. تأمل راث كل المشاهد والألوان في صمت. وتساءلت عمَّا إذا كان لديه أي شيء مثل ذلك في المكان الذي جاء منه، لكنني لم أسأله.

افترق تجمهر من الناس كانوا يقفون في طابور لشراء الآيس كريم عندما عبرنا الطريق ودخلنا متجر الملابس. وكان سلفاتوري يجادل شخصًا بخصوص سترة رثة أخرى عندما وقف راث أمام طاولته، وقد

انبعثت منه هالة التهديد الهادئ الذي كان يجيده، توقف الصخب. ألقى الشخص الآخر نظرة واحدة على التعبير المرتسم على وجه الشيطان، واندفع مبتعدًا نحو الحشد، وقد نسي تمامًا أمر الملابس التي أرادها.

قال راث: «لدينا عمل لنناقشه، أيها البائع».

«لا أعتقد أننا...»، تحول انتباه سلفاتوري إلى القميص الذي كان راث يرتديه، ثم التفت إليَّ سريعًا. حركت يدي في عدم اكتراث، لقد حاولت تحذيره بشأن الحالة والتكلفة، والآن ليتعامل هو مع ذلك الشيطان الغاضب. شعرت بتلك الطاقة الخفية لمشاعر راث الذي يحمل اسمه معنى (الغضب) وهي تنزلق نحو سال وتلتف حوله.

ارتجفت يد البائع وهو يدفعها خلال شعره الداكن، ويقول: «سيدي، كم يبدو ذلك القميص لطيفًا عليك، إنه...»

«سيتغير وسآخذ هذا بدلًا منه».

حرك راث ذقنه نحو صف الملابس المعلقة خلف سلفاتوري؛ وهي الأغلى وفقًا لمظهرها. فتح سلفاتوري فمه، وهو ينظر إلى عرض كتفي راث، ثم أغلقه ورسم ابتسامة زائفة كبيرة، رجل ذكي.

قال سلفاتوري بتذلل وهو يتناول قميصًا أسود ويعطيه لراث «إنها صفقة رابحة بالفعل!»... حسنًا، لقد حاول أن يعطيه إياه بهدوء، لكن راث انتزعه منه. فقال سلفاتوري: «إنه قميص جميل ورائع يا سيدي. إنه مناسب للغاية لسروالك، أرجو أن ترتديه في عافية وصحة دائمين».

رفعت عينيَّ في انعدام صبر، خضع سلفاتوري تحت ضغط الشيطان بشكل أسرع من اصطدام بيضة بالأرض. وفي المرة التالية التي أرغب فيها في الحصول على صفقة جيدة، يجب أن أحاول أن أظهر غضبي، وأن أستخدم بعض التهديد الهادئ أيضًا.

خلع راث القميص البالي الذي كان يرتديه في لحظة، وألقاه في وجه البائع. وإذا لم يكن الأمير الشيطاني قد تسبب بالفعل في إثارة مشاعر الخوف والاضطراب من قبل، فمن المؤكد أن صدره العاري المفتول قد

فعل ذلك الآن. وارتدى القميص الجديد، دون أن يدرك مدى تأثيره على من كانوا قريبين منا. كانت العضلات الرياضية والواضحة تتحرك بسهولة وسلاسة، وقد تسبب وشم الثعبان أيضًا في إثارة ضجة كبيرة. علّق أحد الأشخاص على حجم الثعبان وكيف أنه بدا كأنه مفعم بالحياة. وهمس شخص آخر متحدثًا عن معناه المحتمل.

توقف صف من الأشخاص الذين كانوا يتجولون أمام أكشاك الملابس للمشاهدة.

دعوت بكل ما أوتيت من قوة أن أُلهم الصبر والسكينة، ثم التفت إلى سلفاتوري للحصول على ما أتينا من أجله، وسألته: «هل لديك أي معلومات عن جيليا؟».

«بالتأكيد، ومن مصادر موثوقة أيضًا. سمعت من بيبي الذي يعمل في الميناء، وقد تحدث بدوره إلى أنجيلو الذي يصنع الريكوتا بالقرب من القصر، أن قلبها قد انتزِع من صدرها». وعلى الرغم مما كان يصفه، فقد بدا سلفاتوري سعيدًا جدًّا بنفسه. وأكمل قائلًا: «إن جدتها هي تلك المرأة التي أصبحت...»

رفع إصبعه السبابة إلى أعلى صدغه، وأشار به في دوائر، وهي لفتة مسيئة تشير إلى الجنون. كنت على وشك لومه على ما فعل، عندما مر أحد أعضاء الأخوية بالقرب منا ولمس جبهته وقلبه وكتفيه تعبيرًا عن خوفه.

«على أية حال... مهما كان ما قتلها فقد كان شريرًا للغاية. قال أنجيلو إن الدماء انتشرت في جميع أنحاء المبنى. ويبدو كأن الحيوانات قد مزقتها إربًا. لقد قضى وقتًا طويلًا في تنظيف المكان. وقطع من...».

قاطعته متسائلة: «أنا آسفة، ولكن أين عُثر على جثتها؟ ألم تذكر شخصًا يعمل بالقرب من القصر؟» قاطعته لأنني كانت لديَّ كوابيسي الخاصة بخصوص ذلك المشهد، ولم أكن بحاجة إلى مزيد من التفاصيل.

«هذا صحيح، قال أنجيلو صانع الريكوتا إنها كانت بالقرب من كشكه في أول السوق، موقع متميز». هز سلفاتوري رأسه وهو يكمل: «لا تزال

الشرطة هناك، لذلك لن يفوتك الحشد. وإذا أسرعت، فربما تتمكنين من رؤية الجثة».



كان من المستحيل الوصول إلى مسرح الجريمة. وكانت معلومات سلفاتوري موثوقة بالفعل. بدا أنه قد أخبر بضع مئات من أقرب المقربين إليه بالأخبار نفسها التي شاركها معنا. وكان راث على وشك أن يشق طريقه وسط الحشد، عندما مددت يدي لإيقافه.

سألته وأنا أنظر حولي: «إلى أي مدى يجب أن تكون قريبًا للقيام بتحقيقك الخاص؟». كان هناك الكثير من البشر، ولن أستطيع أن أتحدث عن الشياطين بيسر.

كان راث ضليعًا في فن الخداع، ولم يفوّت أي فرصة لممارسته، قال: «أود الحصول على رؤية أفضل، لكن يمكنني أن أقول من هنا إنه لم يقم أي من إخوتي بزيارة المنطقة في الفترةالأخيرة».

حككت أنفي. كانت حاسة الشم لديه قوية بشكل لا يدعو إلى الراحة. وقفت على أطراف أصابعي، محاولة الرؤية فوق رؤوس الجميع. وفاجأني راث عندما وضع يده فترة وجيزة على ظهري حتى لا أسقط. لم أتمكن من رؤية الجثة، وقد أسعدني ذلك، لكنني رأيت كاهنًا ينثر الماء المبارك حولها، وافترضت أنه كان يقوم بمباركة روحها. سوف يمر وقت طويل قبل أن يتفرق الحشد؛ لذلك لا داعي للانتظار هنا إلى ذلك الحين. قد نعود مساء الغد عندما يصبح كل شيء هادئًا.

قلت لراث وأنا أتجه نحو أحد الأزقة: «اتبعني». لم يحتج، وظل على مقربة مني بينما نمر من خلال الجزء الأكثر كثافة من الحشد. لفت انتباهي كشك طعام صغير كان مغلقًا بالفعل بعد نهاية اليوم. وقد نقشت على جانبه رسمة لبصمة مخلب حيوان يمسك بسنبلة قمح، وقد جعلني

شيء ما فيها أفكر في جريد. انتظرت حتى أصبحنا بعيدين بما يكفي للتحدث بحرية. وسألته: «هل أنت متأكد من أنك لم تجد أي أثر لجريد؟».

«ما لم يتوصل إلى طريقة لإخفاء سحره، فلا. لم يكن هنا. لماذا أنتِ مقتنعة بأنه هو المسئول؟ وما الأدلة التي لديكِ؟».

«أنا لست مقتنعة بأي شيء. بل أنا فقط أحاول جذب الخيوط التي تبدو محتملة». اصطدمت بعدد قليل من الأشخاص الذين كانوا في طريقهم إلى مسرح الجريمة، وتمتمت باعتذارات لهم، ثم اتجهت إلى شارع آخر. واستطردت: «أما بالنسبة إلى الأدلة، فبناءً على محادثتي معه، ورغبته في امتلاك قرني هاديس، والهجوم على جدتي مباشرة بعد لقائي به، فإن جريد هو المشتبه به الأكثر منطقية في الوقت الحالي».

شعرت بتركيز راث عليَّ عندما انتقلنا إلى شارع أكثر ضيقًا، وشعرت بوخز مستمر من الطاقة بين كتفي، لكنه لم يسأل عن حال جدتي كما لم يقدم أي اعتذارات.

ولكي أكون صادقة تمامًا، كان هو آخر من أردت منه تلك المواساة في العالم.

توقفت عند المنعطف المؤدي إلى الحي الذي أعيش فيه، وسألته: «من الساحرة التالية في قائمتك؟».

«لا أعرف حتى الآن».

قلت وأنا ألقي نظرة سريعة خلفه، فقد كان الشارع هادئًا في هذا الوقت: «يجب أن تكون هذه هي أولويتنا التالية، وبمجرد أن تعرف من هي، سيتعين علينا إخفاؤها في مكان آمن».

زم راث شفتيه معًا، لكنه أومأ برأسه أخيرًا بالموافقة، وقال: «سأبعث برسالة إلى مملكتي الليلة. وسأحصل على رد بحلول الصباح».

لم يكن الجو باردًا، لكنني أخذت أدلك ذراعيَّ بيديَّ على أي حال. كان فستاني أبيض كريميًا بلا كمين، وهو مثالي لليالي الصيف الدافئة، ولكنه بلا جدوى في مواجهة القشعريرة الناجمة عن الخوف. تتبع راث حركة

يديَّ، وركَّز انتباهه على ساعدي. كانت الزهور البرية ملتوية ومتشابكة حتى مرفقي الآن. ولم يكن عليَّ أن أرى ذراعه لأعرف أن وشمه أصبح هكذا أيضًا. ألقيت نظرة على الشارع الذي أسكن فيه، وشعرت بالارتياح عندما رأيت بعض الأطفال يلعبون. لم أرغب في أن يتملكني الخوف من جريد أو إنفي، أو أفكر في أنهما يتربصان بي في الظلال، لكنني كنت كذلك.

قلت: «حسنًا، سوف أراك غدًا. أين يجب أن نلتقي؟».

قال وهو يبتسم ابتسامة جعلته يشبه الذئب: «لا تقلقي، أنا سوف أجدكِ».

«هل تعلم أن هذا مقلق للغاية؟».

«*أحلام سعيدة*». قالها باللاتينية، ثم اختفى.



السابع والعشرون

قالت أمي: «كنت أفكر في صنع الكاساتا تحلية للغد».

والتفتت إليّ بوجه مرهق لكنه مليء بالأمل. وتمكنت بطريقة ما من إخفاء المشاعر الحزينة التي ارتسمت على وجهي. كانت الكعكة الإسفنجية مع طبقات الريكوتا الحلوة هي المفضلة لي ولفيتوريا، حيث اعتدنا أن نطلبها كل عام بمناسبة ذكرى ميلادنا، ولم ترفض أمنا طلبنا قط. كانت تضع طبقة رقيقة من حلوى المارزيبان، وتغطي الكعكة كلها بالمعجون الحلو قبل تزيينها بالفواكه المسكرة ذات الألوان الزاهية. أحببت كيف تتناقض تلك الطبقة العليا الصلبة قليلًا مع المذاق الناعم للكعكة الرطبة المخبأة في الداخل.

لم أكن متأكدة من أنني سأتمكن من تناولها مرة أخرى دون أن أشعر بموجة من الحزن تسحقني، لكنني رفضت أن أثبط معنويات أمي؛ لذا عندما ابتسمت، كانت ابتسامتي حقيقية.

«تبدو لذيذة».

توجهت والدتي نحو خزانة المكونات الجافة، وقد بدت منهكة مرة أخرى بسبب حديثها القصير المفاجئ. أخرجت وعاءً وملأته بالسكر وجميع المكونات التي تحتاج إليها للكعكة. كان يومًا سيئًا بالنسبة إليها. شاهدتها قليلًا، ثم عدت لأخرج السردين المحشو من الفرن، واستنشقت رائحة السردين المحشو الشهية.

تتطلب وصفة جدتي إضافة الزبيب الذهبي والصنوبر وفتات الخبز إلى الحشوة، ثم ترش عليها زبدة المريمية المذابة والزعتر قبل إضافة أوراق الغار الكبيرة لفصل السمك أثناء خبزه. وكانت النتيجة سيمفونية من النكهات التي تذوب في فمك.

لم أكد أضع السمك على طبق التقديم حتى دخل والدي إلى المطبخ، وهو يلوح بورقة مطوية. تمكن من اللحاق بمهارة بقطعة من الحشوة التي سقطت. هززت رأسي معترضة، لكنني ابتسمت في الوقت نفسه. كان والدي *مفيدًا* جدًا في المطبخ دائمًا، حيث كان يختبر كل وصفة جديدة لأغراض الجودة... أو هكذا ظل يدعي.

قال وفمه مليء بالطعام: «لقد أحضر سلفاتوري هذا لكِ يا إميليا. قال إن صديقك طلب منه تسليمها لكِ على الفور».

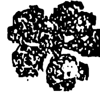
كانت أمي ترتدي مسبحة مثل الكثير من البشر، تخيلتها وهي تقبلها لاحقًا، وتدعو بقوة إذا اكتشفت من هو «صديقي» ذلك حقًّا. أخذت الورقة على عجل قبل أن تتمكن هي من انتزاعها، وقلت: «*شكرًا* يا أبي».

سحب والدي كرسيًا، وبدأ ملء طبق من السمك، ما جذب انتباه والدتي إليه. استغللت ذلك الإلهاء لأسرع إلى الممر وأقرأ الرسالة القصيرة.

ساحة زيسا وفيا ديجلي
أميري، الثامنة مساء.

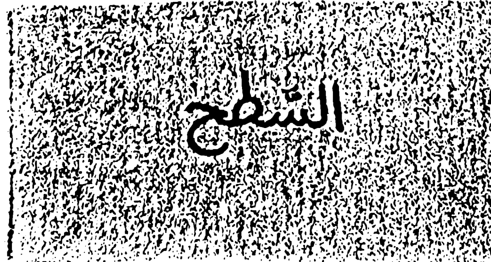
لم أتعرف على ذلك الخط الدقيق والأنيق، لكنه كان يقطر بالغطرسة الملكية ويؤلم معدتي. كان ذلك العنوان هو عنوان كاستيلو ديلا زيسا، وهو قصر مترامي الأطراف على الطراز المغربي، ولكن معظمه كان متهدمًا الآن. كان الملك الذي بناه يُدعى إيل مالو - وتعني «السيئ» - لذلك كان من المناسب أن يقيم الأمير الشيطاني إقامة مؤقتة هناك.

أعدت طي الرسالة، وخبأتها في ملابسي، ثم عدت إلى المطبخ. سيكون لديَّ ما يكفي من الوقت لإنهاء خدمة العشاء والإسراع إلى القصر قبل حلول الظلام.



تسللت إلى القصر المهجور من الحديقة الخلفية، وتجولت حول العديد من الغرف المهجورة، مع أن هذا لم يمنع احتفاظها ببعض زخارفها الواضحة، قبل أن أصل أخيرًا إلى المدخل الرئيسي لأجد رسالة أخرى معلقة على الباب الأمامي، وهو آخر مكان توقعت أن يكون فيه إعلان عن مكان اجتماع سري. حدقت إلى الخارج على طول الحديقة وفي البركة، وهززت رأسي.

كانت المراوغة شكلًا من أشكال الفن الذي يتمتع الشيطان به على ما يبدو، فقد ترك لي في كل مكان رسائل تدل على مكانه.



تنهدت. بُني هذا القصر بطريقة تسمح للهواء البارد بالمرور من خلاله مثل صندوق الثلج، ولكن بالطبع إن مخلوقًا من الجحيم سيكون أكثر سعادة في الحرارة الحارقة. كنت أتصبب عرقًا والشرر يتطاير من عينيّ عندما وطئت قدمي الدرج الأخير.

مشيت عبر السطح، عازمة على سلخ ذلك الشيطان حيًا، ثم توقفت.

كان راث ممددًا على ظهره، ويداه تحت رأسه، مستمتعًا بآخر أشعة للشمس وهي تحوم في الأفق. أضاف الضوء إطارًا ذهبيًا لجسده. وأدار راث وجهه نحو الشمس مبتسمًا لذلك الدفء. لم يلحظني بعد، وكان جزء مني مرتاحًا لذلك.

كان تعبيره هادئًا، وهو ما لم أره من قبل. وعلى الرغم من أن جسده كان مسترخيًا، كانت هناك يقظة خفية به جعلتني أعتقد أنه يمكن أن ينهض ويهاجم في أقل مما يستغرقه التقاط نفس. كان يشبه ثعبانًا يرقد في بقعة تحت ضوء الشمس.

قاتل وجميل. ولا يمكن المساس به على الإطلاق.

أردت أن أركله لأنه يخلب الألباب هكذا. التفت برأسه في اتجاهي وتلاقت عينه بعيني. ونسيت لدقيقة كاملة كيف أتنفس.

بدأ يستوعب وجودي ببطء، ثم سألني: «هل حدث شيء ما في الطريق إلى هنا؟».

«لا».

«لماذا تبدين مرتبكة إذن؟».

«اعتقدت أنك لا تستطيع تحمل ضوء النهار».

«لماذا؟».

كأنه لا يعلم، أكملت: «لأن أمراء الشياطين يتحولون إلى رماد في الشمس، ولهذا نلتقي دائمًا عند الغسق».

نظر إليَّ بطريقة مستهجنة، ثم سألني مستوضحًا: «ماذا سمعت بالضبط عن الشياطين؟».

اكتفيت بهز كتفيَّ. إذ يعرف الجميع الأساطير، لكنني شككت في حقيقة أنه جاهل بها إلى هذا الحد. قلت له: «أنتم الشياطين متعطشون للدماء، وعيونكم حمراء، وبشرتكم باردة كالثلج، وذوو مظهر جذاب للغاية، وغوايتكم تسبب الإدمان بما يكفي لجعل شخص ما يبيع روحه مقابلها».

ارتسمت ابتسامة مرتبكة على شفتيه، ثم قال: «من الجميل أن أعرف أنك تجدينني جذابًا للغاية، لكنني لست واحدًا من هؤلاء الشياطين. عيناي ليستا حمراوين. وإذا كنتِ ترغبين في معرفة ما إذا كانت بشرتي أكثر دفئًا من الجليد، يمكن معرفة ذلك بسهولة».

وللتأكيد، فك بعض الأزرار أعلى قميصه، فكشف عن جلده البرونزي. وقد تألق لمعان خفيف من العرق، كما لو كان يدعوني لأقترب منه. كان وجهي ساخنًا، لكن ليس بسبب الشمس. قلت: «أنا أعمل في المطبخ، وأستطيع تقطيع دجاجة في أقل من ثلاث دقائق، وأتصور أن القيام بالشيء نفسه معك لن يكون مختلفًا».

قال بينما التمعت عيناه بمكر: «أؤكد لكِ أنه لا توجد حقيقة لهذه القصص، على الرغم من أنني لا أستطيع أن أعدكِ بأن قربي لن يكون جيدًا بشكلٍ خاص».

«ظننت أنه كان من المفترض أن نلتقي في وقت لاحق الليلة. هل حدث شيء لتغيير ذلك؟».

حدق رانث إليَّ لحظة طويلة، ولسبب ما حبست أنفاسي. بدا كأنه يريد أن يقول شيئًا آخر، ولكن كانت هناك معركة داخلية منعته من ذلك. أخيرًا، استلقى على ظهره، ووجهه مائل ناحية الشمس، وأغمض عينيه، فأطلقت زفيرًا طويلًا.

قال: «لا. لا شيء يُذكر».

«هل تعرف مَن الساحرة التالية؟».

«ليس بعد».

وقفت في انتظار توضيح منه، وعندما لم يفعل، اتجهت إلى مكانه وحدقت إليه حتى نظر إليَّ على مضض، وقد حجب وجهه بيده القوية. قلت له: «إذا لم تكن لديك معلومات عن الساحرة التالية، فلماذا طلبت مني أن آتي إلى هنا؟».

«أنا...»، وتمهل، ثم حدق إلى وجهي، وأكمل: «قمت بتأمين المبنى بسحري، أي أنه أصبح آمنًا من البشر، وإخوتي، ومعظم المخلوقات الخارقة للطبيعة. ولأنني لم أعرف ما خططتِ أنت لفعله في المساء، اعتقدت أنك ربما ترغبين في رؤية المكان الذي سنقيم فيه. سأخرج بعض الوقت؛ لذا من فضلك، تجولي في المكان حتى تألفيه، ثم أحضري أغراضك». حدقت إليه، ثم سألته متجاهلة سيناريو «الانتقال للعيش في القصر» برمته: «إلى أين أنت ذاهب؟».

«للقاء أحد رسل برايد».

«هل هو من أعطاك اسم جيليا؟».

أومأ راث، ثم قال: «كان أحد أتباعي يراقبه الليلة الماضية، وشاهده وهو ينقل معلومات هذا الصباح إلى شخص يرتدي غطاء رأس. وأعتقد أن من تحدث إليه هو قاتلنا الذي نبحث عنه».

«ولماذا لم يتبع شريكك هذا الشخص؟».

«لقد حاول، وعندما اقترب منه، سار ذلك الشخص وسط حشد من الناس واختفى».

أطلقت تنهيدة يائسة، فبالطبع هذا هو المتوقع، وسألته: «ما الخطة؟».

«من المفترض أن أقابل رسول برايد لمعرفة الاسم التالي قريبًا. ولكنني سأستجوبه، وآمل أن أكتشف هوية هذا الشخص صاحب رداء الرأس بهذه الطريقة».

«أو يمكنني فقط استخدام تعويذة الحقيقة».

«هذا خطير للغاية. بالإضافة إلى أن عليكِ أن تحضري أشياءكِ، وأنا لن أغيب فترة طويلة».

«هكذا إذن...» جعله شيء ما في لهجتي يجلس مرة أخرى، وقد ارتسم تعبير حذر على وجهه.. ها هو يتصرف بذكاء. فأردفت: «أنت تعلم أنني لن أبقى هنا، بينما هناك فرصة لمعرفة هوية قاتل أختي... إما أن تأخذني معك، أو سأتبعك».

تأملني مدة دقيقة بدت أطول قليلًا ثم تنهد قائلًا: «لن تكون صحبتي ممتعة. يمكنني أن أعقد الاجتماع وأخبرك به لاحقًا. وأعدك بعدم مطاردة القاتل من دونك».

«انتظر... هل ترى أنك كنت لطيفًا طوال هذا الوقت وأنا من لم ينتبه إلى ذلك؟»... توقفت لحظة ثم أكملت مستنكرة: «أنا أشفق على أعدائك حقًّا».

لم تكن ابتسامته ودودًا على الإطلاق عندما قال: «قد تكون هذه هي الملاحظة الأكثر حكمة التي قلتها حتى الآن أيتها الساحرة».

دقت الساعة في ساحة المدينة. وقف، ثم مر بعيونه ذهبية اللون على ملابسي ليقيمها قبل أن يقول: «سنغادر خلال أربعين دقيقة. حاولي ارتداء شيء أكثر *أناقة*. أو الأفضل أن أرسل شيئًا أكثر ملاءمة إلى منزلك».

نظرت إلى فستاني وأنا عابسة؛ كان ثوبًا قطنيًّا متواضعًا صبغته بلون الخزامى الداكن في الصيف الماضي. لم يكن به مشدٌّ، وهو ما أحببته للغاية، لكنه كان لا يزال يتمتع بتصميم جميل. أعجبني كيف أحاط بصدري وخصري لينساب بشكل حالم وصولًا إلى كاحليَّ. كان لائقًا بالتأكيد، ومع ذلك... قلت: «ماذا لو لم أرغب في ارتداء ملابسك الفاخرة مرة أخرى؟».

لم يكلف نفسه عناء الرد.

نظرت إلى أعلى، مستعدة للإشارة إلى وقاحته، لكنه كان قد رحل. لعنته طوال الطريق إلى المنزل، وتساءلت عن سبب حظي الذي دفع بي إلى التعامل مع مثل هذا الشيطان المهووس بالملابس.

ربما كانت جدتي على حق فيما يتعلق بثمن اللجوء *للسحر القديم*؛ من المؤكد أن اضطراري إلى التعامل مع راث كان بمنزلة عقاب لاستخدام السحر الأسود.

كنت منزعجة جدًّا، واستغرق الأمر وقتًا طويلًا جدًّا حتى أستطيع التركيز على أهم معلومة أفصح عنها؛ كان راث يعرف مكان منزلي.



الثامن والعشرون

نظرت إلى ثوبي الجديد مُتقن الصنع، وعبست وأنا أعاين طبقاته الداكنة، وسألت راث: «لماذا يرتدي الأشرار اللون الأسود دائمًا؟».

«لأنه الأفضل في إخفاء الدم أيتها الساحرة».

نظرت إليه وقد وقف في الزقاق بجواري، معتقدًا أن رده ذلك يفسر ذوقه الشخصي في ارتداء الملابس واختيار ألوانها. تساءلت في نفسي عن مقدار الدماء الذي يعتزم إراقته الليلة إذا كان قد ألبسنا ملابس جعلتنا نبدو مثل ظلال حية تتنفس.

وشعرت بالانزعاج - تقريبًا - لأن تلك الفكرة لم تخفني كما كان من المفترض لها أن تفعل.

سألته: «بمن سنلتقي؟ أهو بشر؟ أم شيطان؟ أم مستذئب؟».

«إن المستذئبين مثل الجراء، أما ما ينبغي لك الاحتراس منها فهي كلاب الجحيم». وضحك راث بسبب الرعب الذي ارتسم على ملامحي، ثم أكمل: «سنلتقي إنسانًا باع روحه. وبالمناسبة، أحتاج إلى استعادة خنجري قبل وصوله».

نظرت إليه في عدم اكتراث... فكرت في أنها ليست فكرة جيدة أن أعطيه الخنجر، ولكن عند التفكير في الأمر أكثر، يتبين أنه يحتاج إليَّ،

وقد ذكر ذلك من قبل، وشاركني بعض التفاصيل الإضافية أثناء قدومنا إلى هنا؛ لذلك ناولته الخنجر.

سألته: «لنفترض أنني سأموت... فكم من الوقت سيستغرق الأمر حتى تبدأ قواك في الاختفاء؟».

أجابني: «يعتمد الأمر على مقدار السحر الذي أستهلكه. وإذا لم أستخدم الكثير، يمكنني الاحتفاظ بقواي فترة قصيرة من الوقت».

ربما كانت تلك الفترة القصيرة من الوقت بالنسبة إلى كائن خالد مثله هي عقد من الزمان بالنسبة إليَّ. فسألته: «هل يمكن لشخص آخر أن يكون بمنزلة نقطة اتصال بينكم وبين هذا العالم؟».

زفر بقوة وهو يجيبني: «من الناحية النظرية، نعم؛ يمكن لأي إنسان أو ساكن في هذا العالم أن يعقد صفقة ويوافق على أن يصبح متصلًا بشيطان ما. إنه أمر نادر ولا يستحق الوقت الذي يستغرقه العثور على شخص ما والموافقة على الشروط التي يقبلها الطرفان».

مرت عدة لحظات من الصمت المطبق. وشعرت بالضجر، فأخذت أنقر بأصابعي على الحجر البارد، حيث كنا نختبئ في قبو صغير بالقرب من ساحة الكاتدرائية. شعرنا بأننا وقفنا ننتظر منذ سنوات حتى يظهر ذلك الرسول الغامض. مرت خمس دقائق لكنني بدأت أمل من الوقوف ساكنة دون أن أفعل أي شيء على الإطلاق، خصوصًا أنني عندما أتوقف عن الحركة أو أيًا كان ما أفعله، أجد نفسي أفكر في شقيقتي.

سألت راث: «لماذا تسرق الشياطين الأرواح؟ هل تحتاج إليها لشيء محدد؟».

شعرت بثقل انتباه راث عندما وجهه نحوي، وكأنه ألقاه عليَّ، فالتفت لأنظر إليه، وفوجئت بنظرة الشك التي لم يكلِّف نفسه عناء إخفائها، كأنه على وشك إجراء محادثة طويلة لطيفة عن موضوع حصاد الأرواح مع العدو. رفعت يدي دون أن أكلف نفسي عناء الحديث لأفهمه أنني لم

أقصد ما فهمه، ثم نظرت بعيدًا عنه. ولسبب لا أعلمه، التفت إليه مرة أخرى بعد قليل.

«لماذا في رأيك تُنتزع قلوب الساحرات بعد قتلهن؟».

بادرني بسؤال آخر دون أن يجيبني: «هل تطرحين الكثير من الأسئلة على أمل إخافة الرسول فيهرب قبل أن أتمكن من إخافته بما يكفي للإدلاء بما لديه من معلومات؟».

«أريد أن أعرف رأيك لا أكثر».

مرت فترة طويلة من الصمت، فاعتقدت أنه لن يجيبني، لكنه عاد ليقول: «ليس لدينا ما يكفي من المعلومات لنعرف السبب. كما أنه ليس من الحكمة أن نضع افتراضات دون حقائق ملموسة».

«هل تصدق أن هناك شيئًا يريد...»

«أكلها؟ نعم. هناك الكثير من المخلوقات التي تشتهي تناول القلوب الطازجة أيتها الساحرة. كما أن هناك أهمية شعائرية لها تتعلق بطقس التضحية، أو ربما هي نوع من الرياضة، أو يمكن استخدامها في طقوس الاستدعاء. وعلى أي حال، هذا المستوى من السادية لا يقتصر على نوع واحد من الكائنات الحية».

شعرت بأنني سأتقيأ، لكنني تحكمت في نفسي، وقلت بهدوء: «هل كان الأمر سيكلفك الكثير لو أنك اكتفيت بقول نعم؟».

خرج صوته جامدًا ومباشرًا: «ما تريدينه هو أن أقول شيئًا يواسيك. إن الكذب وقول إن أختك لم تشعر بأي ألم لن يفيدكِ بأي شيء. أتخيل بصرف النظر عن السبب، أن من اقتلع قلبها، أيًا كان شخصًا أو شيئًا، فعل ذلك بينما كانت على قيد الحياة وواعية. صدقيني، لا توجد أي قيمة إستراتيجية في الغرق في مثل تلك التعقيدات العاطفية. وعليكِ صقل غضبك وحزنك وتحويلهما إلى أسلحة مفيدة، وإلا فعودي إلى المنزل وابكي حتى تأتي الوحوش من أجلك؛ لأنها بالتأكيد ستفعل».

«أنا لا أخاف الوحوش».

«ربما تعتقدين ذلك الآن، لكن إخوتي يستمتعون بإخضاع من هم مثلك لإرادتهم؛ سوف يغذونكِ بمشاعرهم ويحرمونكِ من مشاعرك الخاصة، لدرجة أنكِ لن تعرفي أين تنتهي مشاعرهم وتبدأ مشاعركِ أنتِ، صدقيني، هناك أشكال عديدة للجحيم؛ لذلك عليكِ الصلاة والدعاء لكيلا تضطري أبدًا إلى خوضها بشكل مباشر. وعليكِ أن تكوني منتبهة، وإلا سينتهي بك الأمر ميتة مثل الأخريات».

اغرورقت عيناي بالدموع، ليس من الحزن، وإنما من الغضب المكبوت داخلي، فقلت له: «أنا في كامل تركيزي، أيها الحقير الأبله؛ لأن كل ما أحلم به هو الانتقام لأختي، لذا إياك أن *تتجرأ* وتتهمني بأنني لعبة في يد عواطفي. سأدمر *أي شيء* يقف في طريق تحقيق أهدافي، ولو كان أنت. كما أنني لست خائفة، وإلا فلِمَ استدعيتك منذ البداية!».

قال: «يجب عليكِ أن تكوني مرعوبة». وشعرت بأن نظراته قد ثبتتني في مكاني. وأكمل قائلًا: «إن الانتقام عاطفة قوية، وهو يحولكِ إلى فريسة سهلة لكل من البشر والشياطين على حد سواء. فلا تدعي أحدًا يعرف أبدًا دوافعك الحقيقية؛ لأنهم إذا عرفوا ما تريدينه أكثر من أي شيء آخر، فسوف يقومون باختراع كل أنواع الأكاذيب وأنصاف الحقائق للتلاعب بكِ. سيعرفون *بالضبط* إلى أي مدى يمكنهم الضغط عليك، وما يمكنهم تقديمه، وما لن ترفضيه أبدًا، ما سيمنحهم اليد العليا. ويجب أن يكون هدفك الأول هو البقاء على قيد الحياة. وما عدا ذلك من أهداف يمكنك تحديدها بينما تمضين قدمًا».

«أنت تعرف أهدافي الحقيقية».

«نعم، أعرفها، لكن دعيني أُفهمك أن بوحك بأهدافكِ لي لم يكن بالقرار الذكي من ناحيتك. وعليكِ أن تحترسي، فكل ما احتجتُ إليه هو دفعة صغيرة من ناحيتي، وبعدها تمكنت منكِ مشاعر الغضب، وبسبب ذلك الغضب الذي سيطر عليكِ أخبرتِني بكل ما أريد معرفته بشأن ما تريدين القيام به». ثم هز رأسه وهو يكمل: «ما الذي ستمنحينني إياه في المقابل يا

إميليا لتحقيق ما ترغبين فيه؟ وإلى أي مدى يمكنكِ الوصول لتحقيق العدالة والانتقام لمقتل شقيقتك؟ أعلم أنه لا يوجد ثمن قد تظنينه باهظًا أو مبالغًا فيه مقابل تحقيق العدالة، وهو ما يعني أنني أستطيع أن أطلب أي شيء في مقابل تحقيق ما تريدين، وأنتِ ستعطينني إياه».

كنا نقف قريبين جدًّا الآن، وكل واحد منا يتنفس بصعوبة بالغة. كرهت حقيقة أنه كان على حق؛ فعلى الرغم من أنه لم يتلاعب بمشاعري مثلما فعل إنفي، فقد اكتفى ببساطة بدفعي إلى إخباره بأعمق رغباتي عندما تمكنت مشاعر الغضب مني. كان عليه فقط أن يضغط قليلًا ليجعلني أنفجر غضبًا. وقد غضبت من نفسي لأن شيطانًا تغلب عليَّ، وقد فعلت أفضل شيء أعرف كيفية القيام به؛ كذبت عليه.

وضعت إصبعي في صدر راث ودفعته بقوة وأنا أقول له: «إذا كنت تعتقد أن هذا هو كل ما يدفعني إلى الأمام فيما أريد تحقيقه، فأنت مخطئ للأسف أيها الشيطان، أنا لا أفهم سبب اهتمامك على أي حال؟».

أحاطت يده بيدي ببطء، لكي يوقف وخز إصبعي في صدره، ولم يترك يدي، فتساءلت عما إذا كان قد أدرك أنني توقفت عن وخزه في اللحظة التي لامست فيها بشرته الدافئة جلدي. وكان يمسك بيدي فوق صدره، وقلبه يدق بقوة.

استعدت السيطرة على نفسي وابتعدت.

قال: «هذه هي المرة الرابعة التي تكذبين عليَّ فيها أيتها الساحرة».

أثار ذلك الأمر غضبه حقًّا، فابتسمت بتواضع وأنا أقول: «ربما ينبغي لك أن تخبرني بالمزيد عن اللعنة، أود أن أعرف المزيد عن هذا الجزء».

«حسنًا، هل تريدين معرفة التفاصيل الدموية؟ اللعنة...»

فجأة ارتفع صوت رجل يقول: «سيدي، هـ... هل يجب أن أعود بعد قليل؟».
كان عمر الرجل الذي تحدث يتراوح بين الثلاثين والأربعين، وقد وقف على بعد بضع أمتار منا، يعتصر رسالة بين يديه. تلعثم ثم أكمل: «قال أخوك...»

فجأة، كان راث يرفع الرسول من ياقته، وقد دفع بظهره إلى الحائط خلفه، وهو يضغط ساعده بقوة على قصبته الهوائية. تقطر الدم من أنف الرجل على سترته، وأغلق الشيطان عينيه كما لو كان في نشوة مطلقة.

قال: «مرحبًا فرانشيسكو، اعذرني على وقاحتي، لكنني سمعت أنك تبيع أسراري. لو كنا في المدينة المسورة، لكنت ميتًا بالفعل. اعتبر ما اكتفيت بفعله بك الآن معروفًا».

وقفت في مكاني دون أدنى حركة، فقد كان جزء مني في حالة صدمة، والجزء الآخر مرعوبًا... ففي أقل من ثانية، تحرك راث بعنف وقوة وهاجم الرجل.

قال لي راث: «هل أخبرتكِ من قبل بأن رائحة الدم تدفعني إلى حالة من الجنون أيتها الساحرة؟ يعتقد نوعك أننا نتوق إلى تذوق الدم، لكن أمراء الجحيم لا يشربون الدم عادة... بل القوة هي التي تؤثر فينا، فكلما تركت شخصًا ما ينزف، زادت قوة تحكمي في حياته».

لم أستطع أن أفكر بشكل سليم؛ لأنني نسيت بسبب مزاحنا حقيقة راث وطبيعته، فهو لم يكن بشريًا مثلي. فكرت وقتها في أنني لم أكن أرى سوى جزء صغير فقط مما يمكنه فعله بقواه.

انحنى أكثر نحو الإنسان الذي أصبح وجهه الآن أرجوانيًا غامقًا. وإذا ضغط راث بشكل أقوى، فإن ذلك الرجل سيموت. أخذت خطوة إلى الأمام ثم توقفت.

قال راث: «أنا أشتهي السلطة أكثر من المال أو الدم أو الرغبة. كما أنه ليست هناك قوة أعظم من حرية الاختيار، ومن أجلها، أنا على استعداد لأن أكذب، وأسرق، وأغش، وأشوّه، وأقتل. وإذا استطعت، فسأبيع روحي مرة أخرى من أجلها أيتها الساحرة».

هززت رأسي وأنا أردد خلفه: «تبيع روحك...»، تعجبت لهذا لأنني أعرف أن الشياطين مخلوقات لا روح لها.

فتح راث عينيه والتفت نحوي، وتوهجت قزحيتا عينيه باللون الذهبي اللامع في الظلام. لم يكن هنالك أي شيء بشري فيهما. أدركت حينها أنه كان يحتفظ بهذا الجزء من نفسه في أعماقه. ادّعى البعض أن أمراء الشياطين لم يكونوا هكذا إلى أن ارتكبوا خطايا لا تغتفر تسببت في لعنتهم. والآن، فهمت كيف بدأت تلك القصص، فقد اشتعلت نظرة راث بنار لم أرَ مثلها على هذه الأرض من قبل. وكانت تشبه ما يمكن أن يوصف بالعدالة الغاضبة؛ أي أنها نقية وغاضبة وغير متسامحة على الإطلاق.

تجاهلت خوفي المتزايد، وأنا أقلب اعترافه في رأسي، وفهمت ما كان يقوله حقًّا، كان يعرض عليَّ الاختيار. ويمكنني أن أبتعد وألا أشهد ما كان على وشك القيام به، أو يمكنني البقاء والمشاركة فيه.

فكرت في جثة أختي المشوهة، والساحرات الأخريات اللاتي قُتلن بالوحشية نفسها، فقط لأن هذا الرجل شارك آخر معلومات عن الرسائل التي كان يحملها. قال راث إنه سيخيف الرسول لمعرفة لمن كان يبيع الأسرار؛ لذلك، ينبغي لي ألا أُفاجأ بذلك العنف المباغت الذي مارسه راث ضد الرجل. وأومأت برأسي بشكل غير محسوس تقريبًا، لكن الشيطان قد فهم.

واجه راث الرجل مرة أخرى وسأله: «من دفع لك لفتح رسالتي يا فرانشيسكو؟».

تحوَّل انتباه الرجل إليَّ بحثًا عن المساعدة، فأدار راث نظره إليَّ ببطء مرة أخرى، منتظرًا ردي. قرر فرانشيسكو ما سيختار، وقد حان الوقت الآن لأقرر أنا أيضًا ما سأختار.

قلت: «لقد طرح عليك الأمير سؤالًا بسيطًا يا فرانشيسكو. سأكرره مرة واحدة لصالحك وبعد ذلك سأدعه يسألك بطريقته، وأنا متأكدة من أنك تعلم بالفعل أنها لن تكون لطيفة». قلتها بنبرة لا ترحم مثل نبرة راث، وجفل الرجل. فسألته: «من دفع لك لفتح رسالته؟».

ظل راث يحدق إلى وجهي، وعلى الرغم من أن تعبيره لم يتغير على الإطلاق، أقسم أنني شعرت بأن نظرته لي كانت تحمل... استحسانه. وتقلصت معدتي وقاومت الرغبة في التقيؤ؛ لو أنني أقوم بشيء صحيح، لما انتابني ذلك الشعور.

تحشرج صوت فرانشيسكو، وخدش ذراع راث التي كانت لا تزال تضغط على قصبته الهوائية، وحاولت أظافره أن تخمش وجه الشيطان. تمنيت ألا يخنقه راث حتى الموت قبل أن نحصل على إجاباتنا.

لا بد أن الأمير الشيطاني قد خفف الضغط فجأة؛ لأن فرانشيسكو استنشق الهواء مثل سمكة خرجت من الماء. سأله راث: «هل ستشعر براحة أكبر للتحدث وخنجري على حلقك؟».

شحبت بشرة فرانشيسكو الذهبية، لكنني لاحظت أنه ضم قبضتيه إلى جانبيه. كان راث يستخدم قواه؛ وازداد غضب الرجل. كان صدره يرتفع ويهبط بسرعة وهو يقول: «افعل ما تريد، لكنني لن أخبرك بشيء أيها الخنزير الشيطاني».

قال راث وهو يبتسم: «حقًّا؟». حينها، بدا فرانشيسكو كأنه على وشك التبول على الرغم من غضبه المتزايد. فأكمل راث قائلًا: «لنختبر ذلك، أيها البشري. لحساب من تعمل؟».

قال الرجل: «سيدك»، ثم بصق في وجه راث. شعرت حينها كأن الكرة الأرضية قد توقفت عن الدوران. وأصبح نصل خنجر راث تحت ذقن الرجل في لحظة، وقد ضغط بنصله بقوة كافية على رقبته فانساب خيط رفيع من الدم على طول المعدن. بدا الأمر كأنه استخدم كل ما في إرادته من قوة حتى لا يغرز الخنجر في ذلك الإنسان ليخترق رقبته حتى يصل إلى الحجر الذي كان يتكئ عليه. وبدت الظلال كأنها تنبض بالغضب. وخلال لحظة، لم أكن متأكدة مما إذا كان شيطان الحرب سيقتل الرجل بالفعل أم لا.

قال راث: «أعتذر يا فرانشيسكو... لكن صبري بدأ ينفد. تسببت أفعالك في مقتل أربع فتيات؛ لذلك لا تظن أنني سأتركك تفلت هكذا دون أن تنال مصيرًا بالوحشية نفسها».

«هيا اقتلني، فأنا لن أخبرك بأي شيء على أية حال». اصطدم رأس فرانشيسكو بالحائط عندما ضربه راث بعنف. وكان الدم يقطر من فم الرجل وهو يضحك، مبتهجًا بذلك العنف. ابتسم وأسنانه ملطخة بالدماء، وقال: «آمل أن تتعفنوا جميعًا في الجحيم».

شعرت بغضب راث يتحول من الاشتعال إلى الاضطرام الكامل. وسرعان ما همَّ بقتل فرانشيسكو سواء قصد ذلك أم لا، وسنفقد أكبر فرصة لدينا لاكتشاف هوية قاتل شقيقتي. سمعت تحذيرات جدتي وراث تتردد في رأسي، لكنني لم أهتم.

لقد نفدت خياراتنا، وكان الغضب من حولنا يتزايد بدرجة كافية لينفجر. وكان راث على وشك الانفجار. جذبت مشاعره نحوي، واستخدمتها وقودًا لتعويذة الحقيقة بينما أمسكت بتميمة أختي.

سألت الرجل: «هل فتحت الرسالة؟». كان صوتي ممزوجًا بأمر سحري. التفت راث إليَّ، وإذا كنت لم أعرفه، لظننته خائفًا.

أومأ فرانشيسكو برأسه قبل أن يجيب: «نـ... نعم».

«هل دفع لك أحد للقيام بذلك؟».

«نعم».

«من دفع لك يا فرانشيسكو؟ جريد؟».

«لا».

«أخبرني من الذي دفع لك إذن؟».

«أنا لا أعرف اسمه».

«هل هو إنسان؟».

رفع كتفه وقال: «كان يرتدي غطاء رأس، ولم أرَ وجهه».

«هل أخبرته بمكان جيليا ليلة مقتلها؟».

ازدرد ريقه بصعوبة وهو يجيب: «نعم».

«هل التقيت به اليوم؟».

«نعم».

ازداد غضبي، وسألته: «ما المعلومات التي أخبرته بها؟».

«ع... عنوان آخر، ووقت اللقاء. لم يكن لديَّ اسم هذه المرة، أقسم بذلك».

«ما الوقت والعنوان اللذان أعطيته إياهما يا فرانشيسكو؟».

«س... س... س... ساحة فيجلينا. م... م... منتصف الليل».

نظرت إلى راث للحصول على مزيد من التعليمات، لكنه هز رأسه. كانت تعويذة الحقيقة على وشك الانتهاء. سال الدم من أنف الرجل، ولمعت عيناه. وإذا ضغطت عليه أكثر من ذلك، فسيموت. نظرت إلى الأسفل، ولاحظت أن جسدي كله يرتجف. اقترب راث من الرجل أكثر.

قال له: «إذا أفشيت بأسراري لأحد مرة أخرى، فسوف أقطع لسانك، ثم أنتزع قلبك من مكانه، هل تفهمني؟». أومأ الرجل لراث بعينيه خوفًا من أن يحرك رأسه بشكل خطأ فيقتله النصل المُثبت على رقبته. بلل العرق جبهته وشعره. بدا كأنه خارج من معركة حديثًا. قال راث له: «في المرة التالية عندما تكلف بحمل رسالة لي، لا تدع الفضول أو الجشع يسيطران عليك، فغالبًا ما يؤدي أحدهما إلى الموت».

لم أستطع إلا أن ألاحظ البول وهو يسيل متدفقًا على ساق الرجل بينما يبعد الشيطان سلاحه عن رقبته. كان راث يحدق إليَّ، وهو مقطب الجبين. ورمش الرجل ببطء كما لو كان يستيقظ من حلم أو كابوس.

ثم سأل: «من... من أنت؟ لماذا أنا هنا؟ م... من فضلك... لا تؤذيني، فإذا كنت تبحث عن المال، فأنا لا أملك أي شيء». أخرج الرجل جيوبه الفارغة وأكمل: «أترى؟».

عاد شعوري بالغثيان وكاد يغلبني، لقد غزوت عقله. لا بد أنني دمرت ذكرياته الأخيرة. إن السحر الأسود يحتاج إلى ثمن، وهو لا يأتي دائمًا

بالشكل الذي قد يتوقعه شخص ما. اجتاحني الشعور بالذنب. فقط لأنني أمتلك القوة، فهذا لا يعني أنني يجب أن أسيء استخدامها. قلت: «أنت...»

وجّه إليَّ راث نظرة تحذيرية، لكنني تجاهلتها وأكملت قائلة: «أنت فرانشيسكو باريلي، وأنت في طريقك إلى المنزل. لقد شربت الكثير من الخمر. ومن الأفضل أن تسرع قبل أن تغضب أنجيليكا مرة أخرى. هل تتذكر الطريق؟».

مسح فرانشيسكو دمعة سالت من عينه وهو يهز رأسه. لقد بدا هشًا جدًا الآن، وضائعًا جدًا، وأنا من فعلت ذلك به؛ وليس شيطانًا أو مخلوقًا فظيعًا من الجحيم... بل أنا. لقد كسرت أهم قاعدة في هذا العالم... لقد أخذت منه إرادته الحرة، وجعلته يتبع إرادتي.

وجّه راث فرانشيسكو نحو الكاتدرائية، وناوله كيسًا من النقود المعدنية، ثم همس بشيء في أذنه.

حدقت إلى ظهر الشيطان، ودقات قلبي تتسارع. كان من الممكن لراث أن يترك الرجل وحيدًا في جحيمه الجديد بسهولة، لكنه لم يفعل، مثلما كان بإمكانه أن يطلب مني بسهولة أن أقايض روحي مقابل الانتقام لشقيقتي. لقد كان يعرف ما أريد وما سأكون على استعداد للتخلي عنه مقابل ذلك، لكنه لم يطلب أي شيء. لم أكن أعتقد أن هناك رحمة في الجحيم، غير أنني ربما كنت مخطئة.

ضغط راث على أسنانه وهو يسألني: «ماذا؟».

«كنت ستقتله».

«لا... لقد ضربته، لكنك سرقت حريته في الاختيار. ستعود ذكرياته في النهاية، لكن تلك القطعة من روحكِ لن تعود. كنت سأحصل على المعلومات من دون سحر. هناك قول مأثور عن الحمقى الذين يندفعون إلى حيث يخشى الأخيار أن يطأوا بأقدامهم. من الآن فصاعدًا، أقترح عليك أن تستمعي لتحذيراتي، هيا بنا». سار ناحية الظل وهو يقول: «نحن بحاجة إلى الوصول إلى كواترو كانتي».

إذا لم يكن يريد مناقشة السحر المحظور الذي استخدمته للحصول على معلوماتنا، فلا بأس في ذلك بالنسبة إليَّ. لقد شعرت بالفعل كأن ديدان القبور تزحف على جلدي. تجاهلت أفكاري وسألته: «لماذا؟».

«ينتظرنا الرسول الحقيقي هناك».



التاسع والعشرون

قبل أن ندخل إلى وسط ساحة باروك، توقفت مع راث في زقاق ضيق. ادعى أن الهدف من ذلك هو الحذر من المكان ومن أي فخ قد يكون شياطين آخرون - مثل جريد أو إنفي - قد نصبوه لنا. طلب مني بأدب الانتظار بينما توجه نحو شاب توجد على خده الأيمن ندبة طويلة. وبما أنه سألني بلطف، فقد قررت الموافقة... مؤقتًا. إن السماح له بالمضي قدمًا أتاح لي الفرصة لمراقبته ومراقبة الرسول الجديد، بمفردي.

كان الرجل مثيرًا للاهتمام... فهو مزيج مذهل من الملامح الإفريقية، والعينين المسحوبتين لأعلى، وهو ما يشير إلى أصل شمال أفريقي وآسيوي. لم يلحظني وأنا أراقبه من مكاني في الظلال، لكنني رأيته بوضوح كافٍ.

وقف متكئًا على جدار أحد المباني، وهو ينظف أوساخًا وهمية من أظافره بنصل خنجر ذي مظهر مميت. تظاهر بالملل، لكن نظراته كانت تتبع تحركات كل شيء من حوله بتركيز حيوان مفترس... وقد انتبه لاقتراب الأمير الشيطاني منه.

سار راث دون تردد ناحيته... لسوء الحظ، كنت بعيدة جدًا لكي أتمكن من سماع محادثتهما بوضوح، ووفقًا لنظرات الرجل ولغة جسده، تخيلت أن راث كان يلقي عليه محاضرة عن شيء ما. تسللت مقتربة منهما بهدوء.

سمعت راث يقول: «... يشك في الحقيقة يا أنير. أنا متأكد من أن الآخرين سيفعلون ذلك إن آجلًا أو عاجلًا».

قال أنير: «لقد فات أوان الندم الآن» - كان صوته مألوفًا، لكنني لم أتمكن من التعرف عليه - «مع كل ما يحدث... قد يكون هذا شيئًا جيدًا. أعني أنك اخترت القيام بالطقوس، صحيح؟ هل الأمر حقًّا *بهذا* السوء؟».

«إنها *ساحرة* ملعونة بدماء شيطانية. فما الذي سيحدث في رأيك؟!».

هل كانا يتحدثان عني؟ ضممت قبضة يدي بقوة، فتركت أظافري آثار هلال صغير في راحتي. يا له من شيطان متعجرف ومتغطرس ولا خير يُرجى من ورائه. إن هذه ليست صفاته الأقل جاذبية، أليس كذلك؟ لا، ومع ذلك كنت ناضجة بما يكفي لتجاهل هذه الصفات والتعاون معه من أجل إيقاف القاتل ومنعه من قتل المزيد من الساحرات.

قال أنير: «من وصفك لها تبدو فتاة جميلة. هل سيتعرف أحدنا على الآخر بشكل لائق؟ ليس لديك سوى...».

جذب راث أنير من ياقته، ورفعه حتى إن قدميه تأرجحتا بعيدًا عن الأرض بمقدار بوصة أو اثنتين. سحبت نفسًا هادئًا. لا يبدو أن رفع رجل بالغ يشكل أي صعوبة للأمير الشيطاني على الإطلاق. قال راث: «أكمل هذه الجملة، وسأنقش على الجانب الآخر من وجهك ندبة أيضًا».

«أعتذر لك، هل ضغطت على الجرح؟». رفع أنير يديه في استسلام وهمي، ولم يكلف نفسه عناء إخفاء ابتسامته. ولم يشعر بأي خوف بل سخر من الأمر. قررت أنني لو لم أكن غاضبة لأعجبني الأمر. إذ إنه إما أن يكون شجاعًا جدًّا، وإما أنه أحمق جدًّا بسبب استهزائه بشيطان الحرب. قال أنير: «لا تغضب، فالأمر مؤقت حتى الآن. كما أنها...»

«خلفنا». قالها راث وهو يتركه يسقط من يديه على الأرض، لكن أنير سرعان ما اعتدل واقفًا برشاقة. قال راث: «إميليا، هذا أنير، وهو من أكثر الذين أثق بهم من معارفي. إنه يعرف هوية الساحرة التالية التي وافقت على الزواج ببرايد».

خرجت من الظل، وتفقدت الشاب.

قلت له: «كنت موجودًا الليلة التي تعرضت فيها للهجوم من الأفعى».

«نعم». بدا أنير غير متأكد مما يمكنه مشاركته أو لا يمكنه مشاركته معي.

التفت إلى راث فقلت له: «إنه إنسان».

«أنت ذكية للغاية».

أخذت نفسًا عميقًا، وظللت أعد حتى اختفت لديّ الرغبة في أن أعيده إلى دائرة العظام. ثم قلت: «ما قصدته هو، إذا كان لديك إنسان يعمل مساعدًا لك، فلماذا لا يكون هو دعامتك في عالم البشر؟ وإذا حدث لي شيء، فستكون على ما يرام».

فتح راث فمه، ثم أغلقه. ومن ثم رفعت حاجبيّ، في انتظاره.

«لم يعد أنير ينتمي إلى عالم البشر؛ لذلك لا يمكنه تقديم... الخدمات نفسها كما يمكنكِ أن تفعلي».

أصدر أنير صوتًا معبرًا عن اعتراضه، وحاول بسرعة كتم ضحكته عندما وجّه راث نظرة غاضبة إليه. وقال أنير: «هذه بالتأكيد إحدى الطرق التي يمكننا أن ننظر إلى الأمر من خلالها».

سألت وأنا أحدق إلى الشيطان: «ما الذي يتحدث عنه؟ وما الذي لا تخبرني به؟».

رمقني راث بنظرة تقول «الكثير من الأشياء»، لكنه لم يكلف نفسه عناء الإجابة بصوت عالٍ. وبدلًا من ذلك قال: «كان أنير على وشك المغادرة. وهو ينتظر ليرى ما إذا كان الشخص ذو الرداء قد وصل، لكنه لم يفعل. والآن، لديه عمل خاص بعائلتي عليه أن يعود من أجله».

«مَن الفتاة المسكينة؟».

«فالنتينا روسي».

أصاب الخدر جسدي كله عندما استوعبت ما قاله. كانت فالنتينا ابنة عم كلاوديا، وإذا كانت أي فتاة ستوافق بسهولة على أن تصبح ملكة

الجحيم، فإن فالنتينا ستر تدي تاج الظلام بكل فخر. لم تكن سيئة؛ فقد بدت كأنها تنتمي لعائلة ملكية، وأن قدرها يحمل لها، بلا شك، دورًا أكبر من مجرد خيَّاطة في جزيرتنا الصغيرة، ولم أفاجأ بأنها مهتمة بعقد صفقة مع الشيطان.

هممت بالتوجه إلى الحي الذي تقيم به. وكان علينا أن نحذرها قبل فوات الأوان.

اعترض راث طريقي، وأوقفني: «ماذا تفعلين؟».

«أنا أعرفها».

«ثم؟».

«أتساءل لماذا يختار الساحرات اللاتي لهن علاقة بالسحر الأسود».

قال أنير: «حسنًا، هذا بسبب...»

قاطعه راث قائلًا: «حان وقت الرحيل».

نقل أنير نظره بيني وبين الأمير الشيطاني، وكانت ابتسامته تشبه ابتسامة ذئب وجد وجبة خفيفة أراد أن يحشرها في حلقه. ثم قال: «في الواقع، أفضل البقاء هنا فترة من الوقت. إن حفلات الزفاف الشيطانية ليست لضعاف القلوب. وبالإضافة إلى ذلك، ستحتاج إلى عيون وآذان إضافية عندما تتحدث إلى الفتاة. ربما ستتبعنا الشخصية ذات الرداء».

قالها، ثم غمز لي كما لو كنا صديقين قديمين نتقاسم سرًّا ما. انتبه راث إلى تلك الغمزة، وحدَّق إلى أنير حتى هز الأخير كتفيه وابتعد عن مكاننا. انتظرت حتى أصبح بعيدًا عن نطاق السمع قبل أن ألتفت إلى راث لأسأله: «هل ستحاول إقناع فالنتينا بالذهاب إلى العالم السفلي معك؟».

«أقسمت أنني لن أفعل أي شيء سوى عرض الصفقة. سأحافظ على كلمتي. ومع ذلك، بمجرد أن نوصلها إلى بر الأمان، أود أن أرى ما إذا كانت مستعدة لمساعدتنا على الإيقاع بالقاتل».

«أنت ترغب في استخدامها طعمًا».

«نعم، يبذل شخص ما قصارى جهده لضمان عدم إبطال لعنة برايد. أنوي اكتشاف هويته والسبب الذي يفعل ذلك من أجله قبل أن يموت أي شخص آخر. بعدها سأنتقم بطريقتي».

ارتجفت، فلم يكن هذا بالضبط ما كنت أتوقع سماعه منه، لكنني قدّرت صدقه. قلت له: «أعرف عائلة فالنتينا جيدًا. وسأطلب منها أن ترفض صفقة برايد» أكملت بصراحة: «أتمنى أن تتفهم مقصدي يا راث».

نظر مليًّا إلى عينيَّ وأجاب: «افعلي ما يجب عليكِ فعله، فالقرار النهائي سيكون لها».



أسرعنا باتجاه منزل فالنتينا، وفي الطريق أخبرني أنير عن حياته قبل أن يغادر هذا العالم إلى ما أسماه بمملكة الشيطان. كان الطفل الوحيد لأب أفريقي وأم آسيوية. كان يلعب تحت شجرة زيتون قريبة من بيتهم عندما قُتِل أبواه بوحشية. كان والده قد شهد جريمة وأراد أن يبلغ السلطات بما رآه، وقبل أن يتمكن من فعل ذلك، قُتل هو وزوجته.

قال أنير إن الندبة على وجهه جاءت في وقت لاحق، عندما أصبح شابًا يخشاه الآخرون. وجده راث مسافرًا عبر أمريكا الجنوبية، يقاتل في حلقات تحت الأرض، مصابًا بكدمات وملطخًا بالدماء. كانت بعض المعارك عبارة عن قتال حتى الموت، وقد دفع ثمنها بسخاء. كان أنير بطلًا لأكثر من عام عندما عُرض عليه العمل لصالح بيت راث.

توقفت عن الاستماع إليهما وهما يتشاجران بشأن عدد السنوات التي مرت، فيبدو أن الوقت يتحرك بشكل مختلف في عوالم الشياطين. انتقلنا أثناء سيرنا إلى الشارع التالي، وسرنا في زقاق أكثر ظلامًا وضيقًا.

شعرت بانجذاب غريب، سبق لي أن شعرت به من قبل، سيطر على حواسي، وسحبني إلى شارع جانبي ثانٍ.

نظرت حولي، وتعرفت على الحيّ، واستقر داخلي شعور رهيب. خطوت بضع خطوات أخرى وتوقفت، ولم أفاجأ بالجسد الذي رأيته أمامي؛ كنت قد شعرت بالريبة من قبل أن ندور حول الزاوية، وقد كان ظل الجسد الملقى هو كل ما كان مؤكدًا وكنت بحاجة إليه.

التفت حولي بحذر وقد تدلت الملابس المنشورة في أحد المباني الضخمة فوق رؤوسنا، وتطايرت مع النسيم. ربما يكون ذلك الشارع المظلم قد زرع الخوف في قلبي، لكنه الآن يبدو كأنه غطاء مثالي لارتكاب جريمة. لم يكن هناك أي دليل، كما لم يكن هناك وقت لنضيعه في محاولة فهم ما حدث. لقد كانت مهمة مخططًا لها؛ فقد دخل القاتل وخرج، ولم يترك وراءه أثرًا سوى الجثة.

توقف راث فجأة عن السير.

ولاحظ أنير الضحية قبل لحظة من التعثر بها. ونظر إلى الشيطان بغضب وهو يتجاوز بحيرة الدم التي تتسع شيئًا فشيئًا. قال: «في المرة التالية، سيكون من اللطيف أن تحذرني».

«تصرفاتك تلك هي ما تجعلني أقل قابلية لتنفيذ مثل هذه الاقتراحات في المستقبل».

ضاقت عينا أنير الداكنتان. وجعلت هذه الحركة الندبة الموجودة على خده أكثر بروزًا. ومن ثم همَّ راث بالدوران حول الجسد عندما أوقفه أنير. كنت أشاهد كل ذلك يحدث كما لو كان مشهدًا يُعرض على خشبة المسرح، بعيدًا عن المكان الذي أقف فيه بالفعل. لم أستطع أن أصدق أن هناك جثة أخرى ترقد أمامنا بعد أن تعرضت للقتل بشكل وحشي. شعرت بأنني على وشك التقيؤ. وبدا راث غير متأثر على الإطلاق، كما لو كان العثور على أجساد مشوهة جزءًا من حياته اليومية.

استدار الشيطان، ونظر إلى يد أنير وسأل: «ماذا؟».

أشار أنير بإصبعه نحو الجسد البارد، وسأل: «ألن نرسل لطلب المساعدة؟».

أجاب راث: «ماذا تقترح أن نفعل؟ أن نبلغ السلطات البشرية؟». ولم يمنحه فرصة للإجابة، بل أكمل قائلًا: «لو كنت مكانهم، هل ستأخذ كلمتنا على محمل الصدق وتتركنا نبتعد في سلام؟ أم هل ستلقي نظرة على خنجرك الشيطاني، وهيئتي الشيطانية، وترمينا في زنزانة مليئة بالقذارة وترمي المفتاح بعيدًا؟». زم أنير شفتيه لكنه لم يقل أي شيء. فاستأنف راث قائلًا: «هل لديك أي اقتراحات أكثر نباهة، أم بإمكاننا أن نغادر؟».

«في بعض الأحيان تتصرف حقًّا كوحش بلا قلب».

حوَّل راث نظره إليَّ وسألني وهو يقطب حاجبيه: «هل أنتِ بخير؟».

لا، بالتأكيد لم أكن على ما يرام. كانت هناك ضحية جريمة قتل أخرى ملقاة أمامنا. وقد ألقيت نظرة على وجهها. كانت ابنة عم أعز صديقاتي، نظرت بصمت ملأه الرعب إلى جسدها المشوه. ما زلت لا أستطيع أن أفهم كيف كان هذا المشهد حقيقيًّا. دار رأسي من أثر الصدمة. ولم تكن كلاوديا قريبة من ابنة عمها، لكنها ستشعر بخسارتها بشكل كبير. وضعت يدي على عينيَّ.

«إميليا؟».

ابتعدت عن يد راث عندما لمسني. قلت: «إنها... فالنتينا روسي».

«هذا متوقع».

لم أستطع أن أصدق أن ساحرة أخرى قد نُزع قلبها. وبذلك يرتفع عدد القتلى إلى خمسة. حاربت الرغبة في التقيؤ مرة أخرى. من المقدر لي أن أرى شيئًا مروعًا كهذا... لم أعتد ذلك قط.

لم يعرف فرانشيسكو، الرسول البشري الخائن، اسم العروس التالية، عرف فقط مكان لقاء أنير. وكنت أشك في أن أنير قد يخون راث، ما يعني

أن المعلومات قد خرجت بطريقة أخرى. انتابني الغثيان لسبب جديد، لقد عذبت رجلًا بلا هدف.

قال أنير وهو يحوّل أفكاري إلى كلمات: «لا بد أن هناك جاسوسًا في المملكة».

تخيلت أنه نال نصيبه من رؤية الأشياء الفظيعة، لكنه ما زال يبدو مصدومًا. سحب شعره الداكن إلى الخلف، وربطه بشريط من الجلد مزقه من معصمه.

كان راث يتجول جيئة وذهابًا في الزقاق، حريصًا على تجنب السير فوق الدم. أبعدت نظري عن الدماء. كان علينا أن نبلغ السلطات. يجب ألا تظل فالنتينا هناك، باردة ووحيدة. توقف الشيطان بالقرب مني، ليحجب عني منظر الجسد. قال: «وهذا يعني أن أحد إخوتي هو المسئول. بطريقة ما، بشكل ما».

تبادر إلى ذهني لقائي السابق مع أخويه، وقلت: «جريد وإنفي، كلاهما هنا».

هز راث رأسه وقال: «لن يخوض إنفي معركة معي. أما جريد... فما زلت لا أستطيع الاقتناع بأنه قد يعرض منزله للخطر، ليس بعد أن نجح في بناء معقل هائل».

قال أنير: «في كلتا الحالتين، هناك تداعيات للخيانة بين السبعة... انسَ اللعنة يا صاحب السمو، فبغض النظر عن المشاعر الشخصية تجاه الساحرات، عليك أن تتم رباط الزواج مع إميليا وأن تؤمّن منزلك قبل أن تبدأ الحرب. ستحتاج إلى قواك كلها. فمهما كانت هوية من يقوم بكل هذا، فلا بد أنه هو من قتل زوجة برايد».

شعرت بأنني غارقة في حمام من الثلج، سألت: «أي رباط زواج؟».

لم ينتبه أنير لنبرة الذعر في صوتي، وهو يجيبني: «ذلك الذي بدأتِه عندما ربطتِ الأمير بكِ».

توقف راث عن التحرك، وتوقفت أنا عن التنفس فاغرة الفم في رعب. بدا أن الوقت قد تجمد وأنا أكرر بصمت ما قاله أنير. أردت أن أصرخ بأن هذا ليس صحيحًا، لكن رد فعل راث قال عكس ذلك. ولم يبعد الأمير الشيطان عينيه عن عيني وأنا أسأله: «كيف؟».

«اتركنا»، بالكاد علت نبرة راث عن الهمس، لكن أنير سمعه وأسرع ليطيعه. وبمجرد رحيله، أومأ الشيطان برأسه نحو الوشم المطابق لدينا. قال: «لم تكن تعويذة الحماية التي ألقيتِها بمنزلة رابطة حماية مثلما قد يفعل الحامي مع رعاياه. ترجمة *إيفيتاس ليجاتي* تعني 'مرتبطين إلى الأبد' كما في الزواج المقدس. ولم يحتج الاستدعاء إلى تلك التعويذة لينجح».

«هل نحن... هل تقول إننا *مخطوبان*؟»، انتظرت، وقلبي ينبض، لكن راث لم يقل شيئًا. ولم يكن بحاجة إلى ذلك. كانت الحقيقة هناك في عينيه. لقد كان يعرف ما فعلته طوال الوقت. ولا عجب في أنه بدا مرعوبًا جدًّا في تلك الليلة. لقد انتزعته من الجحيم، وأجبرته على تلك الخطبة... إلى الأبد. سألته: «متى كنت ستخبرني بالأمر؟».

خرج صوته ناعمًا وهو يجيبني: «هذا لا يغير من الأمر شيئًا...»

«تغيَّر كل شيء». وسرت قشعريرة عنيفة في جسدي بينما استمر الشيطان يحدق إلى عينيَّ. كان هذا أكثر مما يمكنني تحمله؛ جثة ابنة عم أعز صديقاتي، وخطبتي بشكل غير مقصود لـ راث. سألته: «ماذا يحدث إذا لم أرغب في الزواج بك؟ وهل ستجبرني على أن أحكم إلى جانبك في الجحيم؟».

«إميليا...»

«لا تفعل...»، هززت رأسي، وأكملت متسائلة: «هل سأضطر للذهاب إلى هناك؟».

«لا».

هذا صحيح، كانت قوانين الشياطين مبنية على ادعاء التحضُّر. ربما يكون إجبار شخص ما على الزواج بمنزلة انتهاك لجميع قواعدهم الصارمة والغريبة، لكنني أجزم بأنه سيعقد معي صفقة شريرة، وأنه سيجعلها تبدو جيدة جدًّا، ومغرية للغاية، لدرجة أنني لن أرفضها أبدًا. خاصة إذا كان رباط الزواج سيساعد على منحه المزيد من القوة كما ادعى أنير. ضممت يديَّ إلى جانبيَّ.

وسألته: «ماذا كان يعني أنير بتأمين قوتك قبل أن تبدأ الحرب؟».

ضغط على فكه ثم أجاب: «لا أستطيع مشاركة هذه المعلومات معكِ».

«إذن، انتهى الأمر بيننا». أمسكت بتميمة أختي، وأكملت قائلة: «*تي ليبيرو* أنت حر. أنا أحررك من أي رباط بيننا. وعندما أتزوج، سيكون هذا من أجل الحب، لا من أجل السلطة أو أي شيء آخر فاسد ترغب فيه. إن الحب هو أمر لا تعرفون *عنه أي شيء*، أيتها المخلوقات الحقيرة عديمة الروح!».

ولو أنه ناداني أو جفل مما فعلت، ما كنت لأعرف مطلقًا. فقد استدرت وهربت قدر استطاعتي من الأمير الشيطاني وأحدث ضحية لجريمة قتل. لم أرغب في التعامل مع هذه المخلوقات الملعونة التي جلبت هذه المعاناة إلى عائلتي ومدينتي.

ومن الآن فصاعدًا، سأكتشف من قتل أختي بمفردي.

ويمكن لـ راث ببساطة أن يزحف عائدًا إلى الجحيم، وأن يتعفن مع الباقين هناك.



الثلاثون

جلست إلى طاولة في مواجهة البحر، أحتسي الماء مع شريحة ليمون، بعد أن تركت رسالة مجهولة للشرطة تتضمن موقع جثة فالنتينا. ولم أكن قد تمكنت بعد من التغلب على رعب تلك الليلة. أردت الإسراع إلى منزل كلاوديا، لكنني اضطررت إلى الانتظار حتى تبلغ الشرطة عائلة ابنة عمها أولًا. وإذا كانوا في حالة حداد بالفعل مع الوقت الذي ستزورهم فيه الشرطة، فسيبدأون في طرح الأسئلة. لقد جعلني الانتظار أفكر في كل ما لم أرغب في التفكير فيه... لا الآن، ولا في أي وقت آخر.

لم أستطع أن أصدق أنني كنت غبية لدرجة أنني خطبت نفسي لـ راث عن طريق الخطأ، وأنه لم يفصح عن السر في الحال. لا بد أنه كره الأمر تمامًا. خاصة مع ما قاله أنير عن كرهه الساحرات. حاربت الرغبة في أن أدفن وجهي بين يديَّ، وأنا أفكر في أنه كان على علم تام بخطئي بينما اعتقدت أنني مسيطرة على المجريات من حولي... كان الأمر مهينًا، ولم أرغب في التفكير في الأخطاء الأخرى التي ارتكبتها، ولم يشر إليها فقط لأنه كان مهذبًا للغاية.

بمجرد أن أبلغت الشرطة، أدركت أنه ليس لديَّ مكان أذهب إليه، ولم أستطع العودة إلى المنزل وتعريض عائلتي للخطر، وعلى الرغم من أنه كان بإمكاني البقاء في القصر مع راث، فإنني في الوقت نفسه كنت

بحاجة إلى الوقت والمساحة الكافيين لترتيب أفكاري ومشاعري. لقد حدث الكثير في فترة زمنية قصيرة... جريمتا قتل ساحرتين أخريين، وخطيب سري من الجحيم.

إضافة إلى كل هذا، الهجوم الذي تعرضت له جدتي، وتميمتي المسروقة، وهجوم الأفعى. يبدو أن المصائب تواصل الانهمار عليّ، وقد عانيت الأمرين منها.

كلما تمسكت بالحياة الطبيعية، سيطرت الفوضى على عالمي. وبما أنني رفضت رؤية راث مرة أخرى في الوقت الحالي، فقد قررت أن أفرغ رأسي من كل شيء، وأن أواصل البحث عن إجابات عن وفاة فيتوريا بنفسي. وإذا تمكنت من حل جريمة قتل أختي، فسيكون باستطاعتي أن أحمي أي شخص آخر من الموت. وفي كل مرة كنت أحاول أن أضع نفسي مكان فيتوريا، أظل أعود دومًا إلى مذكراتها، لكنها لم تكشف لي عن الكثير من الأسرار كما كنت أتمنى، وتلك التي كشفت عنها كانت غامضة بما يكفي لتبقيني في حالة من التخمين الدائم.

كنت أراجع في ذهني قائمة من المهام التي يجب إنجازها عندما سحب شخص المقعد المقابل لي، ثم جلس عليه، ونظر إليَّ بحذر. حدقت إليه بضع لحظات. لم يقل أي منا أي شيء، ويبدو أن «زوجي المفترض» ذلك كان يمنحني الوقت لتجميع شتات نفسي، أو ربما كان ينتظر مني أن أعيده إلى دائرة العظام مرة أخرى.

استنشقت بضعة أنفاس عميقة.

ثم سألته: «كيف عرفت مكاني؟». رمقني بنظرة طويلة ومتفحصة، ثم وجّه نظره إلى الوشم الموجود على ذراعي... سأقتله بلا شك، «قلت إنك لن تستطيع أن تجدني إلا إذا قبلت برباط الدم. ولم تذكر الوشم قط».

«لو أنني أخبرتكِ بأن الوشم جزء من رباط الزواج لهربتِ على الفور. وكنت بحاجة إلى الوقت لكي تثقي بي».

كنت على وشك مجادلته؛ لكنني سرعان ما أغلقت فمي. كان محقًّا؛ لو أنني كنت أعرف معنى الوشم من الليلة الأولى التي استدعيته فيها، لأعدته مباشرة إلى مملكته. ثم قلت: «عادة ما تنمو الثقة عندما يكون كلا الطرفين صادقًا».

«أنا لم أكذب عليكِ».

أخرجت زفيرًا ضاق به صدري بعد أن حبسته فيه وأنا أقول: «ليس تمامًا، لا».

جاءت نادلة وتلت علينا قائمة الطعام بمرح. بدا راث متشككًا، لكنه تركني أطلب طعامًا لنا دون اعتراض. وبعد مرور ثلاثين دقيقة من الصمت المتوتر، جاءت النادلة ومعها الطعام. نظر راث إليه كأنه معادلة معقدة لا بد أن يحلها.

كان الطعام طبقًا واحدًا من القريدس المطهو على البخار، وبعض كرات أرز الأرانشيني، وطبقًا من المقبلات الإيطالية أنتيباستو - مليئًا بشرائح لحم بروشوتو، والفلفل البيبرونسيني، والسلامي الإيطالية السوبريساتا، وجبن البروفولون، والزيتون المخلل، والخرشوف المتبل بالزيت والخل والأوريجانو والريحان - وسلة من الخبز المحمص التي أكملت طاولتنا الصغيرة.

ظللت أنتظر الشيطان ليسحب النادلة جانبًا ويطلب منها دمًا ساخنًا، أو أحشاء نيئة، لكنه بدا راضيًا باختياراتي، وبالتأكيد لم أكن لأضع فكرة تناول الأحشاء غير المطبوخة في رأسه.

فاجأني راث عندما طلب إبريقًا من الشراب الأحمر مع شرائح البرتقال، وسكب بسخاء منه لكل منا. ارتشفت نبيذي مستمتعة بحلاوته على الرغم مني. أردت الهروب من أفكاري المظلمة فترة من الوقت، وقد ساعدني العشاء والشراب على ذلك. لم أنم طوال الليل، وكان من الجيد أن أستجمع قواي وأعيد تجميع أفكاري. ملأ راث طبقًا من الطعام،

ووضعه أمامي قبل أن يفعل لنفسه هذا. واحتجت إلى تركيزي كله حتى لا أسقط من فوق الكرسي بسبب الصدمة.

نظرت إلى عينيه، فضم ما بين حاجبيه، وقال: «من الصعب نسيان قواعد السلوك، بغض النظر عن مدى سوء الصحبة التي أنا مُجبر على البقاء معها. إضافة إلى أنكِ قدمتِ لي الحلوى؛ لذلك من العدل أن أرد الجميل إليكِ».

ابتسمت، الأمر الذي بدا كأنه قد أزعجه أكثر، ثم بدأت بتناول طعامي.

بعد بضع دقائق من مشاهدته وهو يقلب في القريدس، غرزت شوكتي في واحد ومددتها نحوه. زادت شكوكه وسألني: «ماذا تفعلين؟».

«هذا لانجوستينو، إنه قريدس صغير. أنا متأكدة أنك ستحبه. إلا إذا كنت خائفًا...».

قبل راث القريدس كما لو كان في تحدٍّ. ولا بد أنه استمتع بالوجبة، لأن تركيزه تحول إلى طبقه ولم ينظر إليَّ مرة أخرى حتى تذوق كل شيء.

بينما كان يجرب عجائب الطعام البشري، تناولت القريدس، مستمتعة بالليمون الطازج الذي استُخدم لكسر قوة الزبدة الغنية. كانت وصفته أكثر حامضية بعض الشيء مقارنة بوصفتنا، وقد قررت تجربتها في مطبخنا قريبًا.

ربما لو قمت بتقطيع ليمونة إلى نصفين، وقمت بشيِّها ووجهها للأسفل...

توقفت، والشوكة أمام فمي، لقد كنت أستمتع كثيرًا لدرجة أنني نسيت تقريبًا سبب جلوسي هنا مع أحد أفراد عائلة أمراء الشياطين وأشاركه تناول الطعام. لقد مر شهر... رحلت شقيقتي منذ أكثر من شهر بقليل، وهآنذا أحلم بوصفات طعام جديدة لمطعمنا وأنا بصحبة ألد أعدائنا، تحول الطعام إلى حجر في معدتي.

دفعت طبقي بعيدًا عني، فأنا لم أعد جائعة.

كان راث يراقبني كإنسان يراقب ذبابة تطن فوق طعام العشاء. سألني: «هل تمرين بمعضلة أخلاقية أيتها الساحرة؟»

لم أستطع الشعور بالغضب أو الانزعاج، فقد شعرت بأن نصل الحقيقة ينغرس داخلي؛ لم تكن لديَّ أي فكرة عما كنت أفعله. كنت متأكدة تمامًا من أن أختي استدعت شيطانًا، لكنني لم أعرف أي شيطان استدعت. وكنت أعرف شيئًا عن قرني هاديس، لكنني لم أعرف كيف أصبحنا نمتلكهما.

ثم كانت هناك تلك الأدلة المبهمة في يوميات فيتوريا عن قدرتها على سماع أشياء سحرية، وإمكانية وجود أول كتاب للتعاويذ في هذا العالم. كنت أعلم أن أختي قد وافقت على أن تصبح عروس الشيطان، لكنني لم أفهم بعد سبب قيامها بهذا الاختيار الفظيع، أو لماذا لم تخبرني بسرها أو تخبر جدتنا.

كانت لديَّ أسئلة أكثر من الإجابات، ولم يكن هناك من يمكنني أن أثق به تمامًا. كادت جدتي تموت بسبب سعيي إلى تحقيق العدالة، ورفضت تعريض أي شخص آخر في عائلتي للخطر من خلال اللجوء إليهم لمساعدتي في أي شيء يتعلق بجرائم القتل. وعلى الرغم من أن راث قد أنقذني، فهو أمير من أمراء الجحيم، وعلى الرغم من أنه تعهد بعدم إجبار ساحرة على عقد صفقة، فأنا ما زلت لا أعرف كيف أو لماذا جرى اختياره لهذه المهمة.

انحنيت إلى الأمام، وقلت له بصوت منخفض: «أريد أن أعرف كل شيء عن اللعنة».

حدقت إليه، وبادلني التحديق بعينيه الذهبيتين - المرقطتين باللون الأسود. وسألني: «هل فكرتِ في الانتقال للإقامة في قصري حتى نجد القاتل؟».

إجابة غير متوقعة لتجنب الإجابة بشكل مباشر. قلت: «نعم، فكرت».
«أين متعلقاتك؟».

«في البيت».

حرَّك الشراب في كأسه، وتساءلت عما كان يفكر فيه بالضبط. سألني: «هل تريدين مني أن أرافقك إلى منزلك أثناء إحضار حاجياتك؟».

نظرت إليه بحدة وأنا أقول: «لم أخبرك بما قررته بعد. كما أريد منك أن تجيب عن سؤالي... إذا كان برايد هو الملعون، فما علاقتك أنت بالأمر؟».

«يجب أن نعود إلى القصر، ونتحدث هناك».

«لن أعود قبل أن تخبرني بما أريد من إجابات».

بدا راث كأنه يفكر في طرق مختلفة لتقييدي مستخدمًا أحشائي. ثم قال: «سأفعل، لكن ليس الآن».

قلت له رافضة التنازل عما أريد: «بل الآن». نظر إلى السماء وتساءلت داخلي عما كان يفعل، ولماذا لم ينظر إلى الأسفل بدلًا من ذلك.

قال: «حسنًا، إذا أجبت عن أسئلتك، هل ستوافقين على البقاء معي في القصر؟».

«لا، لكن الأمر سيساعدني على اتخاذ القرار، فما رأيك في ذلك؟».

أخذ نفسًا طويلًا وزفره ببطء. انتظرت... وبعد خوض بعض المعارك الداخلية، رأيت اللحظة التي قرر فيها أن يثق بي ويخبرني بما لديه.

«لكي تبطل اللعنة تمامًا، يجب أن تجلس الزوجة على العرش وتساعد على حكم مملكة برايد».

«قال أنير إن آخر من كانت ستتزوج به قد قُتلت. فكيف حدث هذا؟».

كان ينظر إليَّ، لكنني شعرت بأنه لم يكن يراني حقًّا وهو يجيبني: «انتزع قلبها من صدرها. مع عدد قليل من وصيفاتها».

«هل لعنت الساحرة الأولى برايد حقًّا؟».

«نعم».

سمحت لتلك المعلومات بالاستقرار داخلي مع كل الحكايات الأخرى التي أقنعت نفسي بأنها مجرد قصص. وحضرت الساحرة الأولى لا بريما

ستريجا منذ فترة طويلة، فهي من بدأت الجيل الأول من الساحرات، أو هكذا تحكي القصص القديمة. ومن المفترض أنها كانت مصدر قوتنا، كما أن أحدًا لم يتحكم فيها قط... وهي لم تمتلك لا سحرًا عاديًا، ولا سحرًا مظلمًا، بل مجرد قوة خام لا مثيل لها.

في وقت ما كانت لا بريما محبوبة، وفي أوقات أخرى كان الجميع يخشاها. إنها مبعوثة الشمس والشيطان، وقد أتت لتحقق التوازن المثالي بين النور والظلام. قيل لنا إنها خالدة، لكنني لم أرها قط، ولا أعرف أي شخص آخر قد رآها. حتى إنني كثيرًا ما اعتقدت أنها لم تكن أكثر من مجرد أسطورة.

سألته: «لماذا لعنته؟».

تردد راث في الإجابة، ثم قال: «كان عقابًا لما ظنت أنه قد حدث بينه وبين ابنتها الكبرى».

اعتدلت في جلستي حينما تذكرت أن كلاوديا قد ذكرت لي هذا من قبل. سألته: «إذن، ماذا حدث، هل سرق روحها فانتقمت منه لا بريما؟».

سألني راث ساخرًا: «تصدق الساحرات مثل هذا الهراء، أليس كذلك؟ لم يسرق برايد أي شيء. ولم يكن عليه أن يفعل ذلك. اختارت ابنتها الزواج به عن طيب خاطر. لقد وقعا في الحب، على الرغم من هوية كل منهما».

فكرت فيما بدأت جدتي في إخباري به قبل الهجوم عليها عن *ساحرات النجوم*، وكيف تم تكليفهن بأن يصبحن حارسات مملكة الشياطين، فسألته: «هل كانت من ساحرات النجوم؟».

أومأ راث: «كان من المفترض أن تكون حامية بين العوالم؛ فكري فيهن بوصفهن حارسات سجن ملعون. كان ينبغي لابنتها أن تتصرف بشكل أفضل، وكان من المفترض أن تتصرف باعتبارها جندية أولًا. أمرت لا بريما، كما تطلقين عليها، ابنتها بالتخلي عن عرشها والعودة إلى الساحرات، لكنها رفضت. استخدمت الساحرة الأولى أكثر أنواع السحر

قـوة وإظلامًـا لتحرم ابنتها مـن قوتها ولتطردها من مجتمع السـاحرات. وقـد كانـت لهذا آثار غير متوقعة على السـاحرات الأخريـات أيضًا. ولهذا السبب تنجب بعضهن فتيات بشريات بلا أي قوى».

حاولت ترتيب ما فهمته في عقلي، وقلت: «ما تقوله...»

حقيقـي، حدقـت إليـه. لقـد حُكيـت لنـا طـوال حياتنـا قصصـ عـن الشـياطين وأكاذيبهم. ومع ذلك، لا يقدر راث الكذب عليَّ بشـكل مباشـر بسـبب سـحر الاسـتدعاء. لقد اختبرته وعرفت أنه بالفعل لا يسـتطيع أن يكذب. فما كان يقوله، بغض النظر عن مدى استحالته، لا بد أنه صحيح. أو على الأقل كان يعتقد ذلك.

سـألته: «لماذا تسـاعده على إبطال اللعنة؟ فإذا كان حبيسًا في العالم السفلي، لا أرى أي داعٍ للقلق من ناحيتك أو من ناحية أي أمير آخر».

«منذ عدة سنوات بشرية، تسبب شيء ما في حدوث تصدع في بوابات الجحيـم. قيـل لنـا إنه جـزء مـن النبـوءة. ولأن برايـد، هو المـادة الخام للكِبر، فقد اسـتهزأ بالأمر، ثم قُتلت زوجته الحبيبة، وتضاءلت قوته. كان محاصرًا في الجحيم، وبدأت شـياطين أقل خطورة في تحدينا من خلال محاولة التسلل عبر الشقوق التي في البوابات».

بعيدًا عن اللعنة، لم أستطع أن أصدق أن ثاني أكبر مشكلة في الجحيم هـي البوابـات القديمـة المتهالكة. ضيَّقـت عينيَّ وأنا أنظـر إلى راث. كان لـديَّ شـك متزايد فـي أنه لم يكشـف عن الجزء الأسـوأ مـن حكايته بعد؛ فسـألته: «و...؟».

«نجـح فـي المـرور مـن خلال تلـك الشـقوق مخلوقات لا تريـد أن تمر بـ«بوابـات المخـاوف الألف». ومـا زالت البوابات تضعـف، على الرغم من بـذل قصارى جهدنا لتقويتها. إنها مسـألة وقت فقط قبل أن تنهار تمامًا. لقـد حاولنا إيقـاف هذه الكائنات، لكن بعضها نجح فـي الوصول إلى هذا العالم بالفعل».

«مثل؟».

«بعض الشياطين الأقل مكانة».

«الأفعى؟».

«غير محتمل، تلك الأفاعي لا تخرج إلا إذا استُدعيت».

لم يكن الأمر مريحًا تمامًا، فقد بدأت الشياطين تغزو عالمنا. وكان لديَّ شعور رهيب بأن الأمر سيزداد سوءًا قبل أن يتحسن. سألته: «هل هناك أي شيء يجب أن نقلق بشأنه على وجه الخصوص إذن؟».

«يجب أن تقلقِ بشأن شيطان *أبير*، على سبيل المثال».

«أ... ماذا؟».

«شيطان *أبير*... إنه شيطان له رأس خنزير وأنياب فيل، وجسد مثل أجساد الزواحف الضخمة، وله حوافر مشقوقة، إنه قوي كالثور، لكنَّ لديه ولعًا خاصًا بدماء الساحرات. كما أن آلاف الأسنان الصغيرة المرتبة في صفين مزدوجين في فمه تجعله بارعًا جدًا في تصفية الجسد من الدماء سريعًا».

كانت ابتسامة راث التي تزداد اتساعًا شريرة تمامًا وهو ينظر خلفي. وقد تسبب ما يشبه الزَّبد الذي بدأ في التساقط بالقرب من مؤخرة رقبتي في جعلي أتعرق على الفور. سمعت طقطقة حافر واحد على الأرض المرصوفة بالحصى، ثم تلتها طقطقة أخرى. اهتزت الأرض تحت أقدام الكائن الذي اتخذ هاتين الخطوتين العملاقتين. وسقط ظل على الطاولة... يا للهول، لم أرد أن أستدير.

قال راث: «مهما حدث أيتها الساحرة، فلا تركضي».

الواحد والثلاثون

ليس هناك تهديد أكبر للساحرة من أن يشتهي شيطان دمها. بمجرد إثارة عطشه، فإنه سوف يلاحق بلا هوادة ما تسبب في إدمانه، ويتوقف فقط عندما يجف المصدر. ولمواجهة هذه الطاقة المظلمة، ضعي كيسًا من نبات اليارو المجفف في ملابسك مع ظهور كل قمر جديد.

- ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

جاء تحذير راث متأخرًا. لو أنني لم أصب تركيزي كله على الركض للنجاة بحياتي، لتساءلت لاحقًا عما إذا كان قد تعمَّد ذلك. رفعت تنورتي، واندفعت راكضة في الشوارع المظلمة، وصوت المطاردة يتردد من حولي.

اندفعت متنقلة من زقاق ضيق إلى آخر، وقفزت فوق سلال البضائع. لم أنظر إلى الوراء خوفًا من أن أسقط فجأة، فأنا لا أريد أن ينتهي بي الأمر وقد امتُص دمي كاملًا فقط لمجرد أن الفضول تغلب عليَّ. وبينما كنت أمر من أمام الأبواب المغلقة ومن تحت حبال الغسيل، لم تتعثر أو تتباطأ خطى الحوافر المشقوقة خلفي.

لم أكن خائفة على نفسي فحسب، بل كنت قلقة بشأن أي إنسان لاهٍ يوقعه حظه العاثر في طريقي بينما أقود شيطانًا جائعًا عبر الأحياء الضيقة. وكدت أتعثر عندما اصطدمت بهذا الواقع؛ هناك شيطان

يطاردني في شوارع مدينتي. إذ بطريقة ما نجح في أن يخترق بوابات الجحيم، وإذا كانت هذه هي البداية فقط، فـ... لم أستطع إنهاء الفكرة.

أوقعت برميلًا فارغًا في طريق الوحش. توقف مهاجمي من الجحيم ثانية واحدة قبل أن يتحطم الخشب... هذا ليس جيدًا. لقد أعطاني دم الساحرات الذي يجري في عروقي قوة أكبر قليلًا من الإنسان العادي، لكن هذا المخلوق حطَّم البرميل كأنه لا شيء.

اصطدمت قدماي بحجر بارز في الطريق، ولم أستطع منع فضولي المَرضي من السيطرة عليَّ عندما وجدت في وجهي مبنى، فألقيت نظرة خلفي. كنت على وشك التجمد رعبًا لأن الموت يحاصرني، وفمه مفتوح على مصراعيه، وعلى استعداد لالتهام عظامي وكل ذرة من جسدي، ولكن... لم يكن هَناك شيء. نظرت بحذر حولي، لم يكن هناك شيطان مختبئ خلف الملابس المعلقة. ولم يكسر الصمت صوت أنف يتشمم رائحتي. بل كان هناك صمت تام ومطلق وغير طبيعي.

يا للهول.

سيطرت عليَّ القشعريرة فجأة... تمامًا مثل الليلة الأولى التي سمعت فيها الصوت غير الطبيعي لشيطان الظلال. اختفت كل أصوات الحياة من حولي. لم أكن وحدي، كما لم أستطع رؤية أي خطر قادم، لكنني أحسست به يقترب مني؛ مخالب تمتد ناحيتي في الظلام، لا بد أن ذلك الشيطان لديه القدرة على إخفاء نفسه بنوع ما من السحر، وكأن هذا ما كان *ينقصه*.

استدرت وركضت بأسرع ما أستطيع، لكنني ارتطمت بجسد بارد مثل الثلج. سقطت مرتدة إلى الخلف، ثم رفعت نظري ببطء إلى الأعلى... إلى الكائن الذي سيدمرني. ومن الواضح أنني كنت مخطئة بشأن قواه السحرية... لم يكن مختبئًا على الإطلاق، بل كان يتحرك بسرعة كبيرة لدرجة أنني لم أتمكن من رؤيته. لم يكن يتحرك الآن. كان شيطان *أبير* تمامًا كما وصفه راث بل أسوأ. كان رأسه الضخم يشبه الخنزير البري

تقريبًا، باستثناء عينيه الحمراوين البراقتين ولسانه المشقوق ذكّرني بثعبان خرج مباشرة من الجحيم.

ضغطت عينيَّ مغلقة إياهما. ثم عددت إلى عشرة، ثم فتحتها مرة أخرى. كان الشيطان موجودًا بالفعل، وكان الأمر أسوأ من المرة الأولى التي نظرت إليه فيها.

يا إلهي.

سال اللعاب الأسود من فكه بينما أسنانه تصر ترقبًا لما سيحدث. كانت رائحة أنفاسه تشبه رائحة مستنقع نتن في يوم صيفي حار. وقفت بساقي المرتجفتين، وابتعدت ببطء عنه، فتبعني الشيطان.

صرخت بي غريزتي بأن أهرب، لكنني رفضت أن تترك عيناي عينيه. كان لديَّ شعور بأنني إذا أدرت ظهري، فسوف ينقض عليَّ. وبغض النظر عما كان عليَّ فعله للبقاء على قيد الحياة، لا بد أن أعيش لأرى عائلتي مرة أخرى. تحرك الشيطان بسرعة عندما اتجهت إلى اليسار؛ لذلك تحركت في الاتجاه المعاكس.

واصلنا الرقصة البطيئة نفسها حتى وصلنا إلى طريق مسدود. على يميني باب فولاذي سميك مطلي عليه بصمة مخلب حيوان تحمل شيئًا ما. وقف شيطان *أبير* أمامه، وهو يتشمم الهواء. ولمعت شهوة الدم في عينيه الحمراوين الغريبتين.

أخيرًا، تذكرت الطباشير المباركة بالقمر في جيبي، أنزلت يدي ببطء إلى الأسفل. كنت واقفة، وفي أقل من ثانية أوقعني أرضًا وأسنانه تخترق رقبتي. تسلل الألم إلى كل جزء من جسدي، لكن أوقفه لحظة تهديد مباشر آخر. كانت آلاف الأسنان الصغيرة جاهزة لامتصاص دمي. لامست أنفاسه الساخنة بشرتي، وتبع ذلك خرير منخفض من الشيطان. بدأ الذعر يتملك مني... لن أموت هكذا، ولا يمكن لهذا أن يحدث.

قاتلت بعنف، لكن الشيطان كان قويًا جدًّا. تراجع إلى الوراء، على استعداد لغرس أسنانه مرة أخرى، لكن فجأة، اندفع منه سائل سميك رمادي.

ظهر نصل خنجر في المكان الذي كان به قلب الشيطان، فتلوّت الظلال خارجة من الجرح مثل الثعابين. انكمشت بعيدًا وأنا أشاهد الخنجر وهو يسحب الظلال إلى الداخل مرة أخرى، وكأنه يمتص قوة حياة الشيطان. توقف نصل راث على مسافة قريبة جدًّا من صدري. وحبست أنفاسي منتظرة عودة الموت ليطالب بحياتي.

نظرت إلى الأعلى، ليس إلى وجه الموت، بل إلى وجه شيطان الحرب.

جذب راث جثة العملاق الميت وألقى بها جانبًا. ثم أغمد خنجره الشيطاني، ثم جثا أمامي. كان تعبيره جامدًا مثل لهجته. وكان ذلك مفيدًا؛ احتجت إلى شيء للتركيز عليه بعيدًا عن الرعب الشديد الذي سيطر عليَّ.

قال: «الدرس الأول: عندما تقاتلين شيطانًا، احتفظي دائمًا ببعض الأسلحة على أهبة الاستعداد، سواء كان ذلك طباشير التعاويذ أو السحر الدفاعي. فإذا لم يكن لديكِ سحر دفاعي، فهذا هو الوقت المناسب للتعرف على هذا الجزء من نسبك. إن الشياطين هي الحيوانات المفترسة التي تتربع على القمة. إنها أسرع وأقوى منك، وهدفها الوحيد هو القتل. وهي جيدة للغاية في القيام بذلك».

استندت إلى المبنى لاهثة، منتظرة أن أتوقف عن الارتجاف. لو لم يأتِ راث في الوقت المناسب، لدفنت عائلتي ابنة أخرى. هذا لو كان قد تبقى مني شيء لدفنه. لقد ملأت الدموع عينيَّ. وقد أُجبرت على الدخول في لعبة لم أكن أعرف عنها شيئًا، وها أنذا أخسرها، خسارة فادحة.

سألني: «هل يمكنكِ الوقوف؟».

بالكاد أستطيع التنفس، لكن لم تعد لذلك علاقة بالخوف، والآن أصبحت مستعدة للهجوم. سلطت نظري على الأمير الشيطاني الذي يقف فوقي، وتحركت في وضعية الجلوس وأبعدت يده الممدودة.

سألته: «ماذا، هل أنت معلمي الآن؟».

«لقد سنحت فرصة لتحويل هذا إلى تمرين. ولم تكن الدروس قط جزءًا من صفقتنا؛ لذلك على الرحب والسعة بكِ».

حدقت إليه، عاجزة عن الكلام أمام مشاعر القلق البادية عليه، ولم يسرع في إخفائها. لقد كان قلقًا حقًا عليَّ. وقد ملأني الذهول لدرجة أنني نسيت أن أبعد يده مرة أخرى.

انتظرت دقيقة أخرى قبل الوقوف، وحامت نظرة راث فوقي للمرة الثانية.

ألقيت نظرة سريعة على الكتلة الهلامية الرمادية التي اعتقدت أنها أحشاء الوحش الشيطاني. رائع، تشبه رائحتي الآن رائحة مستنقع نتن. لم أظن قط أنني سأشتاق إلى الأيام التي كانت فيها رائحة الثوم والبصل هي أكبر همومي.

سألني وهو يومئ برأسه نحو الباب الذي عليه البصمة: «هل تعرفتِ على هذا الرمز؟».

... قلت وأنا أحاول مسح دماء الوحش الشيطاني اللزجة عن ثوبي: «أنا... أحتاج إلى دقيقة».

«عليكِ فقط أن تعرفي أنني لم أكن لأسمح للشيطان بأن يقتلك. ربما فقط كنت سأدعه يأخذ منكِ قضمة صغيرة».

«يا لكلامك المطمئن!».

وقفت إلى جانبه، ونظرت إلى الباب. كنت خائفة من هجوم شيطان *أبير*، وغاضبة من راث بسبب ذلك الدرس المرتجل، والآن سكن الخوف في أفكاري مرة أخرى. لم تكن لديَّ أي فكرة عمن كان يستخدم ذلك الرمز من إخوته، ولم أكن متحمسة لمعرفة ذلك.

سألته: «هل هذا رمز إنفي؟». هز راث رأسه نافيًا. فسألته مجددًا: «هل يحتاج أي أحد من إخوتك إلى سنبلة قمح في تعويذة استدعائه؟».

«أعتقد أنك تقصدين ساق نبتة الشمر».

هززت رأسي نفيًا. لم أرد أن أعرف كيف استنتج ذلك من الرمز البدائي الموجود على الباب، لكن هذا وضع قطع اللغز معًا في ذهني. لقد رأيت هذا الرمز من قبل وقريبًا، لكن لم أتمكن من تذكُّر متى أو أين. ربما في مكان ما في المدينة بينما كنا نتجول في الشوارع. أو ربما في مذكرات فيتوريا؟ كان لديها الكثير من الرسومات والرموز الغريبة في الهوامش. ولم أنم إلا قليلًا، وقد أثرت الأيام القليلة الماضية على ذاكرتي، غير أنني بمجرد مغادرتنا ذلك المكان، سأعود مباشرة إلى المنزل وأقرأ دفتر اليوميات.

نظر إليَّ راث نظرة جانبية، وسألني: «هل تريدين رؤية ما في الداخل؟».

أنا بالتأكيد لم أرد ذلك. لم أستطع التخلص من شعور بطيء ومتنام بالخوف داخلي. وربما كان مجرد مصادفة أن انتهى بنا الأمر هنا، أو ربما كان ذلك جزءًا من خطة أكبر وأكثر شرًّا. وفي كلتا الحالتين، شعرت بأننا على وشك الدخول إلى عرين الأسد، وكنت مثل الظبي الذي يُقاد إلى الذبح. ابتلعت ريقي وأنا أجيبه: «نعم».

هز راث رأسه مرة واحدة قبل أن يفتح الباب لنا.

«كاذبة».

الثاني والثلاثون

دخلنا إلى غرفة كبيرة مليئة بالصناديق وفخاخ الصيد. وعلى الحائط تدلت حبال معلقة في مسامير صدئة. أصدرت الأرضيات الخشبية صريرًا عاليًا مع كل خطوة نخطوها، ولم أكن عادة عرضة للشعور بعدم الارتياح تجاه المباني، ولكن كان هناك شيء مقلق في ذلك المكان. وكان هناك طنين طفيف وغريب جعل أعصابي أكثر توترًا، كما تناثرت ذرات الغبار في ضوء القمر.

تمنيت أن نكون قد اكتفينا من التسبب في إحداث الكثير من الإزعاج حتى لا نجد بعض الشياطين في انتظارنا. ولم أرغب حقًا في مواجهة أي مخلوقات أخرى مثل ذلك الشيطان الميت في الخارج. ولم يبدُ راث متأثرًا وهو ما أزعجني. لقد سار عبر الغرفة باطمئنان من يعرف أنه المفترس الأكثر فتكًا. تفحص معدات الصيد، وركل مرساة صدئة كانت ملقاة بالقرب من مخرج خلفي.

قال: «يبدو أن هذا المكان لم يُستخدم منذ بعض الوقت».

«هل تعتقد أنها كانت مجرد مصادفة أن شيطان/بير قادني إلى هنا؟».

هز كتفيه وسألني: «هل يبدو أي شيء مألوفًا لكِ؟».

«أنا...»

نظرت في المكان حولي... شباك صيد، وحبال، وخطافات مختلفة بأشكال غريبة مثبتة على الحائط البعيد، وفخاخ سلكية. بدا كل شيء عاديًا... باستثناء ذلك الإحساس الذي لا أستطيع تسميته. شعرت بأن هناك شيئًا مألوفًا بطريقة ما. ومن ثم سرت ببطء في المكان، وتوقفت عند كل قطعة من معدات الصيد. يجب أن يكون هناك سبب لينتهي بنا الأمر هنا. وقد كنت قريبة جدًا من اكتشاف ذلك...

التقطت خطافًا صدئًا وتركته يسقط... كان عاديًا تمامًا.

زفرت بقوة، فأنا لم أرغب في إضاعة الوقت في لمس كل خطاف قديم. وبخاصة عندما يكون لديَّ دليل أفضل كثيرًا ينتظرني في المنزل في مذكرات فيتوريا. وعلى الرغم من ذلك، لم أستطع تهدئة ذلك الشعور بأن هناك ما يجذبني إلى ذلك المكان. درت بنظري في الغرفة مرة أخرى، ولكن لم يجذب شيء اهتمامي. ويبدو أنه لا علاقة بين هجوم ذلك الشيطان وهذا المبنى الفارغ.

سألني راث: «إذن؟ هل تعرفتِ على أي شيء؟».

لم أكن على يقين بأن أختي رسمت أي شيء باستثناء الرمز في يومياتها. هززت رأسي راغبة في الإسراع بالعودة إلى منزلي لأخذ يومياتها، وأجبته: «لا».

«جيد جدًا. لنعد إلى المنزل».

لم أشر إلى أن قصره المسروق والمدمر ليس بيتي، ولن يكون كذلك أبدًا.

بل قلت: «يجب أن أذهب لأحضر أغراضي. سوف ألتقي بك هناك قريبًا. ويجب عليك التخلص من ذلك الشيطان في الخارج».

قبل أن يتمكن من الاعتراض، خرجت من الباب، وتوجهت إلى منزلي.



استندت إلى باب غرفة نومي وتأملت الفوضى. تمزقت ألواح الأرضية وتكسرت فيما تناثرت شظايا خشبية على السجادة الصغيرة المعقودة التي غزلتها جدتي لي ولفيتوريا عندما كنا صغيرتين. طار الريش مع النسيم الذي يهب من النافذة الممزقة. لقد تعامل الشخص الذي فعل هذا بكثير من العنف مع مرتبتي.

قال راث إنه يجب دعوة أمراء الجحيم أولًا ليتمكنوا من دخول منازل البشر، ولكن، كما اكتشفت أخيرًا، لا تنطبق هذه القاعدة على جميع الشياطين. يبدو أن مخلوقات الطبقة الدنيا من الجحيم تفعل ما يحلو لها. لقد تجاوز شيطان الظلال سحر الحماية الخاص بنا، ودخل دون أي دعوة. ذكر راث أيضًا أن السحر لا يعمل عليهم بالطريقة نفسها التي يعمل بها على الكائنات البشرية؛ لذلك الأمر أكبر من تعويذات الحماية الخاصة بنا.

وهو شيء غير مريح.

دون أن أضطر إلى الدخول إلى الغرفة تمامًا، كنت أعرف أن مذكرات أختي قد اختفت منذ فترة طويلة، ومعها العديد من أسرارها. كان شيطان الظلال هو مرتكب هذه السرقة على الأرجح، وهو ما أعاد جريد إلى أعلى قائمة المشتبه بهم. لقد كان أمير الجحيم هذا هو الوحيد حتى الآن الذي أعرف أنه استخدمه لتنفيذ أوامره.

فكرت في تلك الليالي التي ظننت فيها أنني شعرت بشخص ما يراقبني وأنا أستغرق في النوم. كان الأمر مزعجًا ومقتحمًا لخصوصيتي، حيث أصبحت اللحظات الخاصة مشهدًا لأعين المتطفلين. وفي كل الأوقات التي كنت أرتدي فيها ملابسي، أو أشعر بالحزن. تلك العواطف الخالصة وغير المقيدة التي عبَّرت عنها لأنني اعتقدت أنني كنت وحدي. ألقيت نظرة من النافذة، وأنا أتساءل عما إذا كان هناك شخص ما الآن يشاهد هذا الرعب الأخير وهو يتكشف أمامه. فركت ذراعي محاولة التخلص من تلك القشعريرة المفاجئة. وإذا لم تكن غرفة نومي في الطابق الثاني،

وإذا لـم أضطر إلى السـير عبر بقية المنزل للوصـول إلى هنا، لظننت أن المـكان كله قد نهب، وبصرف النظر عن غرفة نومي المحطمة، فإن بقية منزلنـا لـم يُمس، وكذلك أفـراد عائلتي. بطريقـة ما، لا بـد أن جدتي لم تسـمع أي شـيء غيـر عـادي، لأنها كانت تغفو بسـلام في غرفـة نومها في الطابق السفلي. وكان الباقون في مطعمنا حتى ينتهوا من تقديم العشاء. هذا شيء يستحق الشكر.

ولكـي أريـح عقلـي قليـلًا، شـققت طريقي عبـر الحطام، ونظـرت إلى المـكان الذي اعتادت فيتوريا تخبئة أشـيائها به. مُزِّقت صفحات السـحر القديـم التـي أعدتها هنـاك بعد أن اسـتدعيت راث. وتحطمـت عطورها، واختفت رسائل الحب مع دفتر يومياتها.

تساقطت دموعي على الأرض، وشعرت بأنني أسقط أيضًـا. أنزلقُ بين الشـقوق، وأترك نفسـي للحزن مرة أخرى؛ أن أرى أشياء فيتوريا محطمة ومكسورة... كل شيء حدث بشكل مبالغ فيه.

عبـرت فوق بقايا مـا اعتبرناه ملاذنا الآمن، وانهرت على ما تبقى من سريري. هبطت المرتبة مع وزني، وبدا كل شيء في هذا العالم خطأً.

خـرج صوت بكاء قـوي على الرغم منـي، وكلما حاولـت مقاومته، خرج بكائي عن السـيطرة. كم كنت غبية أن أعتقد أنه لم يعد لديَّ ما أخسـره. لقـد جـاءت تلـك الشـياطين وأثبتت أننـي مخطئة في ذلك. حتـى لو قمت بإعادة تنظيم غرفتنا وتنظيفها، فلن تعود كما كانت مرة أخرى مطلقًا.

لقد دُمرت ممتلكات أختي وكل شيء كانت تحبه.

تلاشت فيتوريا أخيرًا من عالمي، والآن لم أكن متأكدة من أنني أعرف كيف أسـتمر. اسـتلقيت على جانبي، وأسندت ذقني إلى ركبتي وبكيت. لم أهتم فما إذا كان هناك شـيطان يراقبني. ولم أهتم إذا كان هناك صائد ساحرات، أو أمير جحيم، أو وحش بشري سادي يبتهج لآلامي. لقد فقدت شيئًا لن أستعيده أبدًا، وحزنت عليه.

لو كان شيطان *أبير* مجرد لمحة بسيطة مما سيأتي، لقضت مدينتي ليالي عديدة في البكاء على الأحباب الذين سيموتون. شعرت بالعجز الشديد... وبأنني ضائعة جدًّا ووحيدة. فكيف يمكنني إيقاف مثل هذه الكائنات القوية؟ بدا الوضع برمته ميئوسًا منه بشكل تام. وكنت أخدع نفسي باعتقاد أن لديَّ فرصة لحل جرائم القتل تلك وإنقاذ حياة الأخريات. أردت المساعدة، لكن ذلك لم يكن كافيًا. فعلت كل شيء، حتى لم يعد هناك شيء آخر للقيام به. لقد كرهت مدى تغير هذا العالم.

استغرق الأمر بعض الوقت، لكنني جففت دموعي أخيرًا. فقد سلب الشياطين حياة أختي، وسيستمرون في سلب الأرواح حتى يوقفهم أحد. فماذا لو لم يكن لديَّ كل الإجابات؟ سأفعل كل ما بوسعي لمنع أبواب الجحيم من أن تُفتح. لقد اكتفيت من كل ما حدث.

وقفت وقد اعتراني الغضب الجامح وذهبت وأحضرت قلمي ووعاء الحبر. كتبت رسالة سريعة لعائلتي، أخبرتهم فيها بأنني أحبهم، ووعدتهم بأنني سأكون بخير، لكنني لن أستطيع البقاء هنا بعد الآن. وتعهدت بالحفاظ على سلامتهم مهما حدث.

لن أخسر أي شخص آخر أحببته.

وسأستخدم السحر الأكثر سوادًا حرصًا على تحقيق ذلك.



سألت كلاوديا التي كان وجهها محمرًّا، وعيناها كانتا منتفختين: «كيف حالك؟».

«تفضلي بالدخول»، وفتحت باب منزلها فدخلت. كانت الستائر كلها مسدلة بإحكام، والشموع السوداء اللامعة تحترق وتومض على كل الأسطح تقريبًا، وقد فاحت منها رائحة فلفل. رأيت مذبحًا مليئًا بعظام الحيوانات وعناقيد الأعشاب المجففة، وقد وضعته فوق صندوق صغير

في غرفة الجلوس، وعلى الحائط خلفها كانت هناك مرآة مستندة إليه، تعكس ذلك المشهد الجنائزي. كدت أنسى أن فالنتينا المسكينة قد قُتلت.

بدا الأمر كأنه حدث منذ عام مضى، لا منذ يوم واحد فقط.

سألتها: «هل أنتِ بخير؟».

أتاني صوت كلاوديا هادئًا: «لست متأكدة. يسيطر عليَّ مزيج غريب من المشاعر»... أشارت إليَّ بالجلوس على أريكة رثة أمام مذبح الحداد. وأكملت قائلة: «في البداية، شعرت بأن شخصًا ما قد انتزع قلبي أيضًا. ثم شعرت بالخدر التام، والآن...». تنهدت وهزت رأسها، ولم ترد أن تنظر إلى عينيَّ.

«والآن، تريدين الانتقام».

نظرت إلى أعلى بحدة، وهي تمسح أنفها وتسأل: «وهل ذلك خطأ؟».

«لا، كنت أعتقد ذلك، لكن ليس بعد الآن». اعتدلت في جلستي وأمسكت بيديها، وسألتها: «هل لديك تعويذة قوية بما يكفي لقتل شيطان ما إذا ما حاول تخطيها؟».

ضغطت كلاوديا بيديها على يدي وهي تقول بجدية: «نعم».

«هل ستؤثر أيضًا في الشياطين غير المرئية؟».

«نعم».

«جيد، أريد منكِ أن تقومي بإلقاء واحدة حول منزلك على الفور، ومنزلي أيضًا إذا استطعتِ ذلك. فهل تحتاجين إلى الدم من أجل تلك التعويذة؟». أومأت برأسها وهي تنظر إلى أسفل. هذا ما ظننته. يتطلب السحر الأسود مقابلًا كهذا. تركت يديها لأشمِّر أحد الكمين الشفافين لقميصي، وأنا أقول لها: «سأحتاج فقط إلى سكين وقنينتين، والقليل من زيت اللافندر، وضمادة».

«إميليا، لا يمكنكِ...»

قاطعتها بحزم: «بلى يمكنني... أريد المساعدة بأي طريقة ممكنة».

«حسنًا». ثم وقفت صديقتي، وقد تبدل حزنها إلى شيء أكثر حدة وغضبًا... شيء أدركته في نفسي الآن أيضًا. وقالت: «سأحضر الخنجر».

الثالث والثلاثون

لم ينطق راث بكلمة واحدة عندما اقتحمت القصر الذي استولى عليه وصعدت الدرج. فكرت في أنه قد أحس بمشاعري الغاضبة، لكنه كان مهذبًا بما يكفي لكيلا يتدخل في الأمر.

في صمت أخذ يراقبني مكتفيًا بذلك، مع رفع حاجبه المزعج ذاك، وأنا أثبت الضمادة التي كانت على ذراعي وأختفي من أمامه. في الطابق الثالث، في نهاية رواق أنيق، وجدت غرفة مساحتها خمسة أضعاف حجم غرفة النوم التي كنت أتقاسمها مع فيتوريا.

ربما كان ينبغي لي أن أكرهها لكونها جميلة جدًّا؛ لكنني لم أستطع فعل ذلك.

كانت جدرانها زرقاء ثلجية ومزينة بستائر بلون أشعة الشمس وسرير بأربعة أعمدة - في المنتصف - يمكنني أن أتدحرج عليه ثلاث مرات على الأقل دون أن أسقط منه. وقد أُلحِق بالغرفة حمام مبلط به حوض استحمام أرضي عميق ومرآة طويلة، ومع أن بها بعض الشقوق، رأيت أنها ستفي بالغرض بالتأكيد.

ونظرًا إلى أن الفراش، وكذلك الستائر، يبدو جديدًا، ربما لا أكن وحدي مَن يتوقع أنني سأرغب في هذه الغرفة. أردت أن أشعر بالانزعاج لأن تخمين راث كان صحيحًا، لكنني كنت مرهقة، ولم أملك القدرة على الشعور بأي شيء، فقد كان يومًا رهيبًا وطويلًا.

أخرجت بطانيتي بنفسي، وفرشتها على السرير، ثم مسحت عليها بيدي. بعدها، رميت الوسادة فوقها، وعلى الرغم من أنها لم تكن بالشيء الكبير، فقد شعرت كأنني في بيتي. خاصة أن منزلي لم يعد يبدو كأنه بيتي بعد أن جرى غزو غرفتي وتدميرها. وقبل أن أبدأ البكاء مرة أخرى، ذهبت إلى الحمام وفتحت صنبور الماء.

بعد أن غسلت وجهي ونظفت شعري، قررت أن ما ينبغي لي فعله تاليًا هو أن أخلد قليلًا للنوم. دخلت غرفتي وتوقفت حيث رأيت راث وقد استلقى على سريري وإحدى ذراعيه فوق بطنه، والأخرى تحت رأسه.

حاول جاهدًا أن يبدو وضعه طبيعيًا، لكن حدة نظراته كشفت بجلاء مدى توتره. كان يرتدي ملابس سوداء مرة أخرى، فبدا كأنه من ذلك النوع من الرجال الذين يرتدون الملابس السوداء من رؤوسهم إلى أطراف أقدامهم. وتساءلت عمن اعتزم أن يضرب الليلة، نظرًا إلى سبب تفضيله ارتداء ذلك اللون كثيرًا، لأنه يخفي آثار الدماء.

سألني: «هل أنتِ بخير؟».

ضممت ذراعيَّ أمامي، وألقيت عليه نظرة خاوية وأنا أجيبه: «لا».

ضاقت عيناه، وركز انتباهه على ضمادتي.

وسألني مجددًا: «ماذا حدث؟».

رفعت كتفيَّ لأعلى علامة على أنني لست في مزاج جيد للإجابة عن أسئلته، لكنني أردت منه أن يجيب عن بعض أسئلتي؛ لذلك سألته: «يريد كل من جريد وإنفي قرني هاديس، ولا بد أنك تريدهما مثلهما. إذن، لماذا لم تأخذ هذا النصف مني؟».

لم يقع راث في فخي، لكن تعابير وجهه تصلبت مع لهجته وهو يسألني: «لماذا لا تطرحين السؤال الذي أنتِ مهتمة حقًّا بمعرفة إجابته؟».

قلت: «لقد سُرقت يوميات أختي.. قام شخص ما بتحطيم غرفتنا وتدمير أشيائها».

تأملني وهو يجيب: «وهل تعتقدين أن لي علاقة بالأمر؟ إنها ليست مجرد مذكرات، أليس كذلك؟».

أجبته وأنا أطلق زفيرًا في إحباط: «لا، لقد وضعت عليها تعويذة إغلاق باستخدام سحر شيطاني. وقد تمكنت من إبطالها، لكنني لم أحصل على الإجابات التي كنت أبحث عنها».

فكّر راث بهدوء في المعلومات التي شاركته إياها، وكان هذا بمنزلة اتفاقية سلام بعدما عاملته بجفاء في البداية، وقد بدا أنه فهم ذلك؛ فقال: «كان بإمكاني مساعدتك على إبطال تلك التعويذة لو طلبت مني ذلك».

سرت عبر الغرفة، وألقيت بنفسي على السرير بجواره، متجاهلة النظرة الغاضبة التي صوبها نحوي وهو يقفز في مكانه بسبب الحركة المفاجئة. كنت متعبة جدًا، ولم أرد سوى أن ينتهي ذلك اليوم. بعد أن عرفت أمر ضعف بوابات الجحيم، كانت أولويتي التالية هي العثور على تميمتي. فقط لو أنني أمتلك قرني هاديس معًا، فربما أتمكن من إغلاق البوابات قبل أن تهرب من خلالها أي شياطين أخرى، لكنني كنت بحاجة إلى الحصول على بعض النوم حتى أتمكن من التفكير بشكل صحيح. فسألته: «هل لدينا أي شيء ينبغي لنا القيام به الليلة؟».

«نعم».

«هل عقدت ساحرة أخرى صفقة مع برايد؟».

أومأ، وهو يجيبني: «إيزابيلا كريسي».

«متى نغادر؟».

«مع الغسق».

سحبت الوسادة من خلفه ووضعتها تحت رأسي، وأغمضت عيني. مرت ثلاثون ثانية من الصمت قبل أن يخزني بإصبعه في ضلوعي. فتحت عينًا وقلت له: «افعل ذلك مرة أخرى، وسوف أصفعك بتعويذة احتواء».

«ماذا تفعلين؟».

«أستعد للحرب... ابتعد عني الآن، هيا».

تمتم بشيء لم أفهمه، ولم أهتم بذلك. لم أكن أمزح على الإطلاق، فقد كنت بحاجة إلى الراحة واستعادة النشاط حتى أتمكن من العثور على تميمتي، ومن أجل الاستعداد لأي كابوس جهنمي آخر قد يحمله لي هذا المساء.



عندما استيقظت بعد عدة ساعات سعيدة، كان رات قد اختفى، ففي بعض الأحيان، خاصة عندما أكون مرهقة، أميل إلى التقلب والتحدث أثناء نومي، وقد اعتادت فيتوريا مضايقتي بلا توقف بشأن هذا الأمر، الذي كان محرجًا بما فيه الكفاية، ولكن كان من الممكن أن يكون محرجًا بشكل مؤلم لو حدث ذلك أمام الأمير الشيطاني.

جلست في السرير فسقطت البطانية التي وُضعت فوقي بعناية. ألقيت نظرة عليها، وقطبت ما بين حاجبي. كنت متأكدة تقريبًا من أنني سقطت نائمة فوقها.

ناديت: «مرحبًا؟».

نظرت حولي في الغرفة الصامتة الفارغة، لكن لم يكن رات مختبئًا في مكان ما، بل لم أكن أتوقع منه أن يفعل ذلك. استغرق الأمر مني لحظة لأدرك السبب. كانت السماء قد أظلمت تقريبًا في الخارج، بينما قال إن علينا المغادرة عند الغسق. قفزت من السرير، وهبطت الدرج وأنا أصرخ باسم ذلك الشيطان.

كان كل شيء ساكنًا مثل سراديب الموتى.

«يا للهول»، لقد تركني ذلك الأمير الذي لا رجاء فيه ليذهب إلى الساحرة ويتحدث معها بمفرده. تجولت في أرجاء القصر الفارغ وأنا أشعر بالغضب. كان يجب أن يوقظني، فأنا لديَّ الحق مثله تمامًا في أن

أكون هناك، وهو يتحدث مع إيزابيلا. من الواضح أن راث لم يكن يريدني أن أثنيها عن قبول صفقة الشيطان. يا لنا من شريكين مخلصين أحدنا للآخر! كنت غاضبة جدًا لدرجة أنني أردت الصراخ.

بعد اليوم الذي أمضيته، كنت بحاجة إلى إفراغ طاقة ذلك الإحباط الذي تملّك مني. لم أستطع الجلوس في انتظار أن يقوم شخص آخر بحركة ما. خاصة الآن بعد أن شعرت بعقارب الساعة الخفية وهي تدق، وتدق، وتدق.. لينتهي الوقت المتبقي قبل أن تتحطم بوابات الجحيم تمامًا. لم أستطع إضاعة طاقتي في الشعور بالغضب. كان عليَّ أن أخرج لأرى إن كان بإمكاني العثور على تميمتي. عدت إلى غرفتي ولاحظت فستانًا ملفوفًا فوق كرسي في الزاوية.

التقطته... كان لونه أسود تتخلله خيوط ذهبية على صدره، تمامًا مثل صفحات كتاب السحر القديم التي استخدمتها لاستدعاء راث. كما طُرِز بثعابين صغيرة، حتى إن كلمة رائع لن تتمكن من وصف مع رأيته.

قلت: «يا له من لعين»، فقط الأحمق هو من يظن أن فستانًا جميلًا كهذا سيجعلني أسامحه لأنه أخلف وعده لي.

ارتديته على أي حال، فهو يناسب احتياجاتي لهذه الليلة.

همست بدعاء ما، وتمنيت أن أحظى بالقليل من الحظ.



لم أكن أعرف إلى أين يجب أن أذهب، لكنني تمسكت بتميمة أختي وتتبعت حدسي. لقد نجح الأمر عندما كنت بحاجة إلى العثور على وكر اللعب الخاص بجريد؛ لذلك قررت أن أفكر في تميمتي وأرى ما سيحدث، ولم أكن متأكدة مما كنت أشعر به الآن، لكنني تتبعت حدسي، وقد ظل يزداد قوة.

سرت في شوارع شديدة الانحدار فوق التلال، وتوقفت أخيرًا لأنظر إلى البحر. كانت قوارب الصيد متعددة الألوان تتمايل قبالة الشاطئ.

كان كل شيء ينعم بالسلام والهدوء، ولم يكن لديَّ أي سبب يمنعني من الإعجاب بالعالم البشري الذي لم أعد جزءًا منه... على أي حال، أنا لم أنتمِ إليه حقًّا، ولكن قبل كل هذا، كان بإمكاني على الأقل التظاهر بأنني أفعل.

تقدمت بضع خطوات عبر الجرف، وتوقف الهمس الذي كان يناديني. عدت مرة أخرى من الطريق الذي جئت منه. وتجولت بعينيَّ في المنطقة، وراقبت النار التي بدأت تتوهج تحتي. يوجد شيء هنا، وقد أرادني السحر أن أعثر عليه. بدأت مجموعة من الناس التجمع في خليج صغير يقع في مساحة بين منحدرين شاهقين، لكنني لم أستطع رؤية معظمهم. كانت ليلة جميلة لإقامة حفل على شاطئ البحر. حسدت أولئك البشر هناك لجهلهم بكل مخلوقات الليل.

أمسكت بتميمة فيتوريا في قبضتي، وأغمضت عينيَّ، وأمرت إياها بصمت أن تقودني إلى مكان تميمتي. لم يكن هناك وقت للحفلات أو قضاء وقت ممتع. رفعت قدمي لأبدأ من جديد، لكن شيئًا ما لم يسمح لي بالحركة.

فتحت عينيَّ ونظرت إلى الحفلة. لو كانت أختي على قيد الحياة، لانضمت إليهم هناك لترقص. أكاد أتخيلها هناك الآن، وهي تتمايل وتضحك. وترفع ذراعيها لأعلى تجاه القمر المكتمل. أردتها أن تكون هنا بشدة لدرجة أن عينيَّ امتلأتا بالدموع. تركت تميمتها من يدي وأخذت نفسًا عميقًا. كانت فيتوريا ستجرني إلى هناك لأرقص وأشرب وأعيش.

والآن، ماتت، وهأنذا أقف هنا وحدي.

ملأ عروقي سحر قوي ومتلألئ. لم أشعر بمثل هذا الغضب منذ فترة. وربما كان ذلك الغضب الشديد هو ما جعلني أقرر أن أنسى أمر العثور على تميمتي. إن هناك اثنتي عشرة عائلة ساحرات أخرى تعيش سرًّا في

باليرمو. ويمكن لأي منها أن تحاول منع الشياطين من غزو عالمنا. ومع ذلك، لم تفعل أي منها شيئًا. ربما سأصبح مثل أختي. كنت سأرقص وأضحك وأنسى أن العالم مكان وحيد ومخيف بضع ساعات. ستظل الكوابيس موجودة وسأحاربها غدًا، وستظل هناك معارك أخرى يجب خوضها. أما الليلة، فقد أردت أن أتظاهر بأن الأمور طبيعية.

حتى لو كانت كذبة؛ بدا الجميع راضيًا بالعيش في عالم خيالي. لا يمكنهم إلقاء اللوم عليَّ لرغبتي في تجربة ذلك مدة ساعة أيضًا. ومن يعلم؟ ربما لو وجدت طريقة للتخلص من بعض التوتر سأصبح قادرة على التفكير بشكل أكثر وضوحًا.

اتخذت القرار، وتتبعت الطريق الضيق شديد الانحدار متجهة إلى الشاطئ وأصوات الفرح. مررت أصابعي على الخشب الطويل، وأخذت خطوات حذرة إلى أسفل السلالم المنحوتة في الصخر.

وعلى بعد، سمعت نفخ الصيادين في أبواقهم المصنوعة من الصدف. وهمس البحر، الذي كان ناعمًا وقويًّا في الوقت نفسه. ضربت الأمواج الشاطئ، وارتفع نعيق النوارس. وتتبعتني الهمسات، وسخرت مني بعيدًا عن مرمى السمع.

شعرت بأن صرخات محذرة تتعالى في أعماقي داخلي.

كنت غارقة في أفكاري، ولم أنتبه إلى الإشارات. اجتاحني شعور غامر بالخوف عندما لمست قدماي الرمال، ولكن الأوان قد فات.

وصلت بالفعل إلى النار المشتعلة.

الرابع والثلاثون

يجب أن تعقد طقوس «ابنة القمر» مع كل اكتمال للقمر. للتخلص مما لم تعودي ترغبين فيه، ستحتاجين إلى شمعة زرقاء شاحبة، ووعاء من الماء، وقلم، وورقة، وحفنة من المريمية لحرقها.

– ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

بدا الأمر بريئًا في البداية، كما لو أن المتعة قد تجسدت شكلًا بشريًا، ومسحت بإصبع بارد ظهري إلى أسفل عمودي الفقري، ثم رسمت دوائر صغيرة على بشرتي المتوردة. رفعت ذراعي وتقوس ظهري استجابة لذلك الشعور، وقد ملأتني سعادة، نقية، مشعة، ومستنزفة تمامًا.

إذا كنت قد شعرت بالغضب قبل لحظة وأنا أقف أعلى المنحدر، فقد أصبحت ذكراه منسية في اللحظة التي سرت فيها على الرمال. إذا كنت قلقة بشأن غزو الشياطين، فأنا لم أعد أستطيع تذكر السبب، فكل ما أعرفه الآن هو النعيم.

كنت ممتلئة بالسعادة لدرجة أنني لم أرد سوى أن أرقص؛ أن أحرِّك جسدي وأشعر بجسد آخر يتحرك في الوقت نفسه معي. أردت أن أرقص بشكل إيقاعي، بهيج، بلا قيود. وكما لو أن رغبتي قد استدعت شريكًا لي في الرقص، تحسست أيادٍ غير مرئية جسدي.

شهقت عندما حدث ذلك، لكنني لم أصفع ذلك الشريك الجريء، فلقد أعطاني ما أردت في اللحظة التي خطرت فيها الفكرة في ذهني، وأنا *أحب ذلك*.

ارتفع صوت الموسيقى وتعالى معها صوت الضحك في كل مكان. كان الإيقاع هو الحياة، وقد زادني إثارة، وأيقظ غرائزي السحرية الأكثر بدائية. تحركت دون تفكير، ووهبت نفسي تمامًا للطبيعة وحواسي. ابتعدت عن شريكي الخفي في الرقص، وتطايرت تنورتي وشعري حولي.

ذكّرني فستان الثعبان والجذور الذي ارتديته سابقًا بالبرية، ألقيت رأسي إلى الخلف وتشبعت بأشعة الشمس المحتضرة. ربما غادرت روحي جسدي، وغدت مثل سحابة. لقد كان شعورًا جيدًا جدًّا أن تكون حرًّا، وأن تتحرك وتنسى. هنا، بالقرب من النار المشتعلة والراقصين غير المرئيين، لم أفكر في جرائم القتل، أو اللعنات، أو مخلوقات العالم السفلي، أو قرني الشيطان.

لم أفكر في التميمتين واليوميات المسروقة.

جعلني الرقص هنا على الشاطئ أعرف السلام والفرح والسرور. لم أكن بحاجة إلى القلق بشأن أي شيء. ويمكنني أن أبقى هنا، أنتقل من إحساس جيد إلى آخر، إلى الأبد. كان قادمًا من أجلي... ملكي... ولعنتي. لا أعرف كيف عرفت أنه قادم، لكنني عرفت.

توازن.. النور والظلام.. الشمس والقمر.. الخير والشر.. ثعبان متعرج يخرج من بين الزهور البرية، مقدمًا لي الفاكهة الملعونة. انقلبت موازين العدالة؛ كان اختيارًا عليَّ أن أتخذه لتصحيح الخطأ، أو فلتحل اللعنة علينا جميعًا.

صرخ صوت بعيد محذرًا إياي بأن هذا كان خطأً *فادحًا*، لكنه أُسكِت بينما اجتاحت الموسيقى والحركة المكان من حولي، ومن خلالي. أصبحت الهمسات أعلى وأكثر جنونًا، لكنني تجاهلتها.

لا بد أنني خلعت صندلي، ولامست قدماي الرمال الدافئة، وغمرني الإحساس بها. كان كل شيء على *ما يرام*. وكان كل شيء شديد القوة. وكأن كل مستشعرات المتعة لديَّ قد ازدادت قوتها مائة مرة عن المعدل الطبيعي، ولم أكن أعلم أنني قادرة على *الشعور* بكل هذا.

تلوت أصابع قدميَّ، وضحكت عندما انزلقت حبات الرمال بينها، ودغدغتني. أعطاني شخص ما كأسًا من الشراب، فصببت ما به في جوفي فورًا. كان طعمه حلوًا وقويًّا... كتفاح مغمور بالعسل ومبارك بالنجوم. لقد كان من أكثر الأشياء اللذيذة التي تناولتها على الإطلاق. كانت فيتوريا ستحب ذلك. شربت أكثر، ربما لأنسى، وربما لأنني اردت ذلك.

ثم اختفت الكأس وشُدِدْت إلى رقصة أخرى.

أردت أن أبقى هنا إلى الأبد، ضائعة في تلك المشاعر الجيدة. شعرت بأن هذا ما يحدث. هنا، لم يكن عليَّ أن أشعر بالحزن، ولم يكن عليَّ أن أحزن. هنا أستطيع أن أعيش ببساطة.

مرت دقائق، ربما ساعات أو أيام؛ فلم يعنِ الوقت لي أي شيء. تحركت وتمايلت، وأغمضت عينيَّ، واستمعت إلى أصوات الماء الساحرة، وهمهمات الأصوات التي تخص أشخاصًا لم أستطع رؤيتهم. أصبحت تلك الأيدي الخفية مستكشفة وجريئة، ترسم خريطة لجسدي، وانزلقت إلى الأسفل...

همس لي صوت غريب: «*تذكري*»... ثم قال باللاتينية: «كما بالأسفل كما بالأعلى».

كانت ذكرى مدفونة هناك، داخل عقلي.

اخترق شيء ما ذراعي، كان باردًا وحادًّا، فأخرجني من تلك الغيبوبة. فتحت عينيَّ على وسعهما. نشب الخوف بمخالبه الباردة داخلي مرة أخرى، ولكنه اختفى بالسرعة نفسها. حلت النشوة محله، والحرية الكاملة التامة من كل فكر. أحببت ذلك؛ أن أغرق في أعماق شرنقة النسيان.

ثم رأيته.

كان يركض عبر الشاطئ المزدحم مثل النصل، وغضبه يشعل ذلك الفرح الهادئ. اختفى شريكي غير المرئي في الرقص، لكنني بالكاد لاحظت ذلك. كان هناك مخلوق أكثر إثارة للاهتمام يقترب مني، كان الأكثر رعبًا ووحشية. بشكل ما، شعرت بأنني يجب أن أهرب منه في الاتجاه الآخر... إنه وحش مفترس وأنا كنت الشاة، التي تقترب من الخطر. ووسط تلك المجموعة من ظلال البشر، كان مضيئًا.. كان الوحيد الذي لم يكن مخفيًا.

فكرت في النار، وفي أعمدة الدخان واللهب الذي يلعق الهواء. ما جعلني أفكر فيه، وهل هو على قدر القوة التي تشع منه. دقت الطبول. وتسارعت دقات قلبي. كنت أرغب في تجربة المتعة على جميع المستويات.

كنت أرغب في تعويذة لتعبئة هذا الشعور والارتشاف منه متى شئت.

كان السحر هو الحياة، وكانت الحياة قائمة على الحب والشعور بالارتواء منه. حاولت أجسادنا باستمرار تذكيرنا بالحياة. لقد أمضيت الأسابيع العديدة الماضية مستغرقة تمامًا في الموت والدمار، وكنت بحاجة إلى التوازن. لقد استحققت ذلك... كما بالأسفل كما بالأعلى.

توقف أمامي، وتعبير حذر مرتسم على وجهه، وقال: «حان وقت الرحيل أيتها الساحرة».

لا، لم يحن. استدرت بعيدًا عنه، لكنه أمسك بيدي وأعادني إلى الخلف حتى اصطدمت بجسده، فشعت الحرارة من جسده، وأحاطت بي. اجتاحني شعور غريب بأنني يجب أن أكره ذلك. قلت: «مرحبًا أيها الشيطان، فلنرقص».

«أنتِ بحاجة إلى الخروج من هنا. في الحال».

«لماذا؟».

«لأنكِ تمزقين ملابسكِ ويبدو أنكِ لن تكتفي».

نظرت إلى الأسفل، وضحكت من المفاجأة. كنت أحاول فك مشد الصدر، لكنه أوقف محاولتي تلك. غطت يده الموشومة يدي. فنظرت إليه، وقطبت ما بين حاجبي، وسألته: «أتخشى ما ستراه؟».

«سبق أن فعلت».

«و...؟».

«إذا كنتِ لا تزالين ترغبين في تكملة ما تفعلينه عندما نعود إلى المنزل، يمكننا مناقشة الأمر حينها».

أطفأ إحساس بارد مفاجئ على ذراعي نيران الرغبة، لكنها عادت بقوة شديدة. توقفت وركزت عليه هو. ومددت يدي نحوه، فتراجع متفاديًا إياي. لقد كان مخلوقًا صعب المراس حقًا. وبدلًا من ذلك، وضعت يديّ عليه وحركتهما. وشعرت بقوته تتدفق تحت جلده، مستجيبة لي، كانت تصيبني بالثمالة.

«بالنظر إلى التجسيد الحي للخطيئة، فأنت لست محبًا لها كما هو متوقع».

جذبته إليَّ، فدقت الطبول. تزايد الشغف. أغمض عينيه. فاقتربت منه أكثر، لم يمنعني هذه المرة، بل سارت الموسيقى أعلى. درت وأنا أرقص تلقائيًا، أردت منه أن يحملني بين ذراعيه لنرقص عبر السماء.

لكن ذلك الشيطان العنيد لم يتحرك.

سألته: «لماذا لا تسايرني؟»، فنظر إليَّ بثبات. فإذا كان يحاول إيقافي بفعله هذا، فهو لم يكن ناجحًا. فتح عينيه، فأذهلني جمالهما. سألته: «هل لأنني ساحرة؟».

حرَّك يده الكبيرة إلى أسفل ذراعي، وملت ناحيته وانتظرت. وفي أعماق ذهني، تذكرته وهو يقول إنني يومًا ما سأتوسل إليه لكي أعانقه. إنني لا أحبه ولا أكرهه، لكنني لا أزال أتوق إليه. ولم يكن مخطئًا. أنا أكرهه... لأنه يحرمني ما أريد الآن. كان الترقب يتزايد إلى حد مؤلم

تقريبًا، وعندما سحب يديه أخيرًا ليمسك معصمي، وبدلًا من أن يقترب مني، دفعني بلطف إلى الخلف مسافة ذراع منه.

قال وهو ينظر من فوق كتفي، وتعبير غامض يكتنفه: «هناك العديد من الأسباب، أحدها لأنك تحت تأثير أخي، لاست، أمير الشهوة».

دفعني شعور بالفضول المتحمس إلى أن ألتفت ببطء، فقد أحرقت الرغبة كل فكرة واعية داخلي، وكان أمير الشهوة ذا بشرة ذهبية وشعر داكن، وله جسد ربما ألهم مايكل أنجلو في نحته. شعرت *بانجذاب* شديد نحوه، واشتقت إلى جذب انتباهه بقدر ما اشتقت إلى قربه.

قال: «مرحبًا سينيورينا دي كارلو. أنت لذيذة للغاية، ألستِ كذلك؟».

كان صوته غريبًا... امتزجت فيه المتعة بالألم. وشعرت بالسعادة والخوف. ومن ثم وخز الجليد ذراعي؛ ذلك الشعور المستمر الذي ظل يطاردني. لقد جعل تلك المشاعر متبلدة فترة كافية حتى لا أتمكن من أن أدرك حجم الرعب الذي كنت أمر به؛ أيًا ما كان يفعله بي.

استخدم لاست تأثيره عليَّ، وقد كان أسوأ من إنفي بمراحل، فقد جعلني أشعر بأنني في حالة جيدة جدًّا، وسعيدة جدًّا لدرجة أنني نسيت من أنا، وماذا أردت، وما كرهته أكثر من أي شيء - ربما لم أنسَ كراهيتي تمامًا - هو أنني لم أعد أهتم. لقد حطمت تلك النيران العاطفية تفكيري الواعي، وسيطرت عليَّ مرة أخرى حاجة حيوانية خالصة. سيطرت عليَّ شهوة للحياة، للمتعة، لـ...

دار الأمير الشيطاني حولي. وكان يرتدي سترة فضية مفكوكة الأزرار - دون قميص تحتها - وسروالًا مطابقًا جعله جذابًا للغاية لدرجة أنني شعرت بأنني سأموت. كما استقرت فوق رأسه دائرة من النيران. وكانت عيناه سوداوين كالفحم.. تخترقانني. ورأيت فيهما هاوية لا نهاية لها من الرغبة. وأردت أن ألقي بنفسي فيها.

بدأت التحرك نحوه، لكنَّ أحدًا ما أمسك بي من خصري. توقفت عن محاولة الهرب، وركزت بدلًا من ذلك على الدفء الذي كان خلفي، ذلك الجسد الصلب، القوة، وكدت أنسى كم كنت أريده هو.

لا بد أن لاست قد أحس بمشاعري المتغيرة، فقد نقل نظره مني إلى أخيه، وبدا أن تعبيرًا غير مفهوم ارتسم على وجهه. بدأ يتحدث، لكنني كنت مشتتة بسبب الكثير من الأحاسيس.. صوته، والنسيم الدافئ، ورائحة راث، وملمس ذراعيه القويتين وهو يثبتني بهما في مكاني. استمر لاست في الحديث، فحاول ذهني التركيز على كلماته، وليس على شكل شفتيه.

اقترب من المكان الذي وقفنا فيه، كانت ذراعا راث عبارة عن أشرطة من الفولاذ تحيط بي. سألني: «هل تعرفين ما يعنيه ذلك أيتها الساحرة؟»، عقدت حاجبيَّ معًا، وبدت ابتسامته كأنها من صُنع كوابيس جميلة... «اذهبي، ارقصي. استمتعي بالحفلة. إنها دورة تدريبية قبل عيد الذئب».

هبت نحوي رائحة مألوفة، تناديني، الخزامى والمريمية البيضاء، فيتوريا! لقد كانت هنا... وإذا ذهبت ناحيتها، فسأجد...

توقفي، همس الصوت نفسه في رأسي. لقد كانت خدعة، لقد ماتت فيتوريا.

«لا».

أذهلني رفضي بقدر ما أذهل لاست، لقد تحول تعبيره من الرغبة إلى الغضب.

أخذ يضغط أصابعه فتطقطق، واختفى تأثيره عليَّ.. ارتجفت ركبتاي، ولو لم يكن راث ممسكًا بي لسقطت. انتزعت فجأة كل مشاعر السعادة والنعيم التي شعرت بها، وتركتني خاوية أرتجف... وتدفق الرعب في عروقي. ما الذي فعل؟ تلك الأشياء التي شعرت بها. أردت أن أمزق جلدي، أو ربما أردت أن أغرس أظافري فيه هو، ذلك المخلوق الذي

انتهك مشاعري، الذي جعلني أنسى، وأشعر بالرغبة في أشياء يجب أن أخافها. فجأة، ملت إلى الأمام، وتقيأت الشراب الذي كنت تناولته. ومع ذلك، لم يتركني راث.

سأله بصوته هادئ ومنخفض: «لماذا أنت هنا؟»... وسرت رعشة باردة أسفل عمودي الفقري.

«لأبلغك برسالة يا أخي العزيز، أنت مطلوب في الجحيم، في الحال». ثم نقل إليَّ نظرته الحادة وهو يكمل قائلًا: «لا تقلق، سأراقب صديقتك الصغيرة. فلديَّ الكثير لأقوله لها.. قصص عن الشياطين والساحرات.. الأشرار والأبطال.. اللعنات وانتقام الملك».

قلت: «لا». أمسكت بساعد راث بقوة لدرجة أن أصابعي تركت أثرًا به، «أر... أرجوك».

لا أعرف ما إذا كان ذلك بسبب الطريقة التي خرج بها صوتي منكسرًا، أم ما إذا كان ينتظر الفرصة لأسبابه الخاصة، لكن في لحظة حملني راث بين ذراعيه، وفي اللحظة التالية كنت خلفه وخنجره مفروز عميقًا في صدر لاست. صدر صوت عظام تتكسر، وقام بلف الخنجر لأعلى، وتدفق الدم الداكن من الجرح.

قال راث: «لا تعد إلى هنا مرة أخرى. سأعود إلى الجحيم عندما أجد نفسي مستعدًا لذلك». انتزع الخنجر ومسحه في سرواله. وانتظر، ثم قال: «أراك في الجحيم يا أخي».

لم أكن متأكدة مما أزعجني أكثر؛ اللا مبالاة على وجه راث وهو يشاهد شقيقه يموت، أم إتقانه هجومه الوحشي ذاك.

كنت أعرف أنه كان خطيرًا، ولكن رؤيته...

سعل لاست، ونظر إلى جرحه المميت. واختفى فجأة. اختفى تمامًا عن الأنظار، كأنه لم يكن هنا من قبل.

انهرت على الشاطئ، وأنا أحدق إلى المساحة التي كان يشغلها الأمير الشيطاني، وسالت الدموع على وجهي. تقيأت مرة أخرى بينما راقبني

راث دون أن يبدو على وجهه أي تعبير. بعد أن توقفت عن التقيؤ، جثا بجانبي، ولم أستطع أن أحمل نفسي على النظر في عينيه، وسألته: «هل مات؟».

«لا، التعرض لشيء كهذا بمثل ذلك الخنجر يعيده فقط إلى عالمنا. لقد عاد إلى المملكة، ولن يتمكن من استخدام قواه فترة من الوقت».

يالها من نعمة صغيرة وسط تلك اللعنة، قلت: «جيد».

ناولني راث قطعة من القماش لأمسح بها وجهي. لا أعرف من أين أخرجها، ولم أهتم. قال: «يأخذ لاست المشاعر الممتعة التي لديك ويضخّمها، ربما تشعرين بالفراغ الآن. تصوري أن الأمر كالبئر، تأثيره يستنزف المتوافر سريعًا، وفي حين كنت تشعرين بالسعادة منذ قليل، سيتحول الأمر إلى النقيض التام. وهو جحيم في حد ذاته.. أن تمنح شخصًا ما متعة مطلقة فقط لتنتزعها منه قبل أن يستوعبها تمامًا. وإذا تعرض شخص ما لذلك بشكل مكثف، فربما يدفعه الأمر إلى الجنون. ستتحسن حالتكِ قريبًا على أي حال».

قبضت يديَّ على جانبيَّ، وقلت: «لم يكن لـ... ليجعلني...»

هز راث رأسه وهو يجيبني: «لا».

«لكنني شعرت بأن هناك أيادي غير مرئية». ولم أنسَ أيضًا محاولتي بكل الطرق أن أخلع ملابسي أمام راث، أو كم كنت أريده أن يقترب مني.

«إن ما أظهرتِه من رغبة، كان يخصك ولم يزرعه داخلكِ أي شخص أو أي شيء آخر».

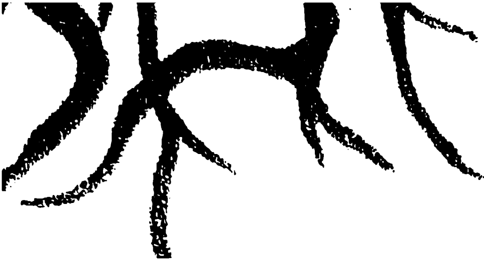
لم تكن هناك أي تعزية لي فيما قاله. ربما لم يقم لاست بانتهاكي جسديًا، لكن التلاعب بالمشاعر كان بالقدر نفسه من السوء. لقد تلاعب بالخير حتى حوَّله إلى شر. وكان راث محقًّا، لقد شعرت بأنني تحطمت، وكأنني كنت أحلق عاليًا، ثم توقفت الرياح فجأة فسقطت وغرقت في أعماق البحر المتجمدة في الأسفل.. إلى هاوية واسعة من اللا شيء وقد ابتلعتني.

كنت أرغب في الاستلقاء على الأرض والنوم إلى الأبد، ولم أهتم بكل ما حولي، سواء باللعنة، أو بالشعور المزعج بأنني عرفت شيئًا مهمًا. لم أعد أشعر بالقلق بشأن مقتل أختي، أو بالرغبة في الانتقام.. لم يعد شيء يهم.

ولا بد أنني قد قلت هذا الجزء الأخير بصوت عالٍ.

مد راث يده التي لم تزل ملطخة بآثار دماء وبخفة لمس رقبتي. في المكان نفسه الذي اعتقدت أنه قد لمسني فيه الليلة التي أنقذني فيها من الأفعى... ارتجفت، فأبعد يده.

قال: «*تحلي بالقوة*، سرعان ما سيعود كل شيء ليصبح مهمًا عما قريب».



الخامس والثلاثون

بقيت على هذه الحال مدة أسبوع. وبالكاد لاحظت مرور الوقت. بقيت في السرير بعيدًا عن ضوء الشمس، ورفضت الاستحمام. لم تكن لديَّ الطاقة الكافية، ولم أهتم، ولم أزر عائلتي أو المطعم. ولم أبحث عن تميمتي، ولم أفكر في بوابات الجحيم. بالكاد نمت، وعندما فعلت، ظللت أسمع صوتًا غريبًا، وعندما استيقظت، نسيت الرسالة العاجلة التي أخبرني بها الصوت.

لم أهتم، إذ لم يكن الأمر مهمًا.

شعرت بأن العالم ينهار من حولي، وأحيانًا كنت ألهث لما بدا كأنه ساعات طويلة، كنت غير قادرة على استنشاق ما يكفيني من الهواء، وقد آلمتني الحياة. اختفى كل ما هو ممتع بها. نسيت أي شيء كان له معنى في السابق... وأصبح مدفونًا عميقًا في فراغ لم أتمكن من اختراقه، وكانت أختي قد غدت ذكرى بعيدة. ولأن انتقامي كان متجذرًا في حبي لها وفي ذكراها، فمن ثم لم يبق لي شيء منه أيضًا.

إذا كان راث غاضبًا أو منزعجًا بسبب عدم قدرتي على التخلص من آثار قوى أخيه، فهو لم يُظهر ذلك. وعلى الأقل ليس بالطرق التي توقعتها منه.

لم يكن دائمًا في أفضل حالاته وهو يعتني بي. ومع ذلك لم يكن بعيدًا عني مطلقًا؛ كان يتجول دائمًا بالقرب من غرفتي في ذلك القصر القديم. أحيانًا، عندما كنت أدخل في تلك الحالة الضبابية بين النوم

واليقظة، كنت ألمحه جالسًا على كرسي بجانب سريري، شعره غير مشذب وملابسه مجعدة. ذات مرة، اعتقدت أنه أمسك بيدي، ولكن عندما استيقظت خارجة من هذا الضباب الذي لا يمكن اختراقه، وجدت أنه قد رحل. كان يحضر الطعام ثلاث مرات في اليوم، وعندما أرفض تناوله، يجلس محدقًا إليَّ حتى أتناوله. كانت مقاومته تتطلب طاقة، وأنا لم أملك تلك الطاقة؛ لذلك أكلت.

أحيانًا، كنت أحدق إلى الخطوط الدقيقة لوشمه. وعن قرب، كان الثعبان الذي يبدأ من يده اليمنى ويلتف حول كتفه بمنزلة تحفة فنية، فكل حرشفة كانت تلمع. ولم يكن لونه ذهبيًّا فقط، بل كانت هناك ألوان من الفضة والفحم.. كألوان الظلال والنور. حدقت إليه دون أدنى تعبير، بينما أحضر لي وجبتي التالية. تساءلت عما إذا كانت الوشوم المتطابقة لدينا ستتطور بتفاصيل معقدة بمرور الوقت، ثم توقفت عن الاهتمام.

مد لي يده بالمزيد من الطعام.

حبات من العنب الأحمر الكبيرة، كتل من الجبن الصلب، حليب دافئ محلى بالعسل والبهارات، شرائح اللحم المجفف والمملح وأشياء أخرى توقفت عن الاهتمام بها. لقد كان صيادًا عظيمًا يجلب غنائم الحرب إلى المنزل، وتساءلت متى سيستسلم ويتركني في حالي.

قال: «عندما تبدئين بالقيام بكل ذلك بنفسك».

لم أعِ أنني ألقيت ذلك السؤال بصوت عالٍ. ولم أهتم بما إذا كان قد قرأ أفكاري. دفعت العنب بعيدًا، ونمت على جانبي الآخر، وبدأ العالم من حولي يتلاشى.

في مكان ما، على مسافة بعيدة، أعتقد أنني سمعت راث يتحدث، وكان يحكي لي قصة عن ساحرة ما. في أحد الأيام، انتزع قلبها منها، ليس جسديًّا، بل عاطفيًّا. امتلأ الفراغ الذي خلَّفه قلبها فقط عندما خرجت للبحث عن الانتقام، ومع ذلك لم يتركها حزنها. وعندما كانت على وشك اكتشاف بعض الأسرار المنسية منذ فترة طويلة، التقت بأمير

مريع. استمتع ذلك الأمير بأخذ السعادة القليلة التي تعلقت بها، وتركها خاوية وواهنة.

ركزت مع صوت راث، ولم أهتم بالقصة، فأنا أعرف نهايتها.

لقد رحلت فيتوريا، كنت أحارب الحزن على خسارتها بكل ما أملك، وأتمسك بسعيي لتحقيق العدالة كما لو كان هو صلتي الوحيدة بالعالم.

والآن، وبعد أن اختفت إرادتي في التشبث به، لم يتبقَّ لي شيء.



فرغ صبره بعد أسبوعين. وفي صباح أحد الأيام - أو في المساء - كنت قد توقفت عن الانتباه - انتشلني من السرير، وألقى بي في حوض الاستحمام، بملابسي وكل شيء. جلست في المياه وأنا أبعد شعري عن وجهي، وأحدق بغضب إلى ذلك الشيطان، لكنه بادلني النظرات الغاضبة.

سألته: «هل فقدت صوابك اللعـ...»

لم أكمل توبيخي عندما استوعبت المشهد الغريب حولنا.

كانت الشموع الموضوعة على شكل دائرة على الأرض تقطر دموعًا شمعية، ولهبها يتوهج بلطف مقابل الظلام في الخارج. لم أستطع معرفة ما إذا كان الوقت غسقًا أم فجرًا. وكانت النوافذ مفتوحة، ما سمح للهواء النقي بالدخول إلى الحمام. في مرحلة ما، خلال فترة النقاهة، كان راث قد علّق ستائر غطت النوافذ تمامًا. رفرفت الستائر الجميلة في مهب الريح.

يبدو أنه جدد الديكور هنا أيضًا.

كان هناك خط من الرمال يحيط بالحوض مع العشرات من أزهار البرتقال العطرية والبلوميريا.. وهي زهوري المفضلة. وجهت نظري إليه في اتهام، وسألته: «ما هذا؟».

أجابني: «أشياء تعبر عن كل عنصر»، وأومأ برأسه إلى هذه الأشياء... وأكمل: «الأرض، والهواء، والنار، والماء. أظن أنني لست بحاجة إلى مزيد من التوضيح».

هذا صحيح، فأنا كنت أعرف بالضبط ما يعنيه، لقد كانت تقديمات للمساعدة على إخراج ابنة القمر من الظلام. نظرت حول الغرفة مرة أخرى، وهدأ نبضي. كانت إضافة أزهار البرتقال والبلوميريا مبالغة منه بعض الشيء، وكان من الممكن أن يكون الرمل كافيًا بالنسبة إلى الجزء الأرضي من الطقوس، لكنني لم أشر إلى ذلك. كنت... متفاجئة من أن الشيطان يعرف هذا القدر من طرقنا في السحر. وقد استرخيت في الحوض، وأغمضت عينيَّ، تاركة سحر العناصر يتسرب إلى روحي. واستقر سلام ناعس في أعماقي.

سمعت خطوات تبتعد، وانتظرت حتى كاد يخرج قبل أن أقول: «شكرًا لك».

لا بد أنه سمعني، فلم أكن أهمس. ومع النوافذ المفتوحة كذلك، لم تكن هناك أي أصوات أخرى تأتي من الشارع، ولكن الرد الوحيد الذي قدمه إليَّ كان إغلاقه الباب بهدوء وراءه. استنشقت رائحة أزهار البرتقال اللطيفة، وانجرفت في أحلامي. لاحقًا، سألتقط بعضًا منها وأضعها مضفورة في شعري. وعندما غصت أكثر في الماء، فهمت أخيرًا سبب إحضاره الزهور.. لم تكن من أجل الطقوس، بل من أجلي.

كان عبيرها هو أول مصدر للمتعة الحقيقية التي شعرت بها بعد أن سُرق مني كل شعور بالمتعة.



السادس والثلاثون

«**هناك منتصرون** وضحايا.. وعليكِ أن تقرري من تريدين أن تكوني، وإلا فهناك من سيختار نيابة عنكِ أيتها الساحرة، وأشك في أنكِ ستحبين ذلك».

ألقيت برأسي إلى الوراء، وتأوهت، وقلت: «إنها مجرد لعبة ورق، وليست معركة حياة أو موت. هل أنت دائمًا مأساوي بهذا الشكل؟».

عبس راث من وراء أوراق اللعب المرسومة باليد، قبل أن يجيبني قائلًا: «غالبًا ما تُتعلم الدروس القيمة من الألعاب الإستراتيجية، ولا يستهين بها سوى الحمقى».

«فقط مخلوق مشاكس من الجحيم هو من يصبح بهذه الجدية أثناء ممارسة لعبة ورق بسيطة».

التقطت قطعة أخرى من حلوى الكانولي من الطبق الذي وضعه راث على سريري وأكلته. فعندما خرجت من الحمام مرتدية ثوبي الحريري الجديد، كان ينتظرني ومعه الحلوى وبطاقات اللعب. ظل يراقبني وأنا ألتهم الطعام، وقد بدا مسرورًا لأنه قام بجهد مقبول في تذكر نوع الطعام البشري الذي أحببته. وافترضت خطأ أن المزيد من الاسترخاء كان جزءًا من خطته الرئيسية لأستعيد الصحة والعافية تمامًا.

لم تكن لديَّ أي فكرة عن أننا سنلعب لعبة مناورات حربية... وفجأة اشتقت إلى الحمام مرة أخرى.

لقد نجحت العناصر التي أحضرها وآتت بثمارها مع مشاعري وأعادتها لي مجددًا؛ كنت على أهبة الاستعداد للعودة وحل اللغز المحيط بمقتل أختي، والعثور على تميمتي المفقودة؛ نظريًّا على الأقل. وفي الواقع، كنت مرعوبة من فكرة مواجهة أمير آخر من الجحيم، فكل واحد قابلته حتى الآن كان أسوأ من سابقه.

سألته: «كم من الوقت يستغرق الأمير الشيطاني للتعافي بعد أن...»

«أُخرِجت أحشاؤه؟».

«في الواقع، اعتقدت أنك استهدفت قلبه».

جاءت لهجته مليئة بخيبة الأمل: «لقد ثقبت رئته، وربما أكون قد كسرت بعض الأضلاع. وأتخيل أنه قد شُفي تمامًا بالفعل»، ثم نظر إليَّ وقال: «لن يزعجك مرة أخرى».

«أنت محق. أمير من الجحيم يستمتع بتعذيب الآخرين عن طريق إزالة كل السعادة والمتعة من داخلهم، سيؤنبه ضميره فجأة، ولن يحاول أبدًا تكرار هذه الخدعة المريعة مرة أخرى».

قال: «أوه، هو بالتأكيد سيحاول ذلك مرة أخرى. لكنكِ ستوقفينه».

ابتلعت القضمة الأخيرة من قطعة الكانولي الثالثة لي، لكنني شعرت فجأة بالغثيان، وسألته: «هل هناك تعويذة أو سحر ما يخفف من هذا التأثير الشيطاني؟ ينحت الأيرلنديون تمائم من خشب الروان ويرتدونها لإبعاد الجان. ولا بد أن هناك شيئًا ما له ذلك التأثير نفسه معكم».

ظل صامتًا فترة طويلة بشكل غير مريح. فنظرت إلى الأعلى، وأنا أقاوم الرغبة في الاستسلام لمخاوفي. لقد أصبح من السهل جدًّا أن أنسى حقيقته. ثم كانت هناك لحظات كهذه، لحظات جعلتني أتساءل متى سيحين دوره لاستخدام قواه ضدي.

قال: «أنا ومن هم مثلي نصيب الوحوش بالخوف، أيتها الساحرة. فأنا لا أخاف، أنا الخوف. الأغصان والتوت والحديد تسجن الضعفاء فقط. فهل تعتقدين أنني ضعيف؟». هززت رأسي بينما كشف راث عن أسنانه في ابتسامة كانت مرعبة تمامًا. وسألني: «هل أنت خائفة؟».

ابتلعت ريقي بصعوبة وأنا أجيبه: «لا».

حدّق إلى وجهي دقيقة، لكنه لم يقل لي إنه يعرف أنني كاذبة. بل أكمل قائلًا: «يتبع عالمي مبدأ واحدًا بسيطًا: *أنا أؤمن بأنني قوي، إذن أنا موجود*. فإذا كنت مقتنعًا بقدراتي، فسيقتنع الآخرون بذلك. وسوف يجعلهم ذلك يتوقفون، ولو ثانية واحدة فقط، بينما يعيدون تقييم التهديد المحتمل. وأي قوة يمكنكِ إسنادها إلى نفسك ستكون مفيدة عند التعامل مع إخوتي. إن شعارهم دائمًا هو 'اعرف عدوك'. وعليكِ أن تجعلي ذلك الأمر صعبًا عليهم. إذن، للإجابة عن سؤالك، لا، لا تحتاجين إلى تعويذة، أو تميمة، أو حلية حماية زائفة. وعليك أن تثقي بنفسك وبقوتكِ، وإلا فسوف يعذبونكِ ويسخرون منكِ إلى الأبد».

توقف قلبي عن الخفقان بقوة إثر كلماته اللاذعة، وألقيت عليه نظرة متشككة، متسائلة: «هل تعتقد أنني أستطيع تحقيق كل ذلك من خلال لعب الورق؟».

«نعم».

«حسنًا، دعنا نقل إنك على حق، فكيف يمكن أن تجهزني لعبة الورق هذه لمحاربة أمير من الجحيم بنجاح؟».

«كثيرًا ما تقدم إليكِ الحياة ما لم تختاريه». ثم استرخى راث في كرسيه، ليهدأ التوتر الذي سيطر على الغرفة، ثم درس أوراقه بعناية، ووضع واحدة على الطاولة... وفاز بالدور، اللعنة. كانت هذه هي المرة الثالثة على التوالي التي يفعل فيها ذلك، فقال ساخرًا: «المهم هو كيف تنهين اللعبة وقد تحولت إلى صالحك».

قلت ساخرة بدوري: «كان ذلك حظًا، وليس إستراتيجية».

«كلاهما مطلوب. ولكن يمكن القول إن الحظ يحالفك من خلال إستراتيجية مدروسة جيدًا». نظر إليَّ سريعًا، ثم أضاف: «أنتِ تعيشين وفقًا لمفاهيم قديمة عن سحر النور والسحر الأسود بينما القوة ليست بالجيدة ولا بالسيئة. بل النية هي التي تهم حقًّا. ومن خلال عدم دراسة جميع القوى، فإنك تحرمين نفسكِ من الخيارات المتاحة لكِ. إن عدم شحذ كل سلاح في ترسانتك هو إستراتيجية سيئة من جانبك».

«ستحب جدتي هذه النصيحة».

بدت القسوة في نظرته وهو يعلق: «إذا كانت جدتك ترفض تعلُّمِك الدفاع عن نفسك، فسأبدأ التشكيك فيما تعلمكِ إيَّاه حقًّا». أخذ راث نفسًا ثابتًا وعميقًا، وأصبحت لهجته أكثر هدوءًا وهو يقول: «إذا كنتِ تريدين أن تصبحي لاعبة حقيقية في لعبة القتل والخداع تلك، فابدئي بدراسة خصومك. اعرفي من هم وماذا يريدون وراقبيهم من كثب. وبمجرد أن تتعرفي جيدًا على عاداتهم، ستتكشف أكاذيبهم لكِ بسهولة». ابتسم وأنا أخسر دورًا آخر. وأضاف: «اعملي على عواطفك، فأنتِ محكومة بالنار، ومن السهل أن تغضبي أو تفقدي أعصابك. وهي صفات ليست سيئة في بعض الأحيان، ولكنها ضارة عند مواجهة عدوك. فلا تجعلي من السهل عليه قراءتك. ومن المؤكد أنه سيفعل كل ما في وسعه لإحباط جهودك في كشف حقيقته».

«هل فكرت يومًا في إعطاء دروس في الجحيم؟ أنت بالتأكيد تحب إعطاء الدروس».

«اسخري مني كما تريدين، لكن هذا لا ينفي حقيقة أنني على حق».

«ومتواضع جدًّا أيضًا».

«إن العالم وسكانه يتغيرون باستمرار؛ لذلك نحن - أمراء الجحيم - نستمر في شحذ عقولنا ومهاراتنا. إن غياب الغطرسة هو الذي يسمح لنا بالحفاظ على سمعتنا وقوتنا، ونحن لا نعتقد أننا نعرف كل شيء، بل

نحن نؤمن بالتكيف. اعتنقي المبادئ نفسها وإلا فسينتهي بك الأمر إلى الانقراض».

«أعتقد أنك تحب صوتك، ربما يجب أن تسمح لي بتعليمك كيفية تجربة مجموعة واسعة من المشاعر المختلفة».

«في يوم من الأيام، ربما سأفعل ذلك».

وضع أوراقه جانبًا وتأملني... لم أتمكن من معرفة ما إذا كان البريق الداكن في عينيه لحيوان مفترس يدور حول فريسته، أو هو علامة على اهتمام بسيط لأغراض أخرى... أو ربما... ربما كان معجبًا بي بالطريقة التي يشعر بها شخص ما عندما يلاحظك للمرة الأولى في ضوء مختلف. والأمر الغريب هو أنني لم أكن متأكدة مما كنت أتمناه أكثر.

خطرت في ذهني لمحة من رغباتي على الشاطئ، فتسارعت نبضاتي، بينما انحنى ببطء إلى الأمام. كانت عيناه تحدقان إلى عينيَّ. ولوهلة، اعتقدت أنه سوف... جلس فجأة مرة أخرى. وأطلقت زفيرًا كنت أحبسه في صدري.

قال: «عندما سرتِ على الشاطئ للمرة الأولى، أتخيل أنك شعرت بتأثير شيطاني. إن الوعي هو مفتاح محاربة ذلك التأثير. وتكمن قوتنا في الإحساس بمشاعرك، وتضخيم تلك المشاعر التي نزدهر عليها. وبمجرد أن تدركي ذلك، فستصبح لديك القدرة على تحويل تركيزك ومشاعرك إلى مكان آخر. وفي أي لحظة، كان من الممكن أن تبتعدي عن تأثير لاست. وكل ما كان عليكِ فعله هو أن تؤمني بأنكِ قادرة على فعل ذلك».

«هل ترى أن ما فعله كان خطئي؟».

وقف راث... لم ألحظ مدى أناقة ملابسه، أو العناية التي أبداها في تصفيف شعره، فقد كان يرتدي سترة سوداء داكنة مطرزة على طيات صدرها ثعابين ذهبية، وسروالًا أسود، وحذاءً لامعًا طويل الرقبة، ولا بد أنه جرى تلميعه حديثًا. وتألقت كذلك بعض الخواتم في أصابعه.. إن

العقيق والذهب لوناه المفضلان، بدا... أنيقًا. لاحظ المكان الذي تحوَّل انتباهي إليه، فافتر نصف فمه عن ابتسامة.

قال: «أرى أن لديكِ قوة غير مستغلة يا إميليا. حرِّفي كلماتي، وحرِّفي المعاني كما شئتِ.. فهذه هي طرق البشر».

«أنا لا أحرِّف شيئًا ولست من البشر. إخوانك هم الساديون».

«أمراء الجحيم ليسوا طيبين أو أشرارًا. نحن فقط *هكذا*».

«نعم. إنهم وحوش خبيثة.. *إنهم كذلك*».

«ومع ذلك، تستمرين في قول 'هم' ولا تضعيني في تقييمك إخوتي».

هز راث رأسه ثم سألني: «لماذا؟».

«أنا...»، وتنفست بعمق قبل أن أكمل: «لأنه إلى الآن، قام جريد وإنفي ولاست جميعًا بأشياء فظيعة معي، وأنت لم تفعل ذلك. وربما يكون هذا بسبب التعويذة التي استخدمتها عليك».

لم يعد راث يبدو مستمتعًا بما يحدث، وقال لي: «تدربي على قراءة الأشخاص، خاصة عندما تبدو تعابيرهم باردة أو غامضة. انظري إلى أفواههم حين تضيق، وأعينهم حين تنظر بعيدًا.. انتبهي لأي علامة؛ إذا جفلوا مثلًا، أو أي علامة أخرى مهما كانت دقيقة؛ لأنها دليل على مشاعرهم الحقيقية عندما تطرحين أسئلة غير مريحة».

«هل هناك أي نصائح أخرى، سهلة *التنفيذ*؟».

«أنتِ تعيشين في عالم من الإرادة الحرة - فاقبلي ذلك وحينها ستكونين قد هزمتِ أعداءك بالفعل، إن لديك *دائمًا* القدرة على الاختيار، حتى عندما تبدو هذه الاختيارات محدودة. ولا تنسي ذلك مطلقًا».

اشتعل غضبي وأنا أسأله: «أوه، حقًّا؟ *دائمًا*؟ هل كان لأختي خيار العيش أو الموت؟ لأنني متأكدة من أن شخصًا آخر قد قرر ذلك نيابة عنها».

«هناك مصائر أسوأ أيتها الساحرة».

«مثل؟».

أجاب: «العيش في عالمي»، ثم التفت واتجه نحو الباب وهو يقول: «سأعود بعد قليل. فإذا شعرتِ بالملل، فتفقدي الخزانة المجاورة لسريرك». توقف في الممر، والتفت بوجهه لينظر إليَّ، ثم أكمل قائلًا: «ولا أقترح مغادرة القصر الليلة».

سألته وهو يبتعد: «ولِمَ لا؟».

لم يكلف نفسه عناء الرد، إذ كان قد رحل بالفعل. تساءلت عن ملابسه، وعن الطريقة التي صفف بها شعره. فقد بدا كأنه في طريقه إلى لقاء مهم.

نهضت وتجولت في أنحاء الغرفة، وألقيت نظرة من النافذة، ثم استلقيت على السرير. ولففت خصلة من شعري على إصبعي دون أن أنتبه وأنا أفكر في كل ما قاله عن المنتصرين والضحايا. ثم بدأت أفكر في الإرادة الحرة والاختيارات. ثم بدأت أشعر بالانزعاج من كونه منافقًا بتعديه على حقي في الاختيار.

جلست مدة عشرين دقيقة أفكر في السبب الذي يدفعني للاستماع إليه، وأنا أتمتع بإرادة حرة. كانت لديَّ أشياء مهمة للقيام بها، وقد أضعت ما يكفي من الوقت. ارتديت ثوبًا بسيطًا لونه رمادي داكن وبلا كمَّين. لا بد أنه قد أحضره أخيرًا، ثم خرجت متسللة تحت ستار الليل الذي حل سريعًا.



السابع والثلاثون

يجب استخدام شموع الظلام فقط في أحلك الظروف، أشعلي شمعة باللون الأزرق الداكن أو الأرجواني القاتم، ثم انثري حفنة من مسحوق نترات البوتاسيوم حول قاعدتها، واستدعي الهرمن أقصى الشمال والجنوب.

- ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

انسكب ضوء القمر مثل دم فضي عبر أسطح المنازل، وسال في الشوارع. كان الوقت لا يزال مبكرًا بما يكفي لخروج عدد غير قليل من الأشخاص، وكان البعض يحملون أكياسًا وهم عائدون من السوق، وآخرون يمشون مسرعين، ويبدو عليهم التعب والإرهاق بعد يوم عمل شاق.

بفضل الحمام الذي أعاد شحن طاقتي، لم أعد أشعر بالتعب أو الإرهاق، لكن الأسابيع القليلة الماضية كان لها أثرها السلبي عليَّ. عندما علقت زهر البرتقال في شعري قبل الرحيل، لاحظت حدة نظرتي، وبريق الشك الذي لم يكن موجودًا من قبل، وكنت لم أزل إميليا نفسها، فقط غدوت أكثر حذرًا وتوترًا. تذكرت الأسابيع الأخيرة لأختي، وتساءلت لو أنها قابلت أيًا من أمراء الجحيم، فكيف تمكنت من إخفاء ذلك عنا.

ربما كانت متوترة ومهزوزة، وربما كان هذا هو السبب وراء خوف جدتي وحديثها عن الشياطين وأمراء الجحيم. كانت تعلم أن العاصفة آتية، بينما ركزت أنا كثيرًا على إنكار كل ذلك، فلم ألحظ شيئًا.

أسرعت عبر شوارع المدينة، وأنا ممتنة لأنني لم أكن وحدي. لم أُرِد أن أواجه أي شياطين، سواء ملكية أو غير ذلك. كان البقاء في القصر المحمي قرارًا حكيمًا بلا شك، لكنني لن أستطيع الاختباء من جميع أعدائي إلى الأبد. كما أن البقاء هناك لن يساعدني على صقل مهاراتي عن طريق مراقبة الأشخاص وهم يتحدثون، ومعرفة ما إذا كانوا يكذبون أم لا. كل يوم يأتي ويمر يمكن أن يؤدي إلى قتل ساحرة جديدة. وعندما تخلصت أخيرًا من اليأس الذي أصابني به لاست، فكرت في شيء لم أنتبه إليه من قبل، وهو قد لا يعني شيئًا، أو قد يربط كل شيء معًا... الدير.

لم أستطع التوقف عن التساؤل عن سبب وجود أختي هناك في ليلتين متتاليتين. فبعد استبعاد فيتوريا من العمل هناك على تجهيز جثث الموتى للدفن، لم تطأ قدماها المكان إلا نادرًا. فكرت في دائرة الاستدعاء الموجودة في الغرفة التي ماتت فيها. فلو أنها ليست هي من جهزتها، فهذا يعني أن شخصًا آخر قد فعل، شخصًا قد يكون مسئولًا عن استدعاء جريد وإنفي. ربما أستطيع الإيقاع به وهو يصنع دائرة أخرى، لكن لم يكن ما توصلت إليه بالكثير، غير أنه يمثل بداية كافية.

بفضل تأثير لاست الشيطاني، فقدت الأسبوعين الماضيين و...

كانت كلاوديا تسير في الفناء الصغير الذي يفصل مكان النوم عن الدير. انهمرت الدموع على وجهها، وكانت تشد خصلات شعرها وهي تغمغم، وكانت تنورتها قذرة وممزقة، وتناثرت بقع صدئة داكنة على صدر فستانها. سرت مسرعة إليها، لكنها لم تلحظني. كانت في حالة من الفوضى التامة، وهو أمر لم يكن مفاجئًا بالنظر إلى مقتل ابنة عمتها قبل

أسبوعين. ناديتها بحذر عندما وصلت إليها: «كلاوديا؟». لم تنظر إليَّ، فسألتها: «هل أنتِ بخير؟».

«قالوا ألا أستخدمهم... ألا أستخدمهم مطلقًا».

«تستخدمين ماذا؟».

«عظام ومرايا سوداء. مرايا وعظام سوداء. أكوام من الجثث ورماد الذين سقطوا. عظام الموتى والأموات تحولوا إلى غبار؛ لأنني رأيت غرابًا يطير أمام الهلال، إن القمر ليس سوى ناب، ينتظر أن يغرس أسنانه فينا جميعًا. يلتهم... يلتهم الدم والعظام حتى نصير ترابًا».

سقطت على ركبتيها، وحاولت دون جدوى أن تخلع الحجارة المرصوفة من الطريق. غطى الدم الجاف أظافرها التي كانت متكسرة ومتشققة.

«إنني أسمعه. إنه يهمس لي، وفي بعض الأحيان يصبح صوته مرتفعًا جدًّا لدرجة أنني لا أستطيع التفكير بشكل سليم».

حدَّقت إلى الأسفل، وقد أصابني الذعر عندما لاحظت أن الأرض مليئة بخطوط طويلة ورفيعة كما لو أنها ظلت تخدشها فترة من الوقت.

انحنيت لوضع يدي فوق يديها، وقُلت: «كلاوديا، من فضلك». لكنها ابتعدت وهي تصدر هسيس حيوان متوحش، فيما كانت عيناها خاليتين من أية عاطفة. أسرعت مبتعدة عنها، وأنا أسألها: «ماذا حدث؟».

«غبار، غبار، نحن مرايا في الغبار، نحن جماجم بلا لحم، وعظام بلا نخاع، الموت... سيصبح الموت موضع ترحيب، لا أحد موضع ترحيب... وأنتِ...» وتحولت نظرتها المظلمة نحوي مضيفة: «سوف تحترقين وتحترقين، وسينتقم القمر، وستبتلعنا الشمس تمامًا، ولن يتبقى شيء، النجوم... لقد أظلمت النجوم، وهي تتساقط مثل الريش المنتزع من الغراب العظيم لأنه يشتهي لحومها وترغب هي في إطعامه حتى يشبع، لكنه لن يشبع أبدًا. إنه الخطيئة وهو سعيد بهذا».

تستخدم المرايا السوداء لجلسات تحضير الأرواح والقراءات السحرية، كما يستخدم بعض الأشخاص عظام الحيوانات أيضًا، على

الرغم من تحذير جدتي من استخدام الأشياء التي لمسها الموت. قالت وأكدت أن المستقبل يجب أن يُرى من قبل الأحياء فقط، وأن الأشياء التي تتعفن في باطن الأرض قد تحولت إلى شيء آخر، وانتقلت من هذا العالم، ومن ثم لم يعد يهمها ما سيأتي.

على حد علمي، لم تستخدم كلاوديا سوى عدد قليل من الأحجار الكريمة أو الشموع السحرية.

كانت تهتز إلى الأمام والخلف وهي جالسة، وتهمس. كانت كلماتها متسارعة ومليئة بذعر محموم. لم تعد تتحدث الإيطالية فقط، ولم أفهم نصف ما قالته. ولم أستطع أن أوقف نفسي عن الشعور بالخوف من أن ما ظلت تكرره لم يكن سوى رسائل من مخلوقات لا أريد أن ألتقي بها. لقد حاولت الحديث إليها مرة أخرى، فأنا لم أرغب في تركها وحيدة في هذا الكابوس.

كانت تقاومني لتبتعد عني، لكنني لففت ذراعيَّ حولها، وأنا أبعد الشعر الرطب عن جبينها. قلت لها: «ششششش، النجوم لا تتساقط. نحن جميعًا آمنون».

«آمنون... آمنون ونحن مسلسلون ومقيدون، والأقفال والمرايا السوداء من دون مفاتيح». ظلت كلاوديا بين ذراعيَّ، واستمرت في هذيانها: «أسمع تلك الأشياء، أو ربما هي ليست كذلك. من الصعب أن أحدِّد. كلها تتحدث في وقت واحد: عظام الموتى، وغبار النجوم، والقمر المفترس بابتسامته الشريرة. الساحرة الأولى الموجودة وغير الموجودة، إنها الانتقام».

ملأني الشك الرهيب، سألتها: «هل استخدمتِ عظامًا بشرية؟».

«قال لي إنني سأعرف، وإنهم سيخبرونني، وإن الموتى لن يمانعوا. الموتى ليس لديهم عقل ولا إرادة... ولا ذاكرة. خُلقت عقولنا للنسيان، إنها لا تناسب الأقفال أو المفاتيح، لقد استخدمت العظام فقط لأنه قال ذلك. كان من المفترض أن تضيء النجوم الجميلة الطريق، وتقودني

إليها. كان من المفترض أن أساعد، إنهم لا يتوقفون عن الصراخ... اجعليهم يتوقفون عن الصراخ!».

«من الذي يصرخ؟».

«الملعونون! يعتقدون أنهم يحترقون، لكن هناك مصائر أسوأ من النار والرماد».

ما تقوله كان مشابهًا بشكل مثير للقلق لما قاله راث سابقًا.

ألقت كلاوديا رأسها إلى الخلف وصرخت، ما أصابني بالقشعريرة في جسدي كله. أضاءت الأنوار في مساكن الدير، فأمسكت بها بقوة محاولة منعها من القيام بأي حركة مفاجئة، كانت بحاجة إلى أن تظل ساكنة حتى وصول الإخوة.

قلت محاولة تهدئتها: «كل شيء على ما يرام. كل شيء على ما يرام، تنفسي».

«مرايا سوداء. عيون تحترق. يأتي الموت متخفيًا في عباءة الصداقة... *الجحيم مثل الجنة*. الكتاب يحتاج إلى الدماء... إنه يشتهيها، الدم يكسرها». ودفعتني بعيدًا عنها، والتفتت وراءها سريعًا وهي تقول: «أخفي قلبكِ. أخفيه قبل أن...». نقرت بإصبعها على صدري، وهي تهز رأسها، وانهمرت الدموع على وجهها، وقالت بصوت متهدج: «قبل أن يفوت الأوان. لقد أخذوا المؤشر وأخفوه تحت الصخور والتراب. الموت... العظام والغبار والصراخ، ضاع كل شيء، وحل التغيير علينا».

«ما التغيير الذي رأيته؟».

«موت الأخيار... إنه يأتي ويذهب، وهو لص ماكر سرق النجوم وشربها حتى جفت. سوف يأخذك. لا مفر من إنقاذك بالفعل. وفي النهاية، عليكِ أن تختاري. لكنه جرى اختياره أيضًا. سأعلن الحداد. إنني بالفعل في الحداد. مثل أوراق الشجر في مهب الريح». التقطت كلاوديا أوراقًا خيالية من الأرض، ونفختها من كفها، وأكملت: «لقد أسرك ملك الموت

واعتبـرك ملكًا له. لقد غيَّرك تمامًا. أنتِ هنا، ولكنكِ لستِ هنـاك، وهناك حيث ستذهبين، لقد انتهت حياتك. هي نفسها لكنها مختلفة إلى الأبد».

كنت أعرف ما يكفي عن تحضير الأرواح والانتقال إلى العالم الآخر لقراءة المستقبل لأعلم أن تحذيراتها لم تكن مجرد هذيان مجنون. تخيلت أن هذا مشابه لما حدث لصوفيا سانتوريني العجوز عندما انتهى الأمر بها بشكل سيئ قبل ثمانية عشر عامًا. بدا الأمر كأن صديقتي محاصرة بين العوالم المختلفة، وأنها تسمع مئات الرسائل المختلفة في وقت واحد. لم أستطع أن أتخيل مدى الرعب الذي تشعر به، وهي ضائعة في سجن عقلها دون أمل في الهروب. تمنيت ألا يكون هذا نتيجة التعويذة التي طلبت منها العمل عليها. ولو أن هذا ما حدث...

أخذت يد كلاوديا في يدي بلطف، وقلت لها: «تعالي، دعيني آخذكِ إلى جدتي».

«إنهم جميعًا يتحدثون في وقت واحد، من الصعب أن أفهم، أن أستمع. الصوت نفسه يتحدث أعلى من الآخرين، إنه قاسٍ، ناعم كالحرير، وحلو كالعسل. يقول لي: 'اختاري'. أردت أن أجرِّب القليل فقط. لكنه كان سمًّا، لم يكن من المفترض أن أعرف، إنه قادم. لا لا لا. إنه هنا، ولم يعد هناك، بل هنا، إنه يسير بيننا، مختبئًا في الظلال، مثل الموت».

«سوف تعرف جدتي ما يجب علينا فعله للمساعدة. يجب أن نذهب إليها في الحال».

أنشبت أظافرها في ذراعي بقوة آلمتني، ثم همست: «اهربي».



الثامن والثلاثون

«**يجب ألا تشباطئي**؛ إنـه يبحث عنكِ». لحظة، بـدت كلاوديا كأنها قد عادت إلى رشـدها. لكن فجأة، اتسعت عيناها بما يكفي ليظهر بياضهما، وبدأت الصراخ مرة أخرى بشكل هستيري متواصل. كان صراخها مروِّعًا؛ يجمـد الدمـاء في العروق... مثل حيـوان وقع في فخ، ويقتـرب منه حيوان مفترس.

قاومت الرغبة في أن أسد أذنيَّ، أو أن أنفجر في البكاء.

أخذت بضعة أنفاس سريعة، واستجمعت قواي، إنها تحتاج إلى تعويذة تطهيـر، كحـل مؤقـت. لكـن التعويـذة تتطلـب الكوارتـز الـوردي، والملح، والمـاء، وجـذر زهـرة الألكانيـت. كلهـا كانـت في المنـزل وسـيتحتم عليَّ الذهاب لإحضارها وهو ما لن يسعفنا إياه الوقت الآن.

انفتح باب جناح النوم، وهرع عدد قليل مِن الإخوة إلى الخارج. رفعت يدي لإيقافهم، فتوقفوا على مضض على بعد عدة أقدام. انزعجت عندما رأيـت الأخ كارمايـن يخـرج من الجزء الخلفي مـن المجموعة، لم أره منذ سنوات.

عادت ذكريات الطفولة المدفونة إلى الظهور. عندما كنا أصغر سـنًّا، وبعد سـنوات قليلة من ممارسة العجوز صوفيا سانتوريني السحر الأسود، اعتـاد أن يقـف على صندوق في السـوق، ويصرخ واعظًـا ومحذرًا للانتباه

إلى الشيطان. كنا بحاجة إلى المغادرة في الحال. إذ لو رأى كلاوديا بهذه الحالة، فسيعتقد أنها ممسوسة.

حوَّل الخوف الرجال إلى وحوش.

انفصل أنطونيو عن المجموعة، وآثار الرعب تزداد وضوحًا على وجهه كلما اقترب من المكان الذي جلسنا فيه معًا. تحركت عيناه متأملة شعر كلاوديا الفوضوي، وفستانها الممزق، ولطخات الدم. سأل: «هل تعرضت للهجوم؟ ماذا حدث؟».

لم أتمكن من إخباره بالحقيقة تمامًا؛ إنها كانت تلعب بقوى غامضة في الممرات المقدسة للدير، وربما استخدمت عظام الموتى في طقوس قراءة المستقبل لأسباب لم أعرفها بعد، وقد دفعت ثمنًا باهظًا بسبب ذلك، أجبته: «لست... لست متأكدة».

كانت إجابتي، على الأقل، أقرب ما تكون إلى الحقيقة.

صرخت كلاوديا مجددًا. جثا أنطونيو إلى جانبها. ومالت إلى الأمام، وأمسكت بالجزء الأمامي من قميصه، وقالت: «لم يكن ينبغي لي أن أنظر، لكنها قالت أن أفعل. كنا بحاجة إلى أن نعرف، من أجل هالنتينا. الفئران تدخل وتخرج مسرعة، وهنالك الكثير منها في وسطنا. وقد ساعدت هذا الشيء. وهنالك بضعة مخلوقات غريبة، تترك خلفها الأسرار كما يترك الحيوان فضلاته في العراء. والآن لن يغادر. إنه هو من بدأ الأمر كله، لقد تسببت كراهيته وشره في قدوم ذلك الشيء إلى هنا. أخبرتني بأننا بحاجة إلى التأكد. إنه المختار، إنه الموت، ينبغي ألا يكون قادرًا على المغادرة، فهذه هي القواعد. ولكن القواعد وُضعت لكي تُكسر. مثل العظام، إنه يحب كسر العظام. أعتقد أن ما يريده حقًّا هو النخاع».

سألتها: «من؟ من قال لك أن تنظري؟». رفع أنطونيو حواجبه ونظر إليَّ، من الواضح أنه اعتقد أنني قد أعاني الشيء نفسه الذي سبب هذيانها؛ لأنني اعتبرت ما قالته كلاوديا حقيقيًّا، ولم أهتم بما كان يعتقده. وكانت لديَّ شكوك متزايدة في أنني أعرف بالفعل من تقصد

بناءً على ذكر فالنتينا، لكنني أردت المزيد من الأدلة. سألتها: «هل كانت عمتك كارولينا؟».

«لقد نسجت القصص مثل السكر، وكانت جيدة وجميلة حتى احترقت، والآن سنحترق جميعًا؛ لأن الشرير هنا، وهو غاضب، والبوابات... البوابات... قالت إن هذا من أجل حماية البوابات. لكنه لم يعد مقيدًا بالبوابات بعد الآن، أليس كذلك؟ كان السم حلوًا، وما زلت أشعر بمذاقه في حلقي، إنه يخنقني. لديه أسرار. يريد أن يلتهم. سُكبت كئوس فارغة ومُلئت به هو. لا، لا. كأس فارغة. كيف فعلها؟ كأس أو مزهرية. أوعية فارغة حتى الامتلاء. لديه الكتاب، القلب. إنه يحتاج إلى الجسد ليسرق الروح».

لفتت انتباهي حركة سريعة من الجانب، فنظرت إلى الأعلى وقد انضم إلينا العديد من الإخوة. وقفوا بصمت في نصف دائرة، بيننا وبين الدير. كان البعض يمسكون بمسابح خشبية طويلة في أيديهم الشاحبة، لأنهم ضموها بقوة. وبدا آخرون مستعدين لاستخدام العنف، فيم ينصب انتباههم على صديقتي. احتاجت كلاوديا للوصول إلى بر الأمان قبل أن يحاولوا طرد شيطان غير موجود منها.

سأل الأخ كارماين بوجه عابس: «ما هذا الجنون؟». كان قلبي ينبض بشدة، وعاد ليسأل مجددًا: «هل تلبَّسها الشر؟».

أجابه أنطونيو سريعًا: «لا، لا، إنها بخير. إنها فقط تحتاج إلى شيء لتشربه».

لم أكن أعتقد أن أعضاء الأخوية المقدسة يكذبون، لكنني كنت سعيدة لأنه فعل ذلك. كان أنطونيو لا يزال إلى جانبنا، بصرف النظر عما قد يعتقده إخوته. فسألته: «هلا أخذتها إلى منزلي؟ أعتقد أنها تعرضت، ولا بد، لـ... شيء ما. إنها تحتاج إلى الراحة والشاي. أخبر جدتي بأن عليها أن تعطيها بعضًا من جذر الألكانيت الذي بحوزتها».

عض أنطونيو شفته السفلى، وبدا متشككًا بشأن احتمالية نجاح هذا العلاج الشعبي، لكنه لم يجادلني، واكتفى بمد يده لها وهو يقول: «هلا أتيتِ معي يا كلاوديا؟ سنتنزه قليلًا. سيساعد ذلك على تصفية ذهنك. إن الهواء النقي يساعد على ذلك دائمًا».

وجَّهت لي نظرة مضطربة، فابتسمت لها، وأنا أقول: «إنه على حق، المشي سيجعلك تشعرين بتحسن، وكذلك شاي الأعشاب وبعض الراحة. هل أنتِ مستعدة للذهاب؟».

«نعم، لكن دومينيكو ليس كذلك». وضعت كلاوديا يدها في يد أنطونيو، ثم ارتجفت. وأضافت: «قال إنه غير مستعد، ولن يتحرك. ينزلق الوقت... ينزلق مثل الماء من بين يديه. ولكنه لا يزال ينتظر، وينتظر، وينتظر. يريد لها أن تختار. إنه يعلم أنها ستفعل، قريبًا، ثم سوف يأخذ قلبها أيضًا. وروحها، يريد أن يقتل مرة أخرى، ويحصد الجائزة الكبرى».

سألتها: «أتقولين دومينيكو؟»، ثم التفت إلى أنطونيو عندما عادت صديقتي مرة أخرى إلى عالمها الممزق... «هل كان هنا في وقت سابق؟».

«أنا... أعتقد ذلك، ولكن لا أستطيع أن أتذكر على وجه اليقين. إنه هنا معظم الأيام، أنت لا تعتقدين أنه...». حوَّل انتباهه إلى كلاوديا التي بدأت تتمتم بتلك اللغة الغريبة مرة أخرى. ارتسم القلق على ملامحه، فسألته: «هل تعتقد أنه قد آذاها؟».

«إنه مظلم. مظلم وعفن، والموت يتربص في الظلام. لقد تذوق ويتوق إلى المزيد». طرفت كلاوديا بعينيها سريعًا، وبدت فجأة كأنها قد عادت إلى رشدها، سألت: «هل لا يزال هنا؟».

أجابها أنطونيو: «لا، لقد رحل دومينيكو».

قلت وأنا أساعدها لتقف: «ولكن لا تقلقي، سوف أجده». التفت في مواجهة أنطونيو، وسألته: «هل تعرف أين يعيش؟»، هز رأسه نافيًا، وبالطبع لن تكون الأمور سهلة؛ إنها ليست كذلك قط. «سوف أذهب إلى كشك الأرانشيني الخاص بهم، فلربما يعملون في وقت متأخر».

سألني أنطونيو وهو يضم شفتيه تعبيرًا عن قلقه: «وحدكِ؟». وبينما سقطت خصلة من شعره البني على جبينه، فبدا صغيرًا جدًّا وعديم الخبرة مقارنة براث، أكمل حديثه: «ماذا لو أنه فعل شيئًا... ربما ينبغي لنا أن نذهب معًا».

استجمعت ما أملت أن يكون ابتسامة مطمئنة. صحيح أنني كنت أفضل أن يكون معي عندما أواجه دومينيكو، لكن هناك أسئلة أحتاج إلى طرحها ولا يمكنه الاطلاع عليها. ليس فقط لأنه إنسان، ولكن لأنني لن أكون قادرة على ذكر السحر الأسود، أو ألقي باتهامات متعلقة بالتعاون مع أمراء الجحيم أمام أحد أعضاء الأخوية.

أجبته كاذبة: «سأكون على ما يرام، لا أعتقد أن دومينيكو قد فعل أي شيء شرير. ربما يعرف ما إذا كانت قد تناولت أي طعام أو شراب غريب. من يعرف؟ ربما أكلت شيئًا به عفن. أو ربما تناولت بعض الشراب السيئ، ومن المحتمل أن السبب هو وفاة فالنتينا، وأنها أفرطت في تناول الشراب، ليس من السهل تقبل القتل».

يبدو أن ما قلته قد جعل أنطونيو يهدأ، كان ما قلته منطقيًّا تمامًا، والبشر يحبون المنطق، خاصة عندما يفسّر ما لا يمكن تفسيره. «لقد اشتكت بالفعل من تعفن أوراق الغار عندما قابلتها في وقت سابق، وأعتقد أنها أحرقتها في غرفة التحضير».

ابتسمت له وأنا أكمل: «أترى؟ أنا متأكدة من أن هذا كل ما في الأمر. لقد استنشقت العفن، أو شيئًا سيئًا بالقدر نفسه. سوف ينتهي هذا مع بعض الهواء النقي والنوم، وسوف ترى».

ودعني بإيماءة مهذبة، ثم اصطحب كلاوديا إلى خارج الفناء. انتظرت حتى ابتعدا بشكل كافٍ بعيدًا عن الإخوة قبل أن أغادر أنا أيضًا. حاولت ألا أفكر في نظرة الاتهام الحارقة التي حدجني إياها الأخ كارماين وأنا أسرع مبتعدة.

وبما أنني ما زلت لا أعرف أين تعيش عائلة دومينيكو، وكنت واثقة تمامًا بأن كشك الأرانشيني الخاص بهم قد أغلق منذ فترة طويلة، فإن مواجهته ستضطرني إلى الانتظار حتى الصباح.

لكنني عرفت أين أجد كارولينا عمة كلاوديا... إن بيننا حديثًا لا بد أن ننهيه، أعرف كيف يمكن للحزن أن يدفع بالشخص إلى القيام بأشياء لا يفعلها أبدًا في العادة؛ أنا دعوت كل ما له وما ليس له علاقة بالأمر، واستدعيت شيطانًا - ولكن أن تطلب من شخص آخر أن يفعل ذلك، في حين أن بإمكانها هي القيام بذلك بمفردها... كنت أتمنى أن أسيطر على أعصابي قبل أن أرى كارولينا.

انطلقت نحو الحي الذي تعيش فيه، وأنا غير قادرة على استيعاب ما أقنعت ابنة أختها بفعله، ومدى خطورة ذلك. طلبت من كلاوديا أن تستخدم تعويذة قوية لحماية منازلنا لأنني لم أكن أعرف كيف، ولأنه لا يمكن أن يحدث الكثير من الأخطاء أثناء القيام بذلك، لكن ما فعلته كارولينا كان أخطر كثيرًا.

انعطفت نحو ناصية الشارع، وشعرت بوخز من الطاقة في ظهري. واصلت المشي، وزدت سرعتي. استمر هذا الإحساس، الذي كان يعني أن هناك من يتبعني... ويبدو أنه غاضب، ويمكنني أن أفكر في شيطان واحد على الأقل أغضبته أخيرًا.

غالبًا عاد راث من زيارته مع من كان يحاول إثارة إعجابه في وقت مبكر عما كان متوقعًا، ولم يكن سعيدًا لأنني هربت من قفصي الجميل. جيد. وربما لم تسر أمسيته كما خطط لها أيضًا. التفت ونظرت خلفي إلى الظلام. لقد كرهت حقًا ذلك الوشم السحري الغبي الذي يربطنا معًا، والذي يسمح له بالعثور عليَّ عندما لا أرغب في أن يعثر أحد عليَّ. لقد افترضت أنني عندما أبطل التعويذة التي ربطتنا معًا، فإن الوشم سوف يتلاشى.

لكن من الواضح أن بعض الهدايا لا يمكن ردُّها.

قلت: «توقف عن الاختباء، إنه تصرف لا يليق بك. فإذا كان لديك ما تقوله، فقله». ارتفع صوت غير مألوف قائلًا: «أنتِ جريئة بالنسبة إلى ساحرة». كان من الصعب تحديد لهجته، فهي تقريبًا الإنجليزية لكنها ليست كذلك. نظرت إلى الشارع خلفي، ونبضي يتسارع. على بعد خطوات قليلة، انطلق شخص مبتعدًا عن أحد المباني. أخذت خطوة إلى الوراء بشكل غريزي. تقدَّم ناحيتي في خطوات سلسة وسريعة، وقال: «إن رائحة دمك مثل الشراب المُعتق. ألا تسمحين لنا بأن نتذوقه؟».

سألته وأنا أبحث عن طباشيري المباركة بالقمر: «من أنت؟»... نسيت أن هذا الفستان كان هدية من راث، وأنه ليست به أية جيوب، فسألته: «ماذا تريد؟».

وقف الرجل في مكان أضاءه القمر، وكان يرتدي معطفًا واسعًا طويلًا يبدو كأنه قد نُسِج من الليل، وتلألأت الخواتم حول أصابعه كلها، وقد بدت مثل مجموعة جيدة من الأسلحة.

انتقلت بنظري ببطء إلى الأعلى. شعره أشقر ثلجي، وعيناه تبدوان كما لو أنهما قطعتان من نهر جليدي، وفمه يبتسم ابتسامة قاسية. كان يبدو أشبه ما يكون بالبشر إلى أن ابتسم بشكل كامل، كاشفًا عن مجموعة من الأنياب الحادة. إنه مصاص دماء. توقفت عن الحركة، وتقطعت أنفاسي. فكوني ساحرة، احتجت حقًّا إلى التوقف عن التفكير في أن بعض المخلوقات كانت مجرد أساطير.

«أنـ... أنت...»، أغلقت فمي، كرهت التأتأة التي فضحت خوفي. أمامي الكثير لأتعلم كيف أخفيه عن أعدائي، سيقتل راث نفسه بطرف خنجره البارد إذا رآني الآن.

«لقد مر وقت طويل منذ أن ارتويت حد الشبع من شخص من نوعك». انتقلت نظراته إلى رقبتي، أصبح أمامي في غمضة عين. وأكمل: «إن السم ممتع. هذا إذا اخترت أن أمنح مثل هذه الهدية. هل ترغبين في هدية أيتها الساحرة الصغيرة؟ نشوة لا توصف بينما أشرب دمكِ؟».

ابتلعت ريقي بصعوبة وأنا أجيبه: «لـ... لا، شكرًا لك».

دار حولي، ومعطفه الطويل يتطاير مع نسيم الليل. وتوتر جسدي كله.

«جيد جدًّا. ربما في المرة التالية إذن».

تمنيت بقوة ألا تكون هناك «مرة تالية» أواجه فيها «مصاص دماء وأنا وحيدة في زقاق مظلم، فمرة واحدة كانت كافية لتسبب لي الكوابيس طوال حياتي الفانية. لامس معطفه الجزء الخلفي من ساقي، فاستنشقت نفسًا حادًّا. ارتفعت زوايا شفتيه. واقترب أكثر. يبدو أن الخوف يُسعده.

قال: «تقبّلي اعتذاري، أستطيع أن أرى أن اقتراحي للمتعة قد أخافك».

مثّل أنه ينحني، لكن عينيه لم تتنزلا عن حلقي، ففكرت سريعًا في تلك القصص التي سمعتها في طفولتي والأساطير التي حكتها جدتي لنا. لم يكن مصاصو الدماء معروفين بقدرتهم على التحكم في انفعالاتهم ورغباتهم، ومن ثم شعرت بأن عروقي تنبض... أردتها أن تتوقف عن ذلك، وهو ما جعل نبضاتي تتسارع بشكل أكبر. لم أرد أن يتحوّل إغراء بسيط إلى حاجة حيوانية.

قال: «اسمي أليكسي. يطلب الأمير إنفي مقابلة معكِ، فسموه لديه الكثير ليناقشه. لكن أولًا، دعينا نذهب في نزهة قصيرة، أنتِ وأنا، وهذا من شأنه أن يمنحهم الوقت الكافي». مد ذراعه لي كما يفعل رجل نبيل مثالي، لكنني لم أتحرك من مكاني لأمسكها.

سألته وقد نفد صبري: «منح مَن الوقت الكافي ولماذا؟ أتعني إنفي؟ توقف عن الحديث بالألغاز».

انعكس ضوء القمر عن أنياب مصاص الدماء، وهو يقول: «*سي آند فاين*، يا له من اسم جميل. ينطقه اللسان بسهولة شديدة».

«سي آند فاين». تجمدت في مكاني، شعرت بضغط دمي يرتفع. يعرف إنفي اسم مطعمنا، سيعذب والديَّ، و... أجبرت نفسي على الهدوء. لم يعد هناك سبب للذعر بعد الآن. لقد قامت كلاوديا بحماية منزلنا من الشياطين. وكان الوقت متأخرًا، والمطعم مغلقًا. أشكر الآلهة لأن عائلتي

ستكون في المنزل الآن وتتمتع بالحماية اللازمة. لمست ابتسامة ساخرة زوايا شفتيَّ، كنت أود بشدة أن يختبر ذلك الشيطان السحر القاتل.

قلت له: «أخبر الأمير إنفي بأنني أرفض عرضه، وأتحداه أن يحاول دخول منزلي».

«قال أميري إن عليَّ أن أذكر أن التعاويذ، مثل عظام الساحرات، يمكن كسرها بسهولة. فإذا كان المرء يعرف من أين يتخطاها بشكل صحيح... أو في هذه الحالة، من سيستهدف».

شعرت بالبرد يتسلل إلى أحشائي وأنا أسأله: «عن ماذا تتحدث؟».

«هل اعتقدت أنك يمكنكِ أن تخدعي أميرًا من أمراء الجحيم أيتها السا. ة الصغيرة؟ هل تعتقدين حقًّا أن إنفي لم يكن لديه جواسيس يراقبون منزلك؟».

كان، ابتسامته مليئة بالحقد وهو يضيف: «إن تعاويذ الحماية من الشياط.ن صعبه، ولكن يمكن إبطالها بسهولة. خاصة من قبل الساحرة التي ألق. بها».

«أن. تكذب»، تراجعت إلى الوراء، وهززت رأسي نافية. كانت كلاوديا آمنة. أ. ذها أنطونيو إلى منزلي... شعرت بالغثيان. كان من الممكن أن يعترض أحد ما طريقهما، أو أن يهاجمهما في الطريق. شق الخوف طريقه إلى قلبي، وأنا أقول: «لا يمكن لهذا أن يكون صحيحًا. إن الحماية...»

قاطعني: «لقد سقطت»... مد ذراعه مرة أخرى إليَّ، وهو يقول: «لا بد أن عائلتك مع الأمير الآن؛ كلما قاومتِ، أصبح الأمر أصعب عليهم. وهو لا يحب الانتظار، فالملل بلاء رهيب في مملكة الشياطين».

سألته: «هل إنفي في مطعم عائلتي الآن؟».

أومأ أليكسي.

لم أكن لأصدق كلمة مصاص الدماء بهذه السهولة، ابتسمت ابتسامة تعبِّر عن كراهيتي إياه بينما أهمس بتعويذة الحقيقة المحرمة. لم يكن

أليكسي فانيًا؛ لذلك تجاهلت إحساس الخطأ الذي تملكني من خلال استدعاء هذه القوة المحرمة.

سألته: «هل أجبر إنفي كلاوديا على أن تبطل تعويذة الحماية التي ألقتها على منزل عائلتي؟».

ضغط على أسنانه والحقيقة تُنتزع منه، وأجاب: «نعم».

«هل هم في مطعم عائلتي الآن؟».

«نعم».

تركت تميمة أختي كما لو كانت مشتعلة، وتذكرت الطريقة التي أجبرني بها إنفي على وضع خنجر راث أمام قلبي، لكي أخرجه من مكانه، ثم تخيلته يفعل الشيء نفسه مع عائلتي وصديقيَّ. في الواقع، ربما يكون قد بدأ ألعابه تلك بالفعل معهم. كان مطبخنا يحتوي على عدة سواطير وسكاكين وجميع أنواع الأدوات التي يمكن استخدامها أسلحة أو أدوات تعذيب، وقد كانت معلقة على الحائط. فكرت في أن هذا هو سبب اختياره مطعمنا مكانًا لاجتماعنا.

ودون إضاعة لحظة أخرى، ركضت.

تعثرت في تنورتي، وتبعني صوت ضحكة مصاص الدماء الساخرة في الطرق المظلمة. تجاهلته، فهو لم يعد يهم. كان الوصول إلى مطعمنا هو هدفي الوحيد. اندفعت راكضة في الأزقة الضيقة والشوارع غير المستوية... قفزت فوق دلاء النفايات، وشققت طريقي بين عشاق يمسك بعضهم أيدي بعض سائرين تحت ضوء القمر.

قطعت مسافة تناهز الكيلومترين في لحظات، واندفعت عبر الأبواب الأمامية للمطعم لاهثة. جالت عيناي في الغرفة بحثًا عن الدماء وعلامات الصراع.

حتى رأيت الأمير الشيطاني.

قال: «أنا بالفعل أحب الالتزام بالمواعيد». وأغلق إنفي ساعة الجيب بصوت مسموع وهو يكمل حديثه: «جئتِ في موعدكِ تمامًا، يا حلوتي، فالعرض على وشك أن يبدأ».



التاسع والثلاثون

«**من العار حقًا** ما حدث لجدتك»، جلس أمير الحسد إلى طاولة في الزاوية، وظهره إلى الحائط، يتأمل الطعام الكثير الذي وُضع أمامه. كنا وحدنا في المكان، ولم أستطع أن أحدد ما إذا كان ذلك مريحًا أم أكثر رعبًا. وأكمل: «كل تلك القوة التي تمتعت بها قد تلاشت تمامًا».

ربما كان الأوان قد فات، وكان والداي وجدتي وكلاوديا وأنطونيو مجرد جثث ملقاة في المطبخ. ما إن خطرت لي تلك الفكرة، حتى محوتها سريعًا من تفكيري. لقد قال إن العرض على وشك أن يبدأ. تمسكت بالأمل في أن أتمكن من فعل أي شيء لإيقاف الشر الذي خطط له.

سألته: «أين عائلتي وصديقاي؟».

تصرف كما لو أنني لم أتحدث على الإطلاق، والتقط كأس شرابه، وظل يحرك السائل ثم استنشق رائحته قبل أن يأخذ رشفة حذرة. كانت بدلته الليلة ذات لون أخضر داكن. ومقبض خنجره المرصع بالزمرد يلمع من الحزام الذي ارتداه فوق سترته. قال: «سمعت أن جدتك قد لا تكون قادرة على التحدث مرة أخرى. إنه مصير صعب بالنسبة إلى ساحرة. أتصور أنه من الصعب إلقاء التعويذات دون صوت. استخدام الأعشاب والأحجار الكريمة لا بأس به، لكن التعويذات القوية تحتاج إلى الكلام لكي تعمل، أليس هذا صحيحًا؟».

إذن، هو من كان خلف ذلك الهجوم على جدتي، وليس جريد. فكرت في الرسول البشري، والرجل الغامض ذي غطاء الرأس الذي باع له الأسرار. كان إنفي هو الخائن الذي كنا نبحث عنه. سأجازف بكل سحري عليه. كان راث مقتنعًا جدًّا بأن إنفي لن يثور ضدهم أبدًا، لدرجة أنه لم ينظر إليه على أنه يمثل أي تهديد. ما جعل الفرصة سانحة للشيطان الغيور... وهي فرصة لم يستطع إنفي مقاومة استغلالها.

أردت أن أصرخ وأصرخ وأصرخ. اعتبرت قدرتي على الحفاظ على بعض مظاهر الكرامة هدية من السماء، ورفعت ذقني وأنا أسأله: «سألتك، أين والداي؟».

«محبوسان في المطبخ».

«وجدتي؟».

«تركتها في منزلك، إنها لا تفيدني في حالتها الحالية».

«وصديقاي؟».

«آمنان، في الوقت الحالي».

«ماذا تريد؟».

قال وهو يشير إلى المقعد المقابل له: «اجلسي، وتناولي العشاء معي». عندما لم أسرع إلى إطاعة أمره، انحنى إلى الأمام، وقال مهددًا: «أتعهد بتعذيب عائلتك وصديقيك وأي شخص يغامر بالدخول إلى هذا المكان الرائع إذا رفضتِ عرضي المتحضر يا حلوتي. وبعدها، سأجعل أليكسي يطارد كل من تحبينهم ويمتص دماءهم تمامًا. والآن كوني فتاة مطيعة واجلسي».

«أو لا تفعلي»... ظهر أليكسي خلفي، مبتسمًا، فابتعدت عنه. لم أسمعه وهو يقترب. وأكمل الأمير قائلًا: «أرغب حقًّا في أن أتناول وليمة قبل شروق الشمس».

نقلت نظري بين الأمير الشيطاني ومصاص الدماء. ولم أكن متأكدة أيهما يمثل التهديد الأكبر. سكب الأمير كأسًا ثانية من الشراب. كان قد

قام بتصفيف شعره إلى الخلف الليلة، لينصب التركيز على اللون الأخضر غير العادي لعينيه، وحدة فكه، وقال: «لا تقولي لي إنكِ تفضلين حمام دم على كأس من الشراب ومحادثة ممتعة».

نظرت إليه بحدة. قد أكون عاجزة، لكنني لن أظهر ذلك. قلت: «سأجلس إذا وعدتني بترك صديقيَّ وعائلتي في حالهم، وأن تغادر المكان بمجرد أن ننتهي، وأعني بالـ'مكان'، هذه المدينة».

«أنتِ لستِ في وضع يسمح لك بتقديم المطالب، لكنني أحترم جهودك. *اجلسي* الآن، وتناولي شرابك».

لم يكن أمامي من خيار سوى أن أجلس وأنضم إلى إنفي. أومأ برأسه نحو كأس الشراب. التقطته، وتظاهرت بأخذ رشفة، لكنني لم أثق به، لأنه ربما يكون قد مزجه بشيء قبل وصولي. فإذا كان يخطط لأخذي إلى الجحيم، فسيتعين عليه أن يأخذني بالقوة.

قلت: «أنت إذن من يتآمر ضد برايد».

لم ينكر الأمر، بل اكتفى بمراقبتي من كثب بشكل مثير للأعصاب، كما لو كان يخترق طبقات الجلد والعظام، حتى وجد حقيقتي وما أطمح إلى أن أكونه.

قال: «أفهم سبب افتتان رات بكِ».

إن الافتتان هو آخر ما يمكن لرات أن يشعر به تجاهي، لكنني قلت: «هل طلبت من مصاص الدماء التابع لك أن يوصلني إلى هنا فقط لنتحدث عن أخيك؟».

«إنه يحب التحدي... إنها خصلة الحرب فيه؛ إنها تجعله يريد التغلب والفوز بأي ثمن». أخذ رشفة أخرى من الشراب، وقد تحوَّل انتباهه نحو رقبتي، وهو يقول: «سيصبح من الصعب عليه أن يتخلى عنكِ عندما يحين الوقت، لكنه سيفعل. لا تخدعي نفسكِ باعتقاد أنكِ مهمة بالنسبة إليه. نحن - أمراء الجحيم - مخلوقات أنانية. ليس لدينا المشاعر نفسها التي لدى البشر، وأولئك الذين ولدوا في هذا العالم الغريب. أنت تقفين

بينه وبين شيء يسعى إليه منذ فترة طويلة جدًّا. وفي النهاية سيختار نفسه كما نفعل جميعًا».

وضعت كأسي جانبًا بقوة، فتناثرت محتوياتها على الطاولة الخشبية البالية. قلت: «إذا كان هذا هو ما أتيت من مملكتك الشريرة لتقوله، فهذا أمر مؤسف. أنا أعرف ما تخبرني به بالفعل، كما أنني لست مهتمة بمعرفة أي من هذا».

في تلك اللحظة نفسها، انتبهت للفخ الذي نصبه لي بعناية. بينما حول انتباهه إلى قطع السردين المحشو بمهارة لا تشوبها شائبة. وتناول قضمة، ثم رشفة من شرابه. ابتسم لي ابتسامة كسولة، على الرغم من أن نظرته كانت حادة بما يكفي لتجرح.

قال: «لو أنك فهمتِ أخي إلى هذا الحد، فلماذا لا تخبرينني بما يريده حقًّا؟ أنا متأكد من أن فتاة ذكية مثلك تعرف الإجابة بالفعل، ولا تحتاج إلى مساعدتي المتواضعة في هذا الشأن».

أرادني إنفي أن أحتاج إليه؛ أن أتوسل إليه ليخبرني بالمزيد بدافع الفضول البشري، وبعدها سيطلب مني شيئًا يريده في المقابل. ولا بد أنه يريد شيئًا سيئًا للغاية إذا كان قد كلف نفسه كل هذا العناء. انتابني شعور مريض بالرضا لكوني سببت خيبة أمل لشيطان، فسألته: «ماذا تريد يا إنفي؟ لماذا أنا هنا حقًّا؟».

«في الليلة الأولى التي التقينا فيها، شككت في أنكِ تمتلكين شيئًا أحتاج إليه. هل تعرفين ما هو؟».

عدت بذاكرتي إلى ذلك اللقاء الأول. كنت قد خبأت تميمتي قبل أن يخرج من الظل، وفي ذلك الوقت، كنت قلقة من أنه كان يسعى وراء يوميات أختي، لكن الآن بعد كل ما أصبحت أعرفه، أجزم بأنه يستطيع أن يستشعر قوة التميمة. أجبته: «أنت تريد تميمتي».

«اقتربتِ من الإجابة الصحيحة... أريد تميمتك وكذلك تميمة أختكِ، وأنتِ من سيقدمهما إليَّ».

«ولماذا قد أفعل ذلك؟».

«لأن في حوزتي شيئًا تريدينه».

ارتجفت في مكاني، وكنت أعرف ما يعنيه؛ كان لديه والداي، وصديقاي. قد تكون جدتي في المنزل الآن، لكن هذا لا يعني أنها آمنة. ظللت ساكنة في انتظار أن يوجه الضربة. أنهى اللقمة الأخيرة من الطعام، ثم أطلق زفيرًا وهو يبدو سعيدًا للغاية. وأبعد طبقه ثم ضغط على أصابعه محدثًا فرقعة.

ظهر شيطان له رأس كبش مكتمل له قرنان مستديرتان فوق أذنيه وجسد إنسان. كان يسحب والداي من ياقتيهما، ثم طرحهما أرضًا. كانت عيونهما غائمة، وحركاتهما بطيئة. يبدو أنهما لم يكونا على علم بما يجري.

قفزت من مقعدي، لكن إنفي هز رأسه.

وقال: «اجلسي يا حلوتي. لم ننته بعد. فهناك المزيد».

مع عدم وجود خيار آخر متاح لي، عدت إلى مقعدي.

«جيد. أخيرًا تأخذين الأمر على محمل الجد. لقد انتظرت طويلًا بما فيه الكفاية. أعطيني القرن خلال الساعات الأربع والعشرين التالية، ولن يتعرض أحباؤك للتشويه والتعذيب. فإذا أخبرتِ أي شخص أو فشلتِ في تلبية مطالبي، فسوف يأتون للبقاء معي في مملكتي مع بقية مقتنياتي، أما بالنسبة إليكِ، فسوف تكون نهايتكِ أسوأ كثيرًا. يمكنني أن أعدكِ بأن هذا ليس تهديدًا خاويًا. فهل أوضحت نفسي بشكل كامل؟».

نظرت إلى أمي وأبي مرة أخرى، ولم يتحركا من حيث ألقاهما الشيطان ذو القرنين بلا مبالاة، وأعينهما تحدقان في الفراغ. بطريقة ما، كانت نعمة أنهما لم يكونا واعيين تمامًا لما يحدث.

احترقت عيناي بالدموع التي لم تذرف، وسألته: «ماذا فعلت بهما؟».

«ما يجب أن تقلقي بشأنه هو ما سيحدث لهما إذا لم تحضري لي ما طلبته منكِ».

أبقيت تركيزي على والديّ، محاولة التفكير في طريقة للخروج من هذا الوضع وأنا أقول: «التميمة الأخرى ليست بحوزتي. لقد سُرقت تميمتي في الليلة التي تعرضت فيها جدتي للهجوم».

«إذن، أقترح عليكِ بدء البحث عنها، فقرن واحد لن يكفي».

«إذا كنت أنت من هاجمت جدتي، ألا يعني هذا أنك تمتلك تميمتي بالفعل؟».

«دعيني أقدم إليكِ نصيحة: الاتهامات دون أدلة لا قيمة لها». ثم سكب المزيد من الشراب، وأكمل: «بحلول هذا الوقت غدًا، أتوقع أن تصبح كلتا التميمتين في حوزتي. سأنقل عائلتك وصديقيك إلى منزلك الليلة. فقابليني هناك عندما تحصلين على التميمة الأخرى، وسوف نقوم بعملية التبادل؛ عائلتك وصديقاك مقابل قرن هاديس».

هممت بخلع تميمة أختي من رقبتي، لكنه رفع يده ليوقفني، فسألته: «لماذا لا تريد أن تأخذ هذا النصف الليلة؟».

«إذا لمستها الآن، فسوف يستشعر الأمر أولئك الذين أرغب في إبقائهم في الظلام. لا أريد أن ألفت أي انتباه حتى أمتلك قرني هاديس معًا».

«لم يهتم راث بالقرن من قبل، فلماذا لا أستطيع أن أطلب مساعدته؟».

رمقني إنفي بنظرة غريبة، وقال: «لن يصبح راث البطل في حكايتكِ تلك أبدًا، فهو هنا لهدف مختلف تمامًا. في الواقع، قد يكون هو أكبر كاذب بيننا جميعًا». وأطلقت ضحكة مستهزئة بما يقول، وهو ما بدا أنه أكثر إمتاعًا له، فقال: «إذا كنت لا تصدقينني، فاسألي راث عن الروح الأخيرة التي عليه الحصول عليها... تلك التي ستمنحه الحرية من العالم السفلي، بغض النظر عن اللعنة».

حدقت إلى ذلك الأمير الشيطاني المتعجرف. وكنت سأتهمه بأنه يكذب، لكنني في أعماقي كنت أشك في أنه لم يكن يكذب. كنت أعلم أن راث لديه أجندته الخاصة، وشعرت بأن هذا هو الجزء الأخير الذي لم أعرف عنه شيئًا، لكن روحًا؟ هززت رأسي. لقد أنقذني عندما هاجمتني الأفعى. ولو أن

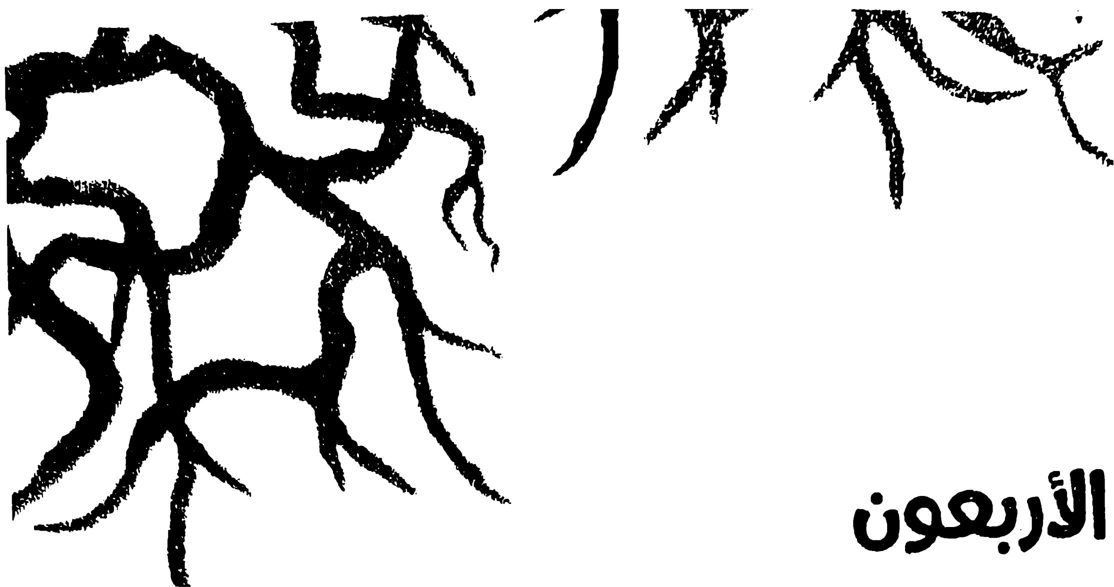
هذا صحيح، لكان بإمكانه المساومة معي على روحي حينها. أو ربما... ربما هو لم يخبرني بذلك لأنه أراد استخدام ذلك الأمر لصالحه عندما يحين الوقت المناسب. زفرت. كانت الريبة تستولي عليَّ ببطء.

«أنت تكذب».

«هل أكذب حقًا؟ اعتقدت أنكِ تعرفين بالفعل، فلماذا تعتقدين أنه - شيطان الحرب العظيم بنفسه - يحرص على إبقاء ساحرة ما آمنة ومرافقتها إلى العالم السفلي؟».

«لأنه يريد أن يبطل لعنة الشيطان». أجبته وأنا أشعر بالشك يزحف كثعبان داخلي.

قال إنفي وهو ينحني عبر الطاولة، ونظرته المسمومة تشتعل بالانتصار: «لديَّ سر يا حلوتي. بمجرد أن يضع يده على الروح الأخيرة، فإن تلك اللعنة لن تهمه. سيحصل على القوة الكاملة، وسيصبح قادرًا على السير في هذا العالم بحرية دون أي قيد. يمكنه إما أن يختار البقاء في الدوائر السبع ويحكم بيته الملكي، وإما أن يتجول في الأرض حتى نهاية العالم. إن حرية الاختيار قوة يرغب فيها الجميع. ونحن الأمراء نحب قوتنا». ثم ابتسم ببطء ابتسامة بطيئة وشريرة وهو يكمل قائلًا: «لم تظني في أعماقك حقًا أنه يمكنه التوبة والخلاص، أليس كذلك؟».



الأربعون

أعظم متعة لأسير الجحيم هي إثارة الفتنة. قبل أي هجوم، تتحول قزحيتا عينيه إلى لون داكن أكثر إظلامًا من ليلة دامسة بلا نجوم وتظهر بها بقع حمراء، وهي علامة على شهوته الشريرة للدماء. لا تواجههم في معركة، فأنت لن تفوز أبدًا

– قواعد من كتاب «دي كارلو» للسحر

انغلق الباب الطويل المقوس خلفي. وبالكاد أصدر صوتًا، لكن راث خرج من ظلام القصر المهجور، ووجهه نصف مخفي في الظل. تخلص من سترة الثعبان، وكانت أزرار قميصه الداكن مفتوحة، والقميص متجعدًا، وشعره في حالة فوضوية أيضًا.

فكرت فيما قاله إنفي، فتسارعت نبضات قلبي. لم أكن أريد أن أصدقه؛ فقد كان راث موجودًا من أجلي دائمًا، حتى عندما قال إنه لن يفعل ذلك، ومع هذا فأنا...

«هل تأذيتِ؟ أنت تبدين...»، ثم توقف عن الكلام عندما ظللت أسير ببطء إلى حيث كان يقف. لم يتحرك، وبدا أنه يتنفس بصعوبة، وأنا أدفعه بهدوء حتى التصق ظهره بالحائط، وقد أمسكت بمقدمة قميصه في قبضتي. كانت عيناه الذهبيتان مسلطتين عليَّ، تحرقانني. تساءلت

عما إذا كان يشعر بما أشعر به... أو لو أن مشاعري قد أثرت فيه بطريقة أو بأخرى أيضًا. احتجزته أسيرًا هناك، وقد حاصرت جسده بجسدي.

كان يمكنه أن يفلت من قبضتي في أي لحظة، لكنه لم يفعل.

أرخيت قبضتي عن مقدمة قميصه، وبسطت يدي ببطء فوق صدره بدلًا من ذلك. نظر إلى وجهي، وكانت تعبيراته حذرة غير أنها حادة... إن تركيز اهتمامه كله عليَّ بهذا الشكل قد أصابني بالتوتر والضياع.

قلت بهدوء وعيناي تفرقان في عينيه: «أريد أن أثق بك». وشعرت بدقات قلبه هادرة تحت لمستي، فسألته: «لماذا لا تخبرني بما تريده حقًّا؟ أشركني معك».

سقطت نظراته إلى وجهي قبل أن يشيح ببصره بعيدًا مرة أخرى في لمح البصر. لم أكن أعتقد أن وميض الرغبة الذي رأيته كان مزيفًا. وكنت أعلم أن المشاعر التي أثارتها داخلي لم تكن مزيفة أيضًا.

دائمًا ما تخيلت أنه قد يتزوج عدوته لو أن ذلك يعني أنه سيستفيد شيئًا من هذا. والآن، لم أكن متأكدة مما إذا كان هذا هو ما يشعر به على الإطلاق. تزايد التوتر بشكل مطرد بيننا، وبدا أن راث مستعد للسماح له بالانفجار... لأنه أراد ذلك. ربما أردت ذلك أنا أيضًا.

حرَّكت يدي، محافظة على ذلك الاتصال بيننا، وكشف قلبه المضطرب عن الرد الذي كان يحاول يائسًا إخفاءه عني. تلك الحرارة المنبعثة منه، والصلابة... فجأة، أردت لهذا الأمر أن يكون حقيقيًا.

أرجعت رأسي إلى الخلف، وصمت فترة كافية، ثم سألته: «هل كان إنفي يكذب عندما قال إنك بحاجة إلى روح أخيرة للحصول على حريتك؟».

ابتعد في ذهول، لكن ليس قبل أن أحصل على إجابتي في شكل نبضة سريعة من قلبه. بدا الاستيعاب على ملامحه لحظة قبل أن يعود وجهه بلا تعبير مرة أخرى وهو يبتعد عني. ملأ الغضب الفضاء بيننا؛ فكان أكثر اشتعالًا من شغفنا.

قال: «ما هذا أيتها الساحرة؟ هل نزلتِ بمستواك حتى تتوددي لشخص تكرهينه؟».

حدَّقت إليه دون أن تطرف لي عين. كان الأمر صحيحًا. لم أستطع سوى أن أهز رأسي. اغرورقت عيناي بدموع حبيسة لم أذرفها. لم يكذب إنفي؛ كان راث يبحث عن روح. وشعرت بأن إدراكي تلك الحقيقة بدا مثل ضربة جسدية. اختبرت الشعور بالحمق عندما اكتشفت أنني عقدت بيننا رباط خطبة بالخطأ، لكن هذا الشعور مختلف؟

أشعر بأنني سأتقيأ.

بدا أن غضب راث قد تبدد عندما لاحظ النظرة التي علت وجهي. تقدَّم إلى الأمام، ويده ممدودة، ولم يتوقف إلا عندما هززت رأسي مرة أخرى. سقطت ذراعه إلى جانبه، ثم قال: «إميليا، أنا...»

«لا».

بدا مستعدًّا للمجادلة، لكنه استمع إليَّ، ثم مرت ثوانٍ طويلة. ركزت على ثبات وتيرة أنفاسي، وتركت مشاعري تتفكك. كنت غاضبة منه، لكنني كنت غاضبة من نفسي أكثر. أدركت أنني أردت أن أثق بـ راث أكثر مما اعترفت به لنفسي.

على الرغم من أنني أعرف الحقيقة، لكنني أردته أن يكون الأمير المنقذ وسط هذا الكابوس. لقد وقعت تحت تأثير سحره، وبينما كرهته في بعض الأوقات، بدأت أيضًا أستمتع بصحبته.

لقد صرفني عن ألم فقدان أختي، وأعطاني شيئًا لأركز عليه، لقد كان شخصًا يمكنني أن أهاجمه، وسيرد على الفور. والآن... كان الأمر كما لو أن لاست قد عاد إلى الظهور وقد انتزع كل قطرة من السعادة مني مرة أخرى. لكن هذه المرة، أنا المسئولة، ومن يجب أن يتحمل اللوم. لقد وثقت به، وكان يجب ألا أفعل.

«إميليا».

«لا أستطيع...»

ضم راث يديه.

«إن إنفي هو من يوسوس لكِ، هل نسيتِ كل ما فعلته من أجلكِ.
أخبريني، إميليا، ماذا فعل هولكِ؟ بصرف النظر عن محاولة إجبارك على إخراج قلبكِ من صدرك. ما الشيء المشرف الذي فعله ليستحق ثقتكِ؟ سفك دماء من تحبين؟ ربما تحبين التهديدات، وربما ينبغي لي أن أمنحكِ بعضًا منها بنفسي».

بدا كأن الأرض تهتز بقوة غضبه.

لقد أراد مني أن أدرس أعدائي من كثب، وهذا ما فعلته بالضبط.

فوجئت بأن صوتي خرج قويًا غير متوسل وأنا أقول له: «أخبرني بأن ما قاله ليس صحيحًا إذن. أخبرني بأن إنفي يكذب، وبأنك لست بحاجة إلى حصد روح أخرى للحصول على حريتك. أخبرني بأن استغلال الساحرة لصالحك لم يكن جزءًا من سبب قبولك هذه المهمة. بل الأفضل من ذلك، أخبرني بأنك لم تفكر في استخدام روحي. هل يمكنك فعل ذلك، أم أن الصلة التي بيننا تجعل من المستحيل عليك أن تكذب؟».

للمرة الأولى، بدا أن راث لم تكن لديه إجابة. وبدا مستعدًّا لتدمير بقية القصر المتهدم، وقد فوجئت عندما لم يفعل ذلك.

قلت بصوت منخفض: «يمكن وصم إنفي بالكثير من الأشياء... حقير، خسيس، أناني، متآمر، لكنه لا يخفي هذه الصفات. لقد أخبرني بما يسعى إليه حقًّا. أخبرني بما يريد، وبما سيفعل إذا لم أنفذ أوامره. لقد وجَّه تهديدات رهيبة، وتصرف بناءً عليها، لكنه لم يخدعني قط، أو يتظاهر بأي شيء آخر غير حقيقته».

قلتها له صراحة.

صدمني اليأس بقوة. لقد كذب راث، ربما ليس بشكل صريح، لكنه كذب من خلال إغفاله تفاصيل أخرى. وهو ما يعد كذبًا. أردت أن أضربه لكي أجعله يتألم بالكم نفسه الذي أتألمه، وبدلًا من ذلك، التفت وسرت مبتعدة.

حاولت جدتنا تحذيرنا من أكاذيب أمراء الشياطين، وكان يجب أن أستمع لها.

فجأة، تحرك سريعًا بشكل لم تستطع حواسي أن تستوعبه ووقف أمامي، ثم سألني: «ألم تخبركِ أفعالي بالحقيقة؟ هل نسيت الأسابيع القليلة الماضية... إنقاذ حياتك من الأفعى... القصر الذي لا يمكن اختراقه... الحمام العلاجي... هل تعتقدين أنني بحاجة إلى النوم في مكان محمي بالسحر؟ أنا الذي لا يمكن أن يُقتل؟».

قلت: «ليس لديَّ وقت لهذا»، ثم تخطيته متجهة إلى الدرج، وأضفت: «سأعود إلى المنزل لأبقى مع عائلتي. إن إنفي يحتجزها، وهو شيء آخر قاله، وتبين أنه صحيح».

لحق بي وهو يقول: «لا».

«لا أتذكر أنني طلبت الإذن منك أيها الشيطان».

«سوف يطعنكِ إنفي في ظهرك في اللحظة التي يحصل فيها على ما يريد».

«هل أنا سجينتك الآن؟».

«لا، ولكنني مستعد تمامًا لأن ألقي بكِ في زنزانة، إذا كان هذا هو ما تريدينه».

تجاهلته وبحثت في الفساتين الجديدة التي ظهرت بطريقة سحرية في خزانة ملابس متداعية في وقت ما خلال الساعات القليلة الماضية. كان راث مهووسًا جدًّا بتوفير الملابس لي.

وجدت فستانًا أسود فحميًا بسيطًا يسهل ارتداؤه ووضعته على السرير. لم أصدق أنه يتعين عليَّ الآن اختيار ملابسي بناءً على ما إذا كانت لن تعوقني أثناء فراري من شيطان، أو مصاص دماء، أو أي مهاجم شرير آخر.

ضم راث ذراعيه أمام صدره ووقف. فإذا كان يعتقد أنني سأتردد في تغيير ملابسي أمامه، فلديه الكثير ليتعلمه مني. خلعت ثوبي الذي كنت أرتديه بينما راقبني راث بلا مبالاة وأنا أرتدي الملابس الجديدة.

الآن، بعد أن علمت أن إنفي يريد قرني هاديس، كنت بحاجة إلى تحديد مكان تميمتي في الحال. وقبل أن أسلمه إيَّاها، سأعقد معه صفقة، سأجعله يتعهد بإغلاق بوابات الجحيم قبل أن يتسلل المزيد من الشياطين عبرها، وبعد ذلك يمكنه خوض حرب مع العالم السفلي كله كما يريد. ما دام عالمنا محميًا، فأنا لست مهتمة بما يحدث في عالمهم.

ربطت شعري الطويل بشريط، وربطت حزامًا صغيرًا بحقيبة حول خصري، وأضفت إليه الطباشير المباركة بالقمر واليارو المجفف. كان هذا هو أفضل ما يمكنني أخذه لحماية نفسي. غادرت الغرفة، وتوجهت إلى أسفل الدرج.

تبعني راث عبر الممر، وتوقف بالقرب من الباب المؤدي إلى الحديقة، فمددت ذراعي ومنعته من العبور.

قلت: «لا تأتِ ورائي، أنا أعني ذلك».

«إميليا، من فضلك. لا...»

«أقسم، إذا تبعتني، فسأقطع الرباط الذي بيننا وأرسلك مباشرة إلى الجحيم».

زم راث شفتيه معًا، ولم يكن مسرورًا، لكنه لم يجادل، ولم يتحرك. شعرت بالارتياح، فخرجت من باب الحديقة، واندفعت عبر مجموعة متشابكة من الكروم والشجيرات الكثيفة، مقتحمة ظلام الليل.

الحاري والأربعون

على بعد منزلين من منزلي، أحسست بوقع أقدام خفيفة خلفي. وبعد كل ما حدث لي تلك الليلة؛ تشتت عقل أعز صديقاتي بين العوالم، ومقابلتي مصاص دماء يحركه ظمأ الدم، وشيطانين مخادعين، لم أكن متأكدة مما عليَّ توقع حدوثه الآن.

كان هناك عدد كبير من الأشرار الذين خرجوا لاصطياد الساحرات. ربما عاد شيطان الظلال، أو ربما يطاردني شيطان ظلال آخر. ولسبب ما، فكرت في أن إنفي وجريد سيتعاونان للحصول على قرني هاديس، وبعدها سيسلخان جلدي، وهو ما جعلني أرتجف خوفًا.

لم أكن مستعدة على الإطلاق للأخ كارماين؛ كانت ثيابه الداكنة تصدر هسيسًا أثناء احتكاكها بحجارة الطريق، وكأنها همسات صغيرة تحذرني بأن أهرب وأختبئ.

أسرعت بالاختباء بين مبنيين يجاوران منزلي. كان قلبي يدق بقوة مع اقتراب صوت خطواته، وقد حافظ على خطى ثابتة، وهو يدور برأسه من جانب إلى آخر، ويمر بجانبي. لم أكن متأكدة عمن كان يبحث، ربما كان يحاول العثور على المكان الذي أوصل أنطونيو كلاوديا إليه، وكان يجب أن أعرف أنه لن يسمح لصديقتي بالمغادرة دون التأكد من أن الشيطان لا يعبث بداخلها.

انتظرت قليلًا قبل أن أطل برأسي من جانب المنزل لألقي نظرة، فرأيته وقد توقف عند نهاية الشارع ليجري محادثة بصوت منخفض مع عضو آخر من الأخوية، تناهت إلى مسامعي بعض الكلمات المتفرقة مما كانا يقولان:

«أنطونيو... ليلة...».

«... غير مبارك».

«... مفقود».

«وجد... علامات؟».

اتكأت على المبنى، وأخذت أستنشق بعض الهواء بعمق. كان أنطونيو مفقودًا لأن أمير الجحيم احتجزه رهينة، والأمر كله خطئي لأنني طلبت منه أن يرافق كلاوديا إلى منزلي. كنت بحاجة إلى إصلاح كل هذا قبل أن يتأذى أي شخص آخر، كما أن الأخ كارماين لم يكن بحاجة إلى سبب ليبدأ مطاردة الساحرات، فاستدعاؤه من المكان الذي أرسلته إليه الكنيسة كان علامة على أنها تعتقد أن الشيطان يعيث فسادًا كما يشاء بيننا.

خرجت من الظلال وأسرعت إلى منزلي.



كان المطبخ مكتظًا لوجود ثلاثة من الشياطين مع عائلتي. وكان أحدهم هو ذاك الشيطان ذا رأس الكبش، وقد وقف يحرس والديَّ، أما الآخر فلم يكن أكثر من مجرد ظل كثيف يحوم فوق جدتي وكلاوديا المنهارة والمخدرة؛ شيطان ظلال. لم يكن أنطونيو معهم، فانتابني القلق، فلم أكن متأكدة من رد فعل الشياطين تجاه البشر الذين كرسوا أنفسهم لخدمة الدين. لكن ذلك بالتأكيد لم يبشر بالخير بالنسبة إلى صديق طفولتي، كما أنني لم أرَ مصاص الدماء في أي مكان. تمنيت ألا يعني هذا أنه كان يتغذى على دماء أنطونيو في مكان ما.

أما الشيطان الأخير في الغرفة، فكان الأمير الخائن نفسه؛ إنفي.

سألته: «أين أليكسي؟» لأنني لم أرد أية مفاجآت أخرى.

أجابني: «لقد عاد إلى المملكة، ليعتني بشؤون منزلي حتى أعود».

جلس إنفي على كرسي جدتي الهزاز، وقد رفع قدميه فوق الطاولة، فتناثر الطين من حذائه عليها.. على المكان نفسه الذي كانت أختي تحضر فيه مقاديرها ومشروباتها. اشتعل داخلي شيء مظلم وشرير عندما رأيت ذلك، لكن لم يبدُ إنفي قلقًا. قال لي: «ما لم تكن لديك التميمة الأخرى، يا حلوتي، فهذه الزيارة غير مُرحب بها على الإطلاق».

ربما كان سبب ما حدث بعدها هو الغضب المتقد الذي حاولت كتمه بعد لقائي راث، أو ربما السبب هو رؤية أحبائي وهم على الأرض في منزلنا، أو ربما هو شعور بالتهور التام، لكن ما أعرفه على وجه اليقين أنني نلت كفايتي وطفح الكيل. تقدمت سريعًا وضربت حذاء إنفي بعيدًا عن طاولتنا، وأنا أقول له: «أظهر القليل من الاحترام يا صاحب السمو، قد تكون هذه هي الطريقة التي تتعامل بها مع الأمور في جحيمك، ولكن هذا منزلنا».

فجأة، أصبح خنجر إنفي على حلقي قبل أن أتمكن من أن أطرف بعينيَّ، وسألني: «لقد سألتِ راث عن الروح، أليس كذلك؟ أتصور أنه لم يعجبكِ ما قاله»، قال ذلك ثم ضغط بالخنجر على حلقي أكثر. شعرت بوخز طفيف عندما اخترق نصله جلدي. ظللت ساكنة، لم أجرؤ على التنفس قط، ثم عاد ليقول: «لا تصبي غضبك عليَّ، وإلا فسأطعن جدتكِ بخنجري هذا. لا يوجد شيء أكثر إرضاءً من مشاهدة ساحرة تنزف، خاصة واحدة...»

«سيلنتيوم»

ترددت تعويذة الصمت في الغرفة، وأوقفت كلمات إنفي كما لو أنها قُطعت بسكين. نهضت جدتي عن الأرض، وقد أحاط بها وهج أرجواني خافت. لم أستطع أن أصدق الأمر؛ لقد أجبرت الأمير الشيطاني على

الصمت. أمسكت *بتميمتها* وبدأت ترديد تعويذة لم أسمعها من قبل. حدقت إليها، دون أن أطرف بعينيّ، بينما ازداد صوتها قوة. ولم أكن أعلم أنها قد شُفيت، ويبدو أن الشياطين لم يدركوا ذلك أيضًا، وهو خطأ كانوا على وشك دفع ثمنه. رسمت جدتي صورة في الفراغ أمامها، فظهرت أمامها تعويذة سيماروتا متوهجة؛ تلك التميمة الخاصة بفرع نبتة الحرمل بسيقانها الخمس.

أذهلتني قوتها، حتى إنني لم ألحظ البوابة السوداء المتلألئة التي كانت تتشكل خلف إنفي. وعندما لاحظتها فتحت فمي في صدمة، وصحت: «يا إلهي».

تحول الضوء الأرجواني المحيط بجدتي إلى اللون الفضي الآن، وقد بدا إنفي قلقًا للمرة الأولى؛ لأنه اتخذ خطوة صغيرة إلى الخلف، وعيناه تتنقلان بين شياطينه، لكن جدتي انتزعت حفنة من الشمر المجفف من جيب تنورتها، وهمست بتعويذة ثبتت قدميه في مكانها.

حركت معصمها بطريقة معينة فانطلق خيط أسود في الهواء ناحية أمير الجحيم، ثم زحف نحو قدميه مثل الثعابين. تحرك الشيطانان الآخران نحو إنفي، وما إن فعلا حتى ارتدا بواسطة الظلال السوداء الناتجة عن التعويذة. كان صوت دقات قلبي عاليًا للغاية تردد صداه في أذني عندما رأيت ما فعلته جدتي، فهي قد ربطت قدميه بالأرض، والآن هو لا يستطيع الكلام أو الحركة. اتسعت عيناه بما يكفي لإظهار بياض عينيه كاملًا.

عادت جدتي إلى تعويذتها، قالت: «مفتاح للقفل، وقمر لينير الطريق».

عاد انتباهي مرة أخرى إلى الصورة السحرية لفرع نبتة الحرمل حيث بدأت كل من السيقان الخمس في التحول والتمدد إلى أشكال مختلفة، وقد بدأ يتشكّل مفتاح وقمر في نهاية فرعين منهما. فجأة، عرفت بالضبط ما كانت جدتي تفعله. حيث نظرت إلى عينيّ.

وقالت: «الآن، إميليا».

أمسكت بتميمة فيتوريا وركزت على السيماروتا المتوهجة، لأقوي تعويذة جدتي بقوتي الخاصة، قلت: «خنجر للقتل، وثعبان ليموت».

ظهرت صورتان أخريان على التعويذة المتوهجة. أومأت جدتي برأسها في استحسان. قلنا الجزء الأخير من التعويذة معًا، وصوتانا يرنان كدوامة من الرياح التي تعوي داخل بوابة العبور.

قلنا: «أيتها البومة المباركة انطلقي وطيري».

ظهرت الصورة النهائية في نهاية السيماروتا. الآن، أصبحت التعويذات الخمس جميعًا تنبض بضوء أرجواني. سارت جدتي إلى المكان الذي وقف فيه إنفي غير قادر على الحركة، وانحنت، ثم همست بشيء جعل عينيه تتسعان أكثر.

بعدها، وضعت كلتا يديها على صدره، وأرسلته مباشرة إلى الجحيم. تبعه الشيطانان المتبقيان في المكان عبر البوابة. تركت جدتي تميمتها واستندت في تعب إلى الطاولة، وقد تلاشت السيماروتا، وبعد وهلة، أغلقت البوابة. غطى الصمت الغرفة. وشعرت برغبة في السقوط على ركبتيَّ والتقيؤ.

تحول انتباهي إلى والديَّ اللذين كانا لا يزالان في تلك الحالة الضبابية شبه اللاواعية. كانت كلاوديا أيضًا منكمشة على الأرض، وعيناها مغمضتان كما لو كانت نائمة. أيًا كان السحر الذي استخدمه إنفي عليهم، فلا بد أنه سيستغرق وقتًا حتى يزول. سارت جدتي عبر المطبخ الصغير، وسقطت جالسة في إنهاك شديد على كرسيها الهزاز. قالت لي: «أحضري الشراب من صندوق الثلج واجلسي يا طفلتي، فنحن لدينا الكثير لنناقشه وليس أمامنا الكثير من الوقت. لن تدوم تلك التعويذة طويلًا. ولديَّ شعور بأنه سيعود».

حدَّقت إلى جدتي. لقد رسمت من فورها سيماروتا متوهجة، ونفت أميرًا من الجحيم إلى العالم السفلي، وبدلًا من أن تبدو مرهقة، كانت عيناها متيقظتين تمامًا. في الواقع، إذا نظرت من كثب، أقسم أنه كانت

توجد نجوم صغيرة متلألئة تتألق في قزحيتي عينيها. سألتها: «أي نوع من السحر كان ذلك؟».

«النوع الذي سيتطلب ثمنًا، والآن أحضري لي الشراب». سكبت كأسين، وناولت إحداهما إلى جدتي. تناولته في جرعة واحدة ثم زفرت، وبينما عادت ترتشف من كأسها مرة أخرى، وضعت كأسي جانبًا، ولملمت شعري إلى الخلف. جعلتني التعويذة التي استخدمناها أتعرق. نظرت جدتي إلى عنقي، وقد شحب وجهها، وقالت: «لقد جرى وسمكِ».

سألتها وأنا أفرك المكان الذي ضغط فيه بخنجره على رقبتي: «بخنجر إنفي؟ لم أكن أعتقد أنه سيجرحني بهذا العمق».

«لا يا طفلتي، لقد جرى وسمكِ من قبل أمير من العالم السفلي لكن بطريقة مختلفة؛ من المفترض أنه شرف كبير بين بيوتهم الحاكمة، فعدد قليل جدًّا من يُمنحون هذا الشرف».

لا بد أنها مخطئة، وبدلًا من الجدال، توجهت إلى الحمام الصغير. أزحت شعري جانبًا وانحنيت لأرى رقبتي بوضوح. لم ألحظ أي شيء غير عادي، ناهيك عن علامة خاصة.

«أترين؟» ظهرت جدتي خلفي، ووضعت إصبعها على شيء ما في رقبتي. لا بد أنها استخدمت تعويذة إذ فجأة ظهر حرف S صغير متلألئ. حدقت إليه.. هل كان ذلك ثعبانًا؟

وقفت دون حراك، كان هذا هو المكان الذي لمسه راث بفمه في الليلة التي كدت أموت فيها بعد هجوم الأفعى. لقد لمسه أيضًا مرة أخرى في وقت سابق هذه الليلة. رفعت يدي إلى ذلك المكان وتتبعته بأصابعي، شعرت بالبرودة فيها، وتجهمت وأنا أسأل: «ما الذي يفعله هذا الوسم؟».

لم تبدُ جدتي سعيدة على الإطلاق وهي تجيبني: «إنه يسمح لكِ باستدعاء الشيطان الذي وضعه دون استخدام أي شيء يخصه. وما دام أمير الجحيم يتنفس وعلى قيد الحياة، فلن يمنعه شيء من إجابة ذلك الاستدعاء».

«أنت تمنين... يمكنني استدعاؤه دون استخدام خنجره؟».

أومأت جدتي ببطء، بدت على وشك إلقاء محاضرة؛ لذلك تركت شعري يأخذ مكانه منسدلًا بسرعة. قالت لي: «إنه أمر خطير يا إميليا. فمن وسمكِ بتلك العلامة؟».

لم يكن هناك جدوى من الكذب، لذلك أجبتها: «أمير الغضب».

سألتني: «هل أنتِ متأكدة؟»، فأومأت. كان راث هو الوحيد الذي لمسني. حاولت ألا أفكر في اقترابه مني في وقت سابق من هذه الليلة، أو ما جعلني أشعر به. حدقت جدتي إليَّ دقيقة أخرى. ثم قالت: «أعتقد أنه لا يمكن إنكار الأمر الآن».

«إنكار ماذا؟».

«النبوءة، عندما كنت شابة، كُلفت بأن أكون إحدى حارسات قرني هاديس».

خانتني الكلمات، وأعدت اعترافها في رأسي، وتمكنت بطريقة ما من صياغة بعض الأسئلة اللائقة. فسألتها: «حارسات؟ كم عددكن؟ وأية نبوءة؟».

«تحلي بالصبر يا ابنتي، سأجيب أسئلتكِ كلها».

أمسكت بتميمة أختي، وأنا أسألها: «هل ارتديتهما من قبل؟».

«لا، لم أفعل قط. ففي كل جيل، منذ الوقت الذي سلمتهما فيه لا بريما للمرة الأولى، جرى اختيار ساحرة لحراستهما، وأخبرنا بنبوءة قديمة تتعلق بتوأمتين من الساحرات؛ وأنهما عندما تولدان، في ليلة عاصفة رهيبة، فحينها فقط من الممكن ارتداء التميمتين».

أخذت نفسًا عميقًا، فقد كان ما تقوله أكثر من أن يمكن استيعابه دفعة واحدة. «كيف عرفت أنني وفيتوريا مناسبتان لذلك؟ ربما كانت هناك توائم أخريات...»

قاطعتني قائلة: «لم تولد توأمتان أخريان من الساحرات، وتتمتع كلتاهما بقوى سحرية في هذا النسل مثلكما».

سألتها: «لم يحدث هذا قط؟». هزت جدتي رأسها نفيًا. فسألتها مرة أخرى: «فماذا كانت النبوءة بالضبط؟».

احتست جدتي جرعة كبيرة من شرابها مرة أخرى. وارتسم تعبير حزين على وجهها، وهي تقول: «إنهما علامة على نهاية لعنة الشيطان، وكلتا التوأمتين ستضطر إلى تقديم تضحيات كبيرة للحفاظ على بوابات الجحيم مغلقة. فإذا اختارتا عدم القيام بأي شيء، فسينتصر الجحيم على الأرض. والهدف من وجود التوأمتين هو تحقيق التوازن في كلا العالمين.. كما بالأسفل كما بالأعلى».

خفق قلبي، كان هناك شيء ما في تلك العبارة، شيء مدفون بعمق... لقد سمعتها من قبل مرتين. والمرة الأولى عندما كنت تحت تأثير لاست، ثم عندما كنت أتعافى بعد ذلك مع راث. سألتها: «ما الذي تعنيه هذه العبارة بالضبط؟».

أجابتني جدتي: «لا أحد يعرف على وجه اليقين». ومن ثم تحول انتباهها إلى حيث كان والداي يتحركان الآن، ثم أكملت: «كان الأمر مثار جدل وخلاف مستمرين بين عائلات السحرة الثلاث عشرة في باليرمو. يعتقد البعض أنه يشير إلى استخدام السحر الأبيض والأسود، وقليلون منهم يعتقدون أن هذا يعني أن أميرًا من الجحيم سوف يقع في حب ساحرة. يعتقد البعض الآخر أن هذا يعني أن إحدى التوأمتين ستحكم الجحيم لمنع تدمير هذا العالم. وهناك آخرون يعتقدون أن كلتا التوأمتين ستضحي بنفسها لإنقاذ كلا العالمين، كل واحدة منهما في عالم».

«ما علاقة الوسم بـ...»

قاطعتني قائلة: «إذا كانت النبوءة صحيحة، فهذا يعني أنه لم يتبقَّ الكثير من الوقت، فالبوابات تتحطَّم». فجأة دفعتني جدتي خارج الغرفة الصغيرة إلى نهاية الردهة. وقالت: «يجب عليكِ الهرب يا إميليا. اتركينا هنا وارحلي. سننتظر يومًا أو نحو ذلك ثم سنختبئ أيضًا. سنجد طريقة للقاء مرة أخرى، يومًا ما. وفي الوقت الحالي، عليكِ أن تغادري المكان

وألا تلفتي انتباه أمير آخر من أمراء الجحيم. هل تفهمين؟ لا تثقي بهم، لا تثقي بأي أحد منهم، وسنجد طريقة لوضع تعويذة على البوابات بشكل مؤقت، أما أنتِ فعليكِ التركيز على البقاء في الخفاء».

«لا أستطيع».

«بلى تستطيعين.. سوف تفعلين ذلك فلا سبيل غيره. غادري المكان قبل أن يعود ذلك الشيطان. سنجد طريقة لإيقاف النبوءة، نحتاج فقط إلى بعض الوقت». وضعت جدتي يديها على وجهي بحنان، وعيناها البنيتان تدمعان، ثم قالت: «إن الحب هو أقوى سحر، تذكري ذلك، سوف يرشدك دائمًا إلى المكان الذي تريدين الذهاب إليه». ثم أسقطت يديها، وتراجعت قائلة: «اذهبي الآن يا طفلتي. اذهبي وكوني شجاعة. سينتصر قلبكِ على الظلام. ثقي بذلك».



الثاني والأربعون

خرجت من منزلنا إلى الشارع متعثرة ولاهثة أحاول التقاط أنفاسي دون جدوى. رسم الفجر خطوطًا حمراء وذهبية عبر السماء. وحدقت إليه وأنا أحاول أن أتأقلم مع واقعي الجديد. وظل العالم كما كان دائمًا، لكنني شعرت بأنه قد تغيَّر بشكل لا رجعة فيه. نبوءة بكارثة... بحثت عن نفس آخر، فلم أستطع أن أصدق أن أحدًا لم يخبرنا بذلك من قبل، إن معرفة أن وجودي في حد ذاته قد يعني نهاية العالم كانت سرًّا كبيرًا يجب عدم الاحتفاظ به، خاصة إذا لم يكن هناك الكثير من الوقت المتبقي قبل أن تُفتح بوابات الجحيم.

لم أستطع كذلك أن أصدِّق أن جدتي قد تغلبت على أمير من أمراء الجحيم، وأن راث قد وسمني... كان كل شيء يحدث بسرعة كبيرة للغاية، وبالكاد أستطيع استيعاب هذا كله. ألقيت نظرة سريعة على منزلي، وقد بدأت أصوات خافتة تخرج منه. لقد استيقظ والداي. صعدت الدرج سريعًا، وتوقفت.. حامت يدي فوق المقبض. أردت أكثر من أي شيء آخر أن أدخل لأعانق والديَّ؛ لأخبرهما بأنني أحبهما، لكنني لم أستطع. بكيت وأنا أسرع في الابتعاد. لم أرغب في تركهم، ولكن إذا كان ما قالته جدتي عن النبوءة صحيحًا، فسيكون الجميع أكثر أمانًا من دوني.

سرت مسرعة في الشوارع محاولة وضع خطة ما، وتساءلت عما إذا كانت أختي قد علمت بأمر تلك النبوءة. لو أنها قد فعلت، فهذا يفسر سبب اعتقادها أن قبول صفقة الشيطان أمر ضروري. ربما كانت تحاول إنقاذي، فبين انهيار بوابات الجحيم والنبوءة، كانت الخيارات تتضاءل بالنسبة إلى الطريقة التي ربما أتمكن بها من منع وقوع المزيد من الفوضى.

مررت بالسوق، متجنبة أكشاك البائعين الذين أعرفهم، متجاوزة الحشود، لينتهي الأمر بي في شارع شديد الانحدار يواجه البحر.

كنت أفكر كثيرًا فيما قالته جدتي... عن كون الحب أقوى سحر. لم أكن متأكدة مما إذا كان ذلك صحيحًا بالمعنى الحرفي، لكن حبي شقيقتي جعلني أقوى... ففي الأشهر التي تلت مقتل فيتوريا، تركت راحتي ورائي لكي أحاول منحها السلام، واستدعيت شيطانًا، وواجهت أربعة أمراء من الجحيم، وحاربت شيطانًا عملاقًا يشبه الثعبان، وطاردني آخر وكاد يعضني، وقد نجوت من كل ذلك. خدعت جريد، وحصلت منه على المعلومات التي أريد، وتعلمت المناورة من راث. لم أكن أعلم أنني أمتلك روحًا مقاتلة قبل كل هذا. والآن، عرفت أنني أستطيع أن أفعل أي شيء من أجل الذين أحبهم.

أمسكت بتميمة فيتوريا؛ لأنني أردت أن أشعر بالارتباط بها. تمنيت لو أنها رأت جدتي وهي تقاتل أميرًا شيطانيًا. عندما أحطت التميمة بأصابعي، ظهرت بعض التفاصيل الصغيرة. وإن كنت لا أعرف كيف جرى التواصل، ولكن الأمر حدث فجأة.

الشمر، استخدمت جدتي الشمر المجفف في تعويذتها ضد إنفي. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها الشمر مرتبطًا بشيء متعلق بمحاربة أمراء الشياطين. كما أشار راث إلى أن الصورة المرسومة على باب مخزن الصيادين القديم كانت تحتوي على مخلب يحمل ساق شمر لا قمحًا كما كنت أعتقد أولًا.

ما يعني أنه... تسارعت نبضات قلبي. فكرت في المزيد من قصص طفولتنا. كنت أعرف ذلك الرمز، فهو لم يكن موجودًا في مذكرات فيتوريا، ولم يكن يخص أي أمير شيطاني أيضًا، بل العكس تمامًا. لم أفكر في الأساطير منذ تلك الليلة التي ذكرها فيها أنطونيو في الدير، لكنها كانت ترمز إلى مجموعة قديمة من المتحولين الذين قيل عنهم إنهم يحاربون الشر.

سمع الجميع تقريبًا في طفولتهم في مملكة إيطاليا قصصًا عن المتحولين الأقوياء، وقد حولتهم تلك الأحاديث في النهاية إلى أساطير، لكن هذا لا يعني أنهم لم يكونوا حقيقة. يبدو أن القرويين الذين تحدث إليهم أنطونيو يعتقدون أنهم على قيد الحياة وبصحة جيدة، وأنهم يتجمعون مرة أخرى. شعرت بالإثارة تملؤني؛ إذا كانت طائفة قديمة من المحاربين تعيش في باليرمو، فربما يكون الوقت قد حان لمعرفة ما إذا كانوا يرغبون في المساعدة على تخليص المدينة من الشياطين التي تغزوها.

بصرف النظر عن أي شيء، شعرت بأمر خارق للطبيعة في ذلك المخزن، والآن سأكتشف بالضبط كنه ما شعرت به.



داخل ذلك المبنى المهجور الذي يحمل رمز المتحولين، كان كل شيء ساكنًا وهادئًا بشكل مخيف؛ وكأن الغرفة نفسها كانت تنتظر، حابسة أنفاسها، منتظرة أن تكتشف أسرارها. هناك شيء في ذلك المكان كنت بحاجة إلى العثور عليه. كنت أعرف ذلك.. وشعرت به.

الآن، تفحصت كل شيء بعناية، وركزت انتباهي على كل لوح أرضي، وكل زاوية، وكل شيء آخر يمكنني رؤيته. لا تزال شباك الصيد وأدواته ملقاة في الأكوام نفسها. ومع ذلك، قررت هذه المرة أن أرى ما إذا كانت

الهالة المضيئة التي أراها ستساعدني على تحديد موقع الشيء السحري كما كانت أختي قادرة على استغلال هبتها في سماع هذه الأشياء وهي تهمس لها بهدوء.

تمسكت بتميمة فيتوريا وركزت بشدة على قوتي السحرية، محاولة إجبار الهالة على الظهور، ولم يحدث ذلك، ولكن حدث شيء غريب آخر، كلما حاولت التركيز على الهالة، أصبحت أكثر انسجامًا مع الأصوات. أغمضت عينيَّ، واستمعت إلى طنين طفيف يناديني. كان هناك شيء مألوف لكنني لم أتمكن من تحديده تمامًا.

تخليت عن التفكير العقلاني والمنطق، وسلمت نفسي لحواسي تمامًا.

سرت إلى يميني فتلاشى الصوت. استنشقت الهواء بعمق، وركزت تمامًا، ثم سرت يسارًا. عاد الطنين. اقتربت منه، توقفت مؤقتًا لأعيد التركيز في كل مرة يبدأ فيها الصوت يتلاشى، وكلما اقتربت، أصبح الصوت أعلى وأكثر ثباتًا.

اتخذت خطوة أخيرة إلى الأمام، ثم توقفت.

فتحت عينيَّ، كنت أمام الجدار البعيد حيث علقت خطافات الصيد في صفوف مرتبة، وتذكرت أنني ألقيت عليها نظرة في اليوم الذي غامرنا فيه أنا وراث بالدخول. انجذبت إليها في ذلك الوقت، لكنني لم أثق بغرائزي. مررت بأصابعي عليها، وكان بعضها لامعًا، والبعض الآخر ذاويًا بسبب الاستخدام والصدأ. وصلت إلى نهاية الجدار وتوقفت. تهيأ لي أن أحد الخطافات الذي بدا عاديًا جدًا يصدر طنينًا أعلى كلما اقتربت منه، لكن اختفى الصوت فجأة.

ركزت مرة أخرى، فعاد الصوت. زفرت بقوة، وتجاهلت الأسئلة التي لم تكن لديَّ إجابات لها، لكنني لم أكن متأكدة مما يجب عليَّ فعله، فمددت يديَّ لإزالة الخطاف القديم من الحائط. وبينما كنت أسحبه، انفتح باب سري خلفه. يا إلهي، لم أتوقع ذلك.

نظرت بحدة خلفي، قلقة من وجود جاسوس غير مرئي يتربص بي، ربما كان ينتظر لإبلاغ الشخص الذي يعمل لصالحه. قمت بالنظر في أرجاء الغرفة ببطء، كان الشيطان الذي استأجره إنفي قد اختفى بالفعل، ومن الواضح أن المدينة لم يكن بها الكثير منهم.

تجاهلت القشعريرة التي انتابتني، ومررت من خلال الباب السري. أقسم أنني سمعت الهمسات البعيدة لأصوات كثيرة تأتي من داخل الممر الخفي. فكرت في يوميات فيتوريا، وفي السطور التي حاولت فك شفرتها لكنها كانت مشوشة مثل جلسة استحضار الأرواح التي قامت بها كلاوديا.

تابعت همهمة الأصوات إلى داخل كهف مرتفع فوق البحر...

... وجدته هناك، مدفونًا في أعماق الأرض. تمكنت من فهم سطر واحد قبل أن تسيطر الفوضى على كل شيء.

فكرت في ذلك الشيء الذي وجدته، فإذا كانت كل واحدة منا ترتدي جزءًا من قرني هاديس طوال حياتها، فلا يمكن أن يكون القرن هو «الشيء» الغامض الذي أشارت إليه. إذن، ما الذي سمعته يهمس لها في الكهف؟ ما الذي أخرجته فيتوريا من الأرض وقررت إخفاءه مرة أخرى في مكان بعيد عن الشياطين؟

ألقيت نظرة على الباب السري، متسائلة عما إذا كنت سأمتلك الشجاعة الكافية لأرى إلى أين سيقودني. نادتني همسات، صوتها أعلى قليلًا، وأكثر إصرارًا.. وتعرقت راحتا يديَّ.

ربما كان ارتداء تميمة فيتوريا هو ما أتاح لي الوصول إلى سحرها، وهذا يعني أن كل ما كان يجذب أختي إلى ذلك الكهف فوق البحر، أصبح الآن يناديني.

إذا كنت أرغب حقًا في معرفة ما حدث لفيتوريا، فأنا بحاجة إلى رؤية ما كان خلف ذلك الباب. وبعد دعاء سريع، أمسكت *بتميمتها* بقوة، ودخلت الممر السري.



الثالث والأربعون

استقبلتني مجموعة من السلالم القديمة المتداعية. ثم ترددت عند أول درجة، ونظرت إلى الظلام في الأسفل. لم تكن هناك مشاعل أو أية أضواء ترشدني عندما نزلت إلى الهاوية... فقط صاحبتني شباك العنكبوت والرغبة الواضحة في الركض والهرب في الاتجاه المعاكس. كانت الهمسات أعلى كثيرًا وأكثر قوة هنا، وقد غطت على الأصوات الأخرى. فإذا تبعني شخص أو شيء ما، فلن أعرف إلى أن يصبح خلفي تمامًا.

تحسست بإبهامي الملمس الناعم للتميمة. كنت ساحرة مباركة ترتدي أحد قرني الشيطان. بالتأكيد يمكنني العثور على طريقة ما للحصول على القليل من الضوء. ركزت بشدة على تميمة أختي، متخيلة الأوقات التي ظهر فيها ضوء أرجواني غريب، فظهر توهج صغير بالفعل. لم يكن قويًا، لكنه سيكون كافيًا لإضاءة طريقي. زفرت، وبدأت الرحلة الطويلة إلى الأسفل.

أبقيت إحدى يديَّ حول التميمة، والأخرى على الحائط، للتأكد من أنني لن أفقد توازني وأسقط مفارقة الحياة. استغرق الأمر دقيقة أو دقيقتين، لكنني وصلت أخيرًا إلى القاع. نظرت حولي للتأكد من أنني غير معرضة لهجوم وشيك. كنت في نفق ذكرني بعش الأفعى. قاومت

قشعريرة، وتمنيت بصدق ألا أواجه شيئًا كهذا مرة أخرى. سيطرت على مخاوفي وتقدمت إلى الأمام.

على بعد أمتار قليلة، امتد النفق في اتجاهين. انحنى الطريق على يساري، فلم أتمكن من رؤية نهايته. بدا الطريق الآخر على يميني كأنه يسير في خط مستقيم فترة قبل أن ينحرف إلى اليمين. بصراحة، لم يبدُ أي منهما مبهجًا للسير فيه، لكنني لم أكن هنا لقضاء وقت ممتع. أغمضت عينيَّ، واستمعت إلى السحر الذي يقودني. كانت الهمسات أعلى ناحية الطريق الذي على يميني، وشعرت بشيء يجذبني بخفة إلى هذا الاتجاه؛ لذلك كان هذا هو الاتجاه الذي اخترته.

فقدت إحساسي بالوقت عندما توقفت فجأة، كما تحولت تميمة أختي من التوهج بلون أرجواني طفيف إلى ضوء نابض قوي. لم يسبق لي أن رأيت أيًا من تميمتينا تفعل هذا بتلك الطريقة من قبل، فأصابتني الريبة على الفور. نظرت حولي بحثًا عن السبب، ورأيت صليبًا مرسومًا بشكل بدائي على الحائط. لا بد أنني أسفل كنيسة ما. حوّلت نظري بعيدًا عنه، لكن شيئًا ما لفت انتباهي.

لمحت على مقربة مني شيئًا فضيًا لامعًا، وقد كان مدفونًا قليلًا في التراب.. ازدادت قوة الهمسات.

تسارعت نبضات قلبي، واقتربت ببطء. انحنيت لتنظيف الأوساخ عن تميمتي المفقودة التي توهجت كأنها ترحب بي، وحملتها وهممت بربطها حول رقبتي، ثم توقفت. قالت جدتي إنه يجب ألا تتلامسا مطلقًا. ولم أكن متأكدة مما إذا كان ذلك مهمًا بعد الآن، لكنني لم أرغب في المخاطرة بكارثة أخرى. خلعت تميمة أختي ووضعتها في جيب تنورتي السري. وفي اللحظة التي وضعت فيها تميمتي حول رقبتي، استرخت كتفاي. لم أكن أدرك مقدار التوتر الذي كنت أحمله في داخلي. قد يكون أحد قرني الشيطان، لكنه غدا ملكي.

وقفت ونظرت حولي، كنت أتوقع العثور على مكان اجتماع سري للمتحولين، لكن لم تكن هناك أبواب أو أي فتحات سرية. كنت أفكر في الخطوة التالية عندما سمعت صوتًا مختلفًا عن صوت الهمسات؛ ثمة شخص ما معي في المكان، ربما يكون هو من رسم ذلك الرمز على الباب، أو قد يكون شيئًا أسوأ كثيرًا.

فكرت في الركض، لكن ذلك لن يكون بالتصرف الحكيم. فأيًا كان المخلوق السيئ الكبير الموجود في المكان، من المحتمل أن يكون لديه شغف المطاردة. ألقيت نظرة سريعة أمامي، وكنت سعيدة برؤية المنعطف على بعد أمتار قليلة. فإذا ركضت، فقد أتمكن من تضليل من كان يتبعني. لم أضع ثانية أخرى في التفكير في الأمر، واتجهت نحو النفق التالي.

انعطفت، وأسرعت نحو الظلال، ثم رسمت دائرة حماية سريعة، واختبأت في فجوة رطبة بعيدة عن الأنظار.

أشارت حركة طفيفة للحصى إلى أن مطاردي لم يستسلم. حبست أنفاسي، وكنت قلقة من أن أدنى كمية من الشهيق أو الزفير قد تكشف مكاني، وتوقف مطاردي قريبًا بما يكفي لأتمكن من رؤية ملامحه، ثم بدأت بإلقاء وابل من الشتائم نحوه.

«هل أنتَ...»

اندفعت يد راث لتغطي فمي قبل أن أنهي جملتي. وتجاوز دائرة الحماية الخاصة بي دون أن يبدو أنها قد أثرت فيه على الإطلاق. وهو ما كان ينبغي أن يكون مستحيلًا لأنها كانت مرتبطة بقوتي. منعني الذهول من القيام بأي شيء ذكي، مثل عضه مثلًا.

قال لي: «والآن بعد أن أصبح القرنان معكِ، هناك ثلاثون شيطان ظل يحاصرونكِ، وعشرون منهم يتبعونك منذ أن غادرتِ منزلك». أزال يده وهو يكمل قائلًا: «إذا هاجموا، أريد منكِ أن تركضي. لا تنظري وراءك أو تتباطئي، هل تفهمين هذا؟».

«ماذا؟».

كان هناك ما يقرب من أربعين قاتلًا غير مرئي يتعقبونني، لكن هذا لم يكن الجزء الأكثر رعبًا كذلك؛ بل هو تخيل العديد من الشياطين وهم يغزون هذا العالم، وما يمكن أن يسببوه من ضرر... كان أكثر من اللازم: «كيف وصلوا إلى هنا؟».

أجابني: «لديَّ تخمينان: إما أن البوابات تضعف بشكل كبير، أو أن أحدهم قد استدعاهم جميعًا». ضغط راث بجسدينا بقوة أكبر على الحجر، وكان جسده الضخم يمتص أي جزء من الضوء الصادر من تميمتي ما كان بمقدوره أن يكشف مكاننا. قال: «إذا وافقتِ، يمكنني أن أقوم بنقلنا إلى القصر. هلا أتيتِ معي؟».

أوقف شعور بالحذر لساني عن الرد عليه، وهو أمر غريب بالنظر إلى أنني أردت بشدة أن يبعدنا عن الخطر، ولكنني لم أتمكن من الوثوق بشكل كامل بكلمته هو فقط عن المرتزقة غير المرئيين... نجح إنفي في شيء واحد فقط؛ لقد زرع الشك داخلي.

«كيف يمكن لذلك أن يحدث بالضبط؟».

«ببساطة، ستسافرين معي عبر الأبعاد، ثم ستصلين إلى مكان من اختياري».

«قلتَ إنني يجب أن أوافق على ذلك... هل يجب أن أوافق على ذلك في كل مرة؟».

«بمجرد أن تمطي الإذن للمرة الأولى، يصبح أبديًا».

على الرغم من اقتراب الخطر، كان لا يزال هناك ذلك الشعور المزعج الذي لا أستطيع تجاهله؛ أفضِّل أن أغتنم فرصتي مع المرتزقة بدلًا من عقد صفقة أبدية: «وماذا أيضًا؟».

بدا مترددًا الآن، وهو ما أقلقني: «في الأساس، ستشعرين كأنكِ تُحرقين بينما نغير الزمان والمكان. لا يأخذ الأمر أكثر من ثانية أو ثانيتين».

حدَّقت إليه.. هناك علاقة دائمة بين النار والساحرات، وكذلك الشياطين والملائكة.. أخذت قراري، سأجرب حظي مع القتلة: «لا بد أن هناك...»

«اركضي يا إميليا!».

دار حول نفسه بسرعة شديد ثم وجَّه ركلة قوية إلى ما كان ولا بد شيطان ظلال. لم أره يطير، لكنني سمعت صوتًا غريبًا، فإذا كان غير مادي، كيف لمسته قدم راث؟ ضرب آخر وآخر. لم أفهم ما يحدث إلا عندما تساقطوا. لقد قطع خنجر راث رؤوسهم. ربما أعطاه الخنجر القدرة على لمسهم أيضًا.

عندما ماتوا، لم يبقوا مخفيين بعيدًا عن الأنظار أردت أن أركض، لكنني لم أتمكن من التحرك. حدَّقت إلى الوجوه الشاحبة ذات الدوائر السوداء العميقة حول عيونها الغائرة، والأسنان الحادة الصغيرة التي نمت في لثة سوداء متعفنة. بدوا مثل الجثث ورائحتهم تشبهها إلى حد كبير.

لم أستطع أن أقرر ما إذا كانت رؤية وجوههم الحقيقية أفضل أم عدم رؤيتها على الإطلاق.

صاح راث قائلًا: «خذي القرنين واركضي!». تفادى راث ضربة، ثم وجه واحدة، وتدحرجت الرؤوس. كان عنفًا متجسدًا. عندما شاهدته وهو يهاجم ويشوه شيطانًا تلو آخر، تخيلت أنه لا يُقهر. وكان يضرب، ويتفادى، ويركل، ثم تتدحرج الرؤوس. تطايرت أجزاء الجسد، وتناثر الدم الداكن. لم يكن هناك ما يمكن أن يوقفه.

خرج إنفي من أعمق جزء من الظلال، وعيناه تتلألآن مثل الزمرد، ثم قال: «أمسكوه».

نقر بأصابعه مرة واحدة، فتمكنت من تمييز الأشكال الغامضة لشياطين الظلال وهي تحتشد مثل خلية من الدبابير الشريرة. حارب راث، وقاتل، وتمكن من القضاء على عدد قليل منها، ولكن دون جدوى..

حتى شيطان عظيم مثل شيطان الحرب لم يتمكن من كبح تيار الأجساد غير المرئية التي استمرت في التوجه نحوه. ليس إلا إذا أطلق العنان لقواه السحرية كلها.

من الغريب أن أحدًا منهم لم يلتفت إليَّ قط.

في النهاية، ثبَّتوا راث في مكانه. هدرت قوته، وتمددت عبر الأنفاق، لكن إنفي لم يفعل سوى أن ضحك عندما تساقطت الصخور. وتمكنت من الابتعاد عن الطريق عندما تحطمت صخرة كبيرة حيث كنت أقف قبل ثانية.

قال إنفي: «استمر، استخدم كل هذه القوة العظيمة يا أخي لكي تدفن ساحرتك». توقف الاهتزاز المنيف للمكان الذي امتد لأعماق الأرض. ألقى إنفي نظرة تجاهي وهو يبتسم ويقول لي: «لا تقلقي، لا يتعلق الأمر بمشاعره، يا حلوتي. أنتِ لستِ سوى وسيلة لتحقيق غاية، أليس هذا صحيحًا يا أخي؟».

قال راث: «إذا فعلت هذا، فسوف تلعن نفسك أيضًا. هل هذا هو ما ترغب فيه حقًّا؟».، حتى وهو مقيد ومحاط بالأعداء، لم يبدُ راث خائفًا.

أجابه إنفي: «ربما أحب أن أكون ملعونًا». نفض إنفي ترابًا وهميًّا عن ملابسه، وأكمل: «ربما عليك أن تتذكر كيف يكون الأمر يا أخي العزيز؛ أن يُؤخذ منك شيء تتمناه. من المؤسف أنك لا تتذكر أنني أيضًا شيء يجب الخوف منه. اسمح لي بأن أذكرك بذلك».

لولا الصوت الرطب الذي سمعته وأنين راث المكتوم، لم أكن لأعرف أن شيئًا ما خطأ قد وقع؛ بصرف النظر عن كوني محاطة بمرتزقة من الشياطين غير المرئيين. شاهدت برعب صامت خنجر إنفي وهو يغوص عميقًا في فخذ راث، ثم وهو يسحبه عبر جسده. انحنى راث وعيناه مفتوحتان على اتساعهما.

سعل وهو يقول لي والدم يتناثر عبر شفتيه: «اهربي».

حدقت دون أن تطرف لي عين. أعتقدُ أنني صرخت.

حل طنين عالٍ في رأسي بديلًا لتلك الأصوات من حولي. أصبح وجهي ساخنًا، ثم باردًا. كان جرح راث شديد العمق. وفي ثانية واحدة كان واقفًا، يقاتل، ثم... ثم... كانت هناك الكثير من الدماء. سقطت على ركبتيَّ وتقيأت.

ضحك إنفي، وارتد الصوت عن الجدران، ثم قال: «كنت أرغب في القيام بذلك منذ زمن يا أخي. لا أستطيع أن أخبرك بكم هو جيد هذا الشعور وأنا أشاهدك تنزف». نظر إليَّ، وقال لي بتشفٍّ: «راقبي من كثب يا حلوتي، هذه هي الطريقة التي أعامل بها أحد أفراد عائلتي؛ لذا تخيلي ما سأفعله مع عدوي. لا تظني أنني قد غفرت ما فعلته أنتِ وجدتك بي».

حرَّك خنجره مرة أخرى في جسد راث الذي سعل دمًا داكن اللون. أجبرت نفسي على المشاهدة والوقوف. يجب ألا أنهار الآن. لا بد أن شياطين الظلال الذين كانوا يمسكون بشيطان الغضب قد تركوه؛ لأنه انزلق ساقطًا على الأرض، وهو يحدق إلى جرحه الوحشي.

رفع إنفي نصله مرة أخرى، لكنني لم أستطع تحمل الأمر.

«توقف!»... اختنقت بالصراخ عندما تجاهلني إنفي وطعنه مرة أخرى. كافح راث للنظر تجاهي، لكنه لم يتمكنْ من ذلك. لم أكن أعتقد أن من طبيعته أن يُهزم هكذا.

خرج صوته لاهثًا؛ خشنًا ومجهدًا: «إميليا... أرجوك، أنا...». كان يحتضر. كان يموت حقًّا.

تحرك شيء ما داخلي.

هرعت إلى جانبه، ويدي تتحركان بشكل عشوائي، حاولت إيقاف النزيف. قلت له: «كل شيء على ما يرام. سيكون كل شيء على ما يرام. عليك فقط أن تشفي نفسك».

مرة أخرى، لم تكن لديَّ أي تعويذة أو سحر يمكنني الاستعانة به لتضميد جرحه. كنت مهزوزة جدًّا لدرجة أنني لم أستطع التفكير بوضوح. لم أملك سوى يدي الاثنتين، والأمل في أن يتمكن من شفاء نفسه

بسرعة كافية. التفت نحوي ببطء، وشعاع الحياة يختفي من عينيه قبل أن يلتقي بنظرتي المتوسلة. لا يمكن أن يحدث هذا، فأنا في حاجة إليه.

«لا»، الآن أكثر من أي وقت مضى، كان عليه أن ينهض ويكون بخير. هززته قليلًا. كان ساكنًا بشكل غير طبيعي، وكذلك عيناه. كنت أعرف ما يعنيه ذلك ولم أستطع... لا يمكن أن يكون قد مات. كان من المفترض أن يكون هذا الشيطان الغبي والمتغطرس خالدًا، صرخت: «استيقظ».

كان بحاجة إلى أن يشفي نفسه، هو فقط بحاجة إلى بعض الوقت. أستطيع أن أضغط على جرحه بضع دقائق أخرى، هذا كل ما يحتاج إليه. بضع دقائق. أستطيع أن أفعل ذلك. يمكنني البقاء هنا حتى يقوم بشفاء نفسه مرة أخرى.

كنت لا أزال جاثية هناك، فيما يداي غارقتان بالدماء، عندما اختفى جسده من هذا العالم.

حدقت إلى الدم الرطب على راحتي.. كان هناك الكثير منه.. أكثر مما ينبغي. لن ينجو أي إنسان من تلك الإصابات. وكان راث يشفى دائمًا على الفور من قبل.

لقد أصيب، لكنه لم يمت.

تمامًا مثل لاست عندما طعنه راث، لا يمكن أن يكون ميتًا. كان ذلك بسبب الخلود. لكن... لقد رأيت الحياة تغادر عيني الشيطان. لم يحدث هذا مع لاست. كان لا يزال يتنفس عندما اختفى عائدًا إلى الجحيم. فجأة لم أستطع التنفس. فمن دونه، أنا...

مددت يدي أمامي. كانتا ترتجفان. نظرت إلى الأسفل وشاهدت بطريقة غريبة وخارجة عني جسدي وهو يرتجف كله بعنف. كانت رؤية جثة أختي المشوهة أمرًا مروعًا، لكن مشاهدة شخص يُقتل بمثل تلك الوحشية... فركت يدي في تنورتي، لكن الدم لم يختف. فركت وفركت و... «يكفي هذا»، لف إنفي أصابعه الطويلة حول معصمي، وضغط بقوة تكفي لطحن العظام. إذا ضغط أكثر، فسيكسر شيء ما. قال: «كان من

الممكن تجنب كل هذه الأمور غير السارة لو أنكِ استمعتِ إليَّ؛ لذلك لا يمكنكِ سوى لوم نفسكِ».

«هـ...هـ -هل سيعيش؟».

جثا إنفي بجانبي، ووضع الجانب المسطح من نصل خنجره تحت ذقني. كان النصل لا يزال ملطخًا بدماء راث وهو يجيبني: «يجب عليكِ أن تدعي ألا يكون كذلك، والآن أعطيني قرني هاديس وربما أفكر في قتلكِ سريعًا دون ألم».

أبعدت نظري عن بقعة الدم، حيث كان راث. لقد حارب من أجلي، ووضع نفسه بيني وبين أخيه، ودفع ثمن ذلك. فجأة اجتاحني الغضب، وأزال الحزن من ذهني. نظرت إلى إنفي، ووضعت يدي في جيب تنورتي، وسرعان ما كنت أرتدي تميمة فيتوريا حول رقبتي، وأخيرًا جمعت قرني الجحيم معًا.

شق الصمت صوت تصدع يشبه صوت السوط عندما اجتمع قرنا الشيطان. تفجرت القوة من خلالي. وقلت: «اخرج.. اخرج قبل أن *أجبرك* على ذلك».

«أنت ترتكبين خطأ فادحًا»، لم يتراجع إنفي ولم يهرب، لكنه أطاعني. «لن أنسى عصيانك يا حلوتي. وينبغي لكِ ألا تفعلي ذلك، فهذا ليس بالأمر الهين، أن يكون أميرًا من الجحيم عدوًا لكِ. هيا».

جمع قتلته غير المرئيين وغادر النفق الرطب. انتظرت حتى رحل قبل أن أستحل على الأرض. وبعد عرض القوة هذا، لم أستطع أن أحمل نفسي على التحرك. سحبت ركبتيَّ إلى صدري. لقد سارت الأمور بشكل خطأ، وهذه المرة لم تكن لديَّ أي فكرة عن كيفية المضي قدمًا. لقد رحل راث، وعائلتي كانت مختبئة، وبدا الانتصار على أمراء الجحيم بمفردي مستحيلًا أكثر من أي وقت مضى. هزت رؤيتي راث وهو ممزق هكذا شيئًا داخلي. اعتقدت أنه لا يُقهر، فماذا عني أنا بحالتي تلك؟ ما الفرصة التي لديَّ حقًّا؟

أردت أن أكـون شـجاعة وجريئة وذكية، وأن أقهـر أعدائي بالمكر، أما أن أعتـرف بـأن لديَّ الكثير لأتعلمه، فكان بمنزلة إعلان هزيمتي. امتلكت السـحر، وقرني هاديس، لكن لم يكن لديَّ الوقت الكافي لأتعلم حيلًا أكثر قوة في ساحة الحرب كذلك. قالت جدتي إنها ستحاول إبطاء فتح بوابات الجحيم، لكن من يدري ما إذا كانت ستنجح قبل أن ينتهي الوقت، أم لا.

كونـي واقعيـة لا يعنـي أننـي انهزاميـة. ربمـا سـتكون الأمـور أفضل لو توقفت عن القتال، وانتظرت لأرى ما إذا كان الشيطان سيطالب بي أم لا.

أو ربمـا الآن، بعـد أن حصلـت علـى قرنيه، يجب أن أسـتدعيه، وأعقد صفقة خاصة بي، لأوقف المزيد من الدمار. تحوَّل انتباهي مرة أخرى إلى حيث سقط راث. كان لديَّ شعور بأنني أعرف ما سيفعله، وكنت أعرف ما الذي اختارته فيتوريا. لكنني ما زلت غير متأكدة مما أريد.

لذلك جلست هناك، بجانب الدم الجاف لأسوأ أعدائي، وانتحبت.

الرابع والأربعون

تعد طقوس إعادة الإحياء جزءًا من السحر الأسود والسحر المحرم، لأنها تتعارض مع النظام الطبيعي. فإذا حاولت سرقة حياة وإعادتها، فسوف يأخذ الموت ما هو له من ملكات أخرى، لكي تتوازن كفتا الميزان. الأسفل هو كالأعلى.

– ملاحظات من كتاب «دي كارلو» للسحر

بعد ساعة وجدت نفسي أقف أمام القصر المهجور. ولم يكن لديَّ أي مكان آخر آمن أذهب إليه. دعوت بأن يكون سحر راث لا يزال يحمي المبنى بطريقة أو بأخرى. دخلت إلى الطابق السفلي، وأغلقت الباب خلفي عندما خدشت موجة صغيرة من البرودة رقبتي. تجاهلت الأمر عندما تذكرت ما قالته جدتي بشأن وسمي من قبل أمير من أمراء الجحيم.

لقد أعطاني راث طريقة لاستدعائه.

صعدت بسرعة إلى الطابق العلوي، وأخرجت ما أحتاج إليه من الحقيبة الإضافية التي حزمتها قبل أيام: شموع سوداء، وبعض عظام الحيوانات من المطعم، وكتاب السحر الخاص بي الذي بدأته، و...

يا إلهي! من دون خنجر راث، لم يكن لديَّ أي ذهب، وهو عنصر رئيسي أحتاج إليه لاستدعاء شيطان من مملكة راث. تجولت في جميع أنحاء الغرفة وأنا ألعن.

تمنيت في لحظة لعينة لو سار شيء واحد دون أي عائق.

دفعت الشموع بعيدًا، وجلست على سريري، وأنا أغمض عينيَّ لأمنع دموعي. كنت غاضبة جدًّا من راث من قبل، وأنا مجروحة تمامًا لأنه لم يخبرني بحقيقة ما كان يسعى إليه حقًّا، لدرجة أنني أردت أن أؤذيه مرة أخرى، لكن ليس بهذه الطريقة مطلقًا.

إن مشاهدة شخص تعرفه يموت، حتى لو كان شخصًا ينبغي لك ألا تحبه، لم يكن بالأمر الهين، تلا ذلك تهديد إنفي بخسارة عائلتي... لم أكن أعرف كيفية المضي قدمًا بعد كل هذا. واستلقيت وحدقت إلى الخطوط الصغيرة في السقف، معتقدة أنها مثل الشقوق الصغيرة التي قسَّمت حياتي إلى مليون جزء صغير. كان كل سطر يمثل طريقًا آخر، خيارًا آخر، محاولة أخرى لتصحيح الأخطاء المرتكبة. عدت بذاكرتي خلال الأسابيع القليلة الماضية، محاولة أن أحدد النقطة التي ربما أكون قد اتخذت منحى خطأً عندها.

عندما لم أجد أي إجابات حكيمة، استسلمت وانقلبت على جانبي. كانت الخزانة الصغيرة بجانب السرير تحتوي على زجاجة من شراب البروسيكو وكأسين. كان هناك أيضًا وعاء صغير به شرائح البرتقال المغطاة بالشيكولاتة. لا أستطيع أن أتذكر أنني رأيت أيًا منهما من قبل، لكن ربما جلب راث الحلوى ونحن نلعب السكوبا.

لم أكن أعرف ما الذي أفعله حيال ذلك؛ لذلك طردت تلك التساؤلات، وأزلت الفلين، وشاهدت الفقاعات وهي تفور وتفرقع بهدوء بينما أملأ كأسي. إذا كان العالم الذي أعرفه قد انتهى، فأنا أستحق أن أشرب قبل أن أعقد صفقة مع الشيطان. رفعت الكأس إلى شفتيَّ وتوقفت. طلب راث

أن ألقي نظرة إلى خزانة الملابس إذا شعرت بالملل. ولم أكن أشعر بالملل، لكنني تحمست فجأة.

وضعت كأسي جانبًا، وفتحت الدرج العلوي. كان هناك خاتم صغير من الذهب المشكل على هيئة أغصان زيتون وضع على قطعة من المخمل.

كان بسيطًا لكنه جميل، فالتقطته وارتديته حول إصبعي السبابة. ناسبني تمامًا، لكن قلبي تألم. كنت أعرف بالضبط لماذا تركه لي؛ خلال العصور الرومانية القديمة، كان العدو يقدّم غصن زيتون مبادرة للسلام. انسابت دمعة على خدي عندما فكرت في وصفه إياه بغصن الحقيقة. لقد أعطاني راث، الذي كان يعتقد على الأرجح أنني لا أملك الكثير من الذهب، القطعة الأخيرة التي أحتاج إليها لاستدعائه. لقد استعد لكل شيء، إنه يهوى التخطيط حتى النخاع.

شعرت بالأمل للمرة الأولى منذ زمن طويل، وضعت الشموع في دائرة وأشعلتها، وكذلك السرخس والعظام، ثم بدأت الاستدعاء. استخدمت القليل من دمي كبداية، وأسقطت بضع قطرات في الدائرة.

«باسم الأرض، والدماء، والعظام. أدعوك. تعالَ، ادخل هذا العالم الذي يملكه البشر. انضم إليَّ في هذه الدائرة التي ستصبح حدودك هنا حتى أعيدك إلى عالمك مجددًا».

جثوت هناك، في انتظار الدخان المنبئ بوصول راث. مرت ثوانٍ. أبقيت أملي تحت السيطرة. وفي المرة الأخيرة، بعد ثوانٍ من انتهاء التعويذة، ظهرت أولى علامات وصوله. ربما الآن لأنه مصاب بجروح بالغة، يحتاج إلى مجهود أكبر. قطرت بضع قطرات أخرى من الدم في الدائرة، لكن لم يحدث شيء.

«هيا أيها الشيطان».

راجعت خطوات الطقوس مرة أخرى؛ وعدّلت مكان السرخس والعظام والشموع حتى تشكل دائرة مثالية ثم وضعت خاتمي داخل منطقة الاحتواء، وقطرت المزيد من الدم.

«باسم الأرض، والدماء، والعظام. أدعوك. تعالَ، ادخل هذا العالم الذي يملكه البشر. انضم إليَّ في هذه الدائرة التي ستصبح حدودك هنا حتى أعيدك إلى عالمك مجددًا».

لم أستخدم اللاتينية مرة أخرى؛ لأنني رأيت أن المرة الأخيرة انتهى فيها الأمر بخطبة غير مخطط لها، كما أن راث قال إن ذلك ليس ضروريًا. وعندما ظل كل شيء كما هو، حاولت مرة أخيرة، واستخدمت التعويذة نفسها التي من شأنها أن تربطنا معًا في زواج غير مقدس إذا قبلها راث.

«باسم الأرض، والدماء، والعظام. أدعوك. تعالَ، ادخل هذا العالم الذي يملكه البشر. انضم إليَّ في هذه الدائرة التي ستصبح حدودك هنا حتى أعيدك إلى عالمك مجددًا». ثم أضفت باللاتينية، «مقيدًا بدرع الحماية الأبدي».

أطفأ نسيم قوي إحدى الشموع. وانتظرت، وأنفاسي محبوسة، ظهور شيطان الحرب العظيم، أبديًا، حانقًا، باهرًا. أعددت نفسي للمحاضرة التي كان من المؤكد أنها ستأتي. ومرت لحظات ومضت، لكن لم يكن هناك دخان، أو علامة على أنني استدعيت أي شيء. انتظرت وانتظرت. بدأت الطيور ينادي بعضها بعضًا في الخارج؛ لم يكن الصباح بعيدًا، وتعويذة راث لا يمكن إلقاؤها إلا في الليل. ومع ذلك، حاولت مرة أخرى، على أمل أن أنجح هذه المرة.

في النهاية، انطفأ آخر أمل في حياتي. قالت جدتي ما دمت على قيد الحياة، سيأتي راث. وحقيقة أنه لم يظهر ملأتني بالخوف. عدت بذاكرتي إلى البداية، عندما دعوت، ولم أستطع إلا أن أتساءل عما إذا كانت دعواي قد استجيبت وحل عليه أخيرًا انتقامي الذي لم أرغب فيه.

شاهدت الشموع وهي تشتعل، وتمنيت لو أشعلت النار في الفراش والقصر كله. سيكون من المناسب لبقية العالم أن تشتعل فيه النيران. لقد رحل راث حقًا، ومعه رحل آخر أمل لي.

كان قرنا هاديس في حوزتي، لكنني لم أكن متأكدة من كيفية استخدامهما لإغلاق بوابات الجحيم. هربت عائلتي، واختطف إنفي أنطونيو، وعقل صديقتي المقربة لا يزال حبيسًا بين العوالم. كما تسللت شياطين الظل إلى هذه المدينة، ولم تكن لديَّ أي فكرة عن كيفية التخلص منها جميعًا.

انطفأت شموع الاستدعاء واحدة تلو أخرى حتى تركتني في ظلام تام.



الخامس والأربعون

بحلول الوقت الذي نشرت فيه الشمس أشعتها الأولى فوق سطح البحر، كنت قد ارتديت ملابس المعركة بالفعل. وقفت أمام المرآة، وانتهيت من تضفير نصف شعري فوق رأسي، وتركت النصف الآخر منسدلًا على هيئة أمواج متهادية من الخلف. بعدها، ثبَّت الجزء العلوي بمشبكين كبيرين لهما شكل غصن زيتون ومرصعين بالألماس، وهما يناسبان خاتمي الجديد، باستثناء الأحجار الكريمة. بعدها وضعت أحمر شفاه بلون الشراب الأحمر ووضعت الكحل على جفوني.

تراجعت خطوة إلى الخلف لأبدي إعجابي بعملي؛ بدوت خطرة؛ كان فستاني بلون التوت الداكن وله كمان مصنوعان كاملًا من حراشف ذهبية. كانت ملابسي داكنة بما يكفي لإخفاء الدم، لكنها لم تكن سوداء تمامًا. ولم أعترض على اللون؛ إذ كان مناسبًا لحالة حداد.

كما أنني انتهيت تمامًا من مشاعر الحزن.

قال راث إن لديَّ خيارًا: إما أن أكون ضحية وإما أن أنتصر. وبقدر ما كنت أكره الاعتراف بذلك، كان محقًّا. سيظل الآخرون موجودين دائمًا، يحاولون إسقاطي، ويخبرونني بمن يجب أن أكون، أو بمن يعتقدون أنني يجب أن أكونه. في الغالب يحول الناس كلماتهم إلى أسلحة، لكنها لن تؤثر فيَّ ما دمت لن أستمع إليهم، وأكتفي بالثقة بنفسي.

إذا أراد أعدائي أن يثيروا الشك داخلي، فسوف أزيد إيماني بقدراتي أكثر. بل إنني لو اضطررت إلى تزييف الأمر، فسأفعل هذا حتى يصبح حقيقيًا.

غادرت القصر، وتوجهت إلى قلب المدينة.

قطعت مسافة كبيرة حول المدينة القديمة، وتوجهت إلى سوق بالارو حيث أقيمت أكشاك الطعام حول القصر الملكي. لم أفاجأ عندما رأيت متجر نوتشي وقد تجمع حوله بالفعل عدد صغير من الناس ينتظرون الأرانشيني والبانيلي. كانت كرات الأرز المقلية وفطائر الحمص المملحة المقلية من أطعمة الشارع الشهيرة.

مسح السيد دومينيكو جبينه بقطعة قماش، ومرر لأحدهم كيسًا من الطعام. كنت سعيدة برؤيته بعيدًا عن وكر اللعب الخاص بجريد، فهكذا يكون قد سهّل عليّ جزءًا واحدًا من خطتي.

وقفت أراقب طابور المشترين الذي أخذ يتقلص ببطء، والناس يغادرون بأكياس طعامهم. زمجرت معدتي من المنظر والروائح، وقررت أن شراء شيء ما كان ذريعة جيدة للحديث معه. وكنت بحاجة إلى تناول الطعام على أي حال.

قال: «صباح الخير، آنسة دي كارلو. ماذا تريدين اليوم؟».

أجبته: «أريدُ البانيلي مع شرائح ليمون إضافية، من فضلك».

قام نوتشي العجوز بقلي الفطائر المسطحة إلى درجة الكمال، ثم أضاف القليل من ملح البحر، ووضعها في كيس ورقي مع شريحة إضافية من الليمون. أعطيته النقود وتحركت إلى الجانب حيث توفر مظلته القليل من الظل. سألته: «كيف حال دومينيكو ابنك؟».

أجابني بسؤال: «هل هو في ورطة؟».

لم أكن متأكدة من كيفية الإجابة عن ذلك، ومن ثم استخدمت إحدى حيل راث المفضلة وتجاهلت سؤاله. قلت: «كانت أختي قد تحدثت معي

عنـه، وسـمعت أنه كان يقضـي الكثير من الوقت في الديـر. لا بد أن الأمر صعب عليه؛ أن يفقد شخصًا كان يهتم بأمره».

انتقلت نظـرة دومينيكو الأب نحو الشـخص الذي يقـف خلفي قبل أن يوزع طلبًا آخر من الأرانشيني، ويضع القليل منها في مصفاة المقلاة. ثم قال: «إنه بخير، لقد غادر إلى كالابريا هذا الصباح لمساعدة ابن عمه».

توقفت عـن أكل الفطيرة، فمن بين كل الأوقـات التي يمكن لدومينيكو الابن أن يغادر فيها، كان من الغريب أن يفعل ذلك الآن. غيرت تكتيكاتي، وسألته: «هل قضيت المزيد من الوقت في وكر اللعب ذاك؟»، كنت آمل ألا يكون سـؤالي وقحًا للغايـة. لكنني أكملت: «أنا بحاجة إلـى العثور عليه في أقرب وقت ممكن».

هز رأسه وهو يجيبني: «أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك. سمعت أن الرجل الذي يديره قد رحل».

صرخت في داخلي، ولعنت الفرص الضائعة. كنت على وشك المغادرة عندما لاحظت وجود وشـم غريب على سـاعده، وهو عبـارة عن بصمة يد تمسـك بمـا يبدو أنه سـاق شـمر. انتقلت عينـاي إلى جانب عربـة الطعام الخاصـة به، حيث رُسـم الرمز نفسـه هنـاك. كنت مخطئة؛ لم يسـبق لي أن رأيـت ذلـك في مذكرات أختي، بل رأيته فـي اليوم الذي حاولت فيه أنا وراث التحقيق في مقتل جوليا سـانتوريني. التقطت أنفاسـي عندما بدأت أستوعب كل شيء. كان السيد نوتشي من المتحولين.

ابتلعـت ريقـي بصعوبـة، وأنـا أعـود بانتباهي ببطء إلـى أعلى. لاحظ دومينيكـو الأب أنني أحدق إلى وشـمه، فأسـرع بإخفائـه بكمه على الرغم من حرارة النهار.

أطلـق رد فعلـه ذاك أجراس الإنـذار داخلـي، وفكـرت مـرة أخرى في يوميـات أختـي. كل ما قالته هو دومينيكو نوتشـي، ولم تحـدد أهو الابن أم الأب...

قلت وكيس الفطائر يسقط من يدي «إنه أنت... أنت من كتبت فيتوريا اسمه في يومياتها، لم يكن دومينيكو الابن قط، فهل آذيتها عندما اكتشفت حقيقتك؟».

«إنه ليس... لا تقذفي بمثل هذه الاتهامات صراحة هكذا، اسمحي لي بلحظة».

قلب دومينيكو لافتة كشكه إلى مغلق، ثم أشار لي بأن أتبعه حتى الزاوية، حيث تقل حركة المارة. لم أكن أرغب في مغادرة الازدحام إلى مكان هادئ، ويبدو أنه قد لاحظ ذلك. توقف في مكان به أناس، لكن لم يكن من الممكن أن يسمعنا أحد.

قال: «كانت أختك توزع المشروبات في وكر اللعب الخاص بجريد».

كان قلبي ينبض بشدة. وأخيرًا، بعد كل هذا الوقت، حصلت على دليل آخر على ما كانت فيتوريا تفعله قبل مقتلها، وسألته: «وماذا بعد؟ هل عرفت من أنت؟». أومأ، فقلت: «هل رأيتها مع جريد في أي وقت؟».

«نعم، جاءت إليه ذات ليلة بفكرة ما، لقد كانا يعملان على خطة مشتركة».

«كيف تورطتَ في كل هذا؟». لم يبدُ أنه يريد إجابتي؛ لذلك سحبت السكين التي كنت أخفيها في ملابسي، وتركت ضوء الشمس ينعكس على النصل. لقد تعلمت الكثير من الحيل من شيطان الحرب. وهددته قائلة: «سأحصل على ما أريد من معلومات بطريقة أو بأخرى يا سيدي، والخيار متروك لك فيما يتعلق بكيفية القيام بذلك».

ابتلع ريقه بصعوبة، وقال وهو ينظر حوله: «حسنًا حسنًا... أنتِ تعرفين بالطبع من هم الـ'بينandانتي'».

أومأت، فالجميع يعرفونهم. أجبته: «إنهم المتحولون الذين تتحول أرواحهم إلى أشكال حيوانية لتسافر عبر النجوم أربع مرات في السنة. كما أنهم يقاتلون في معارك الليل».

«حسنًا، هذا هو تعريف البيناندانتي. ونحن لسنا هم، لكنهم اتخذوا رمزنا، لذلك غالبًا ما يحدث نوع من الخلط بيننا وبينهم. فنحن يمكننا تغيير شكلنا جسديًا وقتما نشاء. نحن نُدعى ذئاب الإمبر. أما البيناندانتي فبشر، ونحن لسنا كذلك. على الأقل ليس تمامًا. كما يصفنا معظم الناس بالمستذئبين».

كررت: «المستذئبون، هل تتحولون جسديًا إلى ذئاب؟».

أومأ دومينيكو الأب مؤكدًا.

أخذت لحظة لأستوعب ما قاله. لم أسمع قط عن ذئاب الإمبر، ولكن كان هناك الكثير من الحكايات عن المستذئبين. ومن القصص القديمة التي أُخبرت بها، كانت الذئاب على صلة كبيرة بقطيعها وبوالي بعضها بعضًا فقط. لم أفهم كيف أو لماذا تعامل مع الشياطين.

«لماذا كنت مع جريد؟».

وجّه نظراته إلى الأرض وهو يجيبني: «لقد عقدنا صفقة». مرت في ذهني ذكرى رؤيته ومعه أكوام من قطع أحجار اللعب. انتابني شك عميق، وكنت أعرف إلى أين سينتهي الأمر. سألته: «هل وعد بإعفائك من ديونك إذا ساعدته؟».

أومأ موافقًا وقال: «اعتقدت أنها كانت صفقة خاسرة بالنسبة إليه، ثم اكتشفت أن هذه لم تكن الفكرة منذ البداية. قال إن كل ما يريده هو أن تقاتل الذئاب إلى جانب الشيطان عندما يحين الوقت، بينما نحن لم نتحوَّل منذ ما يقرب من عقدين من الزمن؛ لذلك لم أكن أعتقد أن الصفقة لها قيمة».

«لماذا لم تتحول؟».

رفع كتفيه وهو يجيب: «لا أحد يعرف السبب، في يوم ما كنا نستطيع ذلك، وفي اليوم التالي لم يكن بمقدورنا أن نتحوَّل».

«لكن هذا تغير أخيرًا، أليس كذلك؟ هل تحوَّل أحد منكم؟».

«عندما يحتفل صبي بعامه العشرين، فإنه عادة يتحوَّل للمرة الأولى».

أجزم بأن دومينيكو قد احتفل بعيد ميلاده أخيرًا، وأنه فوجئ للغاية عندما تحول إلى ذئب. «ألم تخبر ابنك بحقيقتك؟».

هز رأسه نفيًا ببطء وهو يجيبني: «لقد مر الكثير من الوقت... لم أكن أعتقد أن ذلك سيحدث. عندما تحوَّل دومينيكو، كنت أعرف أننا في ورطة، فأخبرته عن وعدي ذاك». مسح دمعة عن خده وهو يكمل: «كانت خيبة الأمل في عيني ابني كافية للقضاء عليَّ. والعار الذي جلبته إلى تراثنا وعائلتنا؛ الذئاب لا تقاتل من أجل أي شخص خارج مجموعتنا، والآن يصلي دومينيكو في الدير من أجلي ومن أجل نفسه، على أمل أن يغفر الجميع خطاياي».

«كيف عرفت أختي حقيقتك؟». سكت برهة قبل أن يجيب: «لست متأكدًا، لكنها من طلبت من جريد أن يتفاوض معي. وعندما أبرمت الصفقة، جعلتني أتعهد بالوفاء بكلمتي له».

سألته: «عقدت فيتوريا الصفقة بينك وبين جريد؟». دق قلبي بعنف وأنا أكمل: «هل أنت متأكد من أن هذه كانت فكرتها لا فكرته؟».

قال السيد نوتشي: «متأكد تمامًا. لقد كان ذلك جزءًا من خطتها الكبرى، لكنها لم تخبرني قط بما هي تلك الخطة؛ لذا أخشى أنني لن أستطيع مساعدتك في هذ الأمر. طَلب مني ألا أفعل أي شيء إلا حين يتم التواصل معي».

أخرجت زفيرًا بطيئًا... وجدت فيتوريا طريقة لإجبار عدوين على العمل معًا... جبهة موحدة لمحاربة العدو الحقيقي الذي كان لا يزال مجهولًا. فكرت في هذه المعلومات الجديدة بعناية، وكانت أختي تثق بجريد، وأنا وثقت بـ راث. وكان إنفي لا يزال هو القاتل الواضح عدا أنه... لم يتفاخر بانتزاع قلوب أي أحد، ولم تكن التميمة في حوزته، ما يعني أن قاتلنا ما زال طليقًا. سألته: «لم يسافر دومينيكو حقًا، أليس كذلك؟».

اعترف السيد نوتشي وهو يبكي قائلًا: «لا، إنه في الدير».

لا تنفك كل الطرق تؤدي إلى الدير، وأنا لم أعد أؤمن بالمصادفة.

عثرت على جثة أختي هناك.

وانتهى هذا باتصال كلاوديا مع الأرواح بشكل كارثي للغاية هناك.

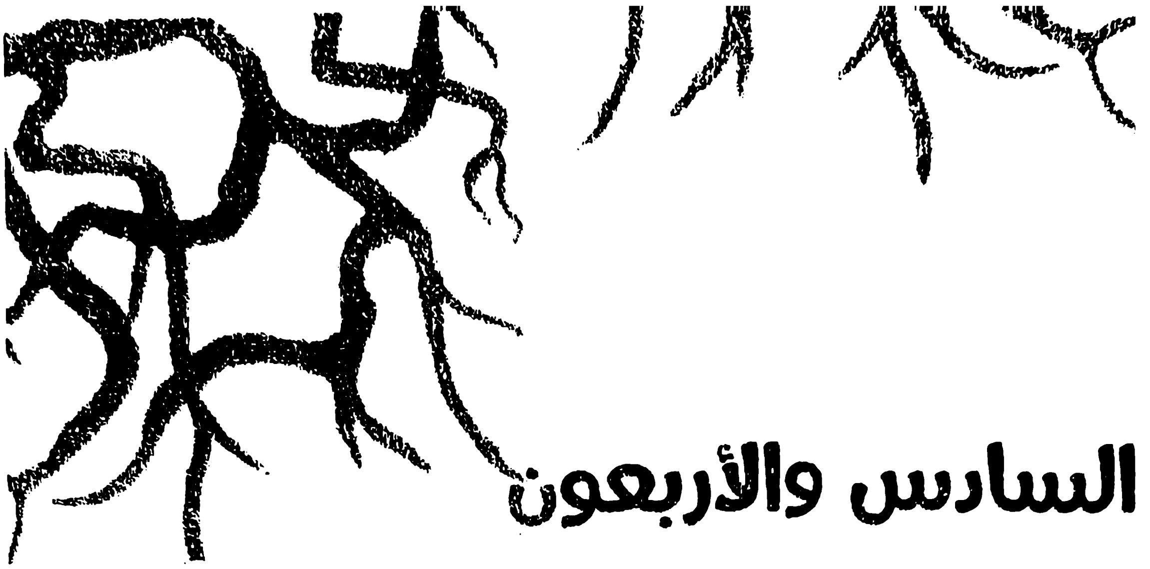
كان دومينيكو يصلي هناك يوميًا تقريبًا، ولكن وفقًا لكلاوديا، كان يتحدث أيضًا مع أعضاء الأخوية. أجزم بأنه قد أسرَّ بمشكلاته إلى الشخص الخطأ، خاصة فيما يتعلق بالطريقة التي تصرَّف بها في الليلة التي وُجدت فيها كلاوديا.

قمت بتوديع السيد نونتشي، وأسرعت للبحث عن الدليل التالي.

قبل أن تقتل فيتوريا وينقلب عالمي إلى جحيم، قالت جدتي إن هناك صائدي ساحرات يبحثون عن فريستهم التالية على الجزيرة. لقد استبعدتهم بعد أن استدعيت راث، ووجدت ثلاثة أمراء آخرين من الجحيم يتجولون على الأرض، ولكن ربما كنت متسرعة في حكمي.

لو أراد شخص قتل الساحرات، لكانت الأخوية المقدسة هي المشتبه به المثالي، فمن أفضل لاستئصال الشر من العالم من أولئك الذين يسيرون في طريق الخير؟

تذكرت الليلة التي وجدت فيها كلاوديا، وتذكرت الأخ كارماين، وبريق القتل في عينيه. لقد تقدَّم إلى الأمام، وبدا متعطشًا للدماء. كنت أعرف أنه يحتقر الساحرات، وأنه لم يقم بإلقاء إحدى خطبه اللاذعة في السوق منذ سنوات، لكنني أستطيع أن أتخيل مدى رغبته في العودة إلى منبره وإثارة المزيد من الكراهية. إن ازدراءه الصريح لمستخدمي السحر جعله المشتبه به الرئيسي في أن يكون صائدًا للساحرات. اليوم، بطريقة أو بأخرى، سأكشف عن الأسرار التي تحتفظ بها الأخوية المقدسة.



السادس والأربعون

وقفت مجموعة من الرجال الذين يرتدون العباءات السوداء في الفناء. وقد ساد التوتر بينهم ثقيلًا مثل حرارة الصيف؛ فأحد أفرادهم مفقود، وقُتلت عدة شابات. لم أفاجأ بأنهم يلقون باللوم على الشيطان. اختبأت بالقرب من المبنى الرئيسي وطفت بنظري في وجوه الموجودين بحثًا عن عضو واحد كنت أعلم أنني لن أجده.

وقف الأخ كارماين وسطهم، ويده مرتفعة للسماء مع كل كلمة ملتهبة تخرج من فمه. يبدو أنني وصلت في ذروة خطابه.

قال: «إن إلهنا إله قدير، ولن يتسامح مع غزو الشر. يجب أن نقتدي بمثاله في هذه الأوقات المظلمة والمقلقة. إن ساعة الدينونة تقترب، ويجب أن نوقف الشيطان قبل أن يبث بذوره الشريرة! هيا، دعونا ننشر الكلمة الطيبة بين إخواننا من البشر لنقودهم إلى الخلاص».

صاحوا جميعًا في انسجام تام: «آمين!».

تفرق الحشد نحو المدينة لإنقاذ أرواح البشر، واقتربت من زاوية الطريق وأنا أطلق زفيرًا في ضيق. لم يكن الأخ كارماين يتحدث عن إبطال لعنة الشيطان، لكن ما قاله كان مثيرًا للقلق بعض الشيء من حيث دقته؛ كانت الأرواح البشرية في خطر حقًّا. ازدادت شكوكي فيه، ولو أن هناك مجموعة غامضة من صائدي الساحرات قد تشكلت، فمن المحتمل

جدًّا أن أكون قد حددت مكانهم في الحال. وكنت أفكر فيما إذا كان يجب أن أتبعه أم لا عندما شعرت بدعوة سحر آتية من داخل الدير. كان الأمر أشبه بتلك الليلة التي عثرت فيها على جثة فيتوريا.

إن لم تكن أكثر قوة.

ربما أصبحت أفضل في استشعارها الآن، أو ربما كانت للأمر علاقة بأنني أحمل الآن القرنين معًا. أخرجت تميمة أختي حيث خبأتها في ثوبي ورفعتها أمامي. حتى بالنسبة إلى ساحرة غير بشرية، بدا من غير المناسب أن أرتدي قرني الشيطان في هذا المكان المبارك، لكن لم يكن ممكنًا أن أدخل ذلك المكان دون حماية. ارتديت تميمة أختي مع تميمتي التي كنت أرتديها بالفعل، وشعرت بوخز السحر في عروقي.

قبل أن أدخل، ألقيت نظرة أخيرة حولي، كان كل شيء هادئًا الآن بعد أن ابتعد الإخوة. عبرت الفناء الصغير وفتحت الباب. وبينما كنت أسارع بجوار المومياوات في ممر فارغ، شعرت بأن... شيئًا ما كان يراقبني.

استدرت في مكاني، وتفحصت الممر الذي كان يسبب تسارع نبضات قلبي وارتعاش يديَّ. هذه المرة، عندما تسارع نبضي، لم يكن ذلك بسبب خوفي مما سأجد. *أردت* أن يحاول شخص ما مهاجمتي.

«أظهر نفسك».

وخلافًا للروايات التي كانت فيتوريا تحب قراءتها، لم يظهر أي شرير بضحكة مكتومة داكنة ليتحدث بكلام مسجوع عن الخطط الشريرة لسيده. لم يظهر أحد على الإطلاق. وكنت وحدي حقًّا. أغمضت عينيَّ، وأمسكت بقرني هاديس، وأخذت نفسًا عميقًا، وقمت بتركيز قواي، وعندما نظرت مرة أخرى إلى ممر الموتى الذي يبدو فارغًا، سمعت همسات خافتة.

لم تكن تلك الأصوات من هذا العالم.

أبعدت كل شيء آخر باستثناء تلك الهمسات. تتبعتها أكثر وأكثر إلى أعماق سراديب الموتى. انتبهت إلى كل منعطف وممر جديد أدخله، على

أمل أن أجد طريقي للخروج مرة أخرى إذا اضطُررت إلى الركض. لم يسبق لي أن ذهبت إلى هذا البعد في الدير من قبل؛ لم أكن أعلم أن هناك الكثير من الممرات والمتاهات التي تلتوي وتتمدد بشكل متواصل عميقًا إلى مركز الأرض.

في حين استمررت في السير في صمت، ارتفعت الأصوات، وتوترت أعصابي. كان هناك شيء سحري قريب مني، وقد كان قويًا للغاية. أراد جزء مني تجاهل الأمر والهرب، ولكن كان هناك الكثير على المحك. أجبرت نفسي على مواجهة مخاوفي.

بعد عدة دقائق، توقفت في رواق رطب من الحجر الجيري مع شعلة وحيدة مثبتة في حاملها. تحركت الشعلة بشكل ينبئ بالخطر، مثل ذيل قطة منزعجة، لم أكن بحاجة إلى إشارة أخرى لأعلم أن شيئًا خطيرًا كان قريبًا، لم أستطع معرفة ما إذا كانت معدتي تؤلمني من الخوف أم الترقب. وبطريقة أو بأخرى، كان شيء ما على وشك الحدوث. انتبهت إلى باب قريب من نهاية الردهة، وكان مواربًا كأنه يدعوني إلى الدخول. اتخذت الخطوات القليلة الأخيرة وتوقفت أمامه. من الممكن أن يكون فخًا، لكن الهمسات أصبحت محمومة الآن.

كنت بحاجة إلى رؤية ما في الداخل، اقتربت أكثر، ونبضي يتسارع، دفعت الباب لينفتح أوسع قليلًا. ومن مكاني، بدت الغرفة فارغة، لكن المظاهر خادعة في كثير من الأحيان. وقبل أن أعبر الباب، نظرت حولي للتأكد من أنه ليس فخًا، فرأيت ذرات الغبار وهي تطير في دوائر. كان كل شيء هادئًا، غير أن سحر الأوهام يضللك بأنه سهل؛ غير أنه غالبًا ما يُظهر ما تتوقع العثور عليه بالفعل.

كان ينبغي لي أن أضع ذلك في الحسبان.



السابع والأربعون

في اللحظة التي عبرت فيها عتبة الباب، عرفت أنني ارتكبت خطأً. شعرت بما لو أن الهواء كان عبارة عن شريط انقطع وقيدني في مكاني. عدت بظهري مرة أخرى نحو الباب، ولكن بلا فائدة، سأبقى في هذه الغرفة حتى يقرر مَن قام بتعويذة الاحتواء تلك أن يطلق سراحي.

تحولت الهمسات التي كنت أسمعها إلى ثرثرة مستمرة. كانت هناك أصوات كثيرة، وأحاديث كثيرة، ولم أتمكن من سماع أفكاري إلا بصعوبة.

«إن الشيء هنا».

«لقد وصلت».

«اكسروا ذلك القيد».

«أطلقوا سراحها».

غطيت أذنيَّ، وبحثت عن أي وسيلة هروب أو وسيلة لإبطال التعويذة. أردت لذلك الضجيج أن يتوقف... *الآن*. اختفت التعويذة فجأة، كما لو كانت متوافقة مع رغباتي. تأملت الآن النسخة الحقيقية للغرفة؛ كانت الجدران مغطاة باللاتينية... بسطور وسطور منها - بعضها كُتب بخط كبير، وبعضها بخط أصغر - غطت كل شبر من الجدران، من الأرض إلى السقف. يبدو أن من كتبها كان متفرغًا لها تمامًا، فأنا لم أرَ سحرًا يُستخدم بهذه الطريقة من قبل.

توهجت الحروف، ونبضت بهدوء كما لو كانت جزءًا من كيان حي يتنفس. أردت أن أسقط جاثية على ركبتيَّ. إنها تعويذة قوية لن تُبطل بسهولة، لكنني لن أستسلم. بحثت عن علامات قد تدل على أن هذا فخ، وكنت وحدي باستثناء كتاب.

تباطأت نبضات قلبي، لا بد أن هذا هو «الشيء» الذي وصفته فيتوريا في يومياتها.

عندما ركزت انتباهي على الكتاب، بدأت الأصوات تعود من جديد، كانت أكثر نعومة وجاذبية. أنزلت يديَّ من فوق أذنيَّ بتردد. وبالكاد كنت أستطيع التنفس، إن هذا هو السر الذي ماتت أختي لتحافظ عليه، كنت أعرف ذلك في أعماقي.

أضاء عمود منفرد من الضوء الكتاب القديم المغلف بالجلد، وكان الكتاب مغلقًا وموضوعًا على قاعدة منحوتة من قطعة صلبة من حجر السبج، ولم يسبق لي أن رأيت حجرًا كريمًا بهذا الحجم من قبل. تقدمت بحذر إلى الأمام حتى توقفت عند الكتاب الغامض مباشرة، فهدأت الأصوات.

زيَّن الغلاف رمز لقمر ثلاثي مصنوع من القصدير، ولكن لم يكن هناك عنوان عليه يشير إلى ما يحتويه. كان كتابًا سحريًا بالتأكيد، نظرًا إلى القوة المنبعثة من صفحاته. وأحاط به ضوء بنفسجي ناعم ذكرني *بالهالة* التي أراها تحيط بالبشر، وكان بدرجة اللون الأرجواني الخاصة بوشمي نفسها. ولم أكن أعرف ما يعنيه ذلك، لكن كانت لديَّ فكرة جيدة جدًّا عنه – إنه أول كتاب للتعاويذ السحرية. هذا مستحيل! عثرت فيتوريا على أول كتاب سحر وضعته لا بريما.

كان الأمر واضحًا وبسيطًا جدًّا، ومع ذلك كلَّف هذا أختي الكثير.

فجأة، أردت أن أحرقه.

لم يكن أكبر من أي كتاب قديم آخر، لكن قوته لم تكن تشبه أي شيء شعرت به من قبل، وكانت هناك بعض الصفحات التي بدا أنها قد فُتحت وأغلقت مليون مرة.

مثل الليلة التي عثرت فيها على جثة أختي، كان هناك شيء صامت داخلي يشدني ويجذبني إليها. هذه المرة، توسل ذلك الشيء إليَّ لأفتح الكتاب، ولألقي نظرة على التعويذات التي شعرت بها تنسكب منه. مددت يدي ببطء وفتحته حتى موضع محدد بشريط.

أول ما رأيته كان ورقة سوداء مألوفة ذات حواف ذهبية. مسحت الصفحة بعينيَّ سريعًا، وكانت استدعاء لنجم الصباح حامل النار*.

أغلقت الكتاب سريعًا وابتعدت. لقد استدعى شخص ما الشيطان، أو أراد أن يفعل ذلك.

أخذت شهيقًا عدة مرات بنفس ثابت، بينما كان عقلي يضطرب بسباق من الأفكار التي ملأته. كان هذا هو الكتاب الغامض الذي استرقت أختي صفحات منه، وبطريقة ما، قادها سحرها إلى كتاب التعاويذ الأول، ثم قطعت هي الصفحات التي تحتوي على تعويذة استدعاء الشياطين. كنت أعلم يقينًا أنها لم تخبئ هذا النص في غرفتنا الصغيرة، كنت سأشعر به بمجرد دخوله إلى منزلنا، وكذلك جدتي، ما يعني أنه لا بد أن فيتوريا هي من خبأته هنا، ولكن لماذا تعتقد أنه سيكون في أمان داخل جدران الدير... هناك صلة ما، عليَّ أن *أفكر*.

«أخيرًا».

قفزت إلى الخلف عندما دخل الغرفة شخص متشح بعباءة لها غطاء رأس، وقد تخطى دائرة الطباشير المباركة الخاصة بي. لا بد أن هذا هو الشخص الذي باع له الرسول أسراره، أجزم أنه كان الأخ كارماين، فكم

---

* حامل النار من الأسماء التي تُستخدم في الثقافة الغربية والأساطير العقدية للإشارة إلى «لوسيفر»، أو الشيطان، ويعني حامل الضوء، وهو يشير أيضًا إلى كوكب الزهرة أو حامل النار، والبعض يعتقد أنه بروميثيوس، في الأساطير الإغريقية، الذي سرق سر النار من معبودات الإغريق ووهب البشر إياه.

هو مثير للسخرية أن يقوم صائد ساحرات بنصب فخ باستخدام السحر. أزاح الشخص القلنسوة إلى الخلف، فتجمدت في مكاني، استعدادًا لهجوم الأخ الكاره للساحرات. وبدلًا من ذلك، تحرك أنطونيو أسرع مما كنت أعتقد أن بمقدوره فعله، وضرب الطباشير من يدي كما لو أنه قد ينمو منه مخالب ويؤذيني. شاهدت الطباشير تتحطم على الأرض، ثم عدت إلى الواقع فجأة، وقد ملأني الارتياح.

«أنطونيو! أنت حي، اعتقدت...». ورفعت نظري إلى أعلى ولاحظت التعبير المرتسم على وجهه. لم يكن القلق، بل الكراهية. انتفض قلبي وأنا آخذ خطوة إلى الوراء، وسألته: «م... ماذا حدث؟ هل آذاك إنفي؟».

«إن ملكًا كهذا لن يؤذيني أبدًا». وافترت شفتاه عن ابتسامة بعيدة تمامًا عن اللطف والخجل اللذين أتذكرهما، وأردف: «على عكس ما تفعلينه أنتِ تمامًا».

بالكاد تمكنت من التنفس، وبدأ كل شيء يصبح أكثر منطقية. لم يؤذه إنفي ولم يأسره، بل على العكس تمامًا، لقد قام أنطونيو بتسليم كلاوديا عن طيب خاطر مباشرة إلى أيدي أعدائي، وكان يعلم أنها ساحرة و....

خرج صوتي مرتجفًا وأنا أقول له: «إنه أنت، *أنت* من قتلت أختي، لكن لماذا؟!».

«هل يصعب حقًّا تصديق الأمر؟ إنني رجل من الأخوية المباركة، أرغب في تخليص العالم من الشر؟».

ضممت قبضتي... احتجت إلى أن أشعر بوخز أظافري حتى أتجنب الاندفاع لضربه وأنا أقول: «أنت تتحدث تمامًا مثل كارماين. وماذا عن قتل النساء البريئات أليس فعلًا شريرًا؟!».

«أفضل أتباع الخالق هم المحاربون الذين لا يخافون أحدًا يا إميليا. وفي بعض الأحيان، ومن أجل تحقيق الصالح الأعم، يجب علينا أولًا أن نصبح سيفًا للعدالة ونقتل به أعداءنا. لن تفهمي هذا. إنه ليس شيئًا يمكنكِ القيام به أيتها الساحرة».

فجأة، فقدت القدرة على التحكم في نفسي.

قلت له: «أنت لا تعرف *شيئًا* عما يمكنني فعله».

أشار بذقنه نحو التميمتين المجتمعتين، وقد كانتا تتوهجان بشدة.

قال: «ربما لا، ولكن إذا استخدمت السحر ضدي الآن، فسوف تثبتين أنني على حق. فالساحرات كلهن يولدن شريرات».

ازدادت حدة غضبي وشعوري بأنني قد جُرحت. تقدمت إلى الأمام، وأطلقت العنان للغضب المكبوت الذي كنت أتشبث به منذ مقتل شقيقتي.

«أنت مخطئ، فنحن لم نولد شريرات، البعض منا يصبح هكذا بسبب الكراهية».

ارتفعت خصلات شعري كما لو كان هناك نسيم مفاجئ. وكانت العاصفة على وشك أن تضرب، لكنها لم تكن من هذا العالم. بدأت الكلمات المتوهجة التي تحيط بنا تنبض بشكل أسرع. وكان السحر يحرق الهواء، وتدور تعاويذ لم أكن أعرفها من قبل في ذهني. ربما كان قرنا الشيطان يغذيانني، أو كان كتاب السحر الأول هو ما يمدني بتعاويذه.

ربما كان الأمر ببساطة هو أن ظلامي الداخلي هو ما يهرب، لكنني لم أهتم على أي حال.

أمسكت بقرني الجحيم، وهمست بتعويذة كريهة للغاية، لدرجة أن الكلمات احترقت عندما غادرت شفتيَّ. رفعت ذراعيَّ، ثم خفضتهما إلى أسفل في شكل قوس، فقطعت مخالب غير مرئية ملابس أنطونيو إلى شرائط.

هذه المرة لم أمس جسده.

تسلل الخوف إلى عينيه وهو يتراجع ببطء مبتعدًا، ويداه مرفوعتان أمامه، كما لو أن ذلك سيوقفني.

سألته وأنا أتقدم نحوه: «أخائف أنت؟ يجب أن تكون كذلك، فهذه ليست سوى البداية».

رفعت ذراعيَّ، فابتعد في خوف، ارتجف صوته وهو يرجوني قائلًا: «الرحمة يا إميليا. أ... أرجوكِ».

احترق الغضب النقي الساخن في روحي: وقلت «الآن تريد الرحمة؟ أخبرني، هل توسلت أختي لك؟».

فكرت في صدرها، في الثقب الكبير الذي كان قلبها يملأ مكانه قبل أن ينتزع منه، لقد فعل ذلك بها... صديقنا. رميت ذراعيَّ إلى الخلف، وجرحت صدره، العين بالعين؛ العدالة، ضغط بأصابعه على جراحه، فرأى دمًا، تعثر مبتعدًا، لم يكن أكثر من مجرد خدش.

دفعني الغضب إلى الأمام وأنا أقول: «هل رحمت فيتوريا عندما توسلت من أجل حياتها؟ أو فالنتينا؟ كم امرأة توسلت إليك لترحمها؟ أين كانت رحمتك حينها؟».

سقط على ركبتيه وبدأ يصلي. انتظرت، لكن المساعدة لم تظهر. ما ظهر كان الموت والغضب. جثوت وعيناي مشتعلتان بالغضب. أجبرته على النظر إليَّ، وأردت منه أن يرى وجه أختي أيضًا. انسالت الدموع على خديه. حاربت الرغبة في تحطيم جمجمته على الأرض ومشاهدة الحياة تغادر هاتين العينين المليئتين بالكراهية.

سيكون الموت رأفة به، وأنا لم أكن أشعر بالرأفة نهائيًا.

قلت: «عندما أقرر قتلك أخيرًا يا أنطونيو، سوف تتوسل من أجل الراحة التي سيقدمها إليك الموت». ألقيت نظرة سريعة على إصبعي، وركزت على شفرة غير مرئية وهي تشق جلده. ظهرت نقطة من الدم. فقلت: «أقسم بدمي أنك لن تعرف طعم السعادة الحقيقية مرة أخرى. سيظل قلبك ملعونًا لينكسر في كل مرة تنسى فيها الخطايا التي ارتكبتها. وفي كل مرة تضحك، سأكون هناك، في الانتظار، لتذكيرك».

كنت على وشك ختم ذلك العهد بقطرة الدم، عندما ملأت رائحة البول المكان من حولنا، وأيقظت ذكرى في داخلي، لقد أخفت أنطونيو

لدرجة أنه تبوّل على نفسه. تمامًا كما فعل راث عندما حصل على المعلومات من... فزعت وتركت يدي تسقط إلى جانبي.

راث، أمير الجحيم، أظهر الرحمة.

وهو يعرف مقدار القوة التي يتمتع بها، لا أعرف كيف تمكن من ضبط نفسه. تمنيت أن أكون مثله قليلًا الآن، لكنني لم أكن كذلك.

«هناك قاعدة جديدة. ستخبرني بالحقيقة بشأن كل ما أطلبه منك، وعندها فقط سأفكر في تركك تعيش، هل تفهم؟».

«نـ... نعم»، أومأ برأسه عدة مرات وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة: «مـ... ما الذي تريدين معرفته؟».

«قبل أن تقابل هذا الملعون، لا بد أن شيئًا دفعك إلى ذلك. أخبرني بما تشوه داخلك... وجعلك كريهًا بهذه الدرجة؟».

«أنا... لست...»، هز رأسه ثم أكمل قائلًا: «حـ... حسنًا. قبل أسبوع من وفاة والدتي، أخذتها إلى امرأة اعتقدت أنها تستخدم السحر الشعبي والصلاة فقط للشفاء، لكن تبين أنها كانت ساحرة». خرجت منه ضحكة جوفاء، فرمقته بنظرة خاوية، فلم يكمل الضحك، واستطرد: «لقد تسببت في وفاة والدتي. أقسمت حينها للرب، ونذرت أنني إذا التقيت ساحرة أخرى، فسأرسلها مباشرة إلى الجحيم حيث تنتمي. كان هذا عندما أُجيبت صلواتي».

«كيف؟».

«جاءني رسول بعد ذلك بفترة وجيزة ليخبرني بلعنة الشيطان. قال إنه من أجل كسرها، يحتاج الشيطان إلى الزواج بساحرة. أخبرني بأن هذا لا يمكن أن يحدث، وإلا فسيتحرر الشيطان. وقال إنه سيعطيني أسماء العرائس المحتملات، وكل ما كان عليّ فعله لإنقاذنا من الشر الحقيقي، هو قتل هؤلاء الساحرات».

اتجه نظري إلى كتاب التعاويذ الأول. فكرت في أختي مرة أخرى، وسألته: «هل أعطاك هذا الملعون اسم أختي؟».

انخفضت نظراته إلى الأرض، «كانت وفاة أختك... لم أكن أريد أن... حتى إنني طلبت منه أن يتغاضى عن قتلها، لكنه قال إن ترك بذرة واحدة من الشر سيؤدي إلى نمو المزيد. كافحت الأمر فترة قصيرة، حتى إنني ادعيت أنها ليست ساحرة، وأنه كان مخطئًا بشأن ذلك. بعدها، قامت هي...»، وقد جرؤ على أن ينظر في عينيَّ وهو يكمل: «بدأت تتحدث عن استدعاء الشيطان تلك الليلة في الدير، ولم أستطع أن أنكر الحقيقة، كان لا بد من إيقافها».

تحكمت في غضبي. كانت فيتوريا تمزح دائمًا بشأن استدعاء الشيطان، أو إغواء شخص ما، أو أي أشياء سخيفة أخرى قد تقولها أمام البشر، كانوا يضحكون عادة، معتقدين أنها تمزح. لقد شعرت بالقلق في يوم من الأيام من أن يبدأ شخص ما تصديقها، ولم أعتقد قط أنه سيكون شخصًا قريبًا منا. قلت له: «لقد خنتها، وخنتني».

سأل وقد أصبح صوته حادًّا خلال لحظات قبل أن يتحكم في نفسه مجددًا: «وأنتِ ألم تفعلي الشيء نفسه لي؟ لقد ألقيتِ تعويذة لتجعليني أقع في حبك. لقد كذبتِ في وجهي كل يوم، وأخفيتِ حقيقة ما أنتِ عليه». وعلى الرغم من استعراضي السابق للقوة، تجهمت ملامح وجهه بالغضب، وهو يكمل قائلًا: «أنتِ تنتمين إلى الجحيم مع النفوس الملعونة الأخرى. أنتِ لست إنسانة كذلك. أنا أشمئزُّ منكِ».

«لم أستخدم تعويذة حب عليك قط».

«هل يمكنكِ أن تعترفي بصراحة - قبل هذه الليلة - بأنكِ لم تستخدمي السحر عليَّ مطلقًا دون موافقتي؟ هل أنت استثناء للقاعدة؟».

«بالطبع لم أفعل، أنا...»، ثم أغلقت فمي. لقد استخدمت تعويذة الحقيقة المحرمة عليه عندما كنا أطفالًا. لقد انتهكت إرادته الحرة. وما فعلته كان خطأً، لكنه لم يمنحه الحق في قتل النساء انتقامًا. «كيف كنت تخطط لمنع الشيطان من العثور على ساحرة من مدينة أخرى؟».

«من خلال استدعائه».

«أنت، رجل الدين، يا من تقوم بعمل الأبرار المزعومين، تريد استدعاء الشيطان؟».

«أوه، أنا لا أريد أن أفعل ذلك يا إميليا، ولكنني سأفعل كل ما يتوجب فعله. أريده أن يشاهدني وأنا أدمر قرنيه».

رفعت يدي إلى تميمتي قائلة: «كيف...»

قاطعني ساخرًا: «كيف عرفت أنكِ ترتدين قرن الشيطان الحقيقي؟ أخبرني بهذا من تلعنينه. كما ترين، أولًا كنا سنقوم بقتل كل ساحرة على قيد الحياة، وبعدها نستدعي الشيطان ونقتله».

«وما اسم هذا الملعون؟».

رفع أنطونيو كتفيه وهو يجيب: «لم يخبرني. ولكن كان هناك شيء ما... قوي به. كنت أعرف أنه لم يكن يكذب. شعرت فقط بأن به شيئًا سماويًا لكي يحيط به هذا القدر من المجد».

سواء عرف أنطونيو ذلك أم لا، أجزم بروحي بأن هذا كان تأثير قوى أحد أمراء الجحيم عليه. وأعتقد أنني عرفت بالضبط من الذي دبر كل ذلك: إنفي، الشيطان الخائن. أنا فقط بحاجة إلى دليل، وبعد ذلك سأدمره.

«وما أهمية القلوب في هذا الأمر؟».

أعطاني نظرة غريبة وهو يتساءل: «القلوب؟».

كأنه لا يعرف ما أتحدث عنه، من الواضح أن مقدار ما كان سيخبرني به من معلومات قارب الانتهاء، أو ربما كانت هناك أجزاء من أفعاله الوحشية لم يستطع مواجهتها والاعتراف بأنه فعلها. توقفت عن تركيز اهتمامي على أنطونيو، وبدأت أفكر في خطوتي التالية. فكرت في أختي، في خطتها لاستدعاء الشيطان... لقد أرادت المساومة معه.

ربما كانت تعرف إنفي، أو أي أمير آخر من أمراء الجحيم هو من كان يتلاعب بها، وأن الطريقة الوحيدة لإيقافه هي مساعدة برايد على كسر اللعنة، وهو ما يفسر سبب رغبتها في أن يتعاون المستذئبون مع جريد.

ومهما كانت أسبابها، فقد اعتقدت أن أفضل مسار لها هو الذهاب إلى العالم السفلي. قد يكون أنطونيو أداة الموت، وربما اختار ارتكاب هذه الأفعال الفظيعة، لكنه لم يتصرف بمفرده.

الآن أردت معرفة من ساعد أيضًا على قتل أختي. بدأت فكرة جامحة ومجنونة تتشكل في رأسي. إذا تمكن أنطونيو بالفعل من استدعاء الشيطان الآن، فيمكنني استخدامه لصالحي. اعتقدت أختي أن حُكم الجحيم هو خيارها الأفضل.

وربما كان الأمر مماثلًا بالنسبة إليَّ أيضًا.

«إذا كنت ستستدعي الشيطان، فلِمَ الانتظار؟».

ابتسم أنطونيو وهو يقول: «أنتِ من ستستدعينه، وسوف أقتله عندما تفعلين ذلك».

أود أن أراه يحاول. أشرت إلى دائرة الاستدعاء التي لم تكتمل بعد، وأمسكت بالتميمتين في يدي. وأمرته: «أشعل الشموع».

فعل ما أمرته به، وانتهى بسرعة من إعداد الدائرة، وبدلًا من استخدام عظام الحيوانات، وضع نبات الذئب المزهر بين كل شمعة. حدقت إلى البتلات الأرجوانية والزرقاء المجوفة التي تشبه الخوذة. لم يكن هذا على الإطلاق ما كنت أعتقد أن المرء سيستخدمه لاستدعاء برايد.

عندما وضع آخر قطعة من النبتة، تراجع إلى الوراء، وتمتم باللاتينية، ودعاني إلى ترديد ما يقول خلفه. لقد علمه جيدًا.

تمامًا مثل المرة التي استدعيت فيها راث، ملأ الدخان الدائرة. كان البرق يضرب في الأنحاء، والمجال حولنا يصدر صوتًا كما لو كنا عالقين وسط عاصفة رهيبة. توقعت أن أرى رجلًا جميلًا يقف أمامنا، لكنني لم أكن أتوقع رؤية أنطونيو. كانت عيناه عبارة عن بركتين من اللون الأزرق الفضي، وهي العلامة الوحيدة التي تشير إلى أنه لم يعد الشاب الذي نشأ في المنزل المجاور لنا.

نظر حوله، لم تكن حركاته طبيعية تمامًا. ثبت في مكاني وهو ينظر إليَّ. لقد استولى برايد على جسد أنطونيو، وقبل أن أتمكن من أن أتظاهر بالملل، اقترب مني أكثر. خرجت أنفاسي متقطعة. وانصب اهتمامه على المشبكين المرصعين بالألماس في شعري.

قال: «لديَّ هدية لك، يا ساحرة النجوم».

كان صوته جميلًا. بعد ما تعلمته أخيرًا عن الخير والشر، لا أعرف لماذا توقعت أن يخرج في شكل صراخ. سألته: «وماذا ستكلفني هذه الهدية؟».

لم تكن ابتسامته رقيقة وهو يجيبني: «روحك فقط بالطبع». ابتسمت إليه... عريسي الجديد. لم تكن لديه أية فكرة عن أن عاصفة تقترب من الجحيم. «لقد حظيت باهتمامي يا برايد. أبهرني».

حامت عيناه حولي ببطء، ثم ضغط أصابعه فصدر منها صوت فرقعة. ملأ السحر الجو، وصدر صوت فرقعة ثم ظهر ثوب.

تدلى من مصدر غير مرئي، وأخذت تنورته تتطاير. كان الجزء العلوي عبارة عن مشد معدني مغطى كاملًا بالكروم. ثم تجمعت طبقات من القماش الأسود عند الوركين، وانسابت على الأرض في أمواج شديدة السواد. كانت كل طبقة تحتوي على أحجار كريمة صغيرة رمادية مشبوكة فيها. وتلألأت ثعابين سوداء متشابكة معًا بشكل معقد عند الخصر مثل الحزام.

لم أكن لأتوقع شيئًا أقل إثارة بالنسبة إلى ملكة الجحيم المستقبلية.

كنت سعيدة لأن خطتي قد نجحت، لكنني كنت مرعوبة أيضًا. لم يكن هناك مجال للتراجع الآن.

كان الثوب يتمايل ويدور من تلقاء نفسه، كما لو كان ثمة كائن غير مرئي يرتديه، ويقترب أكثر فأكثر من المكان الذي بقيت فيه بلا حراك. اصطدم بي، وأحاط بجسدي، كان يدور بعنف فأغمضت عينيَّ. لم

يعجبني كيف ذكرني ذلك بحفلة لاست غير المرئية. وفي الواقع، لقد كرهت الأمر.

توقف كل شيء فجأة. ونظرت إلى الأسفل، فذهلت عندما رأيت فستاني قد اختفى، وبدلًا منه ارتديت ذلك الثوب الجميل الداكن الذي بدا كأنه يعانقني.

شهقت عندما ضغط على جسدي أكثر.

أمال الشيطان رأسه وهو يقول: «تحيا القرينة الجديدة».

آلمني قلبي وأنا أقول: «لم أحصل على التاج بعد».

«أوه، ولكنكِ ستحصلين عليه قريبًا»، ثم انتزع من الهواء خنجرًا برأس أسد يزأر، ووجهه نحو قلب أنطونيو. قال: «سمعت عن الانتقام الذي تسعين إليه. اقبلي هذه التضحية البشرية هدية من مملكة برايد، يا صاحبة السمو».

«لا!».

خرجت الكلمة بصوت غريب متعدد النغمات، كان صوتي بالفعل، ولكنه في ذات الوقت كان غريبًا عني تمامًا. حام النصل فوق جسد أنطونيو، لكنه لم يخترقه.

تهدجت أنفاسي، وقلت: «سوف أقابلك، أو أقابل ممثلك خلال ساعة في الكهف، حيث استدعيت راث للمرة الأولى، فلديَّ شيء يجب أن أفعله قبل أن أعطي إجابتي النهائية».

تحوَّل تركيز الشيطان نحوي، ثم قال: «اتفقنا».

همست: «سومنوس»، فدخل جسد أنطونيو في حالة من النوم السحري، وإذا انتقم منه أحد، فستكون يدي هي التي ستقوم بذلك.

بقلب يدق كالمطرقة، ألقيت نظرة سريعة على كتاب التعويذات الأول، وكنت أرغب في بضع دقائق لقراءته، واستخلاص أي سحر في اللحظة الأخيرة قبل إخفائه عن أمراء الشياطين، لكنه كان قد اختفى.

لا يهم، سأفعل ذلك بطرق أخرى. ودون النظر خلفي، غادرت الغرفة مرتدية قرني الشيطان، وفستاني الجديد الشرير، وأنا أشعر بنبضي يتسارع مع كل خطوة. وقبل أن تنتهي الليلة، سأعقد صفقة مع برايد سيكون من شأنها أن تؤدي إلى تدمير مملكته.

لقد تعهدت لأختي بصمت بأنني لن أرتاح حتى يلقى كل المسئولين عن وفاتها نهايتهم المحتومة.



الثامن والأربعون

لم يصل الشيطان على ظهر جواد ينفث النار، أو في وسط عاصفة شديدة. وفي الواقع، لم يكن ملك الشياطين هو الذي جاء من أجلي على الإطلاق.

خطا رات نحو الضوء الوامض، وبدا باردًا وجادًا. تحركت نحوه دون وعي مني، ثم تجمدت في مكاني، واجتاح صوت زمجرة منخفض الكهف. لم يأتِ منه، بل من حيوان مختبئ في أعماق الظل، لقد كان هذا تحذيرًا بلا شك.

شيء ما لم يكن على ما يُرام.

تفحصت رات من مسافة آمنة، ولم يكن هناك أي شيء مألوف في هذا الشيطان. لم يترك هذا المخلوق سوى القليل من الشك حول المكان الذي حكم فيه. لقد كان أكثر أمراء الشياطين شرًّا.

كان جزء خائن مني يشعر بالارتياح؛ لأنه كان على قيد الحياة. على الرغم من أنني كنت أعلم أنه خالد، لم أصدق تمامًا أنه قد نجا من هجوم إنفي الوحشي. جزء آخر أكثر حكمة مني كان يعاني جراء إنكار أنه هو من جاء ليأخذ روحي. اشتعل شعوري بالخيانة داخلي. لا أعرف لماذا توقعت أي شيء آخر من أمير جحيم حقير.

أحرقت دموع الغضب عينيَّ. كانت جدتي على حق في كل شيء، كان أمراء الشياطين كاذبين مهرة. لقد خدعني راث بالتأكيد بفعلته تلك، لقد جعلني أعتقد أنه مات، وأنه كان يهتم بي. لا بد أن ذلك كان يسليه كثيرًا وهو يراقبني وأنا أقع تحت سحره، إنني ساحرة ساذجة وحيدة كانت يائسة بما يكفي لطلب المساعدة من عدوها اللدود...

وأنا من اعتقدت أنني شعرت بنوع من العاطفة بيننا؛ وهم آخر خدعني به عدوي.

قاومت قشعريرة من البرد عندما رنا إليَّ بنظراته. اختفى الشعور الذي كانت تسببه داخلي، وكان من المستحيل تمييز ما يفكر فيه. فإذا كنت سأصبح ملكته، فهو لم يبدُ مندهشًا من الأمر. أردت بشدة أن أصدِّق أن هذا كان تمثيلًا، وأنه لم يكن بهذه البرودة والقسوة حقًّا. لم يقل شيئًا، وعبَّر عن أقل من ذلك. بدا إنفي وجريد ولاست بشريين تمامًا مقارنة بهذا الكائن الغريب الواقف أمامي.

كان يرتدي بدلة تليق بمكانته الملكية، أما يداه، فمدسوستان في جيبيه، وعلى رأسه تاج أسود بأشواك ياقوتية. فإذا انقلب رأسًا على عقب، فسيبدو كأنه يقطر دمًا. كانت ملابسه عبارة عن طبقات من اللون الفحمي موشى بخيوط ذهبية... الحرير والمخمل. إذا لم ألقِ نظرة فاحصة، لبدا مظهره ملائكيًا أكثر من كونه أميرًا للجحيم. رفعت ذقني إلى الأعلى، ما أتاح له رؤية واضحة للتميمتين حول رقبتي. «مرحبًا أيها الشيطان».

«مرحبًا أيتها الساحرة».

«اعتقدت أنك ميت».

«آسف لأنني خذلتك».

تحول انتباهه إلى دائرة الاحتواء، حيث كان جسد أنطونيو يطفو في الهواء، وقد نمت للظلال الممتدة على طول السقف مخالب. كنت أكاد أسمع صوت الخدش الخشن لأظافرها على الحجر. ظل تعبير راث خاويًا،

لكنني تخيلت أنه لم يتوقع العثور على إنسان مسجون بطريقة سحرية، ولم أكلف نفسي عناء إخفاء ابتسامتي الساخرة، فليرَ ما يمكنني فعله.

التفت بنظرة خالية من التعبير ناحيتي وسألني: «هل أنتِ مستعدة لبيع روحك؟».

حدقت لحظة، محاولة استيعاب هذه النسخة منه. ولم أكن أدرك كم مرة كانت نظرة راث إليَّ مشتعلة بالنار حتى حلت مكانها تلك اللا مبالاة الجليدية، من يقف أمامي الآن لم يكن الشيطان نفسه الذي اعتقدت أنني أعرفه، بل أردت الابتعاد عنه والهرب.

«إذن؟» كانت لهجته مليئة بنفاد الصبر. كان هناك انتصار في نظرة هذا الشيطان، لا إحباط، أو وميض رغبة، أو احترام أمكن استشفافه بشق الأنفس، فأنا لم أكن سوى وسيلة لتحقيق غاية. إنني ملكة ساحرة أخرى محتملة لإضافتها إلى قائمة أولئك الذين قُتلن قبل إتمام الزواج. حاولت ألا أفكر في مصيري الغامض. حتى لو كان الأمر يقتصر على العيش فقط لأضايقه، فقد تعهدت بالبقاء على قيد الحياة بغض النظر عمن أو ماذا جاء من أجل الحصول على قلبي، ولم يكن لديَّ شك في أن حياتي كانت في خطر. لقد أخبرني راث بأن الوحوش ستأتي من أجلي، وقد صدقت ذلك. يقف واحد منها أمامي الآن.

«هل قررتِ؟»

«تقريبًا».

نظر إليَّ من أعلى إلى أسفل ثم عبس قليلًا. ربما شعر بخيبة أمل لأنني لم أخف من حضوره الملكي وسلطته، وقد رفضت التظاهر بأنني أفهم أي شيء مما شعر به أو أراده. لم أكن حمقاء لدرجة اعتقاد أنه وقع في حبي، لكن كان بإمكاني أن أقسم أننا تحولنا من العداء البارد إلى شيء أكثر دفئًا بعض الشيء. أمسكت بقرني الجحيم بينما أفكر في خياراتي المتضائلة. كان طنين السحر الطفيف مريحًا، مثل عناق جدتي. وإذا بقيت، فإن بوابات الجحيم سوف تضعف وتنفتح، وتدمر كل ما أحبه.

لقد واجهت بالفعل شياطين الظلال والأبير، والأفاعي، وأربعة من أمراء الجحيم السبعة المرعبين.

لقد كنت محظوظة لأنني نجوت بحياتي، وكان قتلي أصعب من أي شخص آخر، ولم يكن العالم البشري مهيأ للتعامل مع المذبحة التي ستجلبها جحافل الشياطين إذا فُتحت البوابات. تخيلت جدتي وهي ترتدي عقدًا آخر من الدم باللون الأحمر الياقوتي، وكانت عيناها باردتين وبلا حياة. رأيت أمي وأبي مذبوحين في مطعمنا. وكل إنسان بريء في مدينتنا يرقد في أكوام متعفنة، ورائحة كريهة تنبعث تحت أشعة الشمس الحارقة.

لقد فقدت أختي بالفعل، ولن أخسر أي شخص آخر.

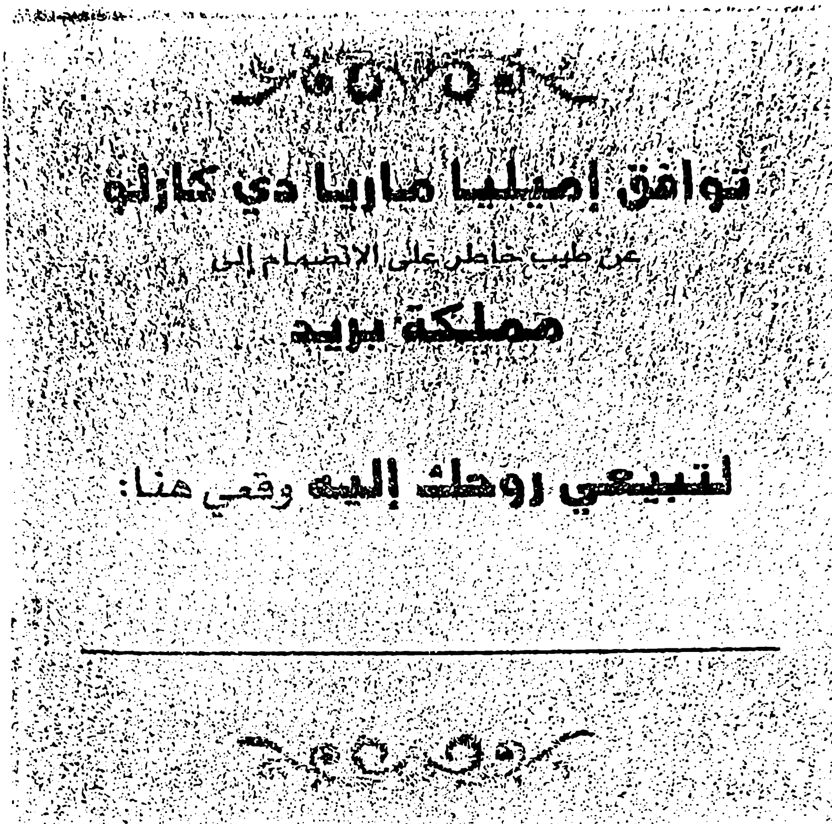
«أنا موافقة... بشرطين».

أضاءت شرارة جديدة نظراته. جنبًا إلى جنب مع الغضب والذكاء والمكر، كل ذلك لمع في وجهي: «جيد جدًّا. لنسمع شروطك».

كنت فخورًا بأن صوتي لم يخرج مهتزًّا وأنا أقول: «من هذه النقطة فصاعدًا، لن تُطارَد أي ساحرة أخرى، أو يُهاجَم أي إنسان. أريد من كل أمير من أمراء الجحيم أن يبقى خارج هذا العالم. وأنطونيو سيكون سجيني لأفعل ما أراه مناسبًا فيه، وإلا فلن أنضم إلى مملكة برايد».

كانت ابتسامته حادة للغاية. لقد بدا متعجرفًا، وكأنه يعرف سرًّا ما وهو يقول: «تتحدثين مثل أميرة حقيقية من الجحيم. هل أنت متأكدة من أن هذا هو ما تريدينه؟ هذا هو ما تختارينه؟»، أومأت. حدق راث إليَّ لحظة طويلة، كما لو كان يحاول أن يحرقني بعينيه: «اتفقنا».

ظهرت لفافة من الورق مع ريشة غراب، وعندما لم يظهر أي وعاء من الحبر، أدركت على الفور السبب. كان قلبي يرتجف بشدة، فإذا لم أركض الآن، فلن يكون هناك تراجع بعد ذلك. وبعض الروابط لا يمكن قطعها أبدًا. قرأت بعناية:



كان الأمر بسيطًا بما فيه الكفاية، ولا مجال للخداع وهو ما أقلقني أكثر، ينبغي لبيع الروح ألا يكون بهذه السهولة. لقد واجهت صعوبة أكبر في المساومة مع البائعين في السوق بشأن الملابس، وقد أراد جزء مني أن يضحك، لكن كان هناك القليل من الفكاهة التي يمكن العثور عليها في هذا الكهف.

قبل أن أتمكن من الركض صارخة، وخزت إصبعي، ووقعت على بيع روحي بالدم، ربطني السحر بالشيطان إلى الأبد. وبمجرد أن انتهيت، اختفت اللفافة وسط سحابة من الدخان، ظللت أحدق إليها حتى تبددت رائحة الكبريت، وواجهتني موجة متزايدة من الذعر.

سألت بينما إحساس غريب بالوخز يحيط بي مثل العباءة: «أي شيء آخر؟»، أومأ راث تجاه تميمتيَّ... بالطبع، أراد الشيطان استعادة قرنيه. انتزعتهما من رقبتي وأسقطتهما على أرضية الكهف، كان غيابهما بمنزلة نوع غريب من العذاب.

اختفتا.

أخذت نفسًا عميقًا، فأنا لم أعد بحاجة إلى القلق بشأن الاختباء من الشياطين - لقد وجدني أميرهم. ولكن هذا كان على ما يرام، لقد وجدتهم أيضًا. وتمنيت أن يندموا على اليوم الذي جاءوا فيه من أجلي، وسرعان ما سأتعمق في عالمهم، وسأصبح في وضع مثالي للكشف عن اللاعبين الحقيقيين الذين يقفون وراء جرائم القتل، وما كانوا يسعون إليه حقًّا.

ثم سأشرع في تدميرهم، هذا إذا لم يقتلوني أولًا.

تجاوزت راث، وسرت إلى حافة الكهف، وألقيت نظرة خاطفة إلى الأسفل، فربما تكون هذه هي المرة الأخيرة التي أرى فيها هذا العالم، أردت أن أحفظه. اصطدمت موجة غاضبة بالصخور، واندفعت نحو الأعلى في همسات قاسية، ومن ثم حدقت إلى الأمواج المظلمة، محاولة تهدئة نبضي المتسارع، وقد بدت تلك الموجات مثل شفرات فضية تومض في ضوء القمر. ربما تدعي جدتي أنها كانت علامة على أشياء غادرة مقبلة، وهذه المرة لم أستطع أن أختلف معها.

ارتجفت الأرض فجأة، وتناثر الحصى، وطارت الخفافيش من الكهف، واستعددت لمواجهة موجة السحر غير المتوقعة، وتحسبت من انهيار الكهف.

التفت حولي، وركزت على أنطونيو، أو على المكان الذي كان فيه من قبل. لقد اختفى قاتل فيتوريا، وفي مكانه، تحركت قوة راث مثل ذيل ثعبان عظيم. ابتسم، ومن ثم ظهر وميض سريع من أسنانه. لم نعد مرتبطين

معًا، وكانت قوته ساحقة وغير محدودة. ورفضت أن أسمح لخوفي بأن يظهر.

اختفت ابتسامة الشيطان ومد يده لي بصمت: «هلا أتيتِ معي؟».

علمت أنه يسأل بأدب فقط بسبب الأخلاقيات الشيطانية، ولم أرغب في الموافقة، ولم أرغب في لمسه مرة أخرى، لكنني علمت أنني لن أتمكن من العثور على طريقي إلى العالم السفلي دون سحره الأسود.

«نعم».

لففت أصابعي حول أصابعه قبل أن تخونني مشاعري. وكانت هناك قوة في اتصالنا. اندلعت تيارات صغيرة فوق بشرتنا، وقبل أن أتمكن من التفكير في الأمر، غلفنا الدخان. تبع ذلك ألم حارق. شعرت بأن جسدي كله يحترق. واختنقت بالصراخ. زاد زاث ضغط أصابعه على يدي، ولم تكن هناك أرض، ولا اتصال بالعالم الطبيعي، ولا يوجد شيء ملموس سوى قبضتي على الأمير الذي أكرهه الآن أكثر من الباقين مجتمعين.

استمر الألم لحظة واحدة فقط قبل أن يثير الإحساس الجديد خوفًا أكبر، لقد وقفنا على أرض صلبة مرة أخرى. ما يعني...

يا إلهي، بالكاد أستطيع التنفس، أردت أن أغمض عينيَّ إلى الأبد.

وبدلًا من ذلك، حدقت إلى الأمام مباشرة، وأرجعت كتفيَّ إلى الخلف، وانتظرت انقشاع الدخان.

وتمنيت أن يكون الجحيم مستعدًا لملكة جاءته منتقمة.

شكر وتقدير

يتطلب الأمر مجموعة كاملة من الأفراد الموهوبين لإخراج كتاب إلى العالم، ومثل إميليا، كنت محظوظة جدًّا لأن يكون لديَّ الأشخاص التالون الذين ألقوا تعويذات قوية من أجل نجاح هذه السلسلة:

ستيفاني جاربر – أنا محظوظة للغاية لأن لديَّ صديقة مثلك، ولم يكن هذا الكتاب ليصبح على هذه النحو من دون دعمك المستمر، وجلسات العصف الذهني، والاستعداد للمحادثة حول أدق التفاصيل. إن مكالماتنا الأسبوعية عن كتبنا (وبرامجنا التليفزيونية المفضلة) جعلت عملية الكتابة ممتعة للغاية، وأنا سعيدة جدًّا لأننا سنتمكن من القيام بذلك مرة أخرى!

باربرا بويل، وكيلتي الاستثنائية، أنتِ لا تتوقفين عن إبهاري بالوجوه العديدة التي ترتدينها: الوكيلة، والصديقة، وشريكة العمل الشرسة، وملكة الصور التعبيرية، وبطلة العصف الذهني. شكرًا لك على زرع فكرة أمراء الجحيم في ذهني منذ فترة طويلة عندما بدأت طرح هذه الفكرة للمرة الأولى – والآن لا أستطيع أن أتخيل هذه القصة دون أمراء الشياطين المخادعين هؤلاء!

ماجي كين والفريق كله في وكالة إيرين جودمان، وهيذر بارور شابيرو (بارور الدولية)، وشون بيرارد (جراندفيو) يعملون بلا كلل خلف الكواليس لتصل أعمالي إلى بلدان مذهلة وإلى هوليوود. لا أستطيع أن أشعر إلا بالامتنان لكل واحد منكم.

إلى محررتي الرائعة، لورا شرايبر، لقد آمنتِ بهذا الكتاب (وبي!) وانطلقتِ على الفور بحماس لا يتزعزع للمساعدة على العثور على القصة التي كانت في

رأسي. أنا سعيدة جدًّا بعملنا الشاق، ولا أستطيع انتظار ما سيأتي في التجربة التالية!

ليام دونيلي، يدفع غلاف الكتاب والتفاصيل الموجودة داخل الكتاب قلبي المظلم للفناء، فمليون شكر على الثعابين والزهور والجماجم.

دان دينينج، جوشوا جونز، جوردان مونديل، كايتلين أفيريت، تي.إس. فيرجسون، وارين ماكجرات، وشارلوت لامونتين، وماجي كانون، ونيد روست، وتريسي شو، وفلو يو، وبلو جيمس، وأليكسيس لاسيتر، وفريق مبيعات هاشيت، وباربرا بلاسوتشي وفريق المبيعات الخاص، وليندا أرندز، وفيرجينيا لوثر وفريق الإنتاج، والجميع في جيمي باترسن بوكس وليتل براون، إن عملكم الجاد، وتفانيكم، وإبداعكم، وموهبتكم أشياء لا حدود لها على الإطلاق. قمتم جميعًا بعمل بعض السحر القوي لإطلاق هذا الكتاب أثناء الوباء العالمي؛ أشكركم على كل ما تفعلونه وراء الكواليس.

جيمس باترسون - لم يكن أي من هذا ممكنًا من دون دعمك المستمر، شكرًا لك أكثر من مليون مرة.

إلى فريقي الرائع في المملكة المتحدة في هودر وستاوتن: مولي باول، وكيت كيهان، ومادي مارشال، وأوليفر جونسون، والفريق كله - ما زلت أشعر بالدهشة في كل مرة أتذكر فيها تسلمي خطاب موافقتكم، والحماس الذي أبديتموه جميعًا لهذا الكتاب. ما زلت أشعر بالرهبة من الطبعة المذهلة من الكتاب الذي ستصدرونها.

جيني باك، لقد منحت هذا الكتاب موطنًا قبل مغادرتك من أجل القيام بمغامرات تحرير جديدة، وأنا ممتنة إلى الأبد لكِ ولصداقتنا. الكثير من الحب لكِ، دائمًا.

جولي جوانشي، المعروفة أيضًا باسم «موما جولي»، شكرًا لكِ على كل الأفكار التسويقية الممتعة التي زرعتِها في طريقي قبل الشروع في رحلتك الجديدة.

أنيسة دي جومري - إنني أقدر صداقتنا ولا أستطيع أن أشكرك بما فيه الكفاية على حضورك دائمًا لرفع معنوياتي. كان العمل معك لإصدار طبعة فيري لووت الخاصة - والتمكن من رؤية كل هذا الفن الرائع والتفاصيل التي تنبض بالحياة، بمنزلة سحر في الحياة الواقعية.

إلى أمي وأبي، كيلي وبن، وعائلتي كلها - أحبكم أكثر مما يمكن للكلمات أن تعبِّر عنه. شكرًا لكم على الاستماع دائمًا إلى ثرثرتي عن الشخصيات ونقاط الحبكة وتقديم الكثير من النصائح الجيدة، ولأنكم متحمسون مثلي تمامًا.

لا يوجد شيء مميز تمامًا مثل الرابطة بين الأخوات؛ لذا فتحية خاصة لأختي ليس فقط لكونها أفضل صديقة لي، ولكن أيضًا لأنها سمحت لي بعرض منتجات هذه الرواية وروايتي الأخرى *Stalking Jack the Ripper* في متجرها، دوجوود لاين بوتيك. أحبك يا كيلي!

بالنسبة لمدوني الكتب ومحبيها على الإنستجرام، وأمناء المكتبات، والمدرسين، وبائعي الكتب، وذا بوكيش بوكس، وبيكون بوك بوكس، وفيري لووت - إن حماسكم لهذا الكتاب هو المادة التي تُصنع منها الأحلام. شكرًا لكم على كل دعمكم.

ولك عزيزي القارئ، فمن دونك، لم يكن لأي من هذا أن يكون ممكنًا. أتمنى أن تنقلك هذه القصة إلى عالم جديد خصب بضع ساعات، وآمل أن تكون متحمسًا للمغامرة الشريرة التالية لإميليا وراث. ☺

لمحة عن المؤلفة

نشأت كيري مانيسكالكو في منزل شبه مسكون في ضواحي مدينة نيويورك، حيث بدأ شغفها بالتراث القوطي. وفي وقت فراغها كانت تقرأ كل ما يقع تحت يديها، وتطهو كل أصناف الأطعمة بصحبة أفراد عائلتها وأصدقائها، تحتسي الكثير للغاية من الشاي بينما تناقش أمور الحياة الدقيقة مع قططها. كيري هي المؤلفة الأولى وفقًا لجريدتي نيويورك تايمز ويو إس إيه توداي، وذلك عن كتابيها الأكثر مبيعًا: رباعية جاك السفاح، ومملكة الأشرار. وهي تتطلع دائمًا إلى مشاركة المقتطفات والإعلانات التمهيدية على إنستجرام KerriManiscalco@. ولمتابعة الأخبار والتحديثات يُرجى الرجوع إلى kerrimaniscalco.com.

أختان، وجريمة قتل وحشية، وسعي للثأر يطلق العنان للجحيم نفسه...

إيميليا وفيتوريا ساحرتان توأمتان تستخدمان التعاويذ والتمائم، وتتخفيان وسط البشر، كي تتجنبا التعرض للاضطهاد. وذات ليلة، تتخلف فيتوريا عن خدمة العشاء في مطعم الأسرة الصقلي المرموق.

وسرعان ما تعثر إيميليا على جثة أختها المحبوبة، وقد دُنست بشكل مخيف. تنهار إيميليا، وتبدأ رحلة البحث عن قاتل شقيقتها كي تنتقم منه بأي ثمن، حتى لو اضطرت لاستخدام السحر الأسود الذي حُرِّم منذ زمن بعيد.

ولا تلبث إيميليا أن تقابل راث- أحد أمراء الجحيم الأشرار - الذي حُذرت منه في الحكايات منذ كانت طفلة. يدعي راث أنه سيساعد إيميليا بعد أن يكلفه سيده بحل لغز مقتل العديد من نسوة الجزيرة.

ولكن، حين يتعلق الأمر بالأشرار، تصبح طبيعة الأمور مغايرة لشكلها...

كيري مانيسكالكو

نشأت كيري مانيسكالكو في منزل شبه مسكون خارج نيويورك، حيث افتتنت بالأماكن ذات الطراز القوطي. كانت تقرأ كل ما يُتاح لها في أثناء وقت فراغها، وتطهو كل أنواع الطعام مع أسرتها وأصدقائها، وتشرب كمًا كبيرًا من الشاي في أثناء مناقشة أدق تفاصيل حياتها مع قططها. مانيسكالكو هي مؤلفة هذه الثلاثية الأكثر مبيعًا التي بدأت برواية "مملكة الأشرار" والرباعية التي تصدرت قائمة نيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعًا Stalking Jack the Ripper.

kerrimaniscalco.com

KerriManiscalcoAuthor

kerrimaniscalco@

